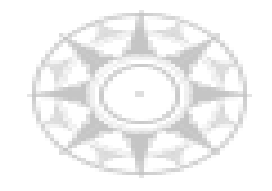
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي



جـامعة الجزائر2 معهـــد الآثــــــار

العمارة العسكرية الإسلاميّة بإقليم توات

من الفتح الاسلامي الى غاية نهاية القرن العاشر هجري (8-16م)

دراسة تاريخيّة و أثريّة

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

من اعداد الطالب :

علاوة عبد الحميد

تحـــت اشـراف الأستاذ الدكتور:

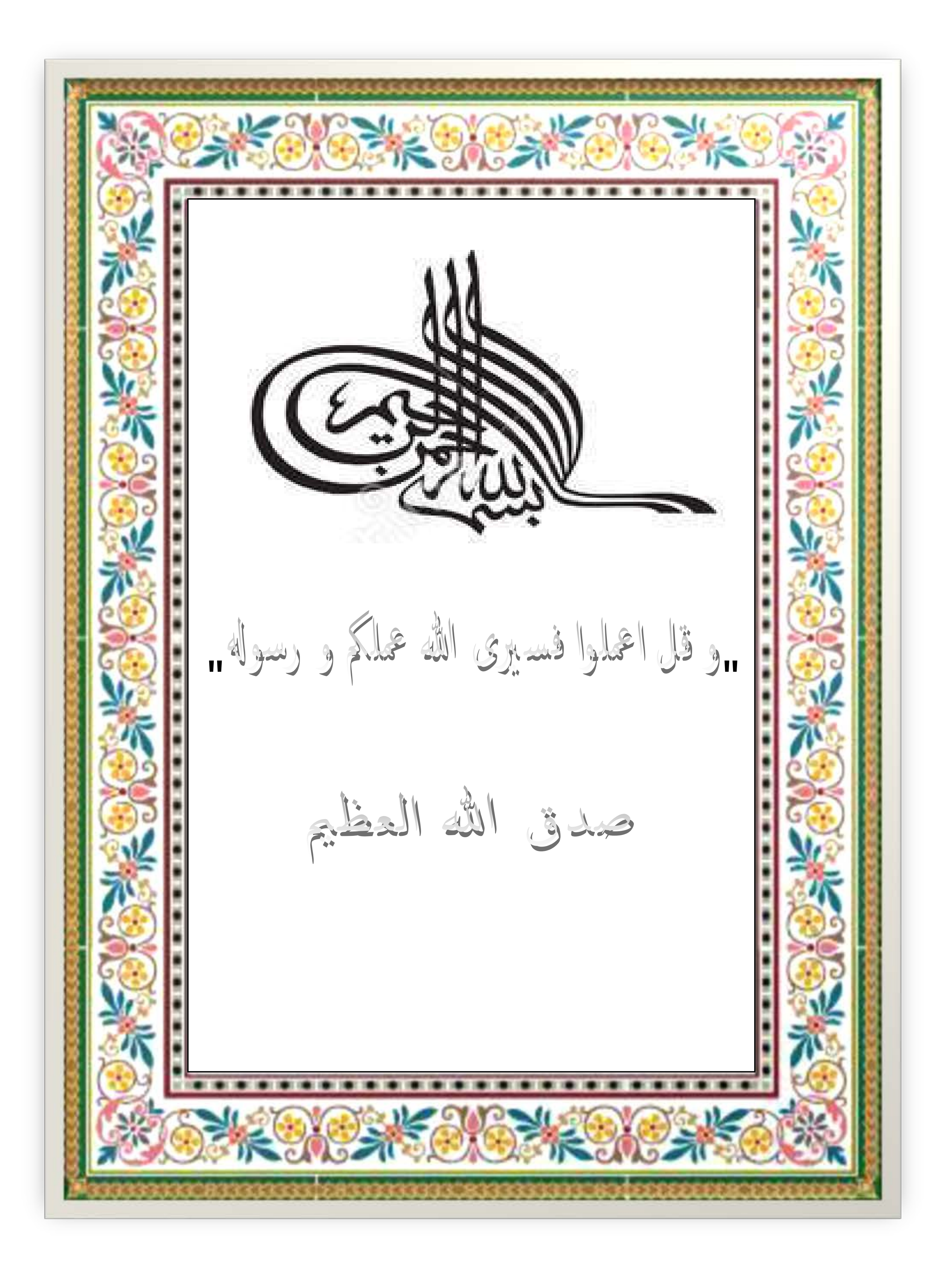
صالح يوسف بن قربـــة

لجنة المناقشة

أ. بن نعمان اسماعيل	استاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ. صالح يوسف بن قربة	استاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
أ. بن بلة خيرة	استاذة محاضرة	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د.سرحان عبد الحليم	استاذ محاضرة	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا
أ. حنفي عائشة	استاذة محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
أ. معزوز عبد الحق	استاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

السّنـــــــة الجامعية

2019 - 2020


بسم الله الرحمن الرحيم
"و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله "
صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلـى

الوالدين الكريمين

إلى جميــع أساتذتــنا الأفاضــل عبر مشوارنا التّعليمي المستمر و خصوصا أساتذة معهد الآثار بني مسوس .

إلى الزّوجـــة الفاضلة و الأبنـــاء نسرين ، آدم ، اسكنــدر و ماريا .

إلى كل من مدّنا بيـــد العون و المساعدة في انجاز هـــذا العمل و لو معنويا من قريب أو من بعيد .

الى كل قوات الأمن بمختلف أسلاكها المرابطة في ربوع هذا الوطن الغالي .

إلى كل من أحب تراث أجداده ، و أحب البساطة و الأناقة في آن واحد .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .

شكر و تقدير

قال تعالى في محكم تنزيله

" **و ان شكرتم لأزيدنكم** "

وقال ايضا

" **ربي اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ و أن أعمل صالحا ترضاه** " الاحقاف ، الأية 14

أشكر نعم الله الذي أنعم علي و على و الديّ ، وأحمده حمدا كثيرا على هذا اليوم الذي أكملت فيه هذا العمل ، و أشكر أستاذي الفاضل **الأستاذ الدّكتور صّالح بن قربة** الذي كان دائما في اثري و نصحي و توجيهي ، حتى نهاية هذا العمل ، و كان لنا عونا عندما تكثر علينا المشاق ، و مراقبا عندما يرانا نحيد عن المسار ، فله منا الشّكر الجزيل .

ـ ثبت بالمختصرات

1- بالعربية

الرمز	الاسم الكامل
- ط	- الطبعة
- ج	- الجزء
- تح	- تحقيق
- تر	- ترجمة
- ه	- الهجري
- م	- الميلادي
- ص	- الصفحة
- ( )	- شرح
- " "	- آيات
- (...)	- حذف
- ت	- توفي
- ش و ن ت	- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- م و ث ف آ	- المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب
- ل	- لوحة
- ش	- شكل
- خ	- خريطة

2 - بالفرنسية

الاسم الكامل	الرّمز
- Hespéris .	- Hesp .
- Revue algérienne .	-Rev.alg
- Revue africaine .	- Rev.afr
- Recueil des Notices et Mémoires de le Société archéologique de la Province de Constantine .	- Recueil de Constantine
- Travaux de l'institut de recherche saharienne.	- T.I.R.S
- Annales de l'Institut d'Etudes orientales .	-A.I.E.O
-Architecture . Movement . Continuité .	- A.M.C
- Arts et Métiers graphiques .	- A.M.G
- Bulletin d'études orientales .	- B.E.O
- Bulletin de liaison saharienne	- B.L.S
- Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord.	- B.S.G.A.A.N
- Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran	- B.S.G.A.O
- Cahier des Arts et Techniques de l'Afrique du Nord	- C.A.T.A.N
- Cahier d'Etudes africaines	- C.E.A
- Corpus d'Inscriptions latinum	- C.I.L
- Congres de la fédération des savantes de l'Afrique du Nord	-Cong.F.S.A.N
- Encyclopédie de l'Islam (1ére édition)	- E.I
- Encyclopédie de l'Islam (2éme édition)	- E2
- Encyclopédie Berbère .	- E.B
- Etudes maghrébines et soudanaises .	- E.M.S
- Habitat . Tradition . Modernité .	- H.T.M
- Journal asiatique .	- J. A
- Tome	- T
- Page	- P
- Edition	- E


المقدّمة

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و اليه أنيب ، الحمد لله الذي أكرم من شاء من عباده الصّالحين و أحي بذكره قلوب أوليائه و نوّرها بأنوار التّوحيد ، اللّهم صلّي وسلّم على عبدك و نبيّك محمد صلوات الله و سلامه عليه ، اللّهم أهدينا في من هديت وعافينا في من عافيت و تولنّا في من توليت و بارك لنا فيما أعطيت و اصرف عنا شرّ ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك تباركت و تعاليت .

و انه أول ما قادنا الى هذا الموضوع و اختيار هذه البلاد القدر ، و ما كنت يوما أعرف عنها قدر ما يعرفه البسيط منا و هي بلاد توات . و جلّ ما كان في جعبتي أضغات أخبار لا طائل يرجى منها . وقد كان يجول في خاطري آنذاك أن أبحث لنفسي عن موضوع أعالجه كرسالة دكتوراة يوم عزمت عليها في ذلك الحين ، وفي ذلك الوقت من الزّمان لم تكن لديّ مواضيع مطروحة حتى أختار من بينها موضوعا معينا بالذّات ، ذلك اني كنت منهمكا في امور دنيوية أخرى ، و كنت اصرف قواي في شتى أمور لا أدري آكان يرجى من ورائها خيرا أو غير ذلك ، عسى الله أن يغفر لي ما غفلت عنه و سهوت فيه ، كما ذكرت، فلما حان وقت التّسجيلات وكنت بعيدا عن العاصمة في ذلك الوقت ، أتصلت بأستاذي الفاضل صالح بن قربة و الذي كان يدرك تماما مشاغلي الجمة من جهة و ولعي بالتّعلم من جهة أخرى ، فأوكلت له الأمر لثقتي به و ادراكه بميولي الى العمارة ، فحدث ما حدث وعلمت أنه تم أختيار موضوع العمارة الدّفاعية و كان هذا جد مقبول بالنسبة لدي ، ذلك أني كنت أرى أن هذه العمارة هي عمارة شريفة ، و المغزي الذي كانت توحيه هو حماية الارواح من دنس الظالمين و حماية الاموال من نهب السارقين و النفس من طرق الطارقين ، و كانت بذلك شريفة و نبيلة لما اريد منها ان تكون عليه ، و اني اراها جليلة بعد المساجد و المدارس لولا تفندون ، ثم انه كان لا بد من اختيار حيز جغرافي لهذا الموضوع فكانت بلاد توات ، و التي كنت في حقيقة الأمر كما أسلفت الذكر اجهلها تماما ولم أسمع بها قط سابقا ، وحقا حقا قد حز في نفسي هذا كثيرا و لم أبلغه الى معلمي ذلك اني أستحي منه كثيرا ، فلم أشأ أن ينزعج مني أو يتخذ مني رأيا ، و لكني و مع ذلك تقربت منه و كلي استحياء و سألته عن أسباب اختيار هذه البلاد بالذات خاصة أنه لم يسبق الحديث معه عنها أو أني قد أحسيت توجهه اليها ، و مع ذلك قلت مشيئة الله و قدره وما علي الا الاستجابة و الطاعة

لهذا القدر . ثم أني بعدما سألته والتمست منه الجواب فكانت خاتمته أن اتّكل على الله فهو حسبك و أبدأ و ستعلم الكثير .

و أقول أن هذا هو القدر أن يختار لك أمرا يزد فيك أشياءا وأشياءا ، ذلك أني لما بدأت أجمع الكتب والمصادر لكي أعرف هذه البلاد و أهلها جيدا حتى أستطيع أن اتكلم فيها ، و لما تطرقت الى ما وقع بين يدي من مخطوطات من الأئمة و الأولياء الصّالحين و الرحالة والمؤرخين الذين عاشوا او مرّوا بها ، فاكتشفت حين اذن جهلي وضعف سجيتي ، فأستحيت من الله و أساتذتي و نفسي و علمت أن العلا لا يكون الا بسهر اللّيالي وأن العلم لا يتأتّى الا بالدّراسة والتمّحيص في الكتب و الأخبار و لعل احسن ما قيل في هذا الباب :

يموت قوم فيحي العلم ذكرهم ۞ و الجهل يلحق أحياء بالأموات

فشعرت حين اذن بتحدي كبير ، فجاء المراد و شدّت الهمم و حلت العزيمة واتكلنا على الله في خوض غمار هذا البحث الذي أردناه أن يكون تكملة لما سبقه من البحوت القليلة التي خاضت موضوع العمارة الدّفاعية ، و خصيّنا به بلاد توات هذه البلاد العظيمة ، بلاد العلماء و الأولياء حاضنة من لا مأوى له و لكل من طُردَ او طُورد أو اراد زُهدا او تجارة فكانت لهم فيها جميعا الدّين والدّنيا ، فكثرت فيها ألأسواق و كثرت اكثر منها زوايا العلم و العبادة فلا يكاد يستغنى عنها بشر لكثرت خيراتها وبركاتها ، ومن أسواقها ما عرف في الشّمال والجنوب كتمنطيط و من علمائها ما ذاع صيته في كل بقاع الأرض كالمغيلي فنفعنا الله بهذا الكتاب وقدرنا أن ننفع به غيرنا و لله در القائل :

بالله ان نظرت عيناك ما كتبت ۞ يد الفقير الى غفران مولاه

فأقرأ له مهديا أم الكتاب وقـــل ۞ الله يجعل دار الخلد مأواه

و اني كلما اعدت التمّحيص في فصل او باب او صفحة الا ووجدت نفسي احذف و اضيف و اعيد النّظر في هذه الفكرة او تلك حتى اني تراني اكرّ و افرُ في الكتابة والقراءة ثم من بعد ذلك الفراسة و اني كلما حاولت التّقدم والا و تجدني اتراجع رويدا رويدا متسائلا ان كنت

قد أصبت المرمى أو أخطأت و أبتعد ما رميت أو كانت فكرتي بليغة و واضحة أو ضعيفة المعنى وعديمة الجدوى أو اني قد حدت و أبتعدت ، وما عساي أن أفعل و انا متردد تارة و متفائل تارة أخرى حتى اتذكر قول القائل :

ان كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ۞ ان فساد الرأي أن تترددا

فأتوكل على الله من جديد و أجد سبيلي كلما عزمت و أقول عسى الله أن يهديني و يهدي بي .

و أول ما عرف من العمارة العسكرية الاسلامية المعينة بذاتها هو الخندق و الذي نسبت اليه كما هو معروف غزوة الخندق ، و ما كان معروف في ذلك الزّمان انّ الحروب كانت مواجهات مباشرة بين الطّرفين المتنازعين لما فيها من اظهار للشّجاعة و القوّة التي كانت تتنابز بها القبائل العربية في الجاهلية الأولى ، و أستمرت هذه العقائد في فترة حكم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام و من جاء بعده من الخلفاء الراشدين ، ليتغيّر بعد ذلك هذا المفهوم بظهور نظام الدّول و العواصم فكان لا بد من تقنيات جديدة للدّفاع عن حواضرهم ، فأخذ المسلمون عن ما سبقهم من الدّول في هذا المجال و تطوّر بذلك هذا النّوع من العمارة .

و من الواضح كذلك ان العمارة العسكرية كانت تخضع دوما للظّروف الطّبيعية و خاصة المناخيّة للمنطقة التي انجزت فيها ، فاستعمال المواد المحليّة يعتبر مطلبا أساسيا بحيث يصبح المبني جزءا من البيئة التي تظمّنته ولا تختلف عنه كثيرا ولكن الأساس في كل هذا أن لا تكون مكلفة كثيرا و تصبح بعد ذلك بعيدة المنال . و لم يكن العمران التّقليدي للقصور الصّحراوية الذي يستمد الكثير من خصائص المدينة الاسلامية ، بمختلف منشآتها بعيدا عن هذه المبادئ العامة حول التّوزيع الهندسي و التخطيطي ، خاصة و أنّ الحيّز الجغرافي للقصر و بناء سوره يشترك فيه الجميع . و لكون العمارة الاسلامية الصّحراوية شاسعة الارجاء و الأطراف بشساعة الصّحراء المقامة عليها ، و قع اختيارنا على العمارة العسكرية الاسلامية الصّحراوية و اخترنا في ذلك اقليم توات نموذجا ، هذه البلاد كان لها عبر تاريخها الحافل دور ثقافي و اقتصادي كبير ، خاصة و أنّ المنطقة جاورتها العديد من الدّول التي احتاجت للأموال خاصة في تجارتها مع دول السّودان اين كانت بلاد توات و اسواقها دائما في وسط هذا النّشاط و في خظم هذا الصّراع . و اخترنا نماذجا بحسب مناطق هذا الاقليم فمن القورارة قمنا بدراسة بعض النّماذج المتوفرة هناك ، وقد سمحت

لنا الظروف بالتّعرف على قصر خاص جدا اطلق عليه قصر الذّراع و حقيقة الأمر ان هذا القصر مجهول تماما لسكان المنطقة وينفرد انفرادا عن كل القصور التي نعرفها من حيث هندسة البناء وحتى التقنيات الدّفاعية التي زود بها و اني اراه وحيدا وخاصا تفردت به هذا الدّراسة و التي تميزت به و تميز بها ، ثم كان نفس الشّيء بالنسبة الى منطقة تيمي او توات فأخذنا بعض النّماذج مُركزين على اهمهم و هو قصر تمنطيط الذي لعب دورا مهما في تاريخ المنطقة الجنوبية الغربية للجزائر ، و كان مسرحا للعديد من الأحداث منها نازلة التوات و فيها ما وقع بين اليهود و المسلمين بقيادة الامام المغيلي و كانت تمنطيط و اسواقها حاضرة توات و عاصمته و اقدم ما فيه من قصور ، و تقع هذه البلدة الطيّبة على بعد 12 كلم عن مقر الولاية أدرار الى الجنوب الشّرقي من سبخة تيمي ، و تتشكّل من مجموعة من القصبات القديمة المترابطة ببعضها البعض و المتجاورة فيما بينها ، وقد احيط بكل واحدة من هنّ بسور مدعم بأبراج و شرفات ومزاغل مختلفة . ثم بعد ذلك انتقلنا الى منطقة تيديكلت و اخترنا قصبة اباجودة او قصبة وسط البلاد كما يطلق عليهت نموذجا للدّراسة و المقارنة ، لكن المهم في كل هذا اننا حاولنا قدر الامكان اختيار من كل منطقة قصرا منفردا بذاته من حيث عمارته الدّفاعية و يختلف عن قصور المناطق الأخرى حتى نتحصّل على مجال من المقارنة يسمح لنا بالفهم أكثر .

و موضوع العمارة العسكرية الاسلامية موضوع في حقيقة الحال من المواضيع الهامة جدا لما له من أهمية كبيرة في الدّراسة الاثريّة و ما توحي به هذه المعالم من قوّة الامارة و من ضعفها و هونها ومن حالة الأمن التي كانت تسود في وقت ما من عدمها ، كما ان مثل هذه المواضيع تفيدنا بمعضم التّغيرات والتّوسعات المعمارية التي مست هذه المدينة من تلك ، خاصة دراسة نوات القصر الأولى الى ما انتهى اليه بعد زمان معين ، ضف الى ذلك ندرة الدّراسات الاثرية التي تتناول مثل هذه المواضيع جعلنا نجتهد ولو بالقليل لدعم هذا السّرح ، و كذلك ادراك ما في ذلك من اهميّة تاريخيّة و اثريّة لعمران هذه المنطقة اذ تعتبر قديمة من حيث النشأة .

الاشكاليّة

ان كل ما أردناه في هذا الموضوع هو ابراز معالم العمارة العسكرية في اقليم توات ثم البحث عن أهم مميزاته و أبرز خصائصها مع أظهار أوجه الاختلاف و التّشابه بين مناطق توّات الثّلاث سواءا من حيث هندسة القصور او تقنيّة و مواد البناء ، و النّظر في توزيع مختلف المرافق

الدّفاعية في القصر الواحد هل هي بذلك تتشابه فتصبح متماثلة من حيث الشّكل وعدد الابراج وحتى المساحة أحيانا ؟ ام انّ الظّروف و التّظاريس و مواد البناء هي التي تفرض توزيع هذه المعالم ؟ أم هي الحاجة الدّافعة الملّحة الطّارئة هي من تفرض منطقها في توزيع المعالم الدّفاعية في القصر ؟ اضافة الى كل هذا الى أي مدى التزم أهل الصّحراء بشروط ابن الربيع عند اختيارهم لمواقع قصورهم ؟ و هذا دائما من الجانب العسكري .

و لمعالجة هذا الموضوع اتبعنا بداية المنهج التاريخي الاستقرائي و ذلك بالتعريف بهذه البلاد من خلال الكتب والمصادر التي تكلمت او تطرقت اليها ، مقارنين كل ما ورد بين هذا الكاتب وذاك ادراكا منا ان الرّوايات التّاريخية قد تختلف في التّسميات و التّواريخ و الشّخصيات والاحداث لكن و حتى لا نحيد و نصحح ما أمكننا ذلك اتبعنا هذه الدّراسة التّاريخية بالمنهج الاثري حتى تكون الدّراسة وافية فقمنا برفع اثري لمعظم المنشئات العسكرية يقصور توات محل الدّراسة و اخذ القياسات علمية محضة ومن بعدها قمنا بجملة من المقارنات حتى نلم قدر الامكان بهذا الموضوع والله الموفق .

و قد كان الرّحالة العرب المسلمين اول من جاب صحراء المغرب من غير أهلها و بلغ بلاد السّودان ، وقد وصفوا لنا معالمها و احوالها السّياسية والحضارية في مجلداتهم ورواياتهم و أمثالهم ابن حوقل في القرن 10م و البكري في القرن 11 م و الادريسي في القرن 12 م . و عليه قمنا في هذا الموضوع بالإعتماد على عدة مصادر و مراجع منها المخطوطة ومنها المنشورة ، و اما المصادر المنشورة نذكر كتاب **صورة الارض** لصاحبه العلامة والجغرافي الشّهير ابن حوقل و الذي ألفه قبل وفاته سنة 378ه/ 988م ، طبعة بريل ليدن سنة 1938 . هذا الكتاب يختص في دراسة الجغرافيا و قد مدنا من الأخبار عن الصحراء و العلاقات بين الشّمال (دول المغرب) والجنوب (السّودان الغربي) خاصة غانا ، اضافة الى العلاقات التّجارية و المسالك الصّحراوية المؤدّية من و الى هذه البلدان ثم **رحلة ابن بطوطة** في كتابه المعروف **تحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، طبعة سنة 1964 و الذي تطرّق الى بلاد توات في الجزء الثاني من كتابه هذا و كان ذلك اثناء رحلة عودته من مالي سنة(754 ه -1353م)، والجميل عند هذا الجغرافي الكبير هو تحديد المسافات بدقة بين المدن التي يزورها واصفا كذلك اهلها و اسواقها و ما يدور

فيها من اثمان و سلع ، كذلك كتاب **المغرب في ذكر افريقية و هو جزء من كتاب المسالك والممالك لمؤلفه** البكري المتوفي سنة(487هـ/1094م) فقد وصف من خلاله بلاد السّودان و تحدث عن مدنه و مسالكه وعدد المراحل بين المدن اضافة الى المبادلات التّجارية بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان، اضافة كل هؤلاء العلامة **ابن خلدون (ت809 هـ – 1408 م)** في مؤلفه **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، هذا الكتاب قام بتحقيقه أبي صهيب الكرمي ، غير مؤرخ و أكثر ما يهنا فيه جزئيه السادس و السابع الذي تكلم فيهما الى اقاليم توات قبلة تلمسان كما يذكر سكان هذه البلاد و القبائل التي شغلت هذا الحيز الجغرافي واصفا تمنطيط و عمارتها و غالب معيشتهم و عوائدهم ، ولعله يمكن القول أن ابن خلدون من أهم الرّحالة والمؤرخين العرب الذين يتكلمون على العمارة و و أوصافها. أما كتاب **وصف افريقيا** لصاحبه **الحسن الوزان** (ت 958هـ)ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، سنة 1983م ، فقد جاء هذا الرّحالة بالكثير من خلال رحلته الى الصّحراء الافريقية في مطلع القرن 16 م متكلما عن اقليم توات وخص حديثه عن القورارة و تكلم عن هذه البلاد و وصف ارضها و اهلها خاصة و ان الصّحراء الافريقيّة عرفت خلال العصور الوسطى مدا اسلاميا واسعا عن طريق التّجارة التي كانت السبب المباشر في ظهور مراكز عمرانية و حضارية أبرزها مدينة تمبكتو . ومن الرّحالات نجد كتاب **الرّحلة العيّاشيّة** او **ماء الموائد** لصاحبه **ابو سالم العيّاشي** (ت 1090هـ – 1679م)، تحقيق محمد حجي ، الطبعة الثانية ، سنة 1977م ، هذا الكتاب يتكون من جزئين ، وأكثر ما يهمنا هو الجزء الأول الذي جاء فيه أنه زار المنطقة خلال رحلته الى البقاع المقدسة سنة(1072هـ- 1663 م) ، واصفا أسواقها متحدثا عن بعض اخبارها ذاكرا أسماء بعض قراها ، كذلك **أبو عبد الله الأنصاري** في كتابه **فهرست الرّصاع ،** تحقيق محمد العناني بدون تاريخ هذا الأخير تكلم عن بلاد التوات و كان له هو الآخر رأيا في تسميها . و من الكتابات الحديثة التي اختصت المتطقة نجد **فرج محمود فرج** في كتابه **اقليم توات خلال القرنين 18و19** و كذا **توات في مشروع التّوسع الفرنسي بالمغرب** لصاحبه **أحمد العماري** و كذا كتاب **تاريخ السودان لصاحبه عبد الرحمان بن عبد الله بن عامر السعدي** طبعة سنة 1898م الذي تكلم عن توات و ما لها من علاقة وطيدة في موضوع كتابه بلاد السّودان خاصة العلاقات التّجارية ، كل هؤلاء كل على حسب رؤيته أمدونا بمعلومات مفيدة فيما يخص الموقع واحوال البلاد و العباد في توات . كما استندنا كذلك الى **كتاب انتشار الاسلام في القارة**

الافريقية لصاحبه **حسن ابراهيم حسن** طبعة القاهرة سنة 1963م الذي تكلم على انتقال المؤثرات الحضارية من بلاد المغرب الى السّودان بخصوص انتشار الاسلام و اللّغة العربية في هذه البلاد. اما بالنسبة الى المخطوطات فهي كثيرة و لا تعد ولا تحصى و منها ما هو محفوظ و متداول لدى الباحثين و المهتمين بتاريخ توات ومنها ما أندثرت صفحاته و غابت كما غاب حافظوها خاصة وان جل أصحابها من علماء هذه البلاد رحمهم الله وجزاهم عنا كل خير . و من المخطوطات التي مازالت محفوظة مخطوط **نسيم النّفحات في ذكر جوانب من أخبار توات** لصاحبه **مولاي أحمد الادريسي الطّاهري** : مخطوط غير منشور ، بدون تاريخ ، موجود في خزار كوسام بأدرار و قد تكلم فيه صاحبه بعض ما كان من القبائل التي وفدت على الاقليم و بعض الاحداث التي الّمت به ، كذلك مخطوط محمد **بن عومر البداوي** المعروف **(محمد المبروك)** و هو **نقل الرّواة عن من أبدع قصور توات**، مخطوط موجود بخزانة أبا سيدي جعفري ، زاوية سيدي حيدة قصر بودة ولاية ادرار ، و قد تناول بعض القبائل التي حلت بالأقليم وقيامها ببناء قصور لها ، كذلك مخطوط **محمد بن عبد الكريم البكري** : **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الأسلام** موجود بخزانة لمطارفة بأدرار بدون تاريخ ، و تكلم صاحبه على احوال توات ، و سكانها اما مخطوط **الطيب عبد الرحيم المعروف (بابا حيدة)** : **القول البسيط في ذكر أخبار تمنطيط** مخطوط موجود بخزانة كوسام بأدرار . تحقيق فرج محمود فرج ، طبعة سنة 1977م ، فقد اختص بالحديث على حاضرة توات وهي مدينة تمنطيط ، فكان الحديث عن اسواقها و قبائلها و علمائها ، كذلك من أهم المخطوطات التي وقعت بين أيدينا ورغم صعوبة قرائها وهي غنية المقتصد هذا الكتاب المتكون من حوالي 700 صفحة ، بدون تاريخ ، تناول معظم المسائل الفقهية و النّوازل التي وقعت بأقليم توات وقد سهر على تأليفه مجموعة من علماء هذه البلاد المباركة ، مع العلم أن كل هذه المخطوطات انفرد بها أهل هذه البلاد و هذا ملفت للأنتباه ، لكن ما يجدر ذكره في باب المخطوطات أنها تميل الى الجانب التّاريخي و الفقهي مع ذكر بعض النّوازل التي أحاطت بالمنطقة، لكنها تفتقد من جهة اخرى الى الجانب الوصفي و الهندسي و الزخرفي للعمارة مما يفيد في دراستنا لمعالم هذه المنطقة .

اما فيما يخص المراجع خاصة ما تعلق منها بعمارة القصور فكانت المراجع الأجنبية غنية و كانت كلها ناتجة عن رحلات ومعاينات كانت خلال القرن التّاسع عشر اثناء التّوغل والتّوسع الأوربي في

شمال افريقيا و بالرغم من أنّ أكثرهم هواة ، لكن تلك الاوصاف و المقارنات و الملاحظات كانت مفيدة لنا كثيرا و نذكر منهم ***Echallier*** في كتابه:

Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au sahara algérien . **طبع سنة** *1962*

وكذلك كتابه *Villages désertes et structures agraires anciennes du Touat et Gourara.* (*1970*)، المميّز في هذا الكتاب أن صاحبه قد تناول العديد من المناطق الصّحراوية و حاول دراسة عمارة قصورها مركزا على توات ، كذلك من الكتّاب الأعاجم الذين خصو بالحديث على التّحصينات الصّحراوية نجد ***Capot Rey*** في كتابه :

Greniers domestiques et greniers fortifier au sahara. Le cas de Gourara. (1953) و

لعلى أهمهم هم المؤرخ **(AGP)** *Martin* **في كتابه** *A la frontiere du Maroc les oiasis sahariennes (Gourara, Touat, Tidikilt)* الذي طبع سنة 1908 وربما من الكتب القليلة التي خصت منطقة توات بصفة منفردة . هؤلاء و غيرهم كانوا لنا مصادر أكيدة في التّعريف بهذه البلاد و لكن يجدر الذكر بأن كل من تعرض بالذكر لبلاد السّودان أو الجنوب الوهراني أو سجلماسة الا وحق عليه بالضرورة ذكر بلاد توات .

لكن وجب القول ان موضوع العمارة الدّفاعية الاسلامية باقليم توات لم نجد في المراجع و المصادر العربية التي تم الاستناد اليها في انجاز هذا الموضوع فصولا خاصة او وصفا دقيقا يمكن الاستفادة منه و معرفة واقع هذا النّوع من العمارة بالذّات في تلك الفترة ، بل جل ما توفر لدينا بعض الاخبار التّاريخية و المقتطفات من هنا و هناك خاصة من الجانب التّاريخي ، في حين ان المصادر الاجنبية تطرقت و جلها كان في القرن التّاسع عشر فاتّسمت بالدّقة في الوصف سواءا ما تعلّق بالجغرافيا أو التّضاريس للمنطقة و كذلك ما كان من وصف المدائن التي مروا بها فتكلموا عن احوالها و اوضاعها السّياسية خاصة دفاعاتها ، و وضعوا بذلك خرائط للمدن و القصور و الطّرق الرّابطة بينهم، وكان ذلك كما يقال لحاجة في نفس يعقوب قضاها ، ذلك ان كل البعثات التي اشرفوا عليها كانت بعثات استكشافية عسكرية تحت غطاء مدني موجهة بدقة تحضيرا للأستيلاء على هذه المناطق وهذا ما يفسر وصفهم الدقيق واهتمامهم بالتّفاصيل .

أما ما واجهنا من الصّعاب فهي كثيرة ، ذلك ان هذه البلاد بلاد بعيدة عن مجال عيشنا و حركتنا ، و الذّهاب اليها يتطلّب العدة و العتاد ، و قد قدّرنا الله في ذلك أيمّا تقدير

فأستطعنا بعون الله تعالى الذّهاب الى هناك و قضاء أياما و اياما تنقلنا خلالها الى مجموعة من القصور التي تم اختيارها بعناية لأسباب جمّة ، كما أننا خلال احدى الرّحلات قد حالفنا الحظ مصاحبة الأستاذ المشرف صالح بن قربة فكان ذلك من الفة الأمور ، فقد سعدنا برفقته و سمرته كثيرا و نفعنا الله بعلمه و ورعه و أطال عمره . إضافة الى هذا قلة المراجع المتخصصة في ألأثار العسكرية الاسلامية الصحراوية و كل ما توفر خاصة فيما تعلق بالمخطوطات كان جلها يتوجه الى الجانب الفقهي و اللّغوي وقليلة تلك التي تناولت الجانب التّاريخي أو الأثري أو العمارة في حد ذاتها ولعلى أنّ حلاوة الامور في شدّتها و أن كل صعوبة تزيد من همّة و عزيمة صاحبها .

تظمن هذا الكتاب مقدمة و أربعة فصول منفردة بذاتها ، و أول ما استهلينا به هذا الموضوع هو مدخل عام تكلمنا فيه على موضوع القصور الصّحراوية ، و في حقيقة الحال قد حاولنا كثيرا أن نبتعد عن الدّراسات التّقليدية التي تناولت مثل هذه المواضيع(القصور الصحراوية و تميطها) ، فتطرقت الى مختلف الدّراسات التي تحدثت عن تميط القصور الصّحراوية سواء كان العرب او العجم و لكن من باب واحد و هو ما تعلق بالعمارة الدّفاعية و حاولنا ان نلخص هذا الموضوع مقارنة بالدّراسات المتوفرة ، هذا النّمط العمراني أي القصور الصّحراوية و اسباب تسميتها وذكرها في مختلف المصادر و المراجع و ماهي ماهيتها ، ثم بعد ذلك تطرقنا الى العمارة العسكرية كنمط اساسي في بناء هذه القصور دون استثناء ، و ما استند اليه من طرف الباحثين في هذا المجال في تميط القصور الصّحراوية و انتهينا في هذا المدخل بالعوامل التي كانت وراء انشاء هذه القصور . اما الفصل الأول فخصصناه الى العمارة العسكرية الاسلامية ، و الذي استهليناه بتعريف يخص التّحصينات و مدلولها الاصطلاحي ومنه عرفنا ان هناك نوعين من التّحصينات و هما الثّابتة و الميدانية ، و عرفنا الاختلاف بينهما ، و ذكرنا أهم مميزاتهما ثم بعد ذلك تطرقنا الى التّحصينات الدّفاعية المعروفة في البلاد الاسلامية فأسهبنا الكلام على هذه الأفكار المعمارية او ما يطلق عليها بالبناء الواجب ، ولما حصل المراد حاولنا بعد ذلك كل مرة ادراج عمارة توات الدّفاعية في عمليات مقارنة لما هو معورف بين العمارة العسكرية و ما هو موجود في القصور الصّحراوية و المدينة الاسلامية فكانت هناك فروقات عدة أملتها العديد من الأسباب .

أما الفصل الثّاني فتطرقنا الى جغرافية اقليم توات بصفة عامة و معرفة ارضها وطبيعة جغرافيتها و تضاريسها و مناخها ، و كذا اسباب التّسمية وعمارته البشرية مستغلين قدر الامكان المصادر والمخطوطات التي وقعت بين أيدينا بقصد التّحري الجيد في هذا الموضوع خاصة فيما تعلق بالتّاريخ والتّسمية ، أما الفصل الثالث فقد خصينا به دراسة مفصلة لكل منطقة من مناطق توات الثلاث المعروفة مركّزين على لبّ الموضوع وهو العمارة الدّفاعية ذاكرين اهم القصور مع ادراج وصف لتحصيناتها و ذكر اوجه الاختلاف والتّشابه . أما الفصل الرابع فتم الحديث عن تقنيات الانشاء للعمارة العسكرية و الدّعة التي تدفع الى التّحصين و جاءت من بعدهم جميعا نتائج هذا الكتاب و كانت في حقيقة الحال تلخيصا وجيزا و مقارنة شاملة لمختلف القصبات التّواتية من حيث العمارة الدفاعية .

كما لا يخفى عليكم فان أصعب الأمور بداياتها ، فكان لابد كي ينتهي هذا العمل أن أتحلى بالكثير من الصّبر و الجلبة ، فقد كان بالنسبة لي أمر جلل أن أتنقل الى تلك البّلاد لمرات عدّة ، و ذلك لبعد الطّريق و غياب الرّفيق ، و كان أمر كبير أن أضغط على نفسي و احتال عليها و أقطف منها أوقات راحتها و ذلك أنه قد يرد في هذا الكتاب بعض ما زل به القلم أو سها عنه القلب ، فإني أطلب المسامحة فيه ممن وقع في يده من القراء ، ولا تتخذوه سبيلا للنقد والاعتراض فإني أرجو من الله تعالى قبلكم أن يسامحني به فسامحوني أنتم بإصلاح إن وجدتم عيبا كما قيل :

وإن تجد عيبا فسد الخللا ❁ فجلّ من لا عيب فيه و علا

فقد أخذ هذا العمل من منامي و عملي و راحتي و عائلتي وقتا كافيا و كنت أحتال عليهم جميعا و أساوم هذا بذاك ، غفر لي ربي خطيئتي و سامحني على ما أكرهتها عليه . و اني أعيد ذكر ما قد الفت قوله في بداية و آخر الكلام :

وما أبرئ نفسي إنني بشر ❁ أسهو و أخطا ما لم يحمني قدر

ولا ترى عذرا أولاه بذي زلل ❁ من أن يقول مقر إنني بشر

و قبل أختم كلامي هذا ، بتقديم واجب الشّكر لله تعالى أولا ثم الى اللّجنة الموقرة التي أشرفت على مناقشة هذا البحث ، و التي لم تبخل علينا بشيء كان بجعبتها ،و كل ملاحظة كانت في محلها زادت في هذا الموضوع أيما زيادة و هي مشكورة عليه ، كما لا ننسى كذلك ان نشكر كل من ساهم في انجاح هذا العمل من قريب او من بعيد جزاهم الله عنا كل خير و الله وليّ التوفيق.



مدخل عام

تمــــهيـــــد

أولا – القصور الصحراوية .

ثانيا – العمارة الدفاعية و تنميط القصور الصحراوية .

ثالثا – العومل المساعدة في نشأة القصور الصحراوية .

1- العامل التاريخي

2- العامل الجغرافي

3- العامل الاقتصادي

4- العامل الاجتماعي والديني

تمـــــهــــيـــــد

منذ حوالي 12000 - 10000 سنة قبل الميلاد حصل تحول كبير اذ غير الانسان تباعا طريقة حياته[1]، بعدما أدرك أسباب العيش من غير الصّيد و الرّعي و التّنقل و التّرحال ، و كذا بعدما نظر إلى حاله فرأى أن يدفع عن نفسه و أهله الضّر و أذى الطّبيعة من مناخ وحيوان ، فكان له أن يفكر و يبدع في إنشاء ما يبعد عنه هذا الكرب المحيط ، و ذكر إبن خلدون في هذا الباب حيث قال " ...**فأستغل الكهوف و الغيران في بادئ الأمر لقصور حاله و قلة إبداعه**" [2] . و لأن مثل هذه الأماكن ليست متوفرة بكثرة فقد ارتأت النّفس البشريّة إلى اصطناع ملاجئ أخرى غير تلك المعهودة[صورة 01] فكانت الغيران و الجيوب الصّخرية المهيأة ثم بعدها الحجرات الدّائرية والتي هي عبارة عن حفرة يتم تسقيفها ، ثم تطورت لديه فكرة البناء شيئا فشيئا مع مرور الزّمن فصار يبني و يشيد صرحا تلو الآخر وكان ذلك رحمة من رب العالمين . و نظرا لتكاثر البشر و تكاثر بنائه احتاج إلى حفظ مجتمعه من الطّارقين . فعمد إلى تدعيم المباني التي تأويه بأسوار أو سياج أو غيرها من المنشآت التي يراها نافعة له و محصنة لمجتمعه ، لكي يجعله في منأى عن الطالبين فصار له بذلك مصرا واحد . و لعلّ أهم ما تميزت به المباني الصّحراوية على الخصوص هو ما يصطلح على تسميته بالقصر ، و ربما كان الميزة الأساسية للمنشآت الصّحراوية عامة .

تعتبر الصّحراء الكبرى [خريطة1] من أكبر المناطق القاحلة في شمال إفريقيا و العالم ، بحيث تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، و من الشّمال مرتفعات الأطلس والبحر المتوسّط ، و من الجنوب بلاد السودان [3] ، و لكنها بصفة عامة تنتهي عند الخط الذي يشكله امتداد هضاب النيجر [4] بمسافة إجمالية قدرها 1500 كلم عرضا و 5200 كلم طولا وهي

1-**فرنسيس اور:** حضارات العصر الحجري الحديث . ترجمة سلطان محسن . مكتبة الاسكندرية . دمشق. 1995 .ص7.

2- **ابن خلدون** : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيرزت ، لبنان ، الجزء الرابع 1992. ، ص 387 .

3- بلاد السودان يقصد بها بلاد السود و تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة افريقيا و تنقسم الى السودان الغربي و يشمل حوض نهر السنغال و نهر غامبيا و المجر الأعلى لنهر الفولتا و الحوض الأوسط لنهر النيجر ثم السودان الأوسط و يشمل حوض بحيرة تشاد ليأتي السودان الشرقي و يشمل النهر الأعلى للنيل للمزيد (أرجع زبادية عبد القادر ، السودان الغربي ومماليكه الاسلامية الكبرى) ، مجلة التاريخ ، م و د ت ، العدد 9 ، الجزائر ، 1988 ، ص 57 ، كذلك دائرة المعارف الاسلامية ، السودان ، ط1 ، ج19 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1998 ، ص 5917 .

4- **العربي اسماعيل** : الصحراء الكبرى و شواطئها ، م و ك ، الجزائر ، 1987 ، ص 13.

وهي بذلك تشغل مساحة قدرها 09 مليون كلم^2. كما أن معظم أجزائها تقع بدول المغرب العربي إضافة إلى دولة مالي و النّيجر و يمكن إضافة صحراء الحجاز و الشّام و العراق بحكم تشابهها في المناخ و التّضاريس. و من أهم السلاسل الجنلبية الكبيرة في صحراء الجزائر سلسلة جبال الأهقار التي تشكل سلسلة الجبال الوسطى الصّحراوية ، اضافة الى جبال ادرار و ايفورا في الجنوب الغربي و جبال أير في الجنوب الشّرقي(خريطة 02) (1). إن الرّسومات الصّخرية في منطقة التّاسيلي و عين صالح و غيرها من المناطق الصّحراوية كانت وستظّل دليلا واضحا على ما كانت عليه الصّحراء في الماضي ، فتلك الرّسومات(صورة 02) أظهرت ثراء هذه المنطقة نباتيا وحيوانيا فقد كانت تتميّز بمناخ رطب ، تشبه بذلك مناطق السّافانا ، تكثر بها الحياة لما توفره من مصادر معيشيّة . و منذ ما يقارب 5000 سنة ، شكلت عمليّة التّصحر حاجزا يفصل بين إفريقيا المتوسّطية وباقي أجزاء القارة يصعب اختراقه ، و لعله بعد إدراج أشّجار النّخيل في هذه المناطق الجرداء و صمودها ، سمح هذا الأمر بتهيئة فضاءات معيشيّة جديدة متمثلة في الواحات ، ليتم بعد ذلك إدخال الجمال التي ساعدت هي كذلك بشكل كبير على الحياة في هذه البقاع و سهلت الّتنقل ، و باتت من بعد ذلك هذه البيداء مناطق يستحب المرئ العيش فيها خاصة بعدما عرفت دروبها و أهوالها ، و أضحت القوافل تقطع فيافيها من الشّمال الى الجنوب ، مشكلة بذلك طرق تجارية هامة تربط أفريقيا الشّمالية ببلاد السّودان .

تشغل واحات بلاد القصور حوالي 200.000كلم^2 من المساحة الإجمالية للصّحراء ، و هي الأماكن الأساسية للمناطق الجافة والشّبه الجافة التي تمكن فيها المخلوقات بما فيها الإنسان من العيش و الاستمرار. فالقفر الذي اشتهرت به الصحراء لا يعود الى طبيعة التربة نفسها بل الى المناخ السائد فالأمطار قليلة بحيث أن بعض المناطق قد تمر عليها سنوات دون أن تحضى بتساقط و حتى الأماكن الأخرى التي تشهد بعض التّساقطات فانها تكاد تكون دون فائدة للزراعة (2) ، و عليه فأن جلّ الدّراسات التي قام بها الباحثون سمحت بتصنيف الواحات إلى

1) **السلاطي محمد بن علي** : معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان و منافع البوادي و الأمصار ، مخطوط رقم 1192 ، الجزائر ، د ت ، ورقة 32 ، كذلك **الجيلالي عبد الرحمان** ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ط7 ،د م ج ، الجزائر ، 1994 ، ص 24 .

2) **الزبير محمد العربي** : التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1798-1830م ، ط2 ، م و ك ، الجزائر ، 1984 ، ص 119 .

نوعين أساسين و هما واحات تقليدية و أخرى حديثة ، و قد اعتمد هذا التّصنيف على عنصر الماء[1]، و أكثر ما يهنا هو النّوع الأول خاصة أنها تنطبق على منطقة الدّراسة .
يقصد بالواحات التّقليدية ، تلك الواحات التي ظهرت منذ زمن بعيد ومازال أهلها يعتمدون في طرق ريّها على الوسائل القديمة و المتوارثة كالفوقارة والآبار التّقليدية[2] ، لذا فهي تختلف في تصنيفها فأول نوع نصادفه هو تلك الواحات التي ظهرت على سفوح الجبال والمرتفعات مثل جبل بليجي بتونس وجبال الأطلس و الهقار إلا أنها تكاد تكون قليلة إن لم نقل نادرة . و هذه الواحات تتغذى من منابع مائية جبلية ذات مستوى ثابت من السّيلان على مدار السّنة ، يتم توجيه المياه بواسطة قنوات الى مواضع السّقي و هذه الواحات تتوسع بنفس الشّكل الذي تكون عليه . ثم يأتي بعد هذا النوع نوع آخر من الواحات و هي تلك التي نشأت على أطراف الأودية و توجد بكثرة في منطقة المغرب العربي ، تتوسع هذه الواحات بشكل متطاول ، وهذا على طول المجرى المائي بحيث يتم إنشاء بعض المحاجر المائية على طول المجرى و توصل بدورها بقنوات طويلة التي من خلالها توجه المياه الى مواضع السّقي . غير أن مثل هذه الواحات لا تتوفر على مصدر منتظم من المياه و ذلك أنّ المصدر الرّئيسي للمياه هي الأمطار وخاصة الثّلوج. بحيث تكون كثيرة من نهاية فصل الشّتاء إلى غاية فصل الرّبيع ، ثم تأخذ في التّناقص و التّقلص بشكل هام في فصل الصّيف . هذا النّوع من الواحات ينتشر بكثرة في جنوب الأطلس الكبير بالمغرب ، والأطلس الصّحراوي بالشّرق الجزائري ، و يلي هذا نوع ثالث وهي تلك التي ظهرت على منابع مائية تنبثق من سطح الأرض تجعل الحياة من حولها ممكنة ، بحيث أن سيلانها معتدل ومستمر على طول السّنة ، تدعى هذه المنابع ب"الفوقارة"(صورة 03). تنتشر مثل هذه الواحات في الجنوب الجزائر كواحات أدرار و تيميمون و ورقلة و كذا في الجنوب التّونسي بشط الجريد و نفزاوة ، ضف الى هذه الانواع التي تم سردها هناك نوع رابع و هو تلك الواحات التي تقع على جيوب مائية يقوم أصحابها بأنشاء آبار عميقة خاصة بهم تسمح بالعيش و عادة ما تكون مياه هذه الأبار معتدلة طوال السنة و ينتشر هذا النوع بكامل بلاد المغرب .

1- **Michael.(R)** ; Les Oasis au Maghreb. Mise en Valeur et développement .Centre d'études et de Recherches Economiques et Sociales .Tunis.1995.p29.

2- **Michael (R)** : Op-cit , . pp 29-36.

هذا العطاء الالهي الذي حضيت به الصّحراء مكّن القوافل التّجارية من قطع هذه البيداء بسهولة [(1)] . مع كل هذا لا يمكن في أي حال من الأحوال تحديد الفترة الفعلية لاستيطان الصّحراء أو الواحات بصفة خاصة ، وهذا راجع الى أنّ أسباب ظهورها متعددة ومختلفة ، كما انه لا يمكن أن نتكلّم على المسكن الصّحراوي بصفة منفردة أكثر ما نتكلم على القصور الصّحراوية ، غير أن الثّابت تاريخيا أن تطوّر هذه المناطق و ازدهارها كان على يد العرب المسلمين ، الذين يرجع لهم الفضل في ذلك ، خاصة عند وصولهم إلى منطقة المغرب و مخالطتهم لمجتمع البربر أصحاب الأرض ، و كان سبب هذا التّقارب و مرده الأساس التّشابه في العادات و التّقاليد و أكثر من هذا الاخلاق السّمحة للتّجار المسلمين . كما يجب التّنويه إلى أن هناك أسبابا أخرى رئيسية دفعت إلى عملية عمران و استغلال هذه الواحات و بذلك نشوء و تطوّر و ازدهار منطقة على حساب الأخرى ، و أول هذه الأسباب التّجارة و الحج ، إلا أنّهما لم يكونا السّبب الوحيد في عمارة الصّحراء ، حيث ما ان تنشأ و تزدهر قرية ما بسبب من هذين العاملين إلا و أن تبدأ عوامل أخرى تؤثر على نموّ و تطوّر هذه البلدة أو تلك . و على هذا باتت هذه القصور الصحراوية من الشّواهد المعمارية التي تميز جنوب شمال إفريقيا بصفة عامة والجنوب الجزائري بصفة خاصة بطابعها المعماري المتميز، والتي شكلت مع الزمن خط سير تجاري جد مهم عرف عند المؤرخين بطريق القصور. و قد عرفت هذه التّجمعات السّكنية عبر تاريخها الطّويل العديد من التّغيرات الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية اثرت على عمارتها بصفة عامة . فما المقصود بمصطلح القصر؟ وما هي الأصوله التاريخية التي تعود الى نشأته كعمارة مستقلة بحد ذاتها ؟ وما العوامل المتحكمة في نشأة هذه القصور ؟

اولا - القصور الصحراوية

لقد ورد ذكر مصطلح القصر في القرآن الكريم في العديد من المواضع ، فيقول تعالى " **...تتخذون من سهولها قصورا و تنحتون الجبال بيوتا** "[(2)] و في آية أخرى " **و بئر معطلة و قصر مشيد** "[(3)] وكذلك جاء في القول الكريم " **انها ترمي بشرر كالقصر** "[(4)].

1- **الزبير محمد العربي :** التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1798- 1830 ، ط2 ، م و ك الجزائر ، 1984 ، ص 120

2- **سورة الأعراف ، الآية 73 .**

3- **سورة الحج ، الآية 45.**

4- سورة المرسلات ، الآية 32 .

لغويا يقصد بالقصر المنزل أو المسكن ، و يقال كذلك كل بيت من حجر قرشية[1]. و أخذ هذا الاسم لأنه تقصر فيه الحرم أو تحبس ، مصداقا لقوله تعالى " **حور مقصورات في الخيام "**[2] . و جمعه قصور مثلما جاء في قوله تعالى " **.. ويجعل لك قصورا** "[3] . و يعتبر القصر على العموم ميزة من ميزات ذوي الشّأن ، و كلما زاد حجمه وكبره يدل على قوة و سطوة و عزة صاحبه ، كما جاء في قول ابن صاحب الصّلاة " **الملوك تبني على قدرها من الأقدر**"[4] . و هو الذي تعود إليه جميع موارد الدّولة و منه تنطلق مظاهر القوّة[5]. ونفس المفهوم لدى عامة الناس فلفظة قصر تعني مقر الخليفة أو الحاكم كما أنه مكان سكن علياء القوم وأغنيائهم، وقد امتازت هذه القصور بفخامة بنائها وحسن تخطيطها وروعة زخرفتها وذلك لما كان يوليه الحكام والأمراء من اهتمام بها وتنافس فيما بينهم فبنو قصورهم في الحضر كما بنوها في البوادي والصحاري أشهرها قصر عمرة[6](صورة 04).

بالنسبة للمناطق الصّحراوية يختلف مفهوم القصر كليا [7] ، حيث يقصد به القرية المحصّنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراصة و متلاحمة فيما بينها يقطنها قوم ، ينتمون إلى أصول عرقية واحدة ومن طبقات اجتماعية مختلفة[8] و يستعمل وقت السّلم للممارسة الحياة اليومية بشتى جوانبها و وقت الحرب للأحتماء من أي خطر محدق[9] يحيط بهذه المباني سور سميك يدعم أحيانا بأبراج و يزود بمدخل رئيس ، وقد تخلو هذه القصور احيانا من سور ظاهر و يعوّض بجدران البّيوت

1- **الفيروز آبادي الشيرازي (محمد الدين)**: القاموس المحيط ،ج2، مطبعة الميرية بولاق . مصر ، ط1. 1882م.ص122. كذلك **محمد وجدي** فريد : القصر ، دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد7، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1971 ، ص 834 .

2- **سورة الرحمان . الآية 72.**

3- **سورة الفرقان . الآية 10 .**

4- **ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ابن محمد)** : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، ط1،السفر2.دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت 1964، ص140.

5- **Sourdel (D) et (J)** : La civilisation de l'Islam classique .éd.Arthaud . Paris 1983.p300.

6- قصر عمرة او قصير عمرة ، يقع شرق الأردن في محافظة الزرقاء و يبعد 85 كلم من العاصمة عمان ، ويرجع تاريخ بنائه (2هـ/8م) ، حيث بني بين سنتي 705 و 715 م خلال حكم الوّليد بن عبد الملك 86هـ-96هـ ، وهو يعتبر من أهم امثلة الفن و الهندسة المعارية الاسلامية المبكرة ، و احيانا كان يطلق عليه قصير لصغر حجمه مقارنة بالقصور والقلاع الأخرى للمزيد انظر **ماجد عبد المنعم**، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963 م ، ص ص120 -127.

7- **Lizine (A)** ; Ksours . H.T.M. N° 2 .Juin 1994 .p 17 .

8- **Capot Rey (R)** ; Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara. t14 . 1956 . p 158 . le cas de Gourara . T.I.R.S

9 - **ايوب عبد الرحمان** : من قصور الجنوب التونسي ، القصر القديم ، النقائش و الكتابات القديمة في الوطن العربي ، تونس ، 1988 ، ص 131 .

الخارجية لتشكّل في النّهاية ما يشبه السّور يحيط بكافة أرجائه و يدعّم من الخارج بدعامات نصف هرمية كما يزيد من مناعته في بعض الأحياء بتدعيمه بخندق يتم اجتيازه بواسطة جسور خشبية مثل قصر تماسين بوادي ريغ و تاجموت بالأغواط و غيرهم ، و يتوسط كل قصر من هذه القصور قصبة تخص الحاكم مزودة بسور و ابراج . غير ان الأمر يختلف بقصور الجنوب الغربي الجزائري فنجد مجموعة من القصور او بالأحرى قصبات تأخذ اسم قصر واحد مثل قصر تمنطيط بأدرار و قصر تيميون بالرغم من ان لكل واحد من هذه القصور قصبته الخاصة [1]و الت تسمى نوات القصر . وقد أطلق على هذه القصور تسميات مختلفة ارتبطت بعدة معاني فوجد القصر الذي ينسب إلى ولي صالح كان له الفضل في وجوده واستمراره كقصر سيدي عمران، وسيدي خالد، سيدي راشد، سيدي يحي ... وغيره، أو إلى اتجاهات معينة كالقصر الظهراوي (الغربي) ، والقصر القبلي (الشرقي) ، أو إلى قبيلة معينة كقصر أولاد موسى وقصر ورقلة، وقصر بني عباس، أو إلى صفة دالة على موقعه أو قدمه كالقصر القديم، القصر الكبير، القصر التحتاني،القصر الفوقاني أو نسبة إلى لون مادة بنائه كالقصر الأبيض والقصر الأحمر[2]. لقد استعملت كلمة قصر في بعض المصادر التّاريخية للدّلالة على أنّها تجمّعات سكنيّة آهلة السّكان أو مهجورة [3]. و يستغل القصر كذلك في تخزين المواد و المنتجات الزّراعية للقبائل الرّحل في خازن خاصة لهذا الغرض ، وهو ما يلاحظ في العديد من القصور المتواجدة في جنوب ليبيا[4] ، تونس[5](صورة 05) ، المغرب الأقصى[6] ، و كذا منطقة الأوراس و مناطق الجنوب الجزائري[7] . فقدعرفت شمال إفريقيا بوجود ما يسمى بمخازن الحبوب المحصنة بالمناطق الجبلية خاصة، وهي

1- Godard (M), l'Oasis moderne, essai d'urbanisme saharien, Paris,1953 .P13

2- **حملاوي علي**:، قصور منطقة جبال عمور،من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر1999- 2000 ،. ص - 61 .

3- انظر وصف الإدريسي لمدينة لبدة الواقعة شرق طرابلس (لبتيس مقنا .Leptis Magna) .**الإدريسي (أبو عبد الله محمد)**: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر1983 . ص 175 .

4- **Des pois (J)** ; Le Djebel Ne foussa . Etude géographique .Paris 1935 . p 26 .

5- **-Louis (A)** ; Tunisie du sud . Ksar et villages de crêtes . C.N.R.S. Paris 1975 pp31-32.

6- **Terasse (H)** ; Kas bas Berbères de L'Atlas et des Oasis . Les grandes architectures du SudMarocain.HorizondeFrance1938 .pp 97-137

7- كانت القبائل الرّحل التي خاصة ما تعتمد على الرّعي و الانتقال من مكان إلى آخر تعتمد في تخزين موادها الغذائية الضّرورية على القصور الصّحراوية وذلك تحت حماية أصحاب القصر مقابلة نسبة متفق عليها .

عبارة عن مخازن جماعية فرضتها العادات القديمة المشتركة تحت اسم القصر أو القلعة أو أغادير، نصبت على شكل مباني محصنة على قمم الجبال المحاذية للصحراء، منها ضمن منازل، القرى وأخرى منعزلة بأعالي قمم الجبال[1] (صورة06). وتفتح هذه المخازن على فناء داخلي في غالب الأحيان ضيق يفتح على العالم الخارجي بواسطة باب وحيد والملاحظ هو اختلاف التّسميات في أرجاء شمال إفريقيا فهي تعرف بمنطقة الأوراس بالعربية بالقلعة وبالبربرية" أكليمت"، وبالمغرب الأقصى بأغادير وأحيانا إغرام، وكلا الكلمتين بربرية الأصل و نجد مصطلح القصر في تونس يطلق عليه تيمدلت[2] هذه الأماكن حصينة يحتمي به الأهالي في حالة الحروب فالإضافة إلى وجود الغذاء و خزان مائي ومكان للحدادة مما يمكنه من الصمود أمام أي حصار لمدة طويلة، ولهذا الغرض عزز المبنى بوسائل دفاعية تمثلت في الجدار المتصل والذي يشكل السّور المزوّد ببرج أو أكثر بها كوات صغيرة . هذه المباني كانت تمثل رمزا وقوة لاصحابها و استقلالهم التّام و اصبحت بهذا مكانا لمناقشة جماعة القصر امورهم الهامة [3] . يقوم النّسيج العمراني وفق تقاليد حضارية سائدة ، ناتجة من تفاعلات أهمّها العوامل الاجتماعية . كما يستجيب للشّروط التي يسير عليها مجتمع القصر و جلها منبثقة من الدّين الإسلامي الحنيف[4]، الدّاعي إلى المحافظة و الحرمة و احترام الآخرين و كذا النّظافة و التّعاون و التّماسك بين المسلمين[5]. لذلك نجد بيوت القصر في شكل متراص مثلما ورد في الحديث الشّريف " **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه البعض** "[6]. وجلّها تتكوّن من طابق أو أكثر، عادة ما تشترك فيما بينها في بناء الجدران كما أنها في معظم الأحيان تتوفّر على واجهة واحدة التي يكون بها المدخل الرّئيسي ، و الذي يفتح عادة على درب ، كما أن

1- **Despois (J)**, les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord, Les Cahiés de Tunisie, R.S.H, Publie par l'institut des Hautes études de Tunis, T1, 1953, P39

2- Despois ; Opcit ,pp .39-42.

3- Ibid : pp42-43 .

4-للمزيد حول هذه الفكرة **راجع علام مهدي** : "الزاوية" دائرة المعارف الاسلامية . مركز الشارقة للإبداع الفكري . ج10 . ص 332. كذلك : **الشيخ طه الولي** : المساجد في الاسلام . دار العلم للملايين . بيروت . 1988 . كذلك : **Ougouadfel (H)**. Le sacre comme concept pour la formation et la transformation de la cités . Cas de Gardaia . H.T.M. n° 2 . Juin 1994 . pp 93-102 .

5- **ابن الأخوة (محمد بن محمد)**: معالم القرية في أحكام الحسبة ، نقل وتصحيح روين ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبريدج 1937. ص ص 78-79.
كذلك – **المجليدي احمد سعيد** : كتاب التّسيير في أحكام التّسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع ، الجزاء . ص ص 109.76.70

6- **البخاري** : الجامع الصحيح ، شركة الشهاب ، الجزائر ، د ت ، ج 04 ص 80 .

هذه السّكنات تتميّز بانعدام الأفنية في الغالب وهذا ناتج عن ضيق المساحة الممنوحة للساكن، لذا نجد قاطنيها يستغلون أسقف المساكن كفضاء خارجي [1](صورة 07). و قد تحتوي القصور على قصبة أو أكثر يحتمي بها السّكان عند تعرّضهم لغارة ما. و تتشكل القصبة حينئذ من مجموعة غرف تعلو الواحدة الأخرى بحيث أن لكل فرد من أفراد القصر غرفته الخاصة[2] ، كما أن القصبة تحتوي على جميع المرافق الضّرورية من مدرسة و جامع علاوة على مخازن للمؤن . عادة ما يتوسّط القصر المسجد الجامع وكذا السّاحة التي تعرف بالرّحبة و هي الفراغ الذي تتنفس منه الأحياء السّكنية المتراصة ، حيث أن كل الشّوارع والدّروب تؤدي إليها ، لكن هذا ليس ضروريا خاصة انه في الكثير من قصور توات نجد المصلى او الجامع خارج جدار القصر و ربما يرجع ذلك للمساحة الضئيلة التي تنحصر داخل اسواره كما تغيب كذلك الرحبة وتكون هي كذلك خارج الأسوار . كما أن القصور الصّحراوية تشترك في عنصرين هامين هما القرب من منابع المياه مما يجعل هذه القصور وسكانها يرتبطون ارتباطا وثيقا بالزّراعة، تقيدا بالشّريعة التي توصي بالحلال الطّيب مما تنتجه الأرض. و من الوصايا في هذا المجال ما أوصى به زياد بن أبيه بقوله" **أحسنوا إلى المزارعين ، فإنكم لا تزالون سمانا ما سمنوا"**[3] ، وفي هذا دعوة لتشجّيع الزّراعة وتقديما لأهلها ، كونهم أساس العمارة كما تؤكده المصادر التّاريخية حيث جاء عن لسان ابن الرّبيع قوله " **إذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين ، فيتركونها و يهرب الزّرع ، فتضعف العمارة و يضعف الخراج "**[4] .

1- تراص المساكن في القصور الصحراوية سببه الرئيس ضيق المساحة التي تدخل ظمن حيز السور و على هذا باتت البناءات ذات طوابق لتعويض ضيق المساحة من جهة واستغلال الأسقف كأفنية او صحون ان صح القول لتكون فضاءا خارجيا لأصحاب الدّور ، غير أنه و لأسباب متفرقة بات تباعد البنايات أمرا جليا يعود بصفة خاصة الى الفترة التي غابت فيها الأسوار التي كانت تحدد حيز البناء وتحده وهذا عند اختراع المدافع في القرن الثامن عشر . فباتت الأسوار لا تجدي نفعا . كذلك ربما تكون الأمراض التي تتفشى من حين لآخر كالكوليرا وغيرها تأتي على الناس فيهجرون بعضهم بعضا . انظر وصف الوزان لقصر العباد (المغرب الأقصى) ،**الوزان (الحسن بن محمد)** : وصف إفريقيا ، ترجمة د. حجي و د. محمد الأخضر ، ط2 ، ن ج1، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1983 ، ص 292 .

2- **Bisson (J)** ; Le Gourara étude de la géographie humaine .Institut de recherches Saharienne .Université d'Alger. Sans Date . Pp 164-165.

3-"زياد ابن ابيه" : يقال له ابن سمية و عرف فيما بعد بابن أبي سفيان . يعتبر من دهاة العرب و خطبائها و من القادة الفاتحين المسلمين الذين يمتازون بحسن السياسة والحكمة ، ولاه علي بن أبي طالب إمارة فارس ، كما عينه معاوية واليا على البصرة و الكوفة . توفي سنة 53هـ/672م . قال فيه الشعبي ما رأيت أحدا أخطب من زياد . انظر **ابن حجر العسقلاني** (شهاب الدّين أبا الفضل) : الإصابة في تمييز الصحابة . المجلد الثاني . ج3و4 . دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت، ص 42 رقم 2981 . كذلك **الزركلي خير الدين**: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء العرب و المستعربين و المستشرقين . المجلد 3 . ط 11 . دار العلم للملايين ، بيروت 1995 . ص 53 .

4- **ابن أبي الرّبيع** (شهاب الدّين احمد بن محمد) : سلوك المالك في تدبير الممالك . دراسة وتحقيق ناجي التكريتي . ط1. تراث عويدات . بيروت . 1978 . ص 245 .

و هذا دليل بليغ لما للزراعة من أهمية و ارتباطها الوثيق بالعمارة خاصة منها عمارة الصّحراء . أما الأمر الثّاني فهو التوّضع في مكان آمن توفيرا للأمن وتحصينا لمنازلها من الباغين .

و على هذا فان القصر كل من فترة لآخرى يتوسع باستغلال مساحة الهضبة التي يشغلها كليا دون ان يمس الأراضي الصالحة للزراعة و ان لم يكن له متسع من الأرض يسمح له باتّساع عمرانه ، يبقى منغلقا داخل أسواره بحكم موقعه الجغّرافي و إحاطته بالبساتين ، مما يدفع بالأهالي بهجرانه مع مرور الزّمن و التّخلي عن مساكنهم بحثا عن أماكن شاسعة للاستقرار بها[1] . لذا حافظت معظم القصور على أصالتها و طابعها القديم .

ثانيا- العمارة الدّفاعية و تميط القصور الصّحراوية :

من خلال الدّراسات المختلفة التي قام بها الكثير من الباحثين على القصور الصّحراوية ، حاولوا من خلالها تحديد أنماط مختلف هذه القصور . فمنهم من اعتمد على الشّكل العام للقصر، ومنهم من اعتمد على التّخطيط الدّاخلي معتمدا في ذلك على الشّوارع والأزقّة ، ومنهم كذلك من لجأ إلى تميط القصور الصّحراوية على التّركيز من وجود قصبة من عدمه [2]، لكن المهم في هذا الموضوع أن جميعهم تطرقوا في هذه الأنماط الى بعض عناصر العمارة الدّفاعية كالأسوار و الأبراج و الخنادق في بعض الأحيان و التي أتخذت كمعيار اساسي و رئيس عند جلهم في تميط وتقسيم هذه العمائر . و أما أولهم فهو الباحث مارتان(**Martin.A.G.P**) الذي قام بتقسيم القصور الصّحراوية إلى ثلاثة أنماط معتمدا في ذلك على الشّكل العام للقصر و النّصوص التّاريخية المتوفّرة كما أنه لم يولي أهمية إلى الجانب التّقني للقصر . النّمط الأول حسب هذا الباحث تعود إليه مجموعة

المباني التي تعود إلى فترة الجيتول [3] ، و التي تقع حاليا على مسافات بعيدة عن أماكن المياه . وهي تمتد من فترة ما قبل التّاريخ إلى سنة 100م . ومن مميزاتها أنها مشيّدة على أماكن مرتفعة ولهذا تحمل اسم أورير للذّكر و تاوريرت للأنثى ويعني ذلك الهضبة ، وقد بنيت بمزيج من الحجارة الصّغيرة و الكبيرة . و أما قصر تاوريرت برقان و قصر الشّارف بتموكتان إلا أمثلة على ذلك .

-1 **Martin.A.G.P** . A la frontière du Maroc. Les Oasis sahariennes . (Gourara.Touat.Tidikelt). ed . de l'Imprimerie .Alger. 1908 . pp 25.59.

-2 **Martin.A.G.P** Op-cit . pp 25.59.

3- الجيتول هم قبائل اشتهروا بالبداوة ، كانوا يتمركزون في إطار جغرافي فسيح يمتد عبر السّهوب و السفوح الجنوبية لمرتفعات الأطلسي و شمال الصحراء . للمزيد أنظر/(**شنيتي حمد البشير** التّوسع الزّراعي الرّوماني وظاهرة البداوة في الجزائر). مجلة الدّراسات التّاريخية ،1986، ع2 . ص11 .

ومن الملاحظات المسجلة على هذا النّمط أنه تمّ هجره منذ زمن طويل . أما النّمط الثّاني فيمتد حسب نفس الباحث من 100م إلى 600 م ، و هذه المنشئات أحسن بكثير من منشئات النّمط الأول و تقع في أماكن أقلّ بعدا عن مراكز المياه يحيط بها سور شبه دائري و مبني من الحجارة المسطّحة موضوعة بطريقة أفقيّة تشبه إلى حد ما التّقنية المستعملة في الجسور الرّومانية . في حين يرجع النّمط الثّالث إلى معظم القصور التي أنشأت بعد القرن السّابع الميلادي و قد أعتمد الباحث على تأريخ هذا النّمط على ما تقدمه النّصوص التّاريخية من معلومات ، و تعود قصور القبائل البربرية الزّناتية و القصور العربية إلى هذا النّمط .

هذا التقسيم يوافق عليه العقيد كونار (**Col.Quenard**) الا انه تطرق زيادة على ذلك الى التّقنيات التي تتعلّق بكلّ نمط[1] ، فيرى أن النّمط الأول يخص مجموعة الحصون التي تتوضع على قمم الجبال ، و تتّخذ شكلا مستطيلا في تخطيطها تحيط بها أبراجا من الحجارة ، فيما لم يتم تحديد الفترة الزّمنية التي تعود اليها ، لذا تسائل هذا الباحث عن نسب هذه القصور هل هي تعود الى قبائل البربر أو الى أقوام مجهولين ؟ في حين يتّفقا في تحديد النّمط الثّاني في الفترة الزّمنية مضيفا بأن المباني تأخذ شكل مستدير تحتوي بداخلها على برج للمراقبة و يحيط بها سور يتقدّمه خندق ، اما التّقنية المستعملة فهي الحجارة الموضوعة بطريقة أفقية يفصل بينها صف من الحجارة مائلة و بطريقة متناوبة بشكل حرف (V) اللاتيني ، و هو من المميّزات الرّئيسية لهذه المباني . اما النّمط الثّالث فهو يخص مجموعة المباني المشيّدة من الآجر الغير مشوي(اللبن الطيني)

و تحتوي على أضرحة تعلوها قباب دائرية الشّكل . أما عبد الرحمان أيوب فأتخذ منحى آخر في تقسيم القصور الصّحراوية و هذا بناءا على الشّكل الخارجي والتّوزيع الدّاخلي للهياكل ، وتجدر الاشارة بالذكر بان هذا الباحث ركز في دراسته على القصور المخصّصة للتّخزين ، و يرى انها تنقسم بدورها الى ثلاثة أنماط [2].

1-**Col.Quenard ;**.Recherches historiques dans le Touat –Gourara. B.L.S.n° 2 .1950.p 19.

2- **أيوب (عبد الرحمان)**: "من قصور الجنوب التونسي . القصر القديم" . النقائش و الكتابات القديمة في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1988. ص ص 130-136.

النّمط الأول فهو النّمط المستطيل (البربري) ، رغم انعدام الأدلّة فهو يرجّح على أنّه أقدم الأنماط نظرا للتّشابه الكبير بينه وبين الدّور الكهفية . يتشكّل القصر في هذه الحالة من مجموعة من الغرف متجاورة و مستطيلة الشّكل و تشيد فوق سطح الأرض أو منحوتة في الحجارة ، ومثال على ذلك قصر تاوريت و قصر الشّارف و آغيل برقان [1] . في حين النّمط الثّاني هو النّمط المـــربع (الرّوماني) ، ويشبه هذا النّوع في تخطيطه كثيرا الحصون البيزنطية والرّباطات الأسلامية المبكرة ، كرباط سوس(صورة 08) . و يعتبر أقلّ الأنماط وجودا بالمغرب الأسلامي ، و يعود ذلك ربما الى قلّة استعماله ، ومثالا على هذا النّمط قصر حاسي فقاقير بقورارة و قصر ملوكة بأدرار [2] . لكن النمط الثّالث الدّائري الشكل (العربي) ، اعتبر الباحث أن هذا النّمط متطورا بالنسبة الى سابقيه و هذا من حيث مساحة التّخزين و توزيعها ، و تعود بداية ظهوره الى أواخر القرن (5هـ/11م) . و من مميزاته أن يحافظ على المواد المخزّنة بطريقة أفضل[3] ، و مثال ذلك قصر المنيعة القديم[4] و جل قصور تمنطيط .

أما الباحث كابو راي(Capot Ray) قام تنميطه للقصور الصّحراوية على التّوزيع الدّاخلي لمختلف مرافق القصر[5]. و يرى هذا الباحث ان القصور الصّحراوية تنقسم الى نمطين أولهما يتميّز بأزقة ضيّقة وملتوية ، تنتهي في أغلب الأحيان بدروب حادة . و يرجع هذا الصّنف الى القرن (5هـ/11م). واليه يعود قصر سيدي خالد ببسكرة . في حين ثانيهما فهو عكس النّمط الأول بحيث يتميّز بشوارع عريضة و مستقيمة ، والتي تتقاطع مع بعضها البعض مشكلة زوايا قائمة و

يرجع هذا النّمط الى القرن (10هـ/16م) . و قصر الدّوسن ببسكرة المؤرخ في 1861م يعود الى هذا النّمط . في حين إشترك الباحث بيسون مع زميله كابوراي في تميط القصور و هذا

1- -**Col . Quenard** .Recherche historique dans le Touat ,Gourara, ''Bulletin de Liaison saharienne,n,1950.p.22.

2- قصر ملوكة هذا ذا شكل مربع تقريبا طول الأضلاع فيه حوالي (65 x70) م ، حول قصر ملوكة : **عليق نابت:** قصر ملوكة بأدرار (إقليم التوات). دراسة تاريخية أثرية . بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية . جامعة الجزائر . 2001-2002 .

3- **أيوب (عبد الرحمان)** : نفس المرجع . ص 133 .

4- حول قصر المنيعة انظر -**Gal.A.Moinier**. El –Goléa .Le Ksar el Harratin . Rev.afr. N° 50 .1906 .p361

5- -**Capot (Ray**) . L'Afrique blanche française. Presse universitaire de France .Paris 1953.p18 .

اعتمادا على مكونات القصر الدّاخلية . حيث ارتكز هذا الأخير على وجود القصبة من عدمه بالقصر دون تحديد الاطار الزّمني[1] . و قد قام بتقسيم القصور الى اربعة أنماط[2] ، أولها القصور التي بها قصبات تتوضّع في مكان عال بحيث تشرف على جميع نواحي القصر ، اما النّوع الثّاني فلا يحتوي على القصبات و في هذه الحالة تكون أماكن التّخزين ملاصقة للبيوت السّكنية ، وهذا النّوع عادة ما يكون صغير الحجم في حين يتميّز النّمط الثّالث على احتوائه على قصبة واحدة أو عدة قصبات مع توفّر مسجد ومدرسة قرانية تتوزّع حولها البيوت التي تشغل الأماكن المنخفضة أما النّمط الأخير فهي تلك القصور ذات الطّابع الدّيني ، و ما يميّز هذا النّوع أنه لا يحتوي على وسائل دفاعية كالأسوار والأبراج اذ أنّه حسب الأعتقاد وليه الصّالح هو الذي يقوم بحمايته ودفع الخطر عنه[3] . و آخر هؤلاء الباحثين و هو إيشالي(**Echallier (J.C)**)[4] الذي اعتمد في دراسته للقصور الصّحراوية على المراجع التّاريخية و الأعمال الميدانية التي مست 133 قصرا كما اعتمد على الصّور الجويّة ذات المقاييس المختلفة ، ضف الى اللّقى الأثريّة (قطع فخارية ، بقايا لحمية و نباتية) التي تمّ جمعها ، و كل هذا أدّى به الى تقسيم القصور الصّحراوية الى ستّة انماط . أول هذه الأنماط يعرف بمجموعة من المنشئات التي يبنى سورها الخارجي على حواف هضبة صخرية غير مهذبة، و مبانيها منهارة ، بدون ان يتمكّن هذا الباحث من تحديد الفترة الزّمنية التي

يعود اليها هذا النّمط الذي بدوره ينقسم الى قسمين، القسم الأول منه يتميّز بمنشئاته الضّخمة ،التي بنيت فوق مرتفع طبيعي دون أن يتمّ تعديله . و هو عادة ما يستغل لتخزن المنتجات الفلاحية و ملجأ للسّكان عند الضّرورة . يحيط به سور من الحجارة الكبيرة و الصّغيرة و يتمّ ربطهم بمادة الطّين ، وهو ذو شكل دائري أو شبه دائري . في حين يتميّز القسم الثّاني من هذا النّمط بنفس المواصفات من حيث الموقع و شكل السّور ، غير أنه أقلّ حجما و أحسن تقنية منه. تقام على

1-**Bisson (J)**. Le Gourara. Etude de géographie humaine .Mémoire n°3.I.R.S. Université d'Alger . SD . pp. 166 – 168 .

2- **Bisson(J**) Opcit . p 166.
3- Ibid p 168 .
4-**Echallier (J.C)**. Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara algérien .Paris1968.pp84-85

سفحه قرى مبنية من الحجارة و الطّين مع وجود بقايا حدائق . أما النّمط الثّاني حسب هذا المؤرخ يعود الى القرن (4هـ/10م) .

وهو يبدو أكثر تطورا من النّمط الأول من حيث تقنية بنائه و هيكله كما أنه ينقسم هو كذلك الى قسمين ، أحدهما يشمل القصور المبنية فوق مرتفع طبيعي بعدما قام الأنسان بتهيأته ، يحيط به سور سميك دون تزويده بأبراج للمراقبة ، وهو ذو شكل شبه دائري أو ذو أضلاع منحنية و متعددة الرؤوس . اما القسم الثّاني يشبه كثيرا القسم الأول ، تكون أسواره اكثر تحصينا و تكون مبانيه صغيرة و غالبا ما تكون عبارة عن أطلال . في حين يتميّز النّمط الثّالث عن النّمطين السّابقين كونه اكثر اتقانا فهو يأخذ الشّكل المستطيل أو المربّع ، يحيط به سور يخلو باتا من الأبراج الرّكنية ماعدا برجا أو برجين للمراقبة ، وغالبا ما يحاط بخندق ، و يتم الوصول الى المدخل الرّئيسي بواسطة جسر . و يتميّز بعمارته المتقنة التي تظهر في الزّوايا القائمة و انتظام توضع مواد

بنائها المتمثلة في الحجارة الممزوجة بالطّين كما أنه يعود الى القرن (7هـ/13م). أما النّمط الرّابع فهو يمتد من القرن(7هـ/13م) الى القرن (9هـ /15م)، تميّز مبانيه بالضّخامة فقد شيدت بحجارة من الملح ممزوجة بالطّين و بانعدام الأسوار به وهما الميزتان الأساسيتان لهذا النّمط . في حين يتميّز النّمط الخامس الذي يرجع من نهاية (4هـ/ 10م) و يمتد الى (6هـ /12م) ، بأنعدام القاعدة الصّخرية و تقنية بنائه الغير متقنة ، و قد رأى هذا الباحث تقسيم هذا النّمط الى قسمين ، أولهما يتكوّن من منشئات بنيت بالحجارة المغمورة داخل الطين ، يحيط بها سور مستطيل أو مربع خال من الأبراج . و يرى هذا الباحث ان هذا القسم يشبه النّمط الثّالث . أما القسم الثّاني من النّمط الخامس فهو يشبه القسم الأول الا انه يختلف عنه في احتواء سوره على الأبراج الرّكنية، التي عادة ما تكون مربعة أو هرمية و يعتبر نفس الباحث ان هذا القسم مشتق من النّمط السّادس ، هذا الأخير يعود الى القرن (9هـ/15م)، و يتميّز بشكله المستطيل و استعمال الآجر الطّيني الغير مشوي في بنائه، يتوفّر على اروقة بها دكاكين للراحة ، كما أنه ينقسم بدوره الى قسمين ، احدهما يتميّز بشكله المربع الذي يحيط به سور تنعدم به الأبراج و الممشى . و الثّاني يشبه القسم الأول الا أن سوره يحتوي على أبراج و ممشى .

ثالثا- العوامل المتحكمة في نشأة القصور الصحراوية

هنالك عدة عوامل تتحكم في انشاء القصور الصحراوية يمكن حصرها فيما يلي :

1- العامل التاريخي

تعتبر القصورالصّحراوية صورة للإبداع الهندسي البربري الذي يبدأ تقريبا من خمص بالقطر اللّيبي أي على بعد 100 كلم شرق طرابلس ومنها سالكة جنوبا غربا مسلك جبل نفوسة مارة بغريان فيفرن، فجادوا فكاباو، فنالوت ثم تتجه نحو تطاوين، فمطماطة بالجنوب التونسي قبل أن تتجه غربا نحو منطقة وادي سوف، ومنطقة وادي ريغ، ومنطقة وادي مية ثم نحو منطقة المزاب بالجنوب الجزائري، ومنها يتواصل هذا الخط باتجاه أقصى المغرب[1]، كما كان للأوضاع السياسية التي عرفتها هذه المناطق في العهد الرّوماني أثر في ذلك، فالصّراع القائم بين البربر والرّومان جعل الصّحراء منفى لهذه العناصر، ومن الطبيعي أن ينقلوا معهم أفكارهم المعمارية بما

يتلائم وطبيعة المنطقة الجديدة[2] يمكن ملاحظته في مسلك تواجد القصور الجنوبيةالذي يمتد على طول خط الليماس الذي وضعه الرومان للتصدي للهجومات البربرية ومراقبتهم، وكأن هذه القصور وجدت لتمكن البربر من الوقوف في وجه الأعداء، فالقصور هنا وجدت لغرض دفاعي لما تحتويه من وسائل تحصين ارتبطت بها معظم القصور الصّحراوية من سور وخندق وأبراج وتخطيط داخلي متشابك بحيث أن اللاجئ إلى هذه القصور يمكنه الصمود لمدة طويلة أمام العدو لما يحتويه القصر من غذاء وماء، فلهذا يلاحظ ذلك التماثل المعماري بين مختلف هذه القصور مع اختلاف بسيط لا يمس بالغرض المنشود، فمثلا بالجنوب الشّرقي عوضت غرف التخزين بمطامير مبنية بإحدى زوايا الغرفة أو بما يعرف بالخابية أو البايو ببعض القصور تماسين بشرط أن تكون الأرضية ومكان تواجدها مهيأ ومناسب للتخزين، في حين استعملت الغرف للسكن ، بحيث

-1 **Montagne (R)** : Villages et Kasbas Berberes, Paris 1930,p143.

يمكن كذلك مراجعة كتاب **عبد الرحمان ايوب** : نفس المرجع . ص ص 130-133.

-2 **Pottier (R)**, Histoire du sahara,paris,1947, PP 124-125.

يفتح كل منزل على شارع ملتوي ومغطى في أغلب الأحيان يؤدي إلى خارج القصر عن طريق باب أو بابين أو أكثر، في حين أنه بقصور الجنوب الغربي تمنطيط، و توات...، استمروا باستعمال الغرف ككل كمخزن للمؤونة بمعطياتها القديمة وذلك لانعدام هذا النّوع من المطامير. وتظهر لنا خبرة البربر ومعرفتهم للبلاد من خلال بناء هذه التّجمعات في مناطق مرور القوافل ليتم تزويدها بما تحتاجه من منتوجات لتصبح مع الوقت مركزا مهما لهذه القوافل كما أصبحت هذه القصور مكانا لتخزين المنتوجات للقبائل البدويّة الرحل أو المقيمة على حدودها وهذا ما يمكن ملاحظته بالعديد من القصور الصّحراوية بجنوب ليبيا [1] و الجنوب التّونسي [2]و جنوب المغرب [3].

2-العامل الجغرافي

إن العامل الجغرافي يعني دراسة المكان باعتباره سكنا للإنسان فعناصر هذا المكان لا تستمد أهميتها إلا بقدر علاقتها به ليتحدد العامل الجغرافي باختيار الموقع المفضل ذو المناخ الحسن

من اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر المنتوج الغذائي[4]، إذ يعتبر الموقع نقطة جد حيوية بمعناه الطبيعي والبشري فهو أهم عنصر جغرافي مؤثر على القصر وقلب العوامل الجغرافية، فالمواد المادية والبشرية للموقع هي الطاقة الحقيقية لأي تجمع سكاني فقد بنيت هذه القصور على ضفاف هذه الوديان الجوفية لما توفره من مياه باطنية كوادي ريغ، وادي مية، وادي سوف، وادي ميزاب، وادي الساورة، ونفس الظاهرة لوحظت في معظم المدن القديمة التي بنيت على ضفاف الأنهار وذلك لما كان يشكله الماء من أهمية في حياة أي تجمع سكاني. كما يوفر الموقع خامات البناء والتي تعطي السّمة العامة لأي قصر من القصور فتوفر مادة الطّين في كل من منطقة وادي ريغ ووادي مية دفعت بالبناء إلى كثرة استعمال هذه المادة التي أصبحت الصّفة السّائدة لهذه القصور في حين بنيت قصور وادي ميزاب بالحجارة لتوفّرها بالمنطقة ونفس الشّيء فيما يخص كثرة استعمال خشب أشجار النّخيل في البناء لتوفر هذا النّوع من النّبات

-1 **Depois (J)**, Le Djebel Neffoussa, étude géographique, Paris, 1935,p57.

-2 **Louis (A**), Tunisie de sud Ksars et villages de cretes, C.N.R.S, Paris, 1975, P 30

-3 **Terrasse (H)**, Kasbas berberes de l'Atlas et des Oasis, les grandes architecture du sud marocain.france.1938. p73.

4 - **ابن الربيع شهاب الدين**: سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق ناجي .التكريني،ط1 ، بيروت – باريس1978. ص152 .

بالموقع نتيجة تأقلمه مع المناخ السائد .في حين استعملت أخشاب بعض الأشجار بشكل محتشم لقلتها كأشجار المشماش. وما تجدر الإشارة إليه أن مواد البناء المتوفرة بالموقع تتلائم والمناخ السائد بهذه المناطق .سواء المادة الطيّنية أو الحجارة الجيريّة من حيث توفيرها للبرودة صيفا والحرارة شتاءا[1] وبطبيعة الحال انعكست نوعية المواد المستعملة على تقنيات البناء والتي دفعت بالبناء الصّحراوي إلى محاولة إيجاد أنجع التّقنيات المناسبة لاستعمال هذه المواد بشكل أسهل ولا يتوقف دور الموقع الجغرافي لأي تجمع سكاني فيما سبق بل يتعداه إلى تحديد شكل القصر دائري، مستطيل، مربع، ... وحتى مراحل تطوره من حيث طبيعة الموقع والحواجز المحيطة به والتي قد تقف عائقا في وجه تطوره، فالمدن التي تقام محصورة بين ضفة نهر أو واد وتلال أو جبال يكون شكلها طوليا كمدينة البصرة وسامراء ، في حين يساعد المكان الواسع الخالي من أي حواجز على

أي اختيار الشّكل المطلوب[2] ، أما المناخ فيكمن دوره في تميز هذه القصور من حيث تخطيطها الدّاخلي الذي يتلائم وما يتعرض له من رياح رملية و رياح حارة وحرارة مرتفعة صيفا ومنخفضة شتاءا، فكان همّ الإنسان القصوري في الأول وفي الأخير إيجاد السّبل المثلى التي تمكّنه من الاستقرار والاستمرار في هذه المناطق فكان التّخطيط العام يوجه في الغالب جنوب شرق[3]، كما امتاز التّقسيم الدّاخلي بضيق والتواء الشّوارع وتلاصق المباني وهذا ما يتماشى والظّروف الطبّيعية ونفس الأمر بالنسبة لمواد و تقنيات البناء المستعملة كما سبق الذكر.

و الحصول على منتوج زراعي هو حاجة الإنسان الأولى التي يتوخاها من الموقع الذي . يسكنه ويعني هذا وجود مصدر غذائي ثابت يساعد على استمراره[4] فكانت القصور الصّحراوية كتجمعات سكنية قد أوجدت لنفسها مع الزّمن علاقة قوية مع فلاحة النّخيل حتى أصبحت تنسب إليها، إذ تحيط بهذه القصور واحات النّخيل التي اعتبر استمرارها من استمرار القصر كونها تعد مصدر رزق جد مهم لسكانها، فمعظمهم ينشطون في فلاحة أشجار النخيل التي تلائم وطبيعة

Godard (M), l'Oasis moderne, essai d'urbanisme saharien, Paris, 1953.p47 - 1

2 - -الموسري ، مصطفى عباس : العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الاسلامية ، العراق ، 1982.ص 123 .

Projet de rénovation de Mestaoua, Direction de l'urbanisme et de la construction de la W. -3 . Ouargla, 1997, P 65 .

-4 Opcit . p 210 .

لما توفره من غذاء ثابت لسكان هذه القصور كما تعتبر مادة جد مهمة للبيع والشراء سواء مع، المناطق التلية أو أقصى الجنوب أو مع بلاد السودان[1]. كما يشكل هذه الأشجار حاجزا في وجه الرياحالرملية التي تعصف بالمناطق الصحراوية على طول فصول السنة، لتقلل أيضا أشجار النخيل من نسبة ارتفاع المياه بهذه القصور، فما تعانيه القصور اليوم من تدهور ما هو إلا نتيجة القضاء على الواحة .

3-العامل الاقتصادي

أدى العامل الاقتصادي دورا كبيرا في وجود واستمرار هذه القصوربشمال إفريقيا بصفة عامة وقصور الجزائر بصفة خاصة إذ تقع في خط سير القوافل التجارية فكانت كمحطة ومستودعا مؤقتا وسوقا استهلاكية لمنتوجات الصحراء والتل وبلاد السودان، فتشكلت بذلك علاقات داخلية وخارجية جد نشيطة ينظمها خط سير يربط بين هذه القصور عرف مع الأيام بطريق الواحات أو القصور والذي كان ينطلق من تافلالت بالمغرب الأقصى نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غاط وتماسين والقليعة والأغواط والزيبان[2]، و الذي كان طريق جد نشيط خاصة في موسم الحج، كما وجد طريق آخر يربط بين هذه القصور لا يقل أهمية عن الطريق السابق عرف بطريق الذهب كما سبق الذكر، كان مصدر جد مهم لتدفق الذهب والعبيد والملح ينطلق من تافلالت بإتجاه قصور توات ومنها إلى أقصى بلاد السّودان، إذ كان التّجار يغامرون للوصول إلى هذه الأماكن رغم المخاطر والمسالك الوعرة لما كانوا يجنونه من أرباح كبيرة ، في كل رحلة[3] فكان امتداد هذه الطرق امتدادا لتاريخ المنطقة، وبتحركها تنتشر بذور الحياة إذ أن بقاء ، هذه التجمعات وازدهارها مرتبط بهذه الطرق، وذلك لما كانت توفره من رزق لأهالي القصر[4]

1- **الوزان حسن بن محمد**، وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي،الطبعة الثانية، دار المغرب .الإسلامي، بيروت، 1983 ، ص135

2- **الزبيري محمد العربي:**، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين1830 و .1798 الطبعة الثانية المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1984ص156

Lesudon et L’Afrique du Nord au debut siecle.TIRS.TXI.ALGER.1954 p39. **Emerit (M)**, les 3

4- **مزهودي مسعود:** الإباضية في المغرب الأوسط،جمعية الثرات بالقرارة غرداية، الجزائر، .1996 ص131

وأي تحول عنها يعني الفناء وهذا ما حدث بالفعل في السنوات الأولى للقرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي عندما عرفت هذه القصور تحول للطرق التّجارية نحو سواحل الأطلس مع اكتشاف الطّرق التّجارية الجديدة فبدأت هذه القصور في التّراجع تدريجيا إلى ما بعد نهاية القرن السّابع عشر ميلادي عندما فقدت أهميتها الاقتصادية نهائيا لتبقى مجرد تجمعات سكانية [1]

وقد حدثنا التاريخ عن مدن إسلامية عديدة تدهورت و اندثرت بفعل تحول الطّرق التّجارية عنها ومن هذه المدن تدمر، و بطر والحضر و الحيرة[2] .

4-العامل الاجتماعي والديني

إن خصوصية القصر وعلاقة أفراده القوية تظهر من خلال القوانين الاجتماعية التي تربط بينهم خاصة القوانين المعمارية والتي بدت بشكل واضح في بناء المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية وفي تخطيط قصورهم بتقسيمها إلى عدة أحياء كل واحد منها ينسب إلى قبيلة معينة أو عرش معين كبني وقين، وبني سيسين، وبني إبراهيم بقصر ورقلة، ومستاوة، والتليين، والعبيد... بقصر تقرت[3] ، كما تبدو هذه الخصوصية في تفرع الشوارع الرئيسية إلى شوارع ثانوية أزقة و دروب مغلقة تخصص لمجموعة من العائلات تربطها نفس صلة الدّم إذ تتحرك النّسوة بكل حريّة وكان الكثير منها يغلق ليلا لمقتضيات أمنية . وبما أن معظم سكان القصر من الطبقة البسيطة إذا ما لم استثنينا طبقة الحكام وبعض الأعيان فإنه كان لذلك أثره في توجيه عمارة القصر خاصة المدنية منها إذ لا يبدوالفرق واسعا بين بيوت الخواص وبيوت عامة الناس إلا من حيث سعة المساحة والأقسام الإضافية واتساع الغرف، وكثرت عددها[4] وللترابط الكبير بين منشآت القصر كان من الضّروري إيجاد متنفس لهؤلاء السكان بإيجاد فضاء واسع تمثلت في مساحات تتوسط الأحياء،

-1 **Devise-j**- ; Routes de commerce et echanges en Afrique occidentale en relation avec la méditeranee.RHIS. p45.

-2 **(الموسري) مصطفى عباس:** العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، العراق، 1982 .، ص 208.

-3 **Godard (J)** : opcit . p13.

-4 **Piesse (L)**, l'Algérie etTunisie,Paris ,1890, P 322

رحبة ، و السّاحة التي تتقدم المسجد الجامع والقصبة لتّجمعاتهم وإقامة أفراحهم في مختلف المناسبات واتخاذها كأسواق يومية للتزوّد بما يحتاجونه من منتوجات خاصة الفلاحية منها، كما لا

ننسى دور تواجد الإسلام بالمنطقة في تصميم الوحدة المعمارية إذ كان له أثر كبير في تشكيل العمارة الدّينية والمدنيّة إذ أصبح المسجد الجامع العصب النّابض في القصر حسب التّنظيم المعمول به في مختلف بقاع العالم الإسلامي مع اختلاف طفيف في كونه يتوسّط القصر كما عهدناه في المدن الإسلامية[1]، كما امتاز كل حي بوجود مسجد أو مصلى خاص به لأداء الصلوات وتعليم القرآن الكريم وأصول الدين. وبارتباط سكان القصر بأماكن العبادة بعد انتهاء أشغالهم اليومية زودت شوارع المنشآت الدينية بدكاكين للجلوس في انتظار أوقات الصّلاة ولمناقشة بعض مشاكل القصر كتوزيع أوقات السّقي وحل بعض المشاكل الاجتماعية والتي تعرف في بعض قصور الجنوب الغربي بالجماعة .والتي يمكن أن تكون بقرب السّاحة العامة[2] كما يظهر أثر العامل الدّيني في بناء المقابر خارج أسوار القصر مع تخصيص مساحتها . ويجعل لها ما احتاجت إليه من طرق من كل ناحية[3] لتعرف هذه المقابر بوجود أضرحة للأولياء الصّالحين والمشايخ و الحكام ربما أشهرها مقبرة سلاطين بني جلاب بتقرت .

أما العمارة المدنية بالقصر فقد تأثرت بالعامل الدّيني من حيث تخطيطها إذ يراعى فيها ناحية حجاب المرأة كوجود سقيفة تمنع المارة من النظر إلى داخل الدار وأماكن مخصصة للمرأة .كما هو معمول به في مختلف بيوت المدن الإسلامية[4] لتصبح حماية هذا المجتمع وممتلكاته ضرورة حتمية استدعت وجود وسائل دفاعية مختلفة بهذه القصور من أسوار وأبراج وخنادق تحيط بها زيادة في الحماية و تعد هذه الأخيرة من أهم الوسائل المعمارية الواجب التركيز عليها في بناء القصور ، لذا سوف نخوض هذا المظمار و نحاول الولوج فيه قدر الامكان مختصين اقليم توات في هذا الموضوع .

1- **البلاذري** : فتوح البلادان ، القاهرة ، 1932 ، ص 275 .

2-Bachminski (J), Quatre Djemâa des Ksours du sud ouest algérien, Universite de seance et de l’Archeologie d’Oran, Alger, 1985, PP 6-18.

3-**الثميني عبد العزيز** : التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل ، صححه الثميني محمد ، تونس ، 1944 ، ص 29 .

4-**الموسري مصطفى عباس** : نفس المرجع ، ص 228 .



الفصل الأول

التّحصينات الدفاعية

- **تمهيد (مفهوم التحصينات)**

اولا - التّحصينات الميدانية .

1- الثّغور – 2- الحصون والقلاع – 3 الأربطة

ثانيا- التّحصينات الثابتة.

1- الخنادق **2** - الاسوار **3**- الأبـــواب .

4- الأبراج **5**- المزاغل **6**- الشرفات .

تمهيد

ترتبط العمارة العسكرية الإسلامية بالتّاريخين السّياسي و العسكري لدولة الإسلام التي شهدت فترات متنوّعة من طبيعة العلاقات الدّاخلية و الخارجية . ففضلاً عن الحروب و المعارك الطّويلة التي شهدتها منذ بداية عصر الفتوحات الإسلامية ، كان على دولة الإسلام أن تدخل في طور التّحدي الكبير لتثبيت أمن وأمان الدّولة والدّفاع عن حدودها ضدّ القوافل الداخلية التي كانت تنبعث بين حينٍ وآخر بحكم التنوع الكبير الذي ضمّته هذه الدولة من شعوبٍ وبلدانٍ وأعراقٍ ودياناتٍ وما ينجم عن ذلك من بقاءٍ كامنٍ لنزعاتٍ وأهدافٍ وغاياتٍ تحاول التعبير عن ذاتها من حينٍ لآخر.

تفنّن المسلمون في إنشاء تحصيناتهم الدّفاعية لحماية الدّولة من هجمات الأعداء والتّصدي لهم، فبنوا على طول الحدود تحصيناتٍ أطلقوا عليها إسم "الأربطة"، وهي أبنية عسكرية تُمثّل خطّ دفاع متقدمًا عن البلاد، حيث كان يقيم فيها الجنود وعائلاتهم بشكلٍ دائمٍ، فيمارسون في حياتهم الدينية والمدنية إضافةً إلى استعدادهم وجاهزيتهم الدائمة لمواجهة أيّ عدوانٍ خارجيٍ أو السيطرة على أيّ فتنةٍ أو خلخلةٍ داخليةٍ .

تبنَى الأربطة على هيئة نسقٍ معماريٍ مُتماثلٍ. فيغلب على تخطيطها الأشكال المستطيلة، الجدران الحجرية المنتظمة، المزدوجة المزوّدة بالأبراج الدفاعية. أمّا في الداخل، فكان هناك فناء واسع تحيط به غرف لسكن الجنود ومسجد ومَرافق عامة. والشّكل الآخر من التحصينات العسكرية كان يشمل الأسوار العالية المدعّمة بالأبراج والمُجهّزة بوسائل الدفاع والمراقبة. وقد بُنِيَت هذه الأسوار غالبًا حول المدن لحمايتها وصدّ الحصارات عنها. ويُعَدّ السور من أهم الأبنية العسكرية التي أنشأها المسلمون في مدنهم. و قد كان لطبيعة الأرض والمكان والموقع الدّور الأساس في تحديد شكل السور. ولكن السّمات في الأسوار كانت تتمثّل في وجود الأبراج المُجهزة بنقاط المراقبة ومرامي السهام والنوافذ لقذف السوائل المُحرقة. وهناك نقاط متعددة من السور جعلت فيها أبواب مُحكّمة الإغلاق، يحميها برجان أو تكون ضمن برجٍ واحدٍ. ويعود ذلك لأهميّة الباب وما يشكّله من نقاط قوةٍ وضعفٍ.

و على هذا فان التّحصين كان من أقدم التّدابير التي لجأ إليها الإنسان لحماية نفسه من الضّواري و الأعداء. وكانت القبائل الرّحل تقي مضاربها من الوحوش والمغيرين بسياج يحيط بها مما يتوافر لها من جذوع الأشجار أو الأشواك أوالحجارة والتّراب أو غير ذلك إضافة إلى انتفاعها من الشّروط الطّبيعية للموقع .

تشير الدّراسات الأثرية إلى أن أكثر مدن بلادالشّام والرّافدين وآسيا الصّغرى ومصر كانت مسوّرة ومحمية بتحصينات قوية وأسوار مدعمة بأبراج على عدة خطوط، وبوابات محصنة وقصور منيعة داخل الأسوار، إضافة إلى وجود خندق مائي أو مانع طبيعي يحميها من بعض الجهات. وثمة قلاع ومعاقل حصينة أقيمت على طرق التّجارة والنقاط الاستراتيجية المهمة أو عند حدود البلاد. وظلّت القلاع و الحصون و الأسوار تحتل المكانة الأولى في الدفاع قروناً حتى ظهور الأسلحة النارية واختراع المدافع ، ومن أشهر تلك التحصينات المعسكرات الرومانية المغلقة وسور الصين وأسوار القسطنطينية و أنطاكية والمدن الثغور، والقلاع والحصون المنتشرة في بلاد الشام والأناضول وقلاع الإقطاعيين في أوربا.

التّحصينات مفرد تحصين و حصن ، يقال المكان أحصنه ، منعه وصانه ، بنى له حصنا ، قواه ، كما جاء في قوله تعالى " **لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنه** " [1] وهو مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه ، احتضنت القرية إذا بنيت حولها ، و حصنت المرأة حصنها إذا عفت عن الزّنا و قيل العرب حصونها ، وقد سميت العرب حصنا[2] . أما اصطلاحا فهي عبارة عن مجموعة من المنشآت

1- سورة الحشر ، الأية 14.

2- **ابن منظور** : لسان العرب ، علق عليه و وضع حواشيه علي الشيري ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع 1988 ، الجزء الثالث ، ص 209 . انظر كذلك : **ابراهيم انيس و آخرون** : المعجم الوسيط ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، اسطنبول ، المجلد الأول ، 1985 ، ص 180 . كذلك: **على نصير دكار**،"المعان اللغوية لبدة حصن وأحواضها "، مجلة الإنباء، العدد11، 1991 ، ص 17. كذلك: **لهيثم مقدم الأيوبي**، موضوع التحصينات، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، مطبعة المتوسط . المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت، 1977 ، الجزء الأول ص ص256 - 257. أ نظر كذلك - :

- **H . TERRASSE, « HISN** », Encyclopédie de l’Islam , Nouvelle Edition, T 3, LeydeE.J. Brille, G-P, Maisonneuve et La Rose SA, Paris, 1975, p 515

و الموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما و حمايته من الهجمات المعادية ، و هي بمفهوم أعم ، حماية المدينة و الدفاع عنها من الخطر الداهم أو الهجومات الخارجية عليها ، و بقاء المدينة وسلامتها أمر مرهون بمدى قوة هذه الاستحكامات و فعاليتها ، فضلا عن ذلك فإن تأمين السّكان و عمائرهم بعد تخطيط المدينة ضرورة يقرها الدّين و تقتضيها الشّريعة و هي من المقاصد الشّرعية للإسلام [1]

و التّحصينات نوعان أولهما التّحصينات الدّائمة أو الثّابتة و غالبا ما تبنى في وقت السّلم وتتمثل في الأسوار و المداخل والأبراج و المزاغل [2] و الخنادق . أما ثانيهما فهي التّحصينات الميدانية ، التي تقام حين تقرع طبول الحرب ، و هناك سببان رئيسيان لإقامة التّحصينات هما :

+ الاستفادة من قوة الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن إلى أقصى حد ممكن.
+ منع العدو من الاستفادة من إمكاناته لإحراز أي تفوق .

ويكون الحصن[3] على نوعين إما متصل على هيئة برج أو سور في قلعة أو مدينة أو قصرا أو منفصلا عن بقايا الثغور و المواقع الإستراتيجية و طرق القوافل [4].

إن المتصفح لتاريخ انشاء المدن الاسلامية ، يرى أن هم محدثها هو العمل على جلب سبل الرّاحة و الامان لهذه المدينة أو تلك ، فالرّاحة تتجلى بقرب الماء والكلأ و المينا و يهني ذلك تهيأة ضروف الحياة ، إلا أن كل هذا يبقى ضئيل مقارنة بالشّطر الثّاني و هو الأمان . لذا كانت فكرة تحصين المدن فكرة قديمة ، وعكســت نشأة المدينة أهمية التّحصين لحماية وجودها وتنمية عمرانها .

1- **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، سلسلة آداب الثقافة ، الكويت، 1988 ، ص 135 , كذلك انظر : **عبد الأحد السبتي**، **حليمة فرحات** . المدينة في العصر الوسيط، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار .البيضاء ، 1994 ، ص 15 ,

2- فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أ و الحصن أو البرج أو البوابة ، تطلق منها (Arrow slits): مزغل الرّماح و السّهام وغيرها من المقذوفات التي تطلق على المهاجمين، كما تستخدم أيضا للتهوية والإضاءة و المراقبة ، فهي ضيقة من الخارج و متسعة من الداخل . أنظر: د . **عاصم محمد رزق**، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ط1 ، مكتبة المدبولي ، القاهرة، 2000 .، ص277 .

3- **إبراهيم زكي خو رشيد و آخرون**،" الحصن"، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1996 ، ص398 .

4- **عبد الرحيم غالب** ، موسوعة العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ،الطبعة جرس برس ، بيروت، 1988 ، ص133 .

وكان الأمن [1] امرا أساسيا لنشأة و تطور أي مجتمع يريد الاستقرار و الرّقي ، وقد عكس ذلك بوضوح دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام قالى تعالى " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِير** "[2] .

فسبق الدّعاء بالأمان الدّعوة بطلب الرّزق سبقا يؤكد هذه الأهمية ، وعَكَسَ نشأة المدينة أهمية التّحصين لحماية وجودها وتنمية عمرانها و كيف ما كانت أسباب النّشأة [3].

انطلاقا من أهمية توفير الأمن،يعتبر هذا العامل الفاعل الواجب احداثه في هذه العمائر بتحصينها من الطّارقين ، و أعتبر السّور من المعايير الحضارية التي تميز المدن القديمة [4] ، كما أعتبر الإسلام بناء الأسوار و ما يدعمها من الأبراج وكذا و القلاع و الحصون و الأربطة من الوسائل التي تساعد على حفظ النّفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام . و من هنا صنّف الفقهاء هذا النّوع من العمارة (العسكرية) ، تصنيفا يضعها في إعداد البناء الواجب ، وقد حثّ الإسلام على القوة و الاستعداد لمواجهة الأعداء مصداقا لقوله تعالى " **وَ أَعِدُوا لَهُمْ مَا سْتَطَعْتُمْ مِن قُوَة وَ رِبَاط خَيْلٍ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ اَللهِ وَ عَدُوَكُمْ** "[5] و لبى المسلمون هذه الدّعوة سواء في حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم أو من بعده ، و كان توسع مدينة من غيرها راجع الى مدى إتقان التّحصينات المختلفة .

1- الأمن : الأمن ضد الخوف وهو عدم توقع مكربة في الزمن الآتي وعرفه الراغب في مفرداته بأنه " طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمان في الأصل المصادر" – أنظر - : د . **محفوظ ولد بيه عبد الله**،خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام ، الطبعة الأولى، الرياض ، 1999 ، ص ص19 - 23 . أنظر آذلك : **إبراهيم حركات** : المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان ، 1998 ص ص 259 - 266 .

2-سورة البقرة. الآية126 .

3 محمد عبد الستار عثمان : المرجع السابق، ص135 .

4 - نقصد بالمدن القديمة كل المدن التي انشأها الانسان من الأمد الى غاية نهاية القرون الوسطى اين ابتكرت اسلحة بإمكانها اختراق هذه التحصينات و بصفة خاصة ابتكار واستعمال المدافع في الحروب اين باتت الاسوار دون الحاجة التي أنشأت لشانها.

5- سورة ألانفال **الآية** 60 .

ان كل من جاء على ذكر بناء المدن الاسلامية اشترط في ذلك اختيار أحسن المواقع[1] ، و الاختيار هنا وضعت له شروط معينة تتوافق والحاجة الملّحة للإنسان ، فوجب أن يكون موقع الانشاء حصينا بطبيعته ، كأن يكون على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يصل إليها العدو إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة ، لذلك كان اختيار مواقع المدن في أماكن محصنة طبيعيا ، عادة في أماكن مرتفعة ، ليساعد على سهولة الدّفاع عن المدينة ، لكن ذلك لا يمنع من إقامة الأسوار حولها لتحقيق هذه الغاية تحقيقا سليما في ضوء الأساليب الدّفاعية والهجومية ، و آلات الحصار المستخدمة في العصور المختلفة ، حيث أن تخطيط الأسوار والقلاع والحصون والأبراج و تطوير هذا التّخطيط من فترة إلى أخرى كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بتطوير وسائل الدّفاع و الهجوم و أساليبها [2] .

هذا و تعتبر التّحصينات المبتكرة كالأسوار والخنادق و الأبواب من الخصائص العسكرية البارزة في مدينة العصر الوسيط عموما [3]، مما أعطى صورة تأهب دائمة للمواجهة بسبب طغيان هذه الجوانب الدّفاعية على كل في المدينة دفع البعض إلى نعتها كأنها في حالة دائمة من المواجهة ، وهي مستعدة على الدّوام للدّفاع [4] . و تتّضح الأهمية القصوى للأسوار في الحياة العسكرية للمدينة الإسلامية في وقت الحروب والهجمات الخارجية ، و إبان الصّراعات المحلية على السّلطة ، ولذلك تعتمد السّلطة السّياسية القائمة على بنائها أو ترميمها قبل الانصراف إلى الاهتمام بالمؤسّسات الدّينية نفسها .[5]

---

1 - **نذكر من هؤلاء : ابن خلدون** : العبر (المقدمة) : ص ص 617-619 - **ابن الربيع :** سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص152 - **ابن مرزوق التلمساني (محمد بن أحمد)** : المسند الصحيح في مآثر و محاسن مولانا ابو الحسن ، دراسة وتحقيق مريا خيسوس بيغيراء ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م .ص و كذلك **خالص الأشعب**: المدينة (العربية). التطور، الوظائف ، البيئة و التخطيط . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.بغداد .1982. ص 11 . و غيرهم .

2-**محمد عبد الستار عثمان:**، المرجع نفسه . ص 136 .

-3**J. HERRO**, La ville au Moyen Age en occident. Paysages Pouvoir et Conflits, Paris, 1990, p 322.

4 - **عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات :** المدينة الاسلامية في العصر الوسيط ، ط1 ،المركز الثقافي العربي، بيروت،1994 ،ص ص 15- 18.

5-**PH. GOURDIN** , Les Fortifications du Maghreb d'après les Sources écrites, La vision d'Ibn Khaldoun sites et Monuments disparus d'après les Témoignages des voyageurs , Textes Disparus d'apres

les témoignages des Yvette , Edition Réunis Par RIKA GYSE Leu Bures ; sur Civilisation duMoyen
Orient .1966 , P 27 ,

اولا - التحصينات الميدانية

1-الثغور

عرفت كلمة الثغر عدة معان منذ قديم الزمان وعدة دلالات في مصادر ومعاجم اللغة ، وذلك من خلال اشتقاقات كلمة الثغر ، فقد جاءت بمعنى إنبات الأسنان أو سقوطها عند ابن دريد فيقال ":**أثغر الغلام إذا نبتت ثغره، واثّغر إذا ألقى أسنانه**"[1] ، ويتفق معه ابن فارس حيث يقول ":**يقال ثُغر الصبي إذا سقطت .أسنانه، واثَّغَر إذا نبتت بعد السقوط وربما قالوا عند السقوط**"[2] وذكرت كلمة الثغر بمعنى الفم[3] ، ويفصل ويدقق ابن سيده أكثر في كلمة الثغر في كتابه المخصص عند وصفه لأعراض الأسنان من قبل نبتها فيقول " **الرتل وهو اتساق الأسنان واستواؤها، ثغر رتل ورِتل وامرأة رتلة الثغر** "[4] وعند اشتقاق كلمة الثغرة من الثغر فهي **"ثلم والثلمة..أي سددنا عليهم ثلم الجبل** "[5]، وأوردها الفيروز أبادي بمعنى **"ثلم والثلمةُ سدها**"[6]، في حين يقول ابن منظور " **ثغرتُ الجدار إذا هدمته** "[7] ومما تقدم يمكن استخلاص أن الثغر يعني الفراغ بين شقين يسهل سده وفي نفس الوقت يمكن العبور منه .

و قد أجمع علماء اللغة العربية على تعريف اصطلاحي موحد فهو عند ابن سيده "**موقع المخافة من**

1-**ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن** :كتاب جمهرة اللغة، تحقيق بعلبكي رمزي منير، دار العلم للملايين لبنان، ط1،ص421.

2-**ابن فارس بن زكريا أبو الحسين أحمد** :معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1 ، ص ص 378-379.

3-**ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي** :المحكم والمحيط الأعظم، تحقيقح إبراهيم الأبياري، معهد / المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة 1971 ، ،ط1 ، م 5 ،ص 371 . كذلك الفيروز أبادي الشيرازي محمد .الدين محمد بن يعقوب :القاموس المحيط، مطبعة بولاق مصر، ط 1 ،م 1 ، ص 379.

4- .**ابن سيده** :المخصص، دار الفكر، المجلد الأول، السفر الأول،ص 149

5-**ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري** :لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخر، دار المعارف، .بيروت،د.ت.، ط1 ، ص 486.

6- .**الفيروز أبادي** :المصدر نفسه،1 ط، ص 379.

7- .**ابن منظور** :المصدر نفسه،ط1 ، ص 487 .

فروج البلدان "[1]وعند الحموي فهو **"كل موضع قريب من أرض العدو"**،[2] وكذلك هو **"ما يلي دار الحرب** "عند الفيروز أبادي [3]. وقد عرفت الثّغور على أنها **"منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشّام والجزيرة لصدّ غزوات الرّوم** " [4] ، وذلك لشيوع استعمال مصطلح الثّغر عند المشارقة قبل استعماله في المغرب الإسلامي ، فهذه المناطق كانت موضع صراع بين المسلمين والرّوم البيزنطيين لكونها تقع على التّخوم من هذه الجهة أو تلك . وكانت عرضة لهجمات المرابطين والمحاربين [5]. وتعد المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية مركزا حساسا حيث تظهر أهميتها على الخصوص في القرن السابع الميلادي بداية ظهور الإسلام ، الذي قلب نظام العرب رأسا على عقب، فبعدما كانوا رعاة غنم أصبحوا هداة أمم، وهم الذين كانوا يعيشون بين شقي أكبر إمبراطوريتين في ذلك الوقت هما الفرس ودولة .الرّوم أو الدّولة البيزنطية [6] ، و وجود العرب بين دولتين عظيمتين أوجد نوعا من العلاقات السّياسية والاقتصادية بين مد وجزر خصوصا قبل مجيء الإسلام ، فقد كان من العرب من يوالي الرّوم وهم عرب الغساسنة ، حيث يتمركزون في الشّام وضواحيها ، ومنهم من يوالي الفرس وهم المناذرة حيث كانت أرضهم العراق، لكن الوضع اختلف بعد مجيء الإسلام ودخول كل عرب الجزيرة الإسلام. فقد جمع الإسلام كل العرب على كلمة واحدة وتحت راية واحدة. وطبيعة هذا الدين أنه عالمي، فكان لابد من أن ينتشر في جميع بقاع الدنيا فأرسلت الرسل إلى الحكام والملوك ثم كانت بعد ذلك الفتوحات وتوالت الانتصارات على قوى الشر والشرك. فكان انتصار المسلمين في يوم القادسية (16ھ / 632 م) بشارة خير للمسلمين ونقطة استدارة في التاريخ حيث عجلت بنهاية الإمبراطورية الساسانية في تلك المنطقة ": واعتبرت هذه المدينة ثغرا من ثغور العراق" [7]، وجاء بعد هذا الفتح فتح العراق ومن وراء العراق فارس كلها [8] .

1- .**ابن سيده** :المحكم والمحيط الأعظم،ط5 ، ص 285 .

2- **ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله** :معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ، بيروت،1410 هـ -1990 م ، ط1، م 2 ، ص 93 .

3 **الفيروز أبادي** :المصدر نفسه،م1 ، ص 379 .

4- دائرة المعارف الإسلامية :ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، دار المعرفة القاهرة،د.ت.، ط،6 ، ص 203 .

- .5 **حركات إبراهيم** :المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا والشرق، المغرب، ،1998، ص 122.

6- **ربيع محمد حسنين** :دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت،1995 ، ط1 ، م5 ، ص 59 .

7- **الحميري محمد بن عبد المنعم** :الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة .القاهرة،ب ت ، ط2 ، ص 448 .
8- **.كمال أحمد عادل** :القادسية ، دار النفائس ، لبنان ، 1409 هـ/ 1989 م ، ط1 ، م 9 ، ص10

ولقد اكتسب المسلمون قوة وعزة جعلت ما تبقى من قوى سياسية متاخمة لحدودهم تحسب لهم الحسابات، وكان من الضروري تعزيز النّظام الأمني خاصة من جهة الدّولة البيزنطية فقد اهتم الخلفاء الرّاشدون بإعداد الجيوش وتدريبها وتحصين المناطق حيث كانت الثّغور السّاحلية والبرية المجاورة أو المهدّدة بهجوماتهم تشمل حيزا كبيرا من التنّظيمات الأمنية [1] وكان من ضمن هذه التّنظيمات المدن الحصينة والتي حرص الخلفاء الرّاشدون على أن لا يولّونها إلا القواد الشّجعان والرّاغبين منهم في الجهاد و الحرب [2] ، وعندما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه (23 هـ - 634م / 35 هـ - 646م)[3] جمع لمعاوية الشام والجزيرة و ثغورهما، وقد كان العدو الأول والأخير للدّولة الإسلامية هو الروم وهذا بعد سقوط دولة الفرس، حيث كان الروم يتخيرون الأماكن بحيث تمركزوا في مدن السواحل، فكانت مصر أهم قاعدة للدولة الإسلامية بموانيها في عالم البحر المتوسط وفي تأمين الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام[4] وتظهر الإسكندرية [5] و دمياط من ثغور مصر الشمالية البحرية [6] واسوان [7]من ثغورها البرية الجنوبية [8] والملاحظ في المصادر التاريخية ، أن الثغور عرفت بأسماء معينة وميزات خاصة ، وذلك يرجع حسب موقعها الجغرافي المكاني أو بحسب وجودها للاتجاهات الأربع ، فمنها ما يطلق عليه ثغور المسلمين الشّامية[9] و منها الثغور الجزرية[10] ، غير أن ابن حوقل يميّز الثغور الشّامية عن

1- **حركات إبراهيم** :المرجع نفسه ، ص 272 .
2- **ياقوت الحموي** : نفس المصدر ، م2 ، ص 94 .
3- **البلاذري أحمد بن يحي بن جابر البغدادي** :فتوح البلدان،تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجاريةالكبرى بمصر، 1959 ، ص 167 .كذلك **ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي** :كتاب الأرض، دار مكتبة الحياة، .لبنان،1992 ، ط 2 ، ص 154 .
4- **ربيع محمد حسنين** : نفس المرجع ، ص ص 81-82 .
5- **الإسكندرية** : مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فليش فنسبت تعظيما لشخصه واعطاه اسمه ، وهي على ساحل البحرالمتوسط...والإسكندرية من عمالة مصر قاعدة من قواعدها ...وهي برية وبحرية .**الحميري** : نفس المصدر ، ص ص 54-56 .
6- **دمياط** :مدينة في البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهي ماء النيل .**الحميري** :المصدر نفسه ، ص257 .
7- **أسوان** :في الصعيد الآخرمن بلاد مصر ...وأسوان من ثغور النوبة إلا أنهم في أكثر الأوقات مهادنون انظر **الحميري** :المصدر نفسه ، ص 57
8- **عطية الله أحمد** :القاموس الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية، مصر،1383 هـ - 1963 ، ط1 ، ص 538 .
9- **البلاذري** : نفس المصدر ، ص 186 .
10- **البلاذري** :المصدر نفسه ،ص 187 كذلك ابن حوقل :المصدر نفسه،ص 154 .

الثغور الجزرية بجبل اللّكام[1] في حين نجد أن ابن قدامه يفصل أمر الثغور الشّرقية على ثلاث مستويات بأن جعلها برية أو بحرية أو برية بحرية بحسب تواجد الثغر، فيذكر أن الثغور البرية ما " **تلقاه بلاد العدو وتقاربه من جهة البر**" [2] و الثغور البحرية ما " **تلقاه وتواجهه من جهة البحر** " [3] أما الثغور البرية البحرية فهي " **الثغور المعروفة بالشّامية** "[4] وقد استمرت الفتوحات الإسلامية باتجاه الغرب حيث فتح المسلمون بعض مناطق إفريقيا وخاصة السّاحلية منها تتبعا لتواجد الرّوم ومراكزه المحصنة بها،فكانت القيروان أول ثغر من ثغور الغرب التي اختطَّها المسلمون واستقروا بها عام (55 هـ/ 666 م) تحت قيادة الفاتح عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي بنى القيروان وجعلها منها قاعدة انطلاق حيث " **افتتح ما خلفها حتى بلغ تونس** "[5]. وهبت على الدّولة الإسلامية رياح الفتن حيث انشقت عصا وحدة المسلمين بين مؤيد للخلافة الأموية وبين معارض لها، ومؤيد لحكم عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، فتوقفت الفتوحات الإسلامية إلى أن استقر أمر المسلمين تحت الخلافة الأموية في الفرع المرواني، حيث " **تفرغ عبد الملك والوليد وأصبح ثغر إفريقية أهم الثّغور، فدعا موسى بن نصير ...وعقد له في سنة 78 هـ على إفريقيا وما خلفها**"[6] فقد قام موسى بن نصير " **يتتبع الرّوم في مراكزهم وتصفية بقايا قلاعهم** " [7] و كان " **ساحل البحر كله للرّوم** " [8] واستمر كذلك في متابعة قبائل البربر في المناطق الدّاخلية حتى بلغ طنجة[9] غربا، وهي" **قصبة بلاد البربر وأم قراهم فافتتحها واختطها قيروانا للمسلين...سنة 89 هـ**"[10].

1- **جبل اللكام**:بالضم وتشديد الكاف...وهو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسون ، انظر ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، م 5 ، ص 25 .
2- **ابي الفرج قدامة بن جعفر – الكاتب البغدادي** : الخراج وصنعة الكتابة ، مكتبة المثنى بغداد ، د.ت .ط 1، ص 253 .
3- **ابن قدامه** : نفس المصدر ، ص 253 .
4- نفس المصدر السابق . ص 253.
5- مؤلف مجهول :كتاب أخبار مجموعة ، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر ، 1989 ، ص 95.
6- نفس المصدر السابق ، ص 96 .
7- **موسى لقبال** :المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، 3، ص 127.
8- **ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري** : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط قطعة صلة السمط وسمة المرط للمؤرخ التونسي محمد بن علي بن محمد بن الشباط .تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1971م، ص 42 .

9- **طنجة** :مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر ...وطنجة آخر حدود إفريقيا من المغرب ، ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألف ميل انظر **الحميري** :المصدر نفسه ، ص 395 .

10- مؤلف مجهول :المصدر نفسه ، ص 96 وذكر الحميري أن ذلك كان عام 88 ه، ينظر الروض المعطار،ص396 .

و على هذه لا يمكن القول بأن القصور الصحراوية في توات كانت يوما ما ثغورا او ان اصل انشائها كان لهذه الغاية و هي الدفاع على ارض المسلمين .

2 - الحصن والقلعة :

عرفت الحضارات الإنسانية القديمة الحصون والقلاع، وهناك العديد من الآثار الدالة على ذلك العطاء الإنساني، فقد عرفها العرب فيما قبل الإسلام كما عرفها غيرهم من الأمم القديمة، لكن زاد الاهتمام بالحصون والقلاع في فترة العصور الوسطى، وخاصة ما كان منها في مثلث العالم القديم، وهو المعروف اصطلاحًا بـ(الشرق الأدنى) الذي هو اليوم الشرق الأوسط، وخاصة ما كان منها في بلاد الشام وإيران، وقد كان بناء الحصون والقلاع على نمطين زمانًا ومكانًا، فالنمط الأول: هو ما كان دفاعيًا وهجوميًا سواء منه الإسلامي، أو غير الإسلامي. أما النمط الثاني: فقد كان في أصول نشأته دفاعيًا لتحقيق الأمن لساكنيه، وهذا النمط يعود إلى طائفة الحشاشين الإسماعيلية[1]، فقد كانت جميع قلاعها دفاعية وأمنية، وقد انتشرت من إيران إلى بلاد الشام، حتى عرفت دولة هذه الطائفة بـ(دولة القلاع) كما سماها القلقشندي[2] .

و قد عرَّف ابن منظور في كتابه لسان العرب القلعة بأنها "**الحصن الممتنع في جبل، جمعها قِلاعٌ وقِلَعٌ وقُلُوعٌ**"[3] ، والقلْعة بسكون اللام هي الحصن المشرف، وقد جاء تعريفها في موسوعة الحضارة العربية الاسلامية بأنها"**حصن منيع يشيد في موقع يصعب الوصول إليه، وغالبًا ما يكون مشيدًا على قمة جبل أو مشرفًا على بحر، وقد وجد بعضها قائمًا على أرض منبسطة، وكانت القلاع والحصون عند العرب وغيرهم تؤدي دور البيت، بما تحتوي عليه من غذاء وماء ومستلزمات العيش والدفاع لساكنيها**" [4] وفي الموسوعة العسكرية جاء تعريف القلعة بأنها

1- طائفة الحشاشين الاسماعيلية النزارية ، انفصلت عن الفاطميين ، و كانت تدعو الى امامة نزار مصطفى لدين الله . وقد ازدهرت بين القرنين 5 و 7 هـ و كانت بدايتها في بلاد فارس على يد امامهم الأول الحسن الصباح الذي اتخذ من قلعة ال موت مقرا لدعوته و قد اشتهرت بالعديد من الاغتيالات و كانت كثيرا ما تهدد الانظمة الحاكمة في بلاد فارس و الشام واستمرت كذلك الى ان قضى عليهم هولاكو في بلاد فارس والظاهر بيرس في بلاد الشام للمزيد راجع **ابن كثير** : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن لبتركي ، هجر للطباعة والنشر . ط1 . 1998م.ص 641. كذلك **مصطفى غالب** : تاريخ الدولة الاسماعيلية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1965 ، ص 65.

2- **القلشندي أبو العباس أحمد** : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1340هـ /1922م ، ص189.

3- **ابن منظور** : نفس المصدر ، ص 514.
4- موسوعة الحضارة العربية الاسلامية : اللواء جمال محفوظ واخرون ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص 234.

" **الحصن**"، وهي مشتقة من الكلمة الإسبانية التي أخذها العرب من الإسبان ، عندما أطلقوا على شبه الجزيرة الأيبرية ، التي تضم البرتغال وإسبانيا اسم (القلاع)، فالكلمة الإسبانية Al Cala هي في أصلها لفظة عربية ، و هنا فالدلالة اللّفظية للحصن والقلعة واحدة، ولا يختلف كلاهما عن الغرض الذي من أجله تم بناء القلعة . والقلاع في نظام البناء على ثلاثة أنواع، إما أن تكون على جبل أو هضبة ، أو مخندقة وحولها ماء، أو ما يجمع بين الخندقة والارتفاع، مثل قلعة حلب التي كان يحيط بها نهر قويق" [1] (صورة 10) .

لكن أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية الدكتورة سعاد ماهر ترى غير ذلك في كتابها العمارة الاسلامية على مرّ العصور ، فقد أشارت إلى الخلط اللّفظي والاصطلاحي، الذي وقعت فيه المعاجم العربية في قديمها وحديثها ، حول مسألة تعريف كل من الحصن والقلعة ، وأن هذا الخلط قد وقعت فيه دوائر المعارف الأوروبية ، عندما استعانت بالمعاجم العربية و الإسلامية في التّعريف الاصطلاحي لكل من الحصن والقلعة ، في حين قد عرفت كلا الاصطلاحين بما يلي :
الحصن : هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية ، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصنها، ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو من خارجها، ومن ثم فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم (الحصون) ، مثل: أسوار بغداد والقيروان والمدينة المنورة ودمشق، والدرعية وغيرها من المدن، وإلى اليوم، فإن الكثير من المدن تحتفظ بأسوارها مثل دمشق والمدن العثمانية والعمانية، والأسوار التي تتحصن المدن بها تتميز عن غيرها بعلوّها ومتانتها، وذلك بهدف الغرض من بنائها. وقد حدثنا القرآن الكريم في سورة الحشر عن خروج بني النضير من ديارهم في المدينة، ثم من حصونهم في خيبر، قال تعالى ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ [3] .

1- الموسوعة العسكرية : رئيس التحرير المقدم الهيثم الايوبي و أخرون ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1987 ، ص354.
2- سعاد ماهر : العمارة الاسلامية على مر العصور ، دار البيان العربي ، جدة ، 1985 ، ص 167.
3- سورة الحشر ، الآية 1.

فمن حصونهم خرجوا إلى الشّام، ولهذا فكل حصن يكون حصنًا و قلعة و ليس العكس. أما القلعة فهي استحكام حربي يبني في منطقة إستراتيجية كالجبل والتل أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار، فهي قاصرة على المراقبة والدفاع ضد أي عدوان خارجي، فمكوناتها هي مكونات الحصن في البناء، وكلا البناءين يخدمان الغرض في مسألة الدفاع وصد أي هجوم خارجي، والقلعة بوصفها بناءا حربيًا فإن كل ساكنيها عسكريون (شكل 2)، بخلاف الحصن الذي يجلس فيه الحاكم ومن معه من رعيته، ليتحول إلى مدينة صغيرة فيها المسجد وقصر الحكم وغير ذلك من المرافق الخدمية .[1] كان هذا ما ذهبت إليه الدكتورة سعاد ماهر، في بيان الفرق بين الحصن والقلعة، في الدلالة الاصطلاحية والغرضية لكل منهما، في دورهما المباشر في الأعمال الحربية والعسكرية .
وبعد هذا التعريف ، فإن الغرض الحربي والعسكري لكليهما هو واحد يتمثل في تحقيق الأهداف التي تم البناء من أجلها . واذا اعتمدنا هذا التعريف كمرجع أساسيا في اعادة تسمية المدن المحاطة بأسوار فهي اذن كلها حصون شأنها شأن القصور الصّحراوية بأقليم توات ، و لكن اذا ما قارناّ بين تسمية القصر و تسمية الحصن فربما تكون هذه الأخيرة أقرب كثيرا من الأولى خاصة من الجانب اللّغوي فهناك فرق شاسع بين الحصن و القصر أما فيما يخص القلاع فلا أظن انها بنيت بالصّيغة المرجوة بأقليم توات[2] .

3 - الأربطة :

حفلت الحضارة الإسلامية بالكثير من العمائر التي انفرد وتميز بها المجتمع الإسلامي دون غيره من المجتمعات البشرية عبر العصور، واستمدت هذه العمائر مقومات وجودها و ازدهارها من طابع الرّحمة والصّفاء النّفسي والرّوحي الذي اتّصفت به شريعة الإسلام ، و من هذه العمائر الاربطة و الزّوايا و غيرها ، وكلها عمائر و منشآت روحية لم يعرفها العالم إلا في المدن الإسلامية ، وقد ظهرت هذه المنشآت منذ القرن الأول للهجرة ، و انتشرت في شرق العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري .

1- سعاد ماهر ، نفس المرجع ، ص 168.

2- تخضع القلاع والحصون الى نظام يحكمها فعند المسلمون يعين حاكما للقلعة يسمى دزدارا يعينه السلطان ، و هو حافظ القلعة و صاحبها يعينه في مهامهة مجمعة من العسكر والاداريين ، وينوبه نائب القلعة و الذي يعين بأمر سلطاني من مهماته تعيين قارع الطبل ، و يقوم حاكم القلعة بتعيين ولاة القلعة وهم المشرفون على ابواب القلعة ويوضع تحت امرتهم قائدان يأخ الأول اسم والي باب القلعة ، يوضع تحت تصرفه 10 جنود والثاني يدعى نقيب القلعة يوضع هو كذلك تحت امرته 10 حراس ، و نجد كذلك منصب امين القلعة و مهمته الكشف و تفقد احوال القلعة و ماتحتاج اليه ، ثم يأتي وكيل القلعة و هو

الذي ينوب عن والي القلعة ببعض الاعمال ، واخيرا ناظر القلعة و هو صاحب الاشراف على اعمال بناء المهندسين ، وغالبا ما يكون هو نفسه مهندسا . اما في القصور الصحراوية فنجد شيخ القصر الذي تختاره جماعة القصر دون غيرها .و هذا كذلك اختلاف بينهما .

و أول هذه المنشآت ظهورا هو الرّباط ، و جاء تأسيسه في أول الأمر كمنشأة عسكرية ، واخذ اسمه من المرابطة في سبيل الله ، و منه سميت دعوة المرابطين ودولتهم ، وسميت مدينة الرباط في المغرب ، التي كانت على حدود الدولة الإسلامية ، وكانت مأوى للمجاهدين في سبيل الله و المرابطين على حدود الدولة.

أثناء تدهور الحالة الأمنية تعمل الدول على انشاء اربطة لحماية حدودها و طرق قوافلها ومدنها بالتأكيد و كل هذه دوافع كافية لانشاء هذه المنشئات مصداقا لقوله تعالى " **و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة و رباط خيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** "[1] و قوله " **يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون** "[2] . جاء في لسان العرب رَبط الشيء بربطه فهو مَربوط ورَبيط و الرباط ما ربُط به و الجمع رُبط ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو و اصلها ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا ، والرباط المواظبة على الأمر و رباط خيل مفردها رباط ، 'مرابطة '، و تجمع على ' ربط' و رابطو و أربطة و رباطات ، أي التّمركز على الثّغور و الاقامة على جهاد العدوّ بالحرب ، و رباط الخيل و اعدادها ، العمل على مراقبة العدو و الصدام مع مفارزه المتقدمة ، الرباط واحد الرباطات المبنية[3] و قد عرف منذ صدر الاسلام ، ويعني تركز المقاتل (المرابط) على الحد الفاصل بين دار السلام و دار الحرب ، اذ منذ الفتوحات الاسلامية كانت الثغور المنتشرة على خطوط التماس بين الدولة الاسلامية و الدول المجاورة .

اما في المغرب الاسلامي فظهرت الرُّبط كمؤسسة دينيّة و حربيّة في صورتها المعروفة منذ اواخر القرن الثّاني الهجري ، لتأخذ معنى الثّغر ، ورغم التّشابه بين المصطلحين الا ان الثّغر استخدم عادة في المشرق و الرّباط بالمغرب ، فالأربطة ظهرت كمنشآت حربية الهدف منها الدّفاع عن الثّغور الإسلامية في مواجهة أي اعتداءات من قبل أعداء الإسلام ، و قد عرفت بلاد ما وراء النّهرين بخارى وسمرقند عدد لا يقل عن 10.000 رباط و على سواحل الشّام في طرسوس و قسّارية و عتليت و يافا وعسقلان و غزة[4] ومازال إلى يومنا هذا بتونس اثنان من هذه الأربطة

1- **سورة الأنفال** . الآية 60.
2- **سورة آل عمران** . الآية 199.
3- **ابن منظور** ، نفس المصدر ، م3 . ص 119.
4- **بلبع محمد توفيق** : الرباط والمرابطة في الاسلام ، مجلة الحرس الوطني ، 1407هـ . 1987 م . ص56.

الأول رباط المنستير(صورة 11)، الذي شيده الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة 180ه - 796م بأمر من الخليفة العباسي هارون الرشيد لرد هجمات الاسطول البيزنطي ، والرّباط الثّاني هو رباط سوسة على خليج قابس في شمال أفريقيا والذي أسس سنة 206هـ - 821م . و قد عرف المجتمع الاسلامي انواعا مختلفة من الربط و التي انتشرت في اغلب الدول الاسلامية ، وتوضح رحلة ابن بطوطة (703ه-704ه) مدى انتشارها ، حيث نزل في ربط مصر ، مكة المكرمة ، واسط ، اصفهان و نينوى فكانت عادة ربط للمتصوفة و للفقراء و الصالحين ودورا للعلم وبيوتا للعسكرية و دور استقبال للحجاج و دور رعاية اجتماعية مراكز دين واشعاع حضاري و قد ذكر هذا الرحالة ان منها من يسع لآلاف من المرتادين [1] ، كذلك و ما بني في المغرب من ربط رباط تازة ورباط واد ماسة ورباط سلا و مراغة واصيلة و رباط نفيس [2] ، وقد كان لرباط السينغال الدور المهم قبيل انشاء دولة المرابطين خلال منتصف القرن الخامس الى السادس الهجري بحيث كان مدرسة ومعبدا و مكانا للجهاد و كان نواة الدولة التي لعبت دورا هام في التاريخ الأسلامي وتاريخ المغرب و الاندلس معا .[3]. و الرّباط عبارة عن ثكنة تأخذ الشكل المستطيل ، تزود بأبراج في الأركان ، تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية دون نوافذ و يلحق به مسجد صغير [4] الموزعة حوله و من طبقات تعلو جوانبه ، تنتهي بجامع و صومعة تستخدم للآذان و برج للمراقبة تجنبا لغدر العدو كما يستخدم ايضا للإتصال بين الأربطة بواسطة المرايا العاكسة و النّار ليلا [5] . وقد أدى توقف حركة الفتوحات الإسلامية إلى تقلّص دور الأربطة، وزاد في هذا تغير نمط الجيوش الإسلامية، وهو ما أدى إلى تغير وظيفة الأربطة، وفقدها لطابعها الحربي، وصارت لها وظائف متعددة، حيث تغلبت عليها الصفة الدينية وحدها، ومع انتشار التّصوف تحولت إلى دور للصوفية ما جعل مصطلح رباط مرادفا لمصطلحي خانقاه وزاوية . وهكذا تبدلت

1- **ابن بطوطة شرف الدين ابو عبد الله محمد** : تحفة النظار في غرائب الأمصار ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1967م ، ص 358.

2- **مصطفى صالح لمعي** : التراث المعماري الاسلامي في مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1404هـ ، ص 25 .

3- **ابراهيم على الجمل** : الامام عبد الله بن ياسين ، دار الاصلاح للطبع والنشر و التوزيع ، الدمام ، ، د ت ، ص 80.

4- **غربال محمد شفيق** : الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة للطبع والنشر ، بيروت ، 1981. ص 861.

5- للمزيد عن هذا الموضوع راجع : **ابن العذارى** . البيان .ج1.ص ص 88-89. **السراج** : الحلل السندسية . ج2. ص297. **التجاني** : الرحلة التجانية . ص ص108 – 109 – 113 . **الخولي أمين** : الجندية . ص ص.60-61. كذلك **بلغيث محمد امين** : الربط بالمغرب الاسلامي ص ص 34-35.

الأمور، وغدت الأربطة تقام في الأماكن العامرة ، بعد أن كانت تقام في أطراف المدن وعلى حدود الدّولة، وصارت ملاجئ مستديمة لفريق من النّاس يستحقون الرّعاية، وبخاصة أصحاب العاهات وكبار السّن والعميان، وقد ذكر المقريزي أن سلطان المماليك الظاهر بيبرس بنى رباط خصصه لمن قعد بهم الوقت ، ويقول ابن الفوطي عن رباط الشيخ محمد السّكران في العراق أنه كان مأوى للمسافرين والمحتاجين ، وكانت له قواعد معينة في توزيع المال والطعام على الفقراء كل عام .

ب- التّحصينات الثّابتة

يقصد بالتّحصينات الثابتة هي تلك المنشئات العسكرية التي من شأنها رفع مناعة المدينة او الحصن ، وفي هذه الدّراسة سوف نستعرض اهم الوسائل الدّفاعية التي استخدمها المسلمون لتحصين مدنهم إلى جانب توضيح بعض الابتكارات المعمارية و التّقنية الحربيةالاسلامية .

1- الخنادق

الخندق أو الحفير هو نوع من المنشآت التي تُنشأ لتحصين المستوطن[1] ، والحفير هو الخندق خاصة الخندق الذي يحيط بحصن ما ، لقد عرف الخندق كعنصر معماري أساسي في العمارة الاسلامية منذ عهد مبكر في الاسلام ، أي منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم حين امر بحفر خندق للمدينة المنورة قصد تحصينها من المشركين في غزوة الأحزاب (الخندق) [2]

---

1 - **ابن الرامي :** الاعلان بأحكام البناء تحقيق محمد عبد الستار عثمان .دراسة أثرية معمارية . الإسكندرية . 2002. ص 161 ، كما ان هناك عدة دلالات لمصطلح الحفير فهو الحوض أو خزان ماء صغير على شكل حوض و هو أيضا البئر الموسعة فوق قدرها و الحفير هو القبر(المعجم الوسيط ج1 ص ص 184-185، وقد قال أحد الشعراء العرب في هذا الموضع : **و لا تحسبن الخندق المحفورا ++ يدفع عنك القدر المقدورا .** كناية للتّحصن .

2 - في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وقعت غزوة الأحزاب ، والتي عرفت بغزوة الخندق ، وهذا بمناسبة الخندق الذي حفره الرسول والمسلمين بالمدينة المنورة في الجهة الشمالية تحصينا لها ، وقد حفر اربعون ذراعا في العمق على طول 12000ذراع ، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتحصين المنازل التي هي بقرب الخندق ، و فكرة الخندق جاءت من عند الصّحابي الجليل سلمان الفارسي التي أشار بها على الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا **" يا رسول الله ، انا كنا بأرض فارس اذا حوصرنا خندقنا علينا "** و كانت بذلك أول ظهور للعمارة الاسلامية الدّفاعية للمزيد **خالد عزب :**

فقه العمارة الاسلامية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط1 ، 1997 ، ص 96 . كذلك **عبد اللطيف عاشور** : غزوات الرسول(ص) . مكتبة الرحاب . بور سعيد . الجزائر . 1963 . ص 29 – 30 .

حيث منذ ذلك الحين بات يستعان به كعنصر دفاعي لتحصين مدن المسلمين. حيث تحصنت به مدن عدة كدمشق خلال القرن السّادس الهجري [1]، القاهرة اثناء حكم الفاطميين و الفسطاط في العهد الأيوبي[2] ، كما عرفته العديد من القصور الصّحراوية ، كقصر تماسين بورقلة ، المنيعة بغرداية ، و عين ماضي بالأغواط[3] و جل قصور و قصبات تّوات[4].

و الخنادق تعتبر احد الأساليب المعمارية لتحكيم الأرض [5]، و عادة ما يكون محفورا بأعماق مختلفة تتجاوز المترين كأقل تقدير ،بحيث يصعب على من يسقط فيه تسلقه ، و كذا لا يقل عرضه على اربعة أمتار ا وان لا تترك بينه وبين سور القصر مساحة حتى لا يستطيع المهاجمون قفزه و لو كانوا على صهوة أحصنتهم ، و كل هذا لتأمين و حماية أكبر للموقع المراد الدّفاع عنه ، و كذا تعطيل وتيرة الهجوم و دفعها الى التباطؤ و ترك المهاجمين في مرمى سهل المنال بأن تصيبهم نبال و حراب المدافعين . و قد تتخذ الخنادق أشكالا عدة [6] ، و لكنها تأخذ عادة شكل السّور المحيط ، و بالطبع مراعاة تضاريس الموضع ، و ليس بالضّرورة أن يحيط الخندق بجميع جهاته بل يمكن أن ينشأ فقط بجوار المناطق الضّعيفة حتى يرفع من دعامتها و مقاومتها . و عادة ما يملأ بالمياه خاصة في المناطق التي يتوفر فيها هذا العنصر الهام كمناطق شط ملغيغ و اقليم التوات مثلا، أين تصعد المياه الى السّطح دون عناء ، او أن تشعل فيه النّيران أوقات الحروب ، او يملأ بالعصي المسنّنة و الأشواك حتى يكون حاجزا و يمنع من يريد تجاوزه .

1- **محمد عبد الستار** : المرجع السابق ، ص 136 . انظر كذلك **عبد الأحد السبتي** ، **حليمة فرحات** : المدينة في العصر الوسيط ، 1994، ص 15.
2- **حسن الباشا** : مدخل الى الآثار الاسلامية . القاهرة . 1979 . ص 186 – 187 .
3- **علي حملاوي** : قصور منطقة جبال العمور . دراسة تحليلية أثرية لنيل شهادة الدكتوراه في الأثار الاسلامية , الجزائر .2000. ص 173 .
4- **عليق نابت (ر)** : نفس المرجع ، ص 65 .
5- نقصد بتحكيم الأرض هو اتخاذ و استغلال الموضع الأساسي للمدينة أو القصر كأول نقطة دفاع عن هذه المدينة ، كما ذكر بن خلدون"...**و ان يكون ذلك في ممتنع من الأمكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل ، و اما باستدارة بحر او نهر بها ... فيصعب منالها عن اعدو و يتضاعف امتناعها وحصنها**" فعوض النهر بالخندق خاصة في المدن الداخلية أو الصحراوية . للمزيد حول هذا الموضوع انظر **ابن خلدون** : ديوان العبر..،ج2، ص 217. كذلك **عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات: المرجع السابق**، ص15 .
6- **الموسوعة العسكرية** . ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ساقية الجنزير ، بيروت ، 1990 ، ص 173-176 .

2- الأسوار:

السّور [1]هو نوع من التّحصينات الدّفاعية يلي الخندق مباشرة(شكل 1)، يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري يحيط بالمدينة أو القلعة و يمتد على حدود المدينة ، و الأصل فيه أن المواد الناتجة عن انشاء الحفير من تراب وحجارة تُكون دروة ترابية تحيط بالمكان المراد حمايته ، و فتحت في نهايتها العليا فتحات أو ما يشبه الشّرفات بغرض الرّؤية و الحماية و تسديد الضّربات من طرف المدافعين (صورة 12)، و قد كانت هذه الفتحات على مسافات منتظمة و محسوبة هي البداية في انشاء الأسوار التي أنشئت فيما بعد بالطّوب أو الآجر أو الحجارة[2].

و تعتبر الأسوار من أهم التّحصينات الحربية على الإطلاق سواء على مستوى المدن أو العمائر فهي تعتبر خط الدّفاع الأول[3] و قد اشترط ابن الرّبيع كذلك وجوب وجود الأسوار لحماية السّكان من الأعداء و كذا يعين اهلها على المقاومة والدّفاع[4] . جمعه أسوار وسيران والسّور بالضَم حائط المدينة المشتمل عليها ، قال تعالى: " **فضربنا عليهم بسور له باب** " [5]، و السّور هو الحائط الضّخم في السّمك و الارتفاع وقد ذكره ابن الرامي في إطار تحصين المستوطن من العدو و اللّصوص ، و ذكره من بين المنشآت الحربية التي تنشأ لهذا الغرض [6] . و قد اهتم الإنسان بإحاطة منشآته ومدنه بأسوار منذ القدم فوجدت في كل الحضارات التي ظهرت عبر التّاريخ مثل بابل و روما و بيزنطا ، ولما بنى المسلمون أول مدنهم لم يحيطوها بأسوار

1- شكل تحصيني يحيط بالمدن والقلاع ، اخذت اشكالا بدائية في الفترات الأولى للأسلام ، لتتطور بشكل فعال في العهد العباسي في المشرق والمغرب و كانت بغداد اول مدينة تحاط بأسوار مزودة بأبراج مراقبة ، انظر القزويني ، المصدر السابق ، ص ص 7-8. كذلك : **صبحي الصالح** : النظم الاسلامية نشأتها و تطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1965 ،ص504.

2- **ابن الرامي :** الإعلان بأحكام البنيان، **ص 161 .**

3- **الأيوبي مقدم هيثم:** مقال الأسوار،الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسةالعربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1990 ص. 458 أنظر كذلك:

- **A. NORTHEDGE** , « SUR », Encyclopédie de l'islam , Nouvelle Edition, T 9, Leiden, Brill, 1998, p 917.

4- **ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد)** : سلوك المالك في تدبير الممالك .. ص152.

5 - سورة الحديد الآية 3 .

6- **ابن الرامي** : نفس المرجع . ص193 . كذلك ذكر ابن خلدون في هذا الباب قائلا " ...فأما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار...". العبر.ج2.ص617

كمدينة البصرة[1] مثلا كونها أقيمت بعفوية و لسبب ظروف متعددة منها طول المرابطة بموقعها ، واسط[2] و الفسطاط [3]. و السّور عند العرب حائط المدينة ، و هو أشرف الحيطان [4] ، إذ أنه يحمي المدافعين و يرفع من عزيمتهم ويخفف من قوة المهاجم و ينقص من همته ، كما استخدم السّور لمراقبة الوافدين على المدينة من الغرباء و الدّخول الى حاضرتها .

لقد عُرفت الأسوار منذ القدم بشكلها الميداني و الثّابت أو الدّائم [5] ، و كان السّور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب ، أما الأسوار الثّابتة فكانت تقام في زمن السّلم وهي أقوي من الأسوار الميدانية وأكثر منها إتقانا ، وقدرتها على تلبية مستلزمات المعركة [6] لذلك اهتم المسلمون بإحاطة مدنهم بالأسوار المنيعة لتكون درعا واقيا لها . و قد هذه المنشئات عبر التاريخ أشكالا مختلفة منها المستطيلة و البيضاوية ،و مرد ذلك الاساس كونها تعد رسما حدوديا للفراغ

---

1 – - **مدينة البصرة :** و هي باكورة المدن الاسلامية انشأت بطريقة عفوية سنة 14هـ-630م بدون تخطيط و دون امر الخليفة عمر بن الخطاب و ذلك بأن استبدلت العرب (الجنود) خيامهم التي ضربوها اثناء الفتح بمنازل من اللّبن الطّيني .انظر : **البلاذري** أحمد بن يحي بن جابر : فتوح البلدان ،تحقيق رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، 1959، ص 285. و **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، ج7، ص 295 .

2**مدينة واسط :** مؤسسها هو الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 83هـ-703م و جعلها عاصمة العراق في ذلك الوقت و مقر جنده من اهل الشام ، و قد اسست على شاكلة الكوفة و البصرة و هذا بأن تتوسط دار الامارة والجامع مركز المدينة وان تفرق قطائع الأرض على الجند حسب الفرق و القبائل . انظر **اليعقوبي** ، كتاب البلدان ، ص ص 2الى 20 .

3 - **الفسطاط :** تعتبر أول مدينة اسلامية بناه الفاتحون المسلون لبلاد النيل مصر و هذا سنة 20هـ-624م في فضاء مجاور لمدينة بابليون التاريخية على ضفاف النيل. و باتت فيا بعد مركزا تجاريا هاما و جزءا من مدينة القاهرة لاحقا . و من اقدم المصادر التي تكلمت عن الفسطاط لصاحبه ابن عبد الحكم المتوفي 257هـ-870م بعنوان "فتوح مصر واخبارها"، انظر **المقريزي** : الخطط...، ص 342. **بطرس البستاني**: دائرة المعارف، قاموس عام لكل عام و مطلب ، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1983 ، المجلد السابع ، ص91 .

4- **ابن منظور:** المصدر السابق، الجزء السادس، ص427 .

5 - **يحي وزيري حسين** : العمارة الاسلامية الحربية و تأثيرها على العمارة المعاصرة ، مجلة عالم البناء ، تصدر عن جمعية احياء التراث التخطيطي و المعماري ، العدد 62 ، أكتوبر 1985 ، ص 17 . للمزيد انظر :

PH. GOURDIN , Les Fortifications du Maghreb d’après les Sources écrites, La vision d’Ibn khaldoune, Sites et Monuments disparus d’après les Témoignages des voyageurs, Textes Disparus d’après les témoignages des Yvette, Edition Réunis, PARRIKA GYSE Leu Bures, sur Civilisation du Moyen Orient, 1996, p 27.

-J. HERRO, La ville au Moyen Age en occident. Paysages Pouvoir et Conflits, Paris, 1990, p 322.

6 - د **.مقدم هيثم الأيوبي** : مقال السور ، الموسوعة العسكرية ،الطبعة الثانية ،فارس للنشر و التوزيع ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ج4 ، 1990 ، ص259 .

المراد تعميره [1]، بحيث يبدء في تشكيلها أولاً ثم يليها بقية المباني ، و قد اتخذت في مصر و الشّام شكلا منتظما بينما تتعرّج و تتثنّى في المغرب و الأندلس [2] ، و قد استحدث هذا التّعرج لغاية واضحة وهي الرّفع من مناعة المدينة ذلك نجد أنهم عمدوا إلى الإكثار من الزّوايا الدّاخلية والخارجية بالسّور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرّجة منكسرة و ميزة هذا النّظام أنه يقلل من حدة تدفق جند العدو و يتركهم يتفرقون و عند توغلهم داخل المدينة يندفعون عليهم من أعلى الأسوار و الدّروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا وقد كان هذا الابتكار في عهد المرابطين [3] . و على هذه الشاكلة أصبح السّور خطا دفاعيا متكاملا ، وحتى يستطيع هذا الخط الدّفاعي أن يحقق مهمته بكفاءة كان لابد من سهولة تزويده بما يحتاج إليه من العتاد ، و تقوية سواء بمواد بناء قوية و مقاومة كالحجارة مثلا أو تدعيمه بأبراج تعمل على انقاص و اضعاف شدة و حدة الهجوم القاضي بنقب السّور و اختراقه ، و كان كذلك لابد من سهولة الاتّصال بين الجند المدافعين عنه

1- **بن يوسف ابراهيم :** اشكالية العمران في التوسع الاسلامي ، مطبعة ابو داود ، الجزائر 1992 ، ص 84 . في هذا الصدد يقول الفرسطائي " قوم ارادوا ان يبنوا قصرا فيما بينهم ، خواص كانوا او عامة ، و قد اشتركوا في الأرض التي ارادوا ان يبنوا فيها ؟ قال : يبنون حائط قصرهم على قدر ما لكل واحد منهم من الأرض ، فيكون حائط السور بينهم على قدر سهامهم من الأرض..." انظر **الفرسطائي** : القسمة...، ص 192 .

2- الانتظام في انشاء الأسوار في مصر والشام و العراق يمكن ارجاعه الى طريقة انشاء المسلمين مدنهم المبكرة التي كانت تتوضع على اراضي منبسطة كالبصرة و واسط والتي كانت تفتقد الى الأسوار في باده امرها ، حيث بعد ثلاث سنوات من نشوء البصرة أي سنة 17هـ- 638 م امر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اثر معركة القادسية سعد بن ابي وقاس ان ينتقل من المدائن وينزل الكوفة و يذكر البلاذري ان سعدا لما بلغ موقعها أي البصرة امر جنديا من جنوده ان يرمي باربعة اسهم في مهب القبلة والصبا والشمال والجنوب ، و اعلم عن مواقع هاته الأسهم ثم بني المسجد ودار الامارة في موقع الرمي و اقطعت الأراضي بين القبائل ويذكر ياقوت الحموي بان شكلها كان مستديرا . كما انتشرت المدن المدورة او الشبيهة بالمدورة في الشام أكثر من غيرها في البلاد بسبب مكان توضعها كما انها كانت تحاط بأسوار دائرية او بيضوية كمدينة تل دوير و اريحا التي تعود كلها الى الألف الثالثة قبل الميلاد و مدينة قادش في سوريا الوسطى و كركميش عاصمة الحثيين للمزيد عن هذه المدن ارجع (فن العمارة السورية منذ الألف الثاني قبل الميلاد حتى اخر العهد البيزنطي – مجلة الحوليات الاثرية السورية، العدد الثاني) في حين كانت المدن المنشأة في بلاد المغرب نوعا ما يأخذ طابعه العسكري تأثيرا واضحا في انشائها لأسباب عدة بعدها عن دار الخلافة و وقعوها في ارض تكثر في الصراعات والاطماع لذا كانت تتخذ مواضع دفاعية شأنها شأن القلاع بأن تبنى على المرتفعات التي تؤثر بالضرورة على شكلها العام . للمزيد انظر **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص 285 . كذلك **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، ج7 ، ص 295 . كذلك **يحي حسن وزيري** : المرجع السابق ، ص 19.

3 - عبد العزيزالسيد سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 1992 ، القسم الثاني ، ص . 599 أنظر كذلك :

- **C. MAITROT** , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180.

و تنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة وهو أمر استدعى أن يخطط السور بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذا الغرض ، وقد انعكست هذه الأمور على العمارة و طريقة إنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة .ويتكون السّور في أعلاه من درب يسير عليه المحاربون ويطلق عليه ممشى السّور و شرفات يرمون منها سهامهم ، و ذروات يحتمون خلفها و الذروات ككل هي على شكل قوائم تنتهي بشكل مخروطي ، و يتخلل جسم الذروة فتحات ، تساعد المدافع إلى النّظر على الأسفل دون أن تصيبه صائبة من العدو ، كما تدعمه أبراج مختلفة ، فهناك مدن إسلامية كثيرة تقدم لنا أمثال رائعة في هذا المجال وتؤكد حرص المسلمين على هذا الجانب ومدى تفوقهم فيه ، ومن الأمثلة على ذلك مدينـــة القاهرة [1] (صورة 13)، و قلعة بني حماد [2]

1 - **مدينة القاهرة** :عاصمة جمهورية مصر العربية ، مدينة تاريخة بحث يجعلها بعض المؤرخين بأنها من اقدم العواصم التاريخية وهي تعتبر منذ سنة 98 م عاصمة لمصر القديمة ، تقع جنوب دلتا النيل على ضفتة الغربية ، هذه المدينة هي في الأصل ناتجة عن تطور و التحام مدن قديمة حيث عند فتح العرب المسلمين بلاد مصر سنة 20هـ-642م بنو مدينة الفسطاط كأول مدينة اسلامية في مصر ، و هذا في الفضاء المجاور لمدينة بابليون القديمة ، و بعد نحو قرن أضيف اليها في الشمال الشرقي حي كانت به دار الامارة العباسية و معسكرات جيوشهم فسمي " العسكر" و الى الشمال الشرقي ايضا اضيفت ضاحية جديدة أو مدينة صغيرة بناها احمد ابن طولون و هو اول حاكم مسلم استقل عن الخلافة العباسية عام 254هـ-868م و سميت هذه المدينة " القطائع " لأنها قسمت الى احياء مختلفة منحت لفرق الجند ، و كانت الخطوة الرابعة في تطور هذا الفضاء هي بناء قصر فخم وثكنات للجنود ومقر للحكومة في الشمال الشرقي و هذا في العهد الفاطمي و لم تتخذ مدينة القاهرة اسمها وحدودها الا بعد ان احرقت مدينة الفسطاط سنة 564هـ-1168 م البدء كانت القاهرة حصنًا، وسيرتُها الأولى ليست سوى قصَّةِ قلعة هائلة، أقام فيها الخليفة الفاطمي مع حاشيتِه وجنودِه المَغاربة، بمعزِلٍ ومنأًى عن بقية أهل مصر. و يعتبر جوهر الصقلي اول من قام ببناء القاهرة الحالية و تسميتها وكان ذلك سنة 358هـ-969م و اكمل هذا العمل بعده بدر الجمالي ،و جاء بعد ذلك سور صلاح الدين ليجسد الوحدة الحقيقية للمدينة التي ظمت القلعة وما تبقى من مدينتي الفسطاط و القطائع للمزيد انظر : **ايمن فؤاد سيد :** التطور العمراني لمدينة القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ،1997، ط1 ، ص ص 1-2 . **حسين باشا** : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1979 ، ص 55 .كذلك د. **أيمن فؤاد السيد،** نفس المرجع. ط 1، ص 25- 26

2 - **قلعة بني حماد** : اختطها حماد بن بلكين بنفسه للتحصن و اتخذها عاصمة لدولته بعد استقلاله سنة 405هـ- 1014م ،يقول ابن الأثير في وصفها " قلعة بني حماد من احصن القلاع و اعلاها ، ترى على جبل شاهق ، لا يكاد الطرف يحققها لعلوها " فقد كان انشاؤها اولا ابتداءا على اساس حصن على سفح جبل تاقربوست الواقع بشمال شرق مدينةالمسيلة الحالية لصد حملات قبيلة مغراوة الزناتية وتدعيما كذلك لقلعة اشير، و استمرت محطة صراعات الى غاية الحصار الذي تعرضت له من طرف باديس بن منصور الزيري الذي حاصر القلعة لمدة 06 اشهر 406هـ-1014م دون ان يتمكن منها و وافته المنية عند اسوارها ، و صدت الهلاليين الذي اكتفوا بالإقامة على احوازها ، و بقيت صامدة الى ان أنشأ الناصر بن علناس مدينة بجاية واتخذها

عاصمة و حاضرة لدولته منذ بداية القرن الخامس الميلادي للمزيد انظر **ابن الأثير عز الدين ابو الحسن علي ابن احمد ابي كرم** : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1985 ، ط5 ، ج9،ص31. كذلك **الادريسي** ،نزهة المشتاق في تحقيق الأفاق ، تحقيق اسماعيل العربي ، د م ج ، الجزائر ، د ت ط ، ص 86. **المركشي** : المعجب..،ص ص 204-206 . **اسماعيل العربي** : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، ش و ن ت ، بدون تاريخ ، ص ص 189-190. كذلك **رشيد بورويبة** : مدن مندثرة ، تاهرت ، سدراتة ، اشير ، قلعة بني حماد ، وزارة الاعلام و الثقافة ، ش و ن ت ، الجزائر ، ط1، 1981، ص ص 75-87.

و مدينة المنصورة بتلمسان [1](صورة 14)، و أشهرها على الاطلاق مدينة بغداد[2] . وبالتّالي اعتبرت الأسوار معيار حضاري [3] ، و اهم البنايات الحربية التي ميزت العمارة الاسلامية على الاطلاق . و قد جاء على ذكرها ابن الرامي في إطار تحصين المستوطن من الطّارقين و أشار ضمنيا إلى أن هذه الأسوار كان الأهالي المستوطنون يتعاونون في بنائها و ترميمها ، على نفقاتهم وكانت النّفقة توزع بينهم وقف نظام معين يرتضونه [4] .

---

1 - **مدينة المنصورة** : تقع الى الشمال الغربي الجزائري تبعد عن مدينة تلمسان بحوالي 4 كلم غربا، و هي العاصمة الثانية للمرينيين في المغرب الأوسط ،. تأسست نتيجة الصراع الزياني المريني ، لرغبة المرينيين في الاستيلاء على مدينة تلمسان و في سنة 698هـ-1298م، اقدم ابو يعقوب يوسف غازيا تلمسان ولمناعتها طال حصارها و لاصراره ضرب لجنده مضربا مشارفا لأسوار تلمسان و كان بداية نشأة مدينة المنصور و قد أجمع المؤرخين أن شتاء نفس السنة فرض انشاء المضارب ماعدا السلاوي الذي يذكر بأن بداية تأسيس المدينة يعود الى سنة 702هـ-1303م للمزيد انظر : **ابن خلدون** : العبر ...، ج7،ص196. كذلك **ابن ابي زرع** : روض القرطاس...، ص 511 ،كذلك : **ابن الأحمر** : روض النسرين في ملوك بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962، ص 49 ، كذلك **السلاوي ابو العباس احمد الناصري** : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق الأستاذان جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ج3،2، 1954م-1955 م، ص 209 .

2 - **مدينة بغداد** : و هي التي قال فيها الجاحظ " رأيت المدن العظام و المذكورة بالأتقان و الامكان ، بالشامات وبلاد الروم و في غيرها من البلدان فلم ارى قط مدينة ارفع سمكا و لا اجود استدارة و لا انبل نبلا و لا اوسع ابوابا و لااجود فصيلا من الزوراء و هي مدينة ابي جعفر المنصور " و قيل فيها ايضا " انها الحاضرة و الأرض كلها بادية لها " انشأها الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور سنة 145هـ-762م و انتهى منها بعد اربع سنوات وهذا على ضفة نهر الدجلة الغربية و قد استعان في بنائها بكثير من المهندسين و البنائين ولعل اهمهم الحجاج بن يوسف ارطأة ، عبدالله محرز، عمران بن وضاح ، شهاب بن خاطر و بشر بن ميمون . للمزيد عن هذا الموضوع انظر **الخطيب البغدادي** : تاريخ بغداد ، طبع القاهرة ،931هـ،ج1،ص ص 45 -77. كذلك **الطبري** : تاريخ الأمم والملوك ، ج9،ص240. كذلك **عبد الحليم السوداني** : أسوار بغداد ، مجلة المورد ، المجلد الثامن ، العدد 4 ، 1979 ، ص ص 42-52. كذلك سليم عادل عبد الحق: تشييد بغداد،الحوليات الآثرية السورية ، عدد 13، دمشق ، 1963 ، ص ص 3-22.

4 - - **يحيى حسن وزيري** : العمارة الاسلامية الحربية .... ، ص . 18 أنظر كذلك :**عبد الستار عثمان**،المدينة الاسلامية ، سلسلة كتاب الثقافة ، مطابع الرسالة ، الكويت ، 1988 ، ص138 . كذلك : **القزويني** : آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصادر، بيروت، 1980 ، ص7 .. **رزق محمد عاصم** : مغجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، ط1،مكتبة مدبولي ، القاهرة،2000،ص266. كذلك :

- **C. MAITROT** , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers Publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180. Voir aussi

- **E.PAUTY**, Rapport sur la Défense des Villes et la Restauration des Monuments Historique, Actes du 3 ème Congrès de l'Institut des Hautes - Etudes Marocaines, 1922.P 449,453.

4 - و في هذا الموضوع يقول أن ابن الرامي يقصد من وراء هذا تلك العمائر التي عادة ما تكون تحت وصاية حكم الجماعة (القصور) ، فهم من يقومون بجمع وتقسيم نفقات البناء أو الترميم ، و اما فيما يتعلق بالمدن مكان اقامة الحاكم أو السّلطان او الوالي فهي على عاتق بيت المال .انظر **ابن الرامي** : الاعلان بأحكام البنيان ، تحقيق محمد عبد الستار عثمان ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ص 193.

3 – الأبواب

منذ اقدم العصور التاريخية للمجتمعات الانسانية ، كان للبيت او الدّار اهمية مميزة للفرد و العائلة كمظهر مهم من المظاهر الاجتماعية البارزة التي تعكس ابعادا كثيرة لا سيما الاقتصادية و الجمالية ، تشترك في اغلب الاحيان بسمات شكلية و زخرفية تعكس الذّوق العام و الكثير من المفاهيم الأخرى كالأعراف و التّقاليد مع علاقة وثيقة بالمناخ العام ، و من أهم العناصر المعمارية لهذه الدور هي المداخل ، مفصل الارتباط بين الخارج و الدّاخل ، التي تتميز بمخططات هندسية مع ملحقات معمارية كعناصر زخرفية ، ويعتبر عنصر الباب من اهم الأجزاء التّكميلية لشكل المدخل وتصميمه ، و بالنسبة للقصور والقلاع كان الاهتمام بصناعة الأبواب من أهم المطالب فتطلب تقويتها و كذلك الاعتناء بجانبها الجمالي اضافة الى عظمتها ابرازا لقوة وسطوة صاحبها .

جمع باب أبواب ، وهو المنفذ في سور المدينة [1] ، أو واجهة مسجد ، أو جدار بيت ، يعد الباب من أهم العناصر الرئيسية في العمارة الاسلامية ، و قد برع المسلمون في هذا النّوع من الصّناعات و اهتموا به كثيرا (لوحة 15)، فهي غالبا ما تكون النّقطة الأكثر ضعفا في السّور المحيط ، و منها من يفصل بين الغرف و أهمها ما يفصل داخل السّور عن خارجه ، و كثيرا ما كان هذا الأخير الأكثر قوة و جمالا عن سابقه ، لذا نجده محل اهتمام أكثر و غالبا ما تكون مصنوعة من الخشب المرصع بالحديد ، و قد ورد ذكر هذا العنصر في القران الكريم بقوله تعالى تعدد الأبواب في القران الكريم بقوله تعـالى " **و قال يابني لا تدخلوا من باب واحد و أدخلوا من أبواب متفرقة...** " [2] و كذلك في آية اخرى " **و غلقت الأبواب وقالت هيهات لك**"[3] و كذلك " **ان الذين كذبوا بأياتنا و أستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ...**"[4]، اضافة الى العديد من الآيات القرآنية الأخرى التي لها معاني و دلالات عن الباب و الأبواب[5].

1- **رزق محمد عاصم** : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000، ص266. انظر كذلك : **يحي حسن وزيري** : مقال الباب ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 .، المجلد الأول ، ص11 .

2- الآية 66 . **سورة يوسف** .

3- الأية27، سورة يوسف .

4- الأية 40 . سورة الأعراف.

5- وردت مفردة باب و ابواب في العديد من السور الكريمة ، البقرة 189.58 النّحل69.المؤمنون77، ص 50 ، الزمر،71-72-73، الزخرف 34، الحديد13،الأعراف161،الرعد23، للمزيد انظر **ساقي حين محمد على** : الوحدات الزخرفية في جوامع مدينة بغداد و امكانية استخدامها في الأشغال اليدوية ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1997، ص 116.).

و تذكر المعاجم اللّغوية المعاني لمفردة الباب، فالباب مذكر و جمعه ابواب و بيبان و الفعل منه التّبويب [(1)] ، و الباب يسد المدخل او يُغلق به من خشب وغيره [(2)] و هناك من يذكر الباب و يعني الرتاج ، وقال بعضهم الرتاج الغلق [(3)] و قد اهتم الملوك والأمراء منذ القديم بتزين والعناية الكبيرة بالأبواب فقد كشفت الأبحاث الأثرية التي قامت في العراق ان الأشوريون كانا يصنعون ابوابهم من الخشب ويدعمونها بصفائح من البرونز نقش عليها بأسلوب الطرق مواضيع عدة تتعلق بالأنجازات الملكية و هذا في عهد الملك شيلمنصر الثالث (764-775 ق م) و كانت تسمى بوابات بلوات[(4)] .

و تذكر المصادر التّاريخية التي تصف البيت الحرام قبيل الاسلام بأنه كان له باب ، و قد كان بالأرض ، أي ان باب الكعبة يميل الى الانخفاض او ملاصقا للأرض (العتبة) ، فتأثرت الكعبة على اثر سيل ألم بها ، فقامت قريش على هدمه و اعادت بنائه ايام الرسول صلى الله عليه وسلم و قد استعملت الحجارة و الخشب فيه ، وسقفوه ورفعوا الباب حتى لا تدخلها السّيول أي الكعبة مرة اخرى و لا يرقى اليها الا بسلم (درج)[(5)] ، و لم يرد لنا وصف كبير للأبواب في تلك الفترة من الزّمان ، لكن يمكن ان نستنبطه من بعض الرّوايات حيث يذكر السّمهودي عن هجرة الرّسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فيقول " **روى ابن زبالة انها لما بركت بباب ابي ايوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزل فتحلحل**"[(6)] و قيل ايضا على لسان ابن الأثير عند حديثه عن غزوة خيبر في السّنة السّابعة للهجرة فيقول " **قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجنا مع علي حين بعثه الرسول عليه الصلاة والسلام برايته الى خيبر ، فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله ، فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه**"[(7)].

1- **ابن منظور** ، المصدر السابق ، ج1،ص244.

2- **الزبيدي محمد مرتضى** : تاج العروس في جواهر القاموس ، بيروت ، ج1، ص32.
3- **العسكري ابو هلال** : التلخيص في معرفة اسماء الأشياء ، تحقيق عزة حسن ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1969، ص273.
4- **باقر طه** : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، ط2،بغداد ، 1968 ، ص ص 490-505.
5- **علي جواد** :تاريخ العرب في الاسلام ، السيرة النبوية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2،بغداد ،2003، ص65.
6- تحلحلت ا واو تلحلحت في مصادر اخرى أي تحركت راحلته - **السمهودي نور الدين علي بن احمد** ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، ط2، ج1،بيروت،1339 ه ، ص 260 .
7- ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ص 220 .

ضف الى هذا تذكر المصادر التّاريخية ان السّيدة زينب عليها السّلام لما وصلت الى المدينة توجهت الى مسجد جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم و معها جماعة من نساء بني هاشم ، واخذت بعضادتي باب المسجد [1] . و من هذه الأمثلة و النّصوص التّاريخية نستطيع القول بأن بيوت المسلمين و مساجدهم في عصر صدر الاسلام كانت لها ابواب خشبية بسيطة تنسجم وواقع حياة التّقشف التي كان يعيشها المسلمين في ذلك الوقت .

و يذكر ان هناك نوعين من الأبواب ، فاما الأول يكون بدون اطار و هي تتحرك عند الفتح و الغلق بواسطة صنارة (صورة 16)، غالبا ما تكون من حجر و هذا النّوع هو الغالب في بلاد توات (شكل 3) و النّوع الثّاني يكون ذا اطار يثبت في مدخل الدّار و يحمل بدوره الباب و يتكون هذا الاطار من اللّوح العلوي ويدعى الأسكفة أ و اما اللّوحان الجانبيان فيسميان العضادتين و أحيانا تكون هناك لوح خشبيّة سفلى تسمى بالعتبة قد تكون من خشب او من الحجارة الغرض منها احكام غلق الباب [2] .و هذا النّوع هو الأكثر شيوعا في زماننا هذا . و قد يكون الباب من قطعة واحدة تسمى فردة او مصراع او من فردتين او اكثر [3] (شكل 04).

و من الأمثلة الرائعة لهذا النّوع من الدعائم ، لدينا من تكريت باب خشبي يعتبر من التّحف الخشبية النّفيسة والنّادرة يعود في تاريخه الى أواخر القرن الثّالث الهجري (العهد الأموي) و هو محفوظ الآن في متحف بناكي بأثينا [4] . أما في القرن الرّابع الهجري فقد صنعت الأبواب من افضل اصناف الخشب وهو السّاج [5] ، المزين بالنقوش ، مع وجود حلقة تدور بلولب استعملت كمطرقة للطرق و لعلى اقدم اشارة الى المطرقة تلك التي ذكرها الرازي لمنازل بنيت في القرن الثّاني والثّالث الهجري لحاكم صنعاء وحاشيته و التي صنعت من النّحاس [6] . وكانت الأبواب في العمارة البيزنطية عبارة عن فتحة في الجدار ذات عقد أمامي اتجاه ظاهر المدينة وعقد آخر خلفي في اتجاه مباشر نحو الداخل .

1- العضادتين ، هما لوحان خشبيان منصوبان عن يمين وشمال الباب) للمزيد انظر العسكري : نفس المرجع السابق ، ص 274.
2- الأسكفة جمعها اسكفات و يقال لها النجران ، انظر العسكري : نفس المرجع السابق ، ص 273.
3- **خضير فريال مصطفى** : البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، وزارة الثقافة و الاعلام ، المؤسسة العامة للآثار و التراث ، بغداد ، 1983 ، ص 107.
4- **حسن زكي محمد** : فنون الاسلام ، ط1، القاهرة، 1948، ص 83.
5- **الساج** : نوع من الخشب الفاخر يؤتي به من الهند ، متز آدم : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري،ج1،ص221.
6- **بونافان جيمت وبولس** : فن الزخرفة الخشبية في صنعاء ، دمشق ، 1996،ص90

و قد اتى على ذكر الأبواب عدد كبير من المؤرخين و الجغرافيين منهم القزويني ، الذي جعل تعدد فتح الأبواب ضرورة حتى لا يتزاحم الناس في الدخول والخروج من باب واحد ، بل يدخل المرء و يخرج من أقرب الأبواب إليه [1] . ان الاهتمام بتقوية الأبواب خاصة منها الخارجية دفع بالمهندسين المسلمين الى إبتكار أساليب و طرق معمارية مختلفة لتّحصينها ، ولعل أهم ابتكار معماري هو استخدام المدخل المنكسر و الذي أطلق عليها المؤرخون العرب اسم " الباشورة" [2] . فالمدخل المنكسر يعوق هجوم أي طارق ويمنع دخولهم بسهولة و يعيق اندفاعهم مرة واحدة ، على عكس النّظام البيزنطي في بناء الأبواب التي هي عقدان متقابلان أحدهم ينفتح إلى الدّاخل والآخر إلى الخارج [3] .

وقد عرف المرابطون(448هـ-1056م / 540هـ-1145م) هذا النّظام في بناء الأبواب هو ما يعرف باسم الأبواب المنثنية أو المرفقية استعملوا هندسة لتحقيق الهدف الدّفاعي الذي لم يكن كافيا في تصميم الأبواب البيزنطية ، ومن هذا النّظام إذ أنشئوا أبوابا مرفقاها مزدوجان ، و لم يسقفو هذه الممرات حتى يتيحوا الفرصة للجند بالإشراف من أعلى على المهاجمين ، وقذفهم بالنّبال و غيرها ، و نعني بذلك أن الممر الواصل بين فتحتي الباب ينحني بزاوية قائمة في شكل المرفق، وتمتاز هذه الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بتلك الانحناءات ، وقد عقَّد الموحدون كانت تحتضن برجين بارزين في العادة و يزخرف قوس البوابة كتفاها وهيكله بجملة من الزّخارف قوامها حجر منحوت[4] .

---

1 - **القزويني زكريا بن محمد** : اثار البلاد وأخبار العباد ، دار الصادر ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 8 .
2 - **يحي حسن وزيري** : العمارة الاسلامية الحربية ،... ص 19 .
3 **A. BAUSANNI** , « BAB », Encyclopédie de l'islam, Nouvelle Edition, T 1, Edition G-P , Maisonneuve et Larose , S.A. Paris, 1975, P 853.
4- **د عبد العزيز السيد سالم** ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، القسم الثاني ، 1992 ، ص 604
. و للمزيد من الإطلاع راجع : - **بيج بريتون** ، البرج في العمارة الإسلامية الحربية ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، .دار

الكتاب، بيروت، 1981 ، ص ص 46 .47 . كذلك - . **يحيي وزيري ،** المرجع نفسه ، ص19 . كذلك - .**عبد الستار عثمان**، المرجع السابق، ص.
MARÇAIS,G= L'Architecture Musulmane D'occident ,Tunisie , Algérie, Maroc , Espagne et Sicile ; Arts et Métiers géographique ; Paris ; 1954 ; p 144.
4-**P. CRESSIE**, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie» Archéologie Islamique ,n°5, 1995, P 177-178.

وعلى الرغم من اتجاه الموحدين نحو بناء الأسوار بالطابية، غير أن الأبواب الموحدية حظيت دائما باستعمال الحجارة المنحوتة منتظمة الشكل . و انطلاقا من هذه الفكرة استفاد المهندسون في عصر الموحدين الذين عملوا بهذه الطريقة من زيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات و العقبات في وجه المهاجمين، وبهذا ابتكروا طريقة التخطيط ذي المنطفات المرفقية المزدوجة التي نراها اليوم في مجموعة مباني الموحدين الضخمة بأبواب مدينة رباط الفتح .
الواقع أن القرن السادس الهجري قد أتحفنا بعدد وافر من الأبواب الموحدية التي تدعو إلى الإعجاب كباب الرّواح وباب الأحد وباب العلو وباب زعير بمدينة رباط الفتح بالإضافة إلى باب اجناو بمراكش ، و تتركز قيمة هذه الأبواب الضخمة التي تعكس الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة، في إبراز شخصية وعبقرية المهنديس المسلمين أكثر من أي عصر سابق و ذلك لما حققه هؤلاء البناؤون من تقنيات معارية في هذا المجال حيث نجد ان الاطار المحيط بفتحة الباب و زخارفه يزيد اتساعا عن الارتفاع ، اين يكاد يكون الاطار مربعا تقريبا من مستوى الارض الى قمة العقد ، كما تتميز مجموعة ابواب الرباط الموحدية بفتحة رئيسية للقوس ذات عقود متعددة متتالية و يغلق كل منها سابقه و هذا لتحقيق غرضها المعاري المقصود وهو تخفيف الحمل على العقد الأصلي لقوس فتحة الباب . بينما تزيد تلك المساحة في الواجهات المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كلا الجهتين ، لأن واجهة المدخل الخارجية أقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البروزين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطة الدفاعية في مقابلة أي هجوم خارجي . يعتقد جورج مارسي[1] أن التّركيب العام لأبواب الموحدين ومحاريبهم يستمد أصوله من جامع قرطبة بالأندلس. ويقر كريزويل ان المدخل البارز لمسجد المهدية بافريقية (تونس) كان مصدر الهام للأبواب من عصر العبديين[2] وهو أصل المداخل البارزة التي ظهرت في الإسلام شرقا وغربا ، و البارزة في عمارة العبديين بالقاهرة شرقا وعمارة الإسلام بالمغرب والأندلس غربا.

1- **Marçais.(G)**.Op cit .pp 182-190.

2- الدولة العبيدية او الفاطمية نسبة الى الامام عبيد الله المهدي بالله و الفاطميون يرجعون بنسبهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فهم بذلك علويون و من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام عبر ابنته فاطمة الزهراء و رابع الخلفاء الراشدين علي بن ابي طالب ، اسسوا اول مدينة لهم المهدية بتونس سنة 300 هـ - 912-913م و في سنة 336هـ - 948م نقلوا مركز حكمهم الى المنصورية بمصرو لما تم لهم حكم مصر 358هـ-969م اسسوا مدينة القاهرة شمال الفسطاط و كانت المركز الروحي والسياسي لدولتهم توسعت هذه الدولة على حساب الخلافة العباسية استمر حكم هذه الدولة حتى سنة 1171م عندما استقل بها صلاح الدين الايوبي بعد وفاة نخر خلفائها وهو ابو محمد عبد الله العاضد لدين الله و ازال بذلك سلطتهم الاسمية بعد ان زالت سلطتهم الفعلية منذ عهد الوزير بدر الدين الجمالي .للمزيد انظر **عبد الله محمد جمال الدين** : الدولة الفاطمية (قامها ببلاد المغرب و انتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابه الهجري مع عناية خاصة بالجيش)،دار الثقافة ، القاهرة ، 1991.

ومن التّقنيات الدّفاعية التي تزوّد بها الأبواب يوجد على محور الفتحة الرئّيسية ثلاث قاعات تمتد متتالية . وتلك القاعات ليست على مستوى أرضية واحدة إذ يتغير مستوى الأرض من قاعة لأخرى مشكلا عقبة أمام المهاجم المندفع اليها، اما الكوع أو الانحراف المرفقي فيتمثل في وجود حائط مسدود أخيرا على نفس محور الباب الرئيسي بعد المرور وسط القاعات المذكورة في عمق المساحة الداخلية، بالإضافة إلى أن الفتحات المؤدية إلى داخل القصبة توجد في القاعتين الوسطى والأخيرة بحيث يلزم الانحراف يمينا للولوج داخل القصبة، ومن جهة أخرى فإن المهاجم لا يتوقع وجود منفذين إلى الداخل ولا ينتبه لتلك الخدعة حتى يجد نفسه مقسما بين المنفذين ليواجه أمام كل منفذ قدوة دفاعية كاملة ولعل ذلك العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المتتالية المغطاة حيث يرى المدافع خصمه من باب قصبة الودايا، تفاصيل متنوعة لوسائل التغطية والتفنن في تشكيل مراحل الانتقال العليا، مع ملاحظة اختلاف المستويات الأرضية لقاعات الباب الداخلية كعائق سري للمهاجمين. أكثر مما يراه الخصم المندفع من النور إلى الظلام، و لعل ذلك كله لا يعرف نظيرا آخر في عمارة الأبواب الدفاعية في الإسلام.

1 -الأبراج :

البرج هو عنصر معماري حربي ، و هو الجزء القوى من التّحصينات الدّفاعية المعد للمراقبة والرّمي و الدّفاع و الاحتماء ، مصداقا لقوله تعالى " **أينما كنتم يدركم الموت و لو كنتم في بروج مشيّدة** "[1] و هذا دليل على قوة و مناعة هذا المعلم التّحصيني ، و لقد وجدت الأبراج على مقدمة من جنبات التّحصينات والأسوار منذ العصور القديمة ، و هي تعد من الأبنية الدّفاعية التّدعيمية التي أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصا منهم على أمنهم [2] . والبرج هو المبنى العالي الذي يشرف على أكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو ، أو إرسال إشارة ضوئية [3]، و يستخدم كما قلنا للدفاع ، و يشكل عنصرا دفاعيا ملحقا بسور المدينة أو القلعة أو القصبة و غيرها، و أحيانا يكون منفصلا [4](لوحة17) ، و هو بناء مرتفع ينتمي إلى

1- **الآية** 78. سورة النساء

2 - **حسين أحمد الخرخوري** : الأبراج تراث و تاريخ ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998 ، ص12 . كذلك :

- **H. TERRASSE**, « Une Porte Mérinide Fes Jdid », Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T VI, 1947,p. 62

3 - دائرة المعارف الاسلامية ، ج10 ص 60.

4-**حسن احمد الخرخوري** : نفس المرجع السابق ، ص 12 .

نسق المُصطلح المعماري العسكري ، ويُشكّل عنصرًا دفاعيًا منفردا او مُلحقًا بسور مدينةٍ أو قلعةٍ أو قصرٍ أو أيّة عمارةٍ عظيمة ، يحتلّ أركانه و على جانبيّ البوابات أو يعلو المدخل. ويُبنى عادةً في أعلى مراكز البناء ويبرز عنه، ويطلّ عليه و على حوليه ويكتشف الرّؤية لأمدادٍ بعيدةٍ(لوحة18). و يتفق ذلك و المعنى اللّغوي الذي ذكره كل من الجوهري من أن" الأبراج جمع **برج وهي البيوت التي تبنى على نواحي أركان القصر، و البرج المحصن ركنه و ربما سمي الحصن به**"(1) ، و كذا ابن منظور "**وقيل للبروج ، بروجا لظهورها ، و بيانها ، وبروزها و ارتفاعها** "(2)، وعرّفه إبراهيم أنيس في معجمه " **البرج هو المحصن ، بيت يبنى عليه سور المدينة و سور الحصن**" (3).

و هناك من يري بأن أصل الكلمة سريانية مشتقة من كلمة " Burgus" و تعني الحصن و البرج هو الحصن كما أشار ابن الرامي الى مدلولات أخرى لهذا المصطلح ، فقد أطلق مصطلح البرج على المباني التي تبنى مع الجدران بارزة عنها لدعمها ، كما أشار إلى "Buttress" الدّعامة السّاندة كما تم إنشاءنوعا من الأبراج في الجنات لكي تستخدم كأماكن للراحة ، و التمتع بجمال هذه الجنات ، و البساتين ، و منها ما طوِّر واستخدم كوضع للسكنى (4) أو أبراج الإشارة .

و مع تطوّر المدفعية ، فقدت بعض من الأهمية إلا أنها بقيت محافظة على الدّور الأساسي الذي أنشأت من أجله حيث أصبحت أقل ارتفاعا وبروزا عما كانت عليه من قبل (5). تعتبر الأبراج من الأجزاء الأساسية المكونة للسور وهي تعطي شكلا مسننا تكثر فيه الزّوايا و الانكسارات ، هذا من أجل زيادة فعاليتها من النّاحية الدّفاعية . و هناك من الأبراج من يكون منفصلا عن السّور، حيث يوظف في أعمال دفاعية مستقلة بذاتها، كأبراج المراقبة ،و يأخذ البرج أشكالاً عديدةً أسطوانيةً و دائرية ومربعة و مضلعة وهرمية وغيرها و في الأصل تكون الأبراج ركنية الا انه يزيد عددها بزيادة طول السور المقامة عليه فباتت جانبية بأشكال مختلفة تتوضع على جنبات الأسوار

1- **الجوهري** : الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399 هـ، .ج1 ، ص299 .
2- **ابن منظور** : المصدر السابق ، الجزء الأول ص 360 .
3- **ابراهيم انيس و آخرون** : المعجم الوسيط ، دار الدعوة للنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا ،1985، ج1 ، ص 47 .
4- **ابن الرامي** : نفس المرجع ، ص 143 .
5- **بيج بيرتون** : البرج في العمارة الاسلامية الحربية ، ترجمة ابراهيم خو رشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان ، دار الكتاب ، بيروت ، 1981 ، ص 15 .

و المداخل لتوفير حماية أكبر حيث كان **لقصر المشتى**[1] سور خارجي مُربّع الشّكل مُحصّن بأبراجٍ دائريةٍ أو نصف دائريةٍ كما في **قصر الحير الغربي**[2] ، أو مضلّع كالأبراج التي بناها الموحّدون(514هـ-1121- 667هـ-1269م) ، أو هرميّ كأبراج قصور توات و من مكونات البرج نجد البرانخ و المنابل و الشّرفات التي توزّع في أماكن مدروسةٍ على الجدران والمقاذف المفتوحة على مستوى أرض الممرّات ، ومخازن المؤن وصهريج الماء أو البئر، ومستودعات السّلاح وأدوات الحرب والدفاع.

لم يقم البرج وحده بالدّور الدّفاعي بل ساعدته المآذن والأربطة والمنارات والثّغور في عملية المراقبة وإرسال إشارات الإنذار. كما أنّ الغاية من البرج لم تكن فقط حربية ، إذ ساهم في تدعيم البناء الذي يقوم فيه ،خصوصًا الأسوار، حيث نجد في سور مسجد سامراء[3] أربعة

1- **قصر المشتى** على بعد "30كم" جنوب العاصمة عمان والى الشمال من مطار الملكة علياء الدولي واكتشفه الرحالة "الايارد" عام 1840، قصر لمشتى هو بناء أموي مبني من الحجر الكلسي والطوب المشوي ويعتقد الباحثون يعود لفترة خلافة الوليد الثاني بن يزيد "743-744م."يحيط بالقصر سور مربع يبلغ "144م "وتم تدعيمه بأبراج نصف دائرية من الخارج عددها خمسة وعشرون أقيمت بمساحة متساوية ولم يتبقى من السور الباقي سوى ارتفاع يتراوح من "3-5.5م" بسماكة "1.70م" وبنيت الأبراج ذات الأقبية البرميلية من الطوب المشوي. إن بناء القصر بناء هندسيمحكم يتم الدخول له عبر بوابة واحدة بواسطة دهليز مستطيل ينطلق لمساحة صغيرة ثم مساحة اكبر حجما وفي النهاية تقع قاعة العرش والاستقبال بيوت سكنية خاصة بالخليفةتتخذ الزخارف التي زينت بها الواجهات الطابع الهندسي المركزي والتناظري وترتفع الأقواس والقباب والبوابة الثلاثية ذات الثلاثة مداخل أوسعها الأوسط والجانبان اقل اتساعا ويؤديان للغرف وأجنحة السكن الوسطى ويؤدي لقاعة العرش وهذا ما يشبه بوابات النصر الرومانية.للمزيد: **- Stern.H** . Notes sur l'Architecture des chateaux des Omeyades.Arts Islamica.T3

2- **قصر الحير الغربي** ويقع إلى الجنوب الغربي من تدمر في وسط بادية الشام، بالقرب من جبل رواق على بعد 60 كيلومتراً جنوب غربي تدمر. تم بناء القصر على أنقاض دير يعود إلى العهد الغساني، وذلك في عام 109 هـ/ 728 م ودلت على تاريخ بنائه كتابتان، الأولى نقشت على ساكف أحد أبواب الخان المجاور للقصر، وهو حالياً محفوظ في المتحف الوطني بدمشق، وعليه الكتابة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب أجره، على يد ثابت بن ثابت في رجب 109 هـ». والكتابة الثانية نقشت على جزء من حجر رخامي حفظت في جناح قصر الحير بمتحف دمشق، تنص على مايلي: «من هشام أمير المؤمنين إلى الوليد أبي العباس أحمد الله إليك». وكان يطلق على هذا القصر اسم الزيتونة وهو الاسم الأصلي، أما اسم الحير فهي تسمية حديثة، استعيرت من معنى السور الذي كان يحده للمزيد **- Stern.H** . Notes sur l'Architecture des chateaux des Omeyades.Arts Islamica.T3

3- **سامراء أو سرى من رأى** مدينة بالعراق بناها الخليفة العباسي المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين سنة (221 هـ /835 م) لتكون عاصمة دولته بدلا من بغداد و عاش فيها ثمانية خلفاء آخرين من بعده الى ان اتى الخليفة المعتمد بالله واعاد العاصمة الى بغداد ، وقد بنى بها قصر اطلق عليه الجوسق الخاقاني و الذي سمي ايوانه المثلث بمدائن العرب و هذا على الضفة اليسرى لنهر دجلة . وتقول الرواية كان موضع المدينة لنصارى عراقيين، فأقام فيه ثلاثة أيام ليتأكد من ملاءمته. فاستحسنه واستطاب هواءه، واشترى أرض الدير بخمسمائة درهم، وأخذ في سنة (221 هـ) بتخطيط مدينته التي سميت **(سر من رأى)**. وفي عهد المتوكل العباسي سنة (245 هـ/ 859 م) بنى مدينة المتوكلية وشيد الجامع الكبير ومنارة مئذنته الشهيرة الملوية التي تعد أحد معالم المدينة الأثرية. لقد بقيت مدينة سامراء عاصمة للخلافة العباسية فترة تقرب من 58 عاما، تمتد من سنة (220 هـ/834 م) إلى سنة (279 هـ/892 م). للمزيد راجع **اليعقوبي** : تاريخ اليعقوبي ، ص ص 46 - 50 .

وأربعين برجًا نصف دائرية موزعة بالتنظيم على كامل طول السّور ويتخلّل مسجد قرطبة[1] أبراج داعمة أيضًا. ولا شكّ أن المواد المُستعملة في بناء البرج قد اختلفت حسب البيئة و العصر. فأبراج الموحّدين في المغرب كانت من اللبن ، و الأبراج الفاطمية(296هـ-909م/566هـ-1171م) الأولى كانت من الدّبش . و أما المماليك(647هـ-1250م/923هـ-1517م) فقد صقلوا الحجارة واستعملوها . اما ارتفاع هذه الابراج فكانت في العهود الأولى لا تتجاوز الثمانية أمتار في سورالقاهرة[2] مثلا . في حين وصلت إلى خمسة وعشرين مترًا في **قلعة دمشق** الأيّوبية[3] ، وقد بلغت سماكة جدرانها حوالى ثلاثة أمتار ونصف.

تطوّرت الأبراج الإسلامية بعد فترة فشابهَت الأبراج البزنطية والرّومانية. وشمل التطوير الإسلامي في الأبراج الناحية الوظيفية الدفاعية و الداعمة على نحوٍ يجعلها أكثر متانةٍ وقوةٍ وقدرةٍ على الإستيعاب. كذلك من النّاحية الجمالية، إذ وُزِّعَت الأبراج على السّور على نحوٍ مُنسجمٍ متوازنٍ من دون رتابةٍ على نحوٍ يُخفّف من ثقل الكتلة المعمارية، ويخفّف من طغيانها على العناصر المعمارية

1- يقول احد المؤرخين الغربيين ان أدركت الحاجة حُكَّام ليون، أو النافار، أو برشلونة إلى جرَّاحٍ، أو مهندس، أو معماري، أو خائط ثياب، أو موسيقي فلا يتجهون بمطالبهم إلا إلى قرطبة و في هذا الحديث قياس لما بلغت اليه المدينة من رقي وازدهار ، تقع قرطبة على نهر الوادي الكبير، في الجزء الجنوبي من إسبانيا، وقد أرّخت لها موسوعة المورد الحديثة فقالت: "أسسها القرطاجيون فيما يُعتقد، وخضعت لحكم الرومان والقوط الغربيين." وقد قام بفتحها القائد الإسلامي الشهير طارق بن زياد، وذلك سنة 93هـ/ 711م. و اخذت مكانتها في تاريخ الحضارة؛ فبدأ نجمها في لصعود كمدينة حضارية عالمية، بعد ما اتخذها عبد الرحمان الداخل صقر قريش عاصمة للدولة الأموية في الأندلس سنة (138هـ/ 756م)، بعدما سقطت دمشق على أيدي العباسيين. ذكر المقري ان بعض علماء الأندلس قالوا فيها :

بِأَرْبَعٍ فَاقَتِ الأَمْصَارَ قُرْطُبَةٌ *** مِنْهُـنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُـهَا
هَـاتَانِ ثِنْتَانِ وَالزَّهْـرَاءُ ثَالِثَـةٌ *** وَالْعلمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهْوَ رَابِعُهَا

للمزيد راجع 1- **جون براند ترند:** إسبانيا والبرتغال، دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام بإشراف أرنولد، د ت ، ص27. كذلك **المقري**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، بيروت ، 1419هـ/1998م ، ط1 ،ص 153.

2- **سور القاهرة:** شرع في بنائه جوهر الصقلي وزير الخليفة الفاطمي سنة 358هـ-969م ، و اكمله بعد بدر الجمالي و جاء سور القاهرة من الطوب اللبن على شكل مربَّع، طولُ كلِّ ضِلع مِن أضلاعه 1200 ياردة، وكانت مساحةُ الأرض التي ضمَّها السور المربَّع 340 فدانًا،. ويوضح التصميم

الأصلي للقاهرة مدى تأثُّرِ جوهر بالتخطيط الروماني لبعض مدن شمال أفريقيا؛. للمزيد راجع **د. أيمن فؤاد السيد**، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997، ط 1، ص ص 25- 26.

3- **قلعة دمشق:** تقع في الزاوية الشمالية الغربية لمدينة دمشق القديمة. .يعود بناؤها إلى عهد تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي(471هـ/1078م) بنيت على شكل مستطيل ابعاده220 م/150م مدعمة ب12 برجا و لها بابين رئيسين واحد في الجهة الشرقية واخر في الشمالية واما ثالثها لم يكن يستعمل و يسمى باب السر يخص السلطان وحده . وحينما أمر نور الدين محمود زنكي بتحصين مدينة دمشق، وترميم أسوارها، أضاف أبنية دفاعية جديدة للقلعة .وفي أيام صلاح الدين الأيوبي استعصت عليه القلعة حينما دخل دمشق عام 570هـ/1174م ولكنه تسلمها صلحاً فيما بعد، وجعلها مركز حكمه. فرمّمها وأضاف إليها أبنية أخرى، وعاش وتُوفي فيها عام 1193م. ودُفن في قسمها الغربي، للمزيد راجع محمود سعيد عمران تاريخ الحروب الصليبية ،ص362.كذلك احمد مختار العبادي : تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص 216.

الأخرى، كالأبواب والقناطر والشّرفات والأفاريز. وقد نجح المعماريون في هذا المجال بحيث استطاعوا إيجاد تنظيمٍ عمليٍ و توازنٍ جماليٍ و زخرفةٍ أنيقةٍ ناعمةٍ مع وقارٍ و قوّةٍ. و قد اكتفت الأبراج الأموية باستخدام السّطوح المكشوفة ، حيث إن قصر الحير الغربي زُوّد بهذا النّوع من الأبراج رغم أنّ ذلك لم يمنع من استخدام ممراتٍ مسقوفةٍ،كما حصل في قصر الأخيضر [1] في جدرانه منابل وفي أرضه مقاذف . وقد لجأ المُسلمون إلى جعل البرج كتلةً واحدةً صخريةً ترابيةً مُتماسكةً غير مفرّغة يستحيل كسرها، وبذلك تقوم نقاط الدّفاع في أعلى البرج. ولتّحقيق النّاحية الجمالية، وُزّعَت الأبراج على السّور على نحو يزيل رتابة السّطوح، وكي يجعل الكتل تخفف من ثقل المبنى ومن طغيانها على البنية المعمارية والعناصر الأخرى.

و تزوّد هذه الأبراج عادةً بغرف علوية صغيرة لقذف النّار، كما تزود بمزاغل رأسية لرمي السّهام ، و مزاغل أفقية لصبّ السّوائل المحروقة ، و قد استخدمت الأبراج كناحية جمالية ، و لذلك استعملت في كثير من المباني المدنية و الدّينية ، و تتخذ الأبراج أشكالا متنوعة ، فمنها المربعة ، و المستديرة ، و المثمّنة ، و المسدّسة ، و متعددة الأضلاع ، لكن البرج المثمن يعتبر احسن من المربّع في أداء مهامه الدّفاعية ، على أن البرج المستدير في الواقع هو أفضل الأبراج لاستدارته ، وسهولة الانتقال في أجزائه . يتألف البرج عادة من نصفين ، سفلي صلب ، و نصف علوي به وسائل الدفاع المختلفة [2] ، ويعود بناء الأبراج إلى عهود سابقة للإسلام في حضارة واد الرافدين ، و مصر الفرعونية ، و الرّومان ، والبيزنطيين [3] و منهم انتقلت إلى المسلمين حيث أحاط بها الأمويون قصورهم ببادية‌الشام . ثم العباسيين في قصر الجوسق بسامراء و حذا حذوهم الفاطميون و الأيوبيين بعد ذلك بتشييدهم مجموعة من الأبراج بالقاهرة [4]. أما في المغرب كانت

1- **قصر الأخيضر** يقع الى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء ، يشبه في تخطيطه قصر المشتى ، وينسب هذا القصر ال الأمير عيسى بن موسى والي الكوفة و هو ابن عم الخليفة العباسي المنصور سنة 778م ، و هو حصن من الحصون الدفاعية فريد من نوعه بني من الحجر و الجص و البعض من أجزائه من الأجر والجص طول سوره حوالى 176م و عرضه 164 تقريبا في حين بلغ ارتفاعه 2م ، دعم بب48 من الأبراج النصف الدائرية .

2- **يحي حسن وزيري** : العمارة الاسلامية الحربية ... ، ص 19 .

3- **د الأيوبي مقدم وآخرون** : مقال البرج ، الموسوعة العسكرية ، ط1 ، مطبعة المتوسط ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ج4، 1977 ، ص 176 .

4- **فريد الشافعي**، العمارة العربية في مصر الإسلامية، دار التأليف والنشر، الهيئة المصرية العامة، 1970 ، المجلد .الأول، ص518 . كذلك : **د ايمن فؤاد السيد** : التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها و حتى الآن ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 1997، ص ص 23-26.

بداية بناء الأبراج مع الأغالبة في رباط سوسة و المنستير [1] ، و الزيريين في أشير[2]، و الحماديين في قلعتهم بالمسيلة[3] . كما بنى الموحدون مجموعة من الأبراج في مدينة الرّباط و مراكش ، و تلمسان و فاس [4] . وقد احتفظ في تحصيناته على ضخامة الهيكل ومتانة المادة كما في العهد الموحدي [5] ونلاحظ أن البرج في هندسته الأندلسية قد أثّر في تصميات البرج المغربي منذ عهد المرابطين [6]

تعتبر الأبراج المربّعة من أكثر الأبراج رواجا في العمارة الاسلامية و أكثرها استعمالا ، ذلك بسبب بساطة انشائها من جهة و قوة تحملها من جهة أخرى(شكل05) ، و عادة ما تكون في اركان الأسوار و واجهات البوّابات الرّئيسية ، و في هذا الكثير من الأمثلة كفاس بالمغرب والمنصورة بتلمسان ....الخ . كما أن الابراج عادة ما تكون أكثر ارتفاعا من الأسوار ، بحيث تبرز إلى الخارج كما هو الحال جل المدن والقصور التي تتوفر على هذا النّوع من العمارة . يتألف البرج من نصفين ، نصف أدنى مصمت ، و نصف أعلى تشغله غرفة تعلوه في بعض الأحيان غرف أخرى أُعدت للدّفاع ، كما تزوّد بمجموعة من المزاغل و يغطي الغرفة في أغلب الأحيان قبوات نصف كروية . و كثيرا ما يمرّ الدّرب في داخل البرج فيصبح ممرا تغطيه قبوات متعارضة ملتصقة ، و يدور بأعلى البرج شرفات و ذراوي هرمية. في حين نجد ان الموحّدون استخدموا البرج المستديرفي تحصيناتهم الدّفاعية لكن استعمالها كان ضئيلا بالمقارنة مع الأبراج المربعة أو المضلعة ، رغم ما له من فعالية في المراقبة ، و سهولة التنّقل فيه ، اما البرج المضلع او كثير

1 - **رباط المنستير** بناه الوالي العباسي "هرثمة بن أعين" سنة 180هـ -796م بأمر من الخليفة هارون الرشيد كحصن مراقبة ضد هجمات الأسطور البزنطي . رباط سوسة أخذ اسمه من موقع بنائه بني في عهد الأغالبة سنة 206 هـ – 821م **راجع : غالب عبد الرحيم** : موسوعة العمارة الأسلامية ، الطبعة الأولى ، مطبعة جروس بريس ، بيروت لبنان ، 1988 ، ص 79. كذلك : **Marcais(G)** : L’Architecture

musulmane pp 120-125

2 - – **رشيد بورويبة** : مدن مندثرة : تاهرت ، سدراتة ، اشير ، قلعة بني حماد ، وزارة الاعلام والثقافة ، ش و ن ت ، الجزائر ، ط1 ، 1981، ص ص 71

3 - - **اسماعيل العربي** : دولة بني حماد ، ص ص 120 -125. **رشيد بورويبة** : الدولة الحمادية ،صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، بيروت،ط1 ، 1980 ، ص ص 200-203.

4 - **حسن باشا** : مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار البهجة العربية، 1979 ، ص73 . كذلك: **بلغيث محمد امين** : الربط بالمغرب الاسلامي ، و دورها في عصر المرابطين و الموحدين ، رسالة ماجستير مخطوطة ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1987، ص ص 34-35.كذلك :

G. MARÇAIS. Manuel d'Art musulman , Imprimer de Presse Universitaires de France 1962, T 1, pp 47 – 50.

5 - **بن عبد الله عبد العزيز** : الجيش المغربي عبر العصور ، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية و القنصلية ، وزارة العدل ، الرباط ، 1986 ، ص 62

6 - نفس المرجع السابق : ص 62 .

الاضلاع اما البرج المضلع أو كثير الأضلاع ليس ابتكار إسلاميا ، إذ انه يرجع إلى تقاليد فنية قديمة [1] . و قد عرفت العمارة الرّومانية ، و البيزنطية الأبراج هذا و قد تأثر المرابطون والموحدون بصفة خاصة بالعمارة البيزنطية فشيّدوا أبراجا خماسية وسداسيّة الشّكل كالبرج السّداسي المنعزل في حصن العقاب [2] ، و البرج المطلّ على قنطرة القاضي بغرناطة ، و قد استعمل الموحدون البرج المثمن على النحو المنتظم في بناء أبراجهم "البرانية" ، وهو تعبير أندلسي أطلق على الأبراج الخارجية عن نطاق السّور، كما استخدموا الأبراج المؤلفة من اثنتي عشر ضلعا مثل برج اسبانتا بروس ببطليوس ، و برج الذهب باشبيلية [3] ، وهناك البرج المثمن ، إذ أنه لكثرة ضلوعه يمكن المدافعين من التحرك في كافة الجهات و الزّوايا ، حيث يفضل من النّاحية الدّفاعية البرج المستدير لسهولة الانتقال في أجزائه .و قد شهدت الأندلس هذا النّظام في البناء قبل العهد الموحدي خاصة في العهد الاموي [4] .

---

1 - **G .MARCAIS** ; L'architecture musulmane D'occident ;Tunisie ;Algerie ;maroc ;Espagne et Sicile ;Arts et metiers graphiques ; Paris ;1954 ;p158 aussi voir-**P. CRESSIE**, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie» Archéologie Islamique ,n°5, 1995, P 177-178. Aussi voir - **C. MAITROT** , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180.

كذلك : **انوبل مورينو جوميث:** الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة لسالم السيد عبد العزيز ولطفي عبد البديع، الدار .المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة، 1968 ، ص210 .كذلك :. د .**عبد العزيزالسيد سالم** ، بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ،القسم الثاني .1992. ص 600.

2– **حصن العُقاب** هو أحد الحصون التي بناها الأمويون في الأندلس .يقع في مقاطعة خاين غرب إسبانيا .قامت بالقرب منه معركة العقاب أو معركة حصن العقاب عام 1212 م وهي المعركة الحاسمة التي حولت تاريخ الأندلس فقد انهزم المسلمون الموحدون فيها هزيمة قوية وتم على إثرها انتزاع بقية أراضي الأندلس منهم ولم يتبق للمسلمين سوى مدينة غرناطة والتي سقطت عام 1492 م. يُعد الحصن بمثابة قلعة نموذجية واقعة على الصخر، ومحاط بالسور الذي لم يتبق به سوى بعض الجنفاص وزاوية محصنة سداسية الأضلاع، تم بناءها على تربة مدكوكة على برج ارتفاعه 14 مترًا الحفاظ عليها جيدًا، ويمكن رؤية ما تبقى من الأسوار الدفاعية من المنطقة الجنوبية الشرقية.أعلن الحصن موقع اهتمام ثقافي في أبريل عام 1949.

3- **برج الذهب** وهو مراقبة عسكري منفصل بني على نهر الوادي الكبير في اشبيلية الذي يفصل بينه وبين قصر الامارة ، انشأه آخر الأمراء الموحدين وهو ابو العلاء ادريس الكبير سنة (617هـ- 1221 م) ،يتكون من بدنين يعلوهما جوسق و بلغ ارتفاعه 37 م ذو شكل مضلع ب 12 ضلع يتراوح عرض كل ضلع ب 4.20م يتكون من ثلاثة طوابق ، وكانت تمتد بينه وبين القصر سلسلة ضخمة تمنع السفن من التغلغل . وسمي ببرج الذهب الى ما ذهب اليه المؤرخون بأن جدران البرج كانت مكسوة ببلاطات ذات طلاء ذهبي . انظر: **عبد العزيز سالم** : بحوث اسلامية .... ص 600.

4- **انوبل مورينو جوميث** : الفن الإسلامي في اسبانيا ، ترجمة لسالم السيد عبد العزيز ولطفي عبد البديع ، الدار .المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1968، ص210 . كذلك : **G. MARCAIS** , L'architecture..., p 158

لكنهم في المقابل ابتكروا نوعا جديدا من الابراج واستعملوه في العمارة الحربية في الأندلس [1] و هو البرج البراني ، و قد استعملوا الشّكل المثمّن في بناء أبراجهم البرّانية و هو تعبير أندلسي في الأبراج الخارجية عن نطاق السّور . فالبرج البراني يرتبط بالسّور الأصلي عن طريق ستارة ثانوية تسمى الفرجة (كزاشة) و الهدف منها غلق الطريق أمام الأعداء في أضعف مناطق السّور ، و الأبراج البرانية تتخذ شكلا مربعا ، أو مثمنا ، أو متعدد الأضلاع . اضافة الى انواع الأبراج التي سلف ذكرها يمكن أن نضيف كذلك الأبراج الهرمية[2] التي تعتبر أهم ميزة في العمارة الدّفاعية الصّحراوية . و قد ترتبط الأبراج كلها او بعضها بمشى ينتقل من خلاله المحاربون من برج الى اخر وعادة ما يكون الممشى في الأسوار الضخمة المبنية من الصخور وهناك امثلة عديدة منها سور القاهرة (صورة 13- شكل6) كما ينتقل كذلك عبر سطوح منازل القصبة من برج لأخر شأن قصور توات (شكل7) كما توجد حالة اخرة وهي الانتقال من برج لآخر وهذا بالنزول الى ساحة القصر ثم الولوج الى برج آخر.

5- المزاغل

تعد المزاغل العنصر الدفاعي الذي يسمح للمتمرسين بالسور الدفاع عن المدينة تجاه أي قوات غازية ،لفظ المزاغل لم يرد له تعريف في اللغة العربية ،لكنها ترد بلفظ المراحي ، في حين إنه يعرف

في اللغة اليمنية القديمة بإسم صوبت والتي ربما هي مشتقة من كلمة صوب السهم او البندقية اي وجهه نحو الهدف وأستعد لإطلاقه ، والمزاغل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة لرمي السهام

-1 بيج بريتون: المرجع السابق ، ص. 46 كذلك : يحيى حسن وزيري : العمارة الإسلامية الحربية...، ص19 . كذلك : عبد العزيزالسيد سالم : بحوث اسلامية....، القسم الثاني، ص603 . للمزيد أنظر :

-**P. CRESSIE**, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie» Archéologie Islamique ,n°5, 1995, P 177-178 .aussi - **C. MAITROT** , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d'étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916, p 180.

3 - هذا النّوع من الابراج هو الأكثر شيوعا في القصور الصّحراوية ، و كل اسوار وابراج اقليم توات تأخذ هذه التقنية ، وفي حقيقة الحال هو برج مربع اذ نجد عادة قاعدته مربعة ، الا انه كلما زاد ارتفاعه نقص قطره ، ونحن نرجح ذلك الى سببين رئيسين، اولها مادة الانشاء التي عادة ما تكون من مادة الطوب(اللّبن الطيني) أو من الحجارة الغير مهيئة الملتحمة بالتراب ، وكلاهما لا يسمح بالحفاظ على تماسك البناء خاصة المنشئات الضّخمة كالآسوار و الأبراج ، وثانيها هو تقنية الانشاء اذ بالضرورة الملحة تفرض هذا النوع من البناء حتى تزيد من صلابة و مقاومة هذه المنشئات المصنعة من هذه المواد . للمزيد :

-**Capot Rey (R)** ; Greniers domestiques et greniers fortifier au Sahara. Le cas de Gourara .T.I.R.S. t14.1956

علي هيئة شق مستطيل رأس أو مربع (شكل8) او على شكل صليب ، ضيق من الخارج ومتسع الولوج الى البرج التالي عبر بوابته وفي هذه الحالة يكون لكل برج بوابة.من الداخل لتسهيل الرّؤية والتّصويب للمدافعين ، وقد استخدمت منذ فترة مبكرة في العمارة الحربية الاسلامية واقدم بقاياها توجد في قصر الحير الغربي 110هـ/-قصر الاخيضر 161هـ - مزاغل الطوابق العليا في سور سوسة 254هـ - كما استخدمت المزاغل في أسوار القاهرة الفاطمية (480-284هـ/1087م -1092م) . وتنقسم مزاغل السّور الأيوبي مثلا الي أربعة طرز الأول تكون مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه عقد أو عتب حجري مستقيم من كتلة واحدة يعلوه نفيس وعقد عاتق وانتشر هذا الطراز في اماكن متعددة بالسّور ام الثّاني مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل و يغطيه عتب مستقيم من كتلة واحدة ،وتكتنف فتحة المزاغل جلستان لجلوس المدافعين ، ويشتمل السّور علي نموذج واحد فقط من هذا النوّع وهي مزاغل الطّابق الارضي بالبرج السّابع والثّلاثين غرب برج الظّفر. و يكون الثّالث مزغل مسقطه الافقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه قبو مسلوب عبارة عن نصف مخروط صغير وضع افقيا وقاعدته للداخل ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج درب المحروق و الأخير مزغل مسقطه الافقي نصف دائري ويغطيه طاقية من نصف قبة صغيرة ،ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج الظفر.

6- الشّرفات

الشّرفة من الألفاظ العربية الصحيحة و جمعها شرفات او شراريف و اتفق اغلب العلماء على أنها ما يوضع على اعالي القصور والمدن [1]. و قصر مشرف مطول أي الذي طولت ابنيته بالشروف [2] . و تعتبر احد العناصر التكميلية في العمارة الاسلامية اذ انها تتوج جدرانها بهيئات واشكال هندسية مبتكرة المسننة منها و المدرجة والنصف دائرية (شكل9)، تحيط بأعلى ذروة المباني فتشكل هذه النهايات عنصر معماري له اهمية واغراض مختلفة [3] . و منه حديص " لا تشرف يصبك سهم" و مشارف الأرض اعاليها ، والمشروف الذي قد شرف عليه غيره [4].

1- **ابن السيدة ابو الحسن على بن اسماعيل** : المخصص ، المطبعة الأميرية ، مصر ، 1901 ، ج1، ص 453.
2- **ابن منظور** : المصدر السابق ، ج9،ص192.
3- **مرزوق عاصم محمد** ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000 ، ط1 ، ص 121 . كذلك ث**ويني على** : معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، دار الحكمة ، بغداد ، 2005 ، ص 432-433.
4- **الفيروز ابادي** : نفس المصدر ، 392.

و واجهات المساجد و المدارس ونحوها من العمائر وكانت تعمل من الحجر الاجر فى العمائر و من الخشب و من المعدن فى الابواب الخشبيّة و المصفحة بالنّحاس ومن تلبيسات ملونة متداخلة فى الرّخام و معشقة فى العقود المزررة . وقد تُوجت واجهات الأسوار الاسلامية فى مصر و الشّام عادة بشرفات حجرية او آجرية ذات اشكال نباتية او مورقة او اشكال هندسية مسننة.

كانت الشّرفات النباتية منها هى الاكثر شيوعا و استخداما وكان المفرغ منها بمثابة شرفة ثانية متداخلة فى الاولى اما الشّرفات المسننّة فكانت قاعدتها اعرض من قمتها من اجل متانة تثبيتها وكان لهذه الشّرفات المسننّة وظيفة حربية اصلا لانها كانت تقوم فى اعلى الحصون و الاسوار .

و بعد دراسة كل هذه الخصائص المعمارية العسكرية للمدينة الأسلامية ، سوف نتطرق لدراسة كل منطقة من مناطق الاقليم الثلاث بصفة منفرة مركزين على الجانب المعماري العسكري فيها.

هذا الشّاهد المعماري وجد في جميع اربطة و مدن المغرب ، كفاس[1] و القيروان[2] و غيرهما الكثير . و قد تطوّرت صناعته الى أن أصبح من جديد عنصرا زخرفيا تزخرف به واجهات

1 - **فاس** مدينة مغربية جاء في نشاتها العديد من الرّوايات منها رواية ابن ابي زرع ، كذلك رواية العمري التي نسردها حيث قال فيها "...**قلت: وثم فائدة لا بأس بذكرها و التنبيه عليها ذكرها ابن سعيد في المغرب و هي أن فاسا القديمة ، هي ايضا مدينتان ، اقدمها المعروفة بمدينة الأندلسيين ، بنيت في زمان ادريس بن عبد الله الحسني 127ه-177ه** (إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب أمه :

بنت عبد الملك بن الحرث المخزومي الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يرجع نسب إدريس الاول إلى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة فاطمة الزهراء و هو المؤسس الأول لمدينة فاس و بعد 20 سنة من بناء الأول اضاف لها ادريس الثاني عدوة القرويين .) ، **ثم المعروفة بمدينة القرويين بنيت بعدها . قلت وهاتان المدينتان هما المعبّر عنهما الآن بفاس العتيقة ، فجملة فاس الأن ما يذكر مدينة الأندلسيين و مدينة القرويين و مدينة حمص و ربض النصارى و القصبة . والذي يطلق على الجميع فاس القديمة : ولجميع الأندلسيين و القرويين ، وفاس الجديدة : لجميع البقية و هي البيضاء وحمص والربض و يطلق على الجميع اسم فاس.** " للمزيد انظر **العمري** ، **احمد بن فضل** (ق8هـ- 14م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تحقيق مصطفى أبوضيف احمد. الدار البيضاء،1988، صَ118. نشير ان ابن سعيد الذي جاء على ذكر العمري هو **ابن سعيد المغربي ابو الحسن علي**(ق7هـ-13م)، في كتابه : كتاب الجغرافيا .-(مصدر محقق فيه اسماعيل العربي ، بيروت ، 1970.

2 - **القيروان** : مدينة تقع في الجهة الغربية لدولة توس و هي مدينة الاسلام الأولى بافريقية ، و معناها في أصل وضعه المعرب عن الفارسي هو "عظم الجيش" و " المعسكر" أسست على يد الفاتح العربي الكبير عقبة بن نافع الفهري في السنة 50 هـ ، فيالموضع الذي تحتله اليوم ، و هي مقدسة في نظر الكثير من العلماء و الأئمة وقد قال فيها الفقيه الصالح الشيخ ابن مرزوق قال فيها " **ما زلت ابحث في الأثار و الأخبار الى أن وجدت القيروان رابعة لثلاثة : المدينة و مكة وبيت المقدس و القيروان**" وهذه القداسة جاءتها من احتواء ارضها قبر أحد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و هو ابو زغمة العدوي مصداقا للحديث الشريف " **أيما رجل من أصحابي مات ببلدة فهو قائدهم و نورهم يوم القيامة**" و ليس بافريقية و المغرب غيره من صحابته رضوان الله تعالى عنهم غيره مدفونا بها و نجد بالمشرق الصحابي ابوعبد الله بريدة الذي مات بمرو و قبره بالحصين . و البركة المقصودة من قبر هذا الصحابي انما هي لشعرات كريمات مدفونة فيه لا لصاحبه ، ويخبرنا المالكي قائلا " **لا يعلم أن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع من المواضع الا القيروان ، وذلك ان الرسول لما حلق رأسه في حجة الوداع ، اخذ من شعره أبو زغمة البلوي رضي الله عنه و جعله في قلنسوته ، فلما مات دفن بها معه ، فهذه مزيو لأهل القيروان عظيمة ومنفعة جليلة لا يشاركهم فيها غيرهم من بلاد المغرب ، حيث ظمت ارضهم بعض جسد الرسول الله صلى الله عليه وسلم** " للمزيد عن هذا الموضوع انظر ، **المالكي** : رياض النفوس ، ص 13. كذلك د . **الكعبي(ص)** : القيروان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص ص 12-13.

القصور والمساجد مثل ما هو الحال في جامع القيروان[1]، وجامع بن طولون سنة (263 هـ - 876م/ 265هـ- 879 م)[2] و يقتصر وجوده في نهايات جدران السّطوح و الأسوار مثل قصر اولاد الحاج بتديكلت وجل قصور توات .

كما يمكن تصنيف عنصر آخر من العناصر العمارة العسكرية وهو تلك الزّراديب و الدّهاليز السّرية التي تنشأ تحت المدن و تستعمل خاصة للانسحاب أو للإمداد و قد جاء ذكرها في العديد من المصادر و المراجع التّاريخية على سبيل الذكر لا الشرح ذلك أن معضمها ظل في طي السر والكتمان لا يعلمه الا مهندسوا تلك البنايات و حكامها سواءا في عمارة المسلمين او عمارة الحضارات القديمة كبلاد فارس والفراعنة وحتى الرومان من بعدهم فقد كانت هناك العديد من الايحاءات في هذا الجانب و قد استعمل هذا النوع من العمارة عادة للأمداد أو الانسحاب في حالة الحصار أو الهزيمة ، و يمكن سرد ما ذكره بيليسي في وصفه لقصر عين ماضي بالأغواط بقوله " **عين ماضي مدينة صغيرة يحيط بها سور مزود بأبراج و يحتوي على ثلاثة مداخل بالإضافة الى باب سري يؤدي مباشرة الى الخندق** " [1] إلا أنها ونظرا للسرية التي أحيط بها هذا النّوع من المنشئات و هذا واضح من خلال تسميتها ، فبقيت في أمر الغيب و لم يتطرق أي الى دراستها ، إلا انها بالضّرورة الملحّة تكون موجودة كونها آخر حل لحماية رموز الملك و الدّولة ، و لا يمكن لأحد ان ينفي وجودها في قصور توات ، خاصة ان كل القصور الصحراوية تحتوي على تحتوي على مغارة او غرفة واسعة تحت أرضية تخص جميع سكان القصر تستغل في أيام الصيف الحار للراحة لما توفره من جو رطب ومنعش و لما لا تكون هذه الغرف هي احدى محطات هذه الدّهاليز (صورة20) ؟

1 - يقع جامع القيروان في الجهة الغربية للمدينة و هو لا يبعد كثيرا عن سورها من هذه الناحية ، إختطه الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة(50هـ-670م) يقول ابو عبيد الله البكري في هذا الموضع " **..ان اول من وضع محرابه و بناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان حاشى المحراب و بناه و حمل اليه ساريتين الحمراوين الموشاتين بصفرة التي لم ير الراؤون مثلها من كنيسة كانت للول في الموضع العروف اليوم بالقبسارية بسوق الضرب و يقولون ان صاحب القسطنطينية بدل لهم فيها قبل نقلها الى الجامع زنتها ذهبا فابتدروا الجامع بها و يذكر كل من راها انه لم ير في البلاد ما يقترن بها فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق باهله و ان بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر فكتب اليه هشام بأمره بشريها و ان يدخلها المسجد الجامع ففعل و بني في صحنه ماجلا و هو المعروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات و بنى الصومعة في بير الجنان ... و الصومعة اليوم على بنائه ستون ذراعا و عرضها مسة و عشرون و لها بابان شرقي وغربي ... فلما ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس و خمسين و ماية هدم الجامع كله حاشى المحراب ..."** للمزيد راجع **البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب (من كتاب المسالك والممالك) ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، ص23 كذلك :** للمزيد انظر د . **الكعبي(ص)** : نفس المرجع ، ص19 .

2 **عكاشة ثروت** : القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ن 1961 ، ص 20 .كذلك **حسن باشا**،: مدخل الى الأثار الاسلامية ، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1979 ، ص217 -218.

Emerit (M)' L' Algerie a l'epoque d'Abd el Kader. Edition La rose . Paris . 1951. Pp227 et 230.-3



الفصل الثاني

تمـــــهيـــــد

أولا – تسمية الاقليـــم.

ثانيا – جغرافية الاقليم.

ثالثا - تاريــخ الاقلـيـم.

رابعا - عمارة الاقلـــيـم.

تمهيد

يعتبر العامل الاقتصادي أو تجارة القوافل من أهم الاسباب التي كانت وراء ظهور قرى و أضمحلال أخرى و نعني بذلك طرق الموصلات ، و خلال القرن الأول قبل الميلاد و بسبب ازدهار التّجارة الفينيقية تمّ إنشاء محطات تجارية على طول السّاحل الإفريقي ، و قد تميزت بقربها بعضها البعض في أغلب الأحيان . ولم تكن عن طريق الصّدفة بل كان تمييزا وتقديرا من قبل التّجار الفينيقيين الذين اشتهروا بالتّجارة البحرية . هذه المحطات التّجارية قامت حولها مجتمعات تطورت مع الزّمن لتصبح مدنا تجارية مزدهرة . و باتت مع مرور الوقت تبحث عن منتجات جديدة غير تلك التي تجلب من المدن الفينيقية ، كما اقام التّجار القرطاجيين علاقات تجارية بينهم و بين القبائل الصّحراوية المتاخمة لشط ملغيغ ، نشأت على اثرها أسواقا غير قارة من أجل تبادل السّلع المختلفة التي كانت تحملها القوافل كالذّهب و الجلود وريش و بيض النّعام و العبيد من الجانب الصّحراوي و الأقمشة و الحلي و الملح و الأحجار الكريمة من الجانب القرطاجي[1]. إلا انه من خلال التّرجيحات التّاريخية فان الصّحراء ظلت خارج سيطرتهم وسيطرة الامبراطورية الرّومانية من بعدهم [2] .لكن لا أحد يمكن أن ينفي ما قام به التّجار المسلمين في عقد أطراف الصّحراء و ما ورائها وربطها بمسالك معلومة ، بقصد استكشافها والاختلاط بأهلها و لكن أهم من ذلك هو نشر تعاليم الدّين الاسلامي الحنيف ، و هذا ابتداء من القرن السّابع الميلادي الذي زامن دخول العرب المسلمين أرض المغرب و ازدهرت خصوصا في القرن الحادي عشر ميلادي ، حيث انتشرت و شاعت في عهدهم التّجارة الصّحراوية لخبرتهم فيها بسبب تجارتهم مع بلاد الحبشة و اليمّن و هذا منذ زمن بعيد ، كما أن التّجار تمكنوا من ربط مختلف المناطق النائية بطرق تجارية تجوبها قوافل تربط الشمال بالجنوب و عملت كذلك على نشر ثقافة الاسلام و بسطها في

---

1) **الزبير محمد العربي : نفس المرجع** ، ص 120 **كذلك انظر ابراهيم مياسي** : المرجع السابق . ص4 **النحوي خليل :** بلاد شنقيط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس،1987،ص262. كذلك انظر موضوع **انتشار الاسلام في غرب افريقيا حتى القرن السادس عشر ميلادي** ، ندوة العلماء الأفارقة ، الخرطوم ، 1983 ، ص51**. كذلك جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج5 ، تعليق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، 1972 ، ص 47 .**

2-لحسن تاوشيخت : عمران سجلماسة من خلال المصادر التاريخية و الخريطة الاثرية ، اطروحة دكتوراة في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، المغرب ، سنة 2002/2001 ، ص 122 غير منشورة . كذلك **محمد الإبراهيم مياسي:** من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر . ديوان المطبوعات الجامعية .1999.ص41.

بلاد السّودان الوثنيّة و يعتبر هذا بسط لسلطان الدّولة و توسيعا لرقعتها [1] ، و لذلك كانت للتّجارة و اقامة الاسواق و كان كذلك لانتشار الاسلام معها في آن واحد الدّور الفعال في ظهور مدن صحراوية جديدة كمدينة تمبكتو الواقعة على وادي النيجر التي تأسست في القرن 6هـ/12م و قد قامت بدور ثقافي بارز في السّودان الغربي و كانت قلب الحركة الفكرية ، اجتمع فيها العلماء و الفقهاء و كان جامعها الشّهير جامع سنكري يشبه كثيرا جامع الازهر في تراثه ومكانته العلمية ، و باتت مكانة مدينة تمبكيو من النّاحية الثّقافية لا تقل أهمية من مكانة القيروان في تونس او فاس في المغرب الأقصى أو قرطبة في الأندلس او القاهرة في مصر [2]و كذلك مدينة جنى او جنة التي تقع الى الجنوب الغربي من تمبكتو و التي قام أهلها في مطلع القرن 7هـ/13م بتهديم الاثار الوثنية و اقاموا على انقاضها مساجد ذات الطّراز المغربي السّوداني [3] و في هذا الشّأن يقول د. محمد عيسى صابر :" **و لقد حمل التّجار الرستميون هذه الألوان الحضارية ، حملوا معهم الاسلام الى هذه الجهات ، وكثيرا ما كان يرافق هذه القوافل التجارية عدد من الفقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل البلاد و تركوا فيهم أثارا بعيدة المدى**"[4].

لقد لعب المغرب الاوسط دورا حضاريا كبيرا واضح المعالم في تاريخ بلاد السّودان الغربي و من أهم اسبابه التّجارة و كان للمسالك الصّحراوية السّبب المباشر في هذا التّأثير و مكنت من انتشار الاسلام و تعاليمه ، و هذا من محاسن الامور ، و قد جسد فوائد التّجارة العالم الجليل ابي الفضل جعفر بن على الدّمشقي خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي في كتابه المعروف " **الاشارة الى محاسن التّجارة**" و هو كتاب لا تقل أهميته و قيمته العلمية و الاقتصادية عمّا بلغ اليه علماء الاقتصاد في هذا العصر [5].

1- **النحوي خليل :** بلاد شنقيط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس،1987،ص262. كذلك انظر موضوع **انتشار الاسلام في غرب افريقيا حتى القرن السادس عشر ميلادي** ، ندوة العلماء الأفارقة ، الخرطوم ، 1983 ، ص51. **كذلك جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج5 ، تعليق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، 1972 ، ص 47 .**

2) **حسن أحمد محمود :** الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ،ط2 ، مصر ، 1964 ، ص 270 .

3) **قداح نعيم** : حضارة الاسلام وحضارة اوربا في افريقيا ، ط2 ، الجزائر 1975 ، ص 156 .

4) **الحريري محمد عيسى :** مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي - الدولة الرستمية- ط2 ، دار القلم الكويت 1983 **، ص 272 .**

5) **جرجي زيدان** : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج5 ، تعليق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، 1972 ، ص 47 .

و من هذا المنطلق، بدأ استغلال بعض المناطق الصّحراوية المختارة كأسواق وكانت في نفس الوقت منارات للعلم والثّقافة ، أصبحت محجا للتّجار والعلماء في آن واحد و من كل جنس و لون سواءا كانوا مغاربة ، أندلسيون ، شاميون أو غيرهم [1] ، و بازدياد توغل وانتشار التّجار العرب في المراكز التّجارية الصّحراوية نتج عن ذلك نشوء عدة مستقرات تجارية اسلامية ، فمن بين تلك المراكز النّاشئة مثلا في السّودان الغربي كان هناك الحي الاسلامي في مدينة غانا التي شهدت نشاطا كبيرا للتّجار العرب منذ وقت مبكر خاصة وانها كانت المدخل الوحيد للوصول الى مناجم الذّهب ، وبما أن دولة غانا من اقدم دول السّودان الغربي كان طبيعيا ان تشهد موجة هجرة للتّجار المسلمين حتى باتت خاضعة لحاضرة المسلمين بعد سيطرة المرابطين عليها و بذلك خضعت كل طرق القوافل الصحرواية من الجهة الغربية تحت السيطرة التامة للمسلمين منذ مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي [2]. و نفس الشيء حصل مع الكثير من المواقع الصحراوية التي وصل اليها هؤلاء التجار وغيرهم ووصل معهم الاسلام بأخلاقهم وأعمالهم فأنتشرى بتلك القرى النائية بطريقة سلمية فتحضرت وتطورت وباتت قصورا كبيرة معروفة . ان الصّحراء الافريقية شهدت بالخصوص خلال العصور الوسطى مدًا اسلاميًا واسعًا ، سببه الطّرق التّجارية التي ارتادها التّجار المسلمين ، و قد لعب المرابطون والموحدون دورا بارزا في نشر الاسلام في اعماق الصّحراء و نتيجة لذلك قامت بالصّحراء مراكز عمرانية و حضاريّة هامة ابرزها تمنطيط و تمبكتو و جنّي و غاو .

لقد صار اختيار مواقع القرى الصّحراوية امرا ضروريا قد يحدّد استمرارها من عدمه ، و ذلك لان العرب المسلمين خاصة قد استوعبوا واقع امتدادهم و انتشارهم البرّي الذي ولّد تقاليد خاصة انعكست على الظّاهرة الحضريّة ، و في ذلك سببا لما قام به العرب بنقل عواصمهم نحوا الدّاخل فمن أنطاكية إلى دمشق بسوريا و من الإسكندرية إلى مصر و من الكوفة إلى بغداد وسامراء بالعراق و من قرطاجة إلى القيروان بتونس . كما أن معظم هذه المواقع البريّة (الصّحراوية)

1- **حسن أحمد محمود** : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا . ط2 ، مصر ، 1964 ، ص 270 .

2- **حسن ابراهيم حسين** : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، القاهرة ، 1963 ، ص 99 .

اعتمدت كثيرا على المحطّات التّجارية خاصة منها طرق النّقل الرّئيسية الرّابطة بين المدن والعواصم الكبيرة ، و لذلك تباينت هذه المواقع فيما بينها مع الزّمن و ذلك مرده الأساس إلى استمرار الأهميّة العالمية للطّرق التّجارية التي تقع عليها هذه المحطات .

ان المتفحّص لمواقع القصور في صحراء المغرب الاسلامي بصفة عامة و توات بصفة أخص يجدها عبارة عن سلسلة متوازنة الابعاد و كأنها حضيت بدراسة دقيقة قبل نشأتها الأولى، إلا أنه في معظم هذه الحالات كانت تراعى نظم في إنشاء هذه القصور و التي وردت في العديد من المصادر التّاريخية والجغرافية ، أمثال ابن الرّبيع [1].

و لم يكن في أي حال من الأحوال العامل التّجاري وحده وراء انشاء المدن أو القصور بعدما كانت محطات تجارية بل هناك عوامل لا تقل أهمية عنه ممثلة خاصة في الجانب الديني من المعروف أن الدّين يمثل الحياة الرّوحية للإنسان ، ولما كان يتعلّق بمكان ما فيصبح ذلك المكان مقدسا ومزارا شريفا للتّابعين ، و يكبر ويتوسّع لكثرتهم و يعلو صيتهم و مثل ذلك مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة ، و القدس (المسجد الأقصى، كنيسة القيامة) ، و النّجف و كربلاء، و القاهرة ، و تونس وقد ينقص شأن بعضهم و مثال ذلك الزّوايا[2] المنتشرة هنا وهناك في عموم القصور الصّحراوية و توات بالخصوص . لقد ساهمت هذه الزّوايا بقدر كبير في نشر اللّغة العربية و الاسلام عبر ربوع السودان الغربي بل بات لها فروعا في هذه البلاد الجديدة في كل من كانو و بورنوا [3] .

---

1 - وضع ابن الربيع شروطا اشترط توفرها في الامكنة حتى يمكن العيش فيها و هي أ- سعة المياه المستعذبة و يعني ان تتوفر المنطقة على الماء الشروط وسهولة الحصول عليه من طرف الجميع ب- امكانية الميرة المستمدة و يعني بالميرة وهي الغذاء لا بد من توفر قوت للناس ج- اعتدال المكان وجودة الهواء ح- القرب من المرعى والاحتطاب خ- تحصين أهلها من الأعداء و الذعار و أن يحيط بها سور يعين أهلها للمزيد راجع **ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد)** : سلوك المالك في تدبير الممالك .. ص152.

2-الزاوية ، يقصد بهذا المصطلح في بلاد المغرب الاسلامي على الأماكن المخصصة لارفاق الواردين و اطعام المحتاجين من القاصدين كما تهتم بتلقين تعاليم الدين الاسلامي و تدريس القران وتحفيظه للطلبة الراغبين و تشمل مسجدا وعادة يلازمه ضريح لصاحب الطريقة و من هذه الزوايا نجد التيجانية اما في المشرق فتعرف بالرباط او الخانقوات و هي مكان لعبادة المتصوفين . للمزيد راجع **التلمساني محمد ابن مرزوق** : المسند الصحيح في مآثر و محاسن مولانا ابي الحسن ، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس ، تقديم محمود بو عباد ، ش و ن ت ، الجزائر 1981 ، ص 413 .كذلك **حبيب محمد** : زوايا العلم والقرآن في الجزائر ، دار الفكر ، الجزائر ، د ت ، ص ص 27-28 .

3- **زبادية عبد القادر** : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا الغربية وجنوب الصحراء ، م و ك الجزائر ، 1989 ، ص 29 .

و ينشأ عادة حولها مدارس ومساجد و مثل ذلك زاوية الامام المغيلي[1] بكنتة و كذا محمد بلعالم[2] و غيرهم كثيرون حتى انه لم يخلو قصرا من القصور تقريبا الا وكان له زاوية تخص به و هذا للدلالة على هذه الدرجة الكبيرة لما للدّين و الزّوايا من أهمية عند أصحاب هذه البلاد حتى ان ما استهل به الرّحالة ابو سالم العياشي زيارته لآقليم توات هو زيارة أحد أولياء المنطقة قبل دخول القصر ، حيث قال "... **ثم دخلنا أول عمالة توات، وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصّالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الرأس** ..." [3] . لذا كان اقليم توات معروفا لدى الجميع لكثرة محطاته التّجارية ، فأشتهر في جميع البقاع وكاد لا يستغني عنه زاهد ولا تاجر فكثرت فيه الأسواق التي باتت تربط الشّمال بالجنوب و كثرت فيه كذلك الزّوايا القرآنية التي كانت تجارتها العلم و نشر الاسلام فأكرمها الله تعالى بفضله بأن من أهلها من أكمل مسيرة الصحابة الكرام في نشر الاسلام في بقاع افريقيا فكان الواجب التعريف بهذا الاقليم و ما كان من وراء تسميته و مراحل تاريخه ومن استوطنه من الأجناس .

1- **الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي**. هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس .... ولد الإمام بتلمسان و حفظ القرآن الكريم على يد والده و الذي علمه أيضا مبادئ العربية من نحو و صرف و بيان ، كما تلقى العلم عن علماء و شيوخ تلمسان منهم أبو يحيى التلمساني 826 و قيل 825 هـ . يشبهه الكثير من المؤرخين و المترجمين الذين كتبوا عنه و عن جهاده و دفاعه لنشر الإسلام الصحيح و محاربة البدع و المنكرات بشيخ الإسلام ابن تيمية .عرف بواقعة او نازلة التوات اين قضى على سيطرة اليهود في تمنطيط و توفي رحمه الله سنة 909 هـ ، و دفن في بلدية زاوية كنتة في ادرار . للمزيد راجع **خير الدين الزركلي** " الأعلام " - دار العلم للملايين - بيروت لبنان- الطبعة الخامسة أيار (مايو) 1980 م.كذلك- **اد أبو القاسم سعد الله** :تاريخ الجزائر الثقافي". دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998..كذلك **ابن مريم محمد بن أحمد**: " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، نشر محمد بن أبي شنب، تقديم عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988 م.كذلك **آدم عبد الله الألوري**: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا" ، ط 1، مصر، 1974 م .

2- **لشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي** (1212هـ) ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي امحمد ، تتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني . وبعدها أسس مدرسته المشهورة التي تخرج منها شيوخ أجلاء منهم ابن عمه سيدي عبد الكريم ، كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي ، توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة(1212هـ). من آثاره مخطوط النوازل في الفقه .وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها ، وشرح مختصر الخليل ، وكتاب المباشر على ابن عاشر للمزيد : مخطوط تقاييد خاصة عند أحفاده بقصري زاجلو و أنزجمير . وكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات . ص 126 وما بعدها . وكتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات ج/01..ص 128 ومابعدها . وكتاب سلسلة النواة ج/02..ص 09 وما بعدها. وكتاب قطف الزهرات .ص 123 وما بعدها،وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها . ص93. وما بعدها .

3- **ابو سالم العياشي** : ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد ناجي . ط2. 1397هـ-1977م . مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر. ج1.ص20.

أولا - تسمية الأقليم

يمتد إقليم توات من زاوية الدّباغ القريبة من مدينة **تيميمون** شمالا حتى فقارة الزوى أحدى قصور من منطقة عين صالح بولاية تمنراست جنوبا(خريطة 03)، يحتوي هذا الإقليم على مجموعة من التّجمعات السّكنية المتناثرة هنا و هناك أشبه بالأرخبيل تسمى **"القصور"** ، تزيد عن ثلاث مئة 300 قصرا. وقد نشأت هذه القصور من وظيفة المحطات الكبرى للقوافل التّجارية العابرة للصّحراء في العصور السّالفة، وأخذت شكل المدينة الواحة لأن الماء والنّخيل يشكلان قاعدتها الأساسية . و قد أختلف الباحثون و المؤرخون حول أصل تسمية (**توات**) و تاريخ أختطاطها و حتى كذلك في رسم حدودها ، حيث أن اسم توات يقصد به الاسم النّوعي الذي أطلقه العرب و الطّوارق على مجموعة الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لوادي السّاورة ، و وادي مسعود جنوبا و ملحقاتها من الأحواض الشّرقية و الغربية . و يذهب البعض الى أن الكلمة أصلها تكرورية بمعنى " **وجع الرّجل**" و هذا ما ذكره الشيخ عبد الرحمان السّعدي صاحب كتاب تاريخ السّودان مستندا في ذلك ان سلطان السّودان عندما رحل الى الحج مرّ بالمنطقة ، فأصابه وجع في رجله ، فأخذت المنطقة هذا الاسم كون حسب صاحب هذا الكتاب أن وجع الرجل في لغة سنغاي تعني توات[1]. أما العالم مولاي احمد الادريسي في مخطوطه نسيم النفحات و اضافة الى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة[2] . وقد ورد في أصل تسمية هذا الإقليم حيث روى العلامة محمد بن با عومر [3]المتوفي في القرن 13هـ أن السّبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة بن نافع الفهري[4]

1- **عبد الرحمان السعدي** : تاريخ السودان –طبعة هوداس – باريس -1964-باريس-ص127.

2- **الشيخ مولاي أحمد الادريسي** : نسيم النفحات في ذكر جوانب من اخبار توات . ص12 .مخطوط موجود بخزانة كوسام بأدرار

3- محمد **بن عومر البداوي** : نقل الرواة عن من ابدع قصور التوات . مخطوط موجود بزاوية حيدة بأدرار , ص 05.

4- هو الفاتح عقبة بن نافع الفهري ولد السنة الأولى قبل الهجرة ، ولاه يزيد بن معاوية على افريقية سنة 62هـ للمرة الثانية كقائد للحملة علة ما بقي من افريقية خلفا لأبي مهاجر دينار و عندما كان راجعا من فتوحاته بافريقية قاصدا عاصمته القيروان وبوصوله مدينة طبنة بلغه ان جماعة من البربر قد ارتدت في منطقة الزاب فعرج رفقة ثلة من جيشه قدرتها بعض المصادر حوالى 300 رجل و كان برفقته ابا مهاجر دينار و ترك باقي الجيش يزحف الى وجهته القيروان ، و لما بلغ مشارف تهودة وقع في شرك نصبه له امير البربر كسيلة الفار من الأسر، فأستشهد في مكان ليس بعيد عن مدينة تهودة رفقة مرافقيه و معهم ابا مهاجر دينار سنة 69هـ ، حسب بعض الروايات انه لم ينجو منهم سوى محاربين دلا على مكان سقوط اميرهم و نائبه فيما بعد فنشأت مدينة حول مسجد به ضريح يعتقد انه قبره آخذة اسمه بعد سنوات من استقرار اوضاع افريقية ، و قد كانت هذه الحادثة وراء بداية رجوع سلطة البربر على بلاد المغرب تحت لواء كسيلة الذي احتل مدينة القيروان وجعلها عاصمة لمملكته التي دامت اربعة سنوات حتى وصول حملة زهير بن قيس البلوي الذي قتل كسيلة و انتقم منه شر انتقام و استرجع المدينة، لكن مالبث ان قتل في معركة مع الروم البيزنطيين في برقة لتتبع هذه الحملات حملة حسان بن نعمان سنة 74هـ التي جهزها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد ان فزع من معركة ابن الزوبير سنة 73هـ الذي استرجع البلاد ، وقضى على الروم البيزنطيين و طردهم و اتم عمله بفتح افريقية والقضاء على ملوك البربر و على رأسهم الكاهنة ذهيا بنت ماتية بن تيفان راجع (معجم مشاهير المغاربة . **الشيخ بوعمران و آخرون** . جامعة الجزائر 1995. ص ص365-366) .

بلاد المغرب ، ووصل ساحله ، ثم عاد لواد نون و درعة و سجلماسة[1] ، وصل خيله توات ، ودخلها بتاريخ 62هـ ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات وعن ما يسمع و يفشى عنها من الضّعف . هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب ؟ ينزله بها أو يجلّيه اليها ؟ فأجابوه بأنها تواتي ، فأنطلق اللّسان بذلك أنها تواتي ، فتغيّر اللّفظ على لسان العامة لضرب من التّخفيف .

وهناك رأي آخر يرى أنه لما نزل أفراد من قبائل زناتة في القرن (6هـ-12م) قالوا " **تواتي أسكن**" بمعني تصلح له [2]، فعرفت بتوات ، في حين نراه يورد إلى هذا رأياً آخر أكثر تداولاً وهو الرّأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشّيخ سيد البكري (المتوفي في القرن14هـ) حيث يقول:" **في سنة 518 هـ حيث غلب المهدي[3] الشّيعي سلطان الموحدين على المغرب ، بعث قائدَيه علي بن الطّيب والطّاهر بن عبد المؤمن لأهل الصّحراء وأمرهما بقبض الأتوات ، فعّرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات** " [4] و يعلّق البكري على هذه الرّواية ويقول : " **وهذه الرّواية أصحّ ولهذا اللّفظ مسند في العربية ."**[5] .

---

1 - **سجلماسة** مدينة تقع في المغرب الأقصى و تعتبر سجلماسة من أكبر المدن و أكثرها ارتباطا بمنطقة توات . تأسست سنة 140هـ- 757م .من طرف الدولة المدرارية على اطراف نهر الزيز راجع (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية .ص 62) ، كذلك وصفها الادريسي بقوله" سجلماسة: في صحراء المغرب الأقصى، وبالقرب منها أنشئت مدينة بديلا عنها تسمى تافيلات بينها وبين البحر عشرة مراحل وهي على نهر يقال له زير، وهي مدينة كبيرة كثيرة العمران وهي مقصد للوارد والصادر"، أنظر **الأدريسي** : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، المجلد الأول ،ص225. كذلك و قال فيها **الحسن الوزان** " ان مؤسس المدينة قائد روماني ذهب من موريطانيا فأحتل نوميديا بأسرها، ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة ، فبنى مدينة و سماها سجلوم ميسى لأنها كانت اخر مد لدولة ماسة...بنيت المدينة في سهل على واد زير ...و لما فتح العرب المسلمون افريقيا خضعت سجلماسة للملوك زناتة الى ان طردهم يوسف بن تاشفين اللمتوني ..." وصف افريقيا ، ج1، ص 127-128. انظر كذلك **رحلة العياشي** : الرحلة العياشية ، ص 18.

2- **فرج محمود فرج** : اقليم التوات خلال القرنين 18-19م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1977،ص02.

3 - هو محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي (474هـ/524هـ- 1080م/1130م) ، مؤسس دولة الموحدين سنة 515ه و توفي سنة 524ه . راجع **أحمد بن خالد الناصري** . الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى . الدّار البيضاء المغرب 1997 . ج1،ص 37 .

4 - **محمد بن عبد الكريم البكري** . درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الأسلام . ص6 . مخطوط موجود بخزانة المطارفة بأدرار.

5 - نفس المصدر السابق ، ص6 .

فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التّعريف و المضاف وصار هذا الاسم على هذا القطر الصّحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح[1]. و فيه من يري ان أصل كلمة توات مشتقة من فاكهة التوت كما جاء في المصباح **" التّوت هو الفاكهة والجمع أتواتٌ"** [2] . في حين نجد من يقول أن هذا الأسم نسبة الى احدى القبائل القاطنة في الجنوب و هي احدي بطون قبيلة الملثمين سكان الصّحراء فيقول "**...و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم ملثمون بلثام ازرق و منهم طوائف التوارق و لمتة و توات ...**" [3] ، و ذكر أحد المؤرخين المحليين وهو مولاي أحمد الادريسي بأن أصل التّسمية أن المنطقة تواتي للعبادة وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين [4] واعتُبر الرأي الأرجح في هذه المسألة على ما يذكر الرّواة . و يأتي تعريف هذه الكلمة عند فرج محمود بن مبارك في مخطوطه " تاريخ توات " فقال ان الكلمة ذات أصل اعجمي قد أطلقتها قبائل من لمتونة عندما التجأت الى الإقليم في منتصف القرن السّادس هجري على السّكان بعدما وجدوا المكان المناسب لهم[5] . في حين راح البعض[6] الآخر ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها هل هو من الفعل واتى يواتى ، أو هو اسم للمغارم ، أي الأتوات ، أو هو أسم لفاكهة التّوت أو هو غير كل هذا ، وإنما هو اسم أعجمي يحمل

---

1) **محمد بن الكريم البكري** . نفس المخطوط . ص6.

2) **أحمد بن محمد الفيومي** . المصباح المنير . ج1. ط1 .المطبعة الأميرية القاهرة 1921. ص 108.

3) **ابو عبدالله الأنصاري** : فهرست المرصاع ، تحقيق محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1967، ص 127.

4) مثل ما ورد عن المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواه و مولاي أحمد الأدريسي في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات (المخطوط موجود بخزانة كوسام بأدرار) .ص 03.

5) فرج محمود فرج : اقليم التوات ،ص ص 1- 4 .

6) ذكر السعدي ان أصل اكلمة تكرورية " لأن أول الانسان الذي تخلف هناك توجع في رجله ، و توطن هناك فسمي الموطن باسم تلك العلة " راجع **عبد الرحمان السعدي** . تاريخ السودان . تحقيق هوداس. مطبعة بردين باريس 1964 . ص7. أما المولاي أحمد الأدريسي في مخطوطه نسيم النفحات يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي (تليق) للعبادة . راجع ص 12.

دلالات خاصة تبعاً للّغه الأم ، البربرية أو التّكرورية [1] أو التّارقية [2] أو العربية .

أما أحدث الدّراسات فيما تعلق باسم توات فهي للأستاذ أحمد بوساحة الذي قال ان كلمة توات تطلق على المناطق المنخفظة في اللّهجات البربرية و أورد تفسيرا لذلك بأن الجزء الدّاخلي في جسم الانسان الذي يقع تحت القفص الصّدري يدعى التّوات في هذه اللّهجات كما يذكر أن ثنايا امعاء الحيوان يطلق عليها في نفس اللّهجات توات [3].

كما كان للعجم ممن زاروا أو مروا أو أهتموا بالمنطقة كذلك آراء هم كذلك حول أصل التّسمية . و يذكر (Martin-A.G.P) و هو احد المستكشفين الفرنسيين ان كلمة توات اصلها "وأ" و هذه المفردة تتواجد بعدة لغات سواء العربية أو اليونانية و في لغة زناتة تعني بقعة مسكونة و مع مرور الزمن أضيف لها حرف التاء في المقدمة والمؤخرة فباتت توات مستشهدا بتسمية توات الجنة أي بلد الجنة[4]. أما ماندوفيل (Mandeville) فيرى ان هذه التّسمية أطلقها العرب و الطّوارق على مجموعة الواحات التي تنتشر بين واد السّاورة و واد مسعود في حين يذكر روكليس(Reclus) أن توات اسم بربري يعني الواحة[5] .

أما نحن فاننا نؤيد أحقية أهل البلد في تسمية بلادهم قبل قدوم أي غريب ، لذا فاننا نرى أن تسمية "توات" اسم بربري بحت أطلقه من سكن المنطقة و تداوله الباقي من بعدهم ، سواء كان لهذا الاسم معنى او لا ، لكن لابد ان له مغزى او دلالة عند مطلقه الأول خاصة و أن الكثير من المدن والقرى من تحمل أسماءا لا معنى لها و هي متداولة بين الناس لحد الساعة .

---

1) **التّكرورية** : لغة أهل مدينة تمبكتوم الواقعة عل ضفة نهر النيجر وسط دولة مالي . مركز تجاري هام و معبر للقوافل الصّحراوية من الشمال الى الجنوب والعكس. للمزيد انظر : **عبد الرحمان السعدي** . نفس المصدر. ص ص7-9.

2) - **التّارقية** : لغة قبائل الطوارق من سكان الصحراء .

3) **احمد بوساحة** : اصول اقدم اللغات في أسماء اماكن الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2002. ص 79.

4) **Martin AGP** –A la frontiere du Maroc , Les Oasis Sahariennes (Gourara,Touat,tidikilt)ed ;Imp Alg.p17

5) **احمد العماري** : توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب ، منشورات كلية الأدب بفاس ، المغرب 1988، ص 11.

ثانيا - جغرافية توات

يقول ابن سعيد المغربي في وصفه لطبيعة الصّحراء بين سجلماسة و غانا قائلا" **لا ماء ولا مرعى و لا عمارة ، بل رمال سائلة و طرق مظلمة طامسة ، و أكثر ما يكون فيه اللّمط وهو حيوان صابر على العيش ، و هو على شبه الغزال ولكنه أغلظ منه ، و أول ما يلقك من هذا الجزء صحراء سير التي يقطعها المسافرون ما بين سجلماسة و غانة ، وهي طريق عريضة يكابدون فيها شدة العطش و وهج الحر"** (1) ، و كان هذا وصفا عاما لهذه البيداء لكن أبلغ من يصف لنا أرض و مناخ توات هو مولاي أحمد الادريسي الظاهري في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار التّوات حين يقول " **توات ارض سباخ ، كثيرة الرّمال و الرّياح لا يحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها الا النّخيل و بعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها ...**" (2) ، كما حدد موقع هذا الاقليم بتقدير المسافات الشيخ محمد عبد الكريم البكراوي التمنطيطي حيث قال " **توات هي صحراء في أعلى المغرب (بلاد المغرب) ذات نخيل واشجار وعيون ، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوفا ، وغربا عشرون يوما لأول السودان ، ومن غدامس عشرون يوما و من بلاد الزاب عشرة ايام شرقا ن ومن ناحية اولاد عيسى مقدار اسبوع اسراعا لبلد الابيض سيدي الشيخ و عدد قصورها في القرن الحادي عشر مئتا قصرا اوسطها بودة و تيمي وتمنطيط "**(3). يقع اقليم التّوات الذي يضمّ حاليا كل من منطقة ادرار و تيميمون و عين صالح في الجهة الغربية للصّحراء الجزائرية ، و التي هي جزء من الصّحراء الكبرى الأفريقية . يتميّز هذا الإقليم بتضاريس متنوّعة مثل عرق شاش و تانزروت و العرق الغربي الكبير الذي يغطي مساحة كبيرة من دائرة تيميمون و مجموعة من الهضاب كهضبة الحمادة الصّفراء غربا و هضبة تبلبالة بالشّمال الغربي ثم هضبة تادمايت شرقا الى جانب العديد من السّبخات الموجودة على المنخفضات(4)(خريطة 04) .

1) **المغربي بن سعيد** : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، د و ج ، الجزائر ، 1984 ، ص 113 .

2) **مولاي أحمد الادريسي الظاهري** : نسيم النفحات في ذكر جوانب من اخبار توات . ص12 .مخطوط موجود بخزانة كوسام بأدرار . ورقة 03..

3) **محمد بن عبد الكريم البكري** : مخطوط درة الاقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام ، ورقة 01 .محفوظ بخزانة كوسام .

4) **فرج محمود فرج** : اقليم توات بين القرنين 18-19 الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 ، ص 02-03.

تبعد أقرب نقطة من هذا الإقليم عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1270 كلم و يشتمل على عدد من الواحات والقصور التي تزيد عن الثّلاثمائة و الخمسين (350) واحة معظمها يمتد على أطراف أودية جافة و هي وادي مقيدن ينتهي بمنطقة القورارة [1] ، و وادي مسعود ينتهي بمنطقة توات [2] ، و وادي قاريت ينتهي بمنطقة تيديكلت [3]، تبعد عن بعضها البعض بمسافات متباينة مكونة بذلك أرخبيل متناثر الأرجاء في بحر من الرّمال ، و هي تغطي بذلك مساحة تقدر بحوالي 2000 ميل مربع . أما فلكيا يمتد هذا الاقليم بين دائرتي عرض 26°-30 ْ درجة شمالا و بين خطي طول 1° غربا الى 3° شرقا ، الذي يمثل امتدادا طبيعيا لمنخض تنزروفت نحو الشّمال . تمتد المناطق المذكورة جنوب العرق الغربي الكبير بحيث يحد هذا الأقليم شمالا واد السّاورة و جنوبا صحراء تنزروفت و غربا عرق أكشاش و شرقا هضبة تادمايت ، و قد كانت أدرار تعرف باسم منطقة توات و تيميون تعرف باسم منطقة قورارة و عين صالح تعرف باسم منطقة تيديكلت ، و قد اطلق الرّحالة والكتّاب على هذه المناطق مجتمعة أقليم التّوات [4](خريطة رقم 05) .

مناخ هذا الإقليم يتميز بالجفاف و البّرودة الشّديدة شتاءا و الحرارة المحرقة في فصل الصّيف ، حيث يبلغ المعدل السّنوي لدرجة الحرارة حوالي 50° مئوية أحيانا . و هي ميزة تتميز بها كل الصّحراء الغربية نظرا لانخفاضها حيث تكثر فيها الكثبان التي تمتص كمية كبيرة من الحرارة في ساعات قلائل [5]. و نجد أن الفواصل السّنوية كبيرة ، بحيث أن درجات الحرارة المسجّلة في فصل الشّتاء تتدنى الى ما دون 0° مئوية ، أما الفواصل اليومية فتتراوح بين 15° و 20° مئؤية . و يقسم مقياس الحرارة السّنة الى فصلين ، الفصل البارد و يمتد من شهر ديسمبر الى شهر فيفري و يتميز بالرّطوبة في النّهار و ببرودة قارصة في اللّيل و فيها يتراوح المد الحراري بين 1° مئوية و 34° مئوية [شهر فيفري كمثال] . أما الفصل الحار فيمتد من شهر أفريل الى شهر أكتوبر و يتميّز بنهار

1- وادي مقيدن هو امتداد لوادي أسفور الذي ينبع من منطقة المنيعة ثم يتحول الى وادي تندون ، ويستمر سيره غربا لينتهي بمنطقة القورارة حيث يكون سبختها .

2- وادي مسعود هو اتحاد لوادي الجير مع وادي زوسفانة بمنطقة فقيق و يتجه جنوبا لياخذ اسم وادي الساورة ، ثم يتجه غربا فجنوبا بأراضي توات فياخذ اسم وادي مسعود ، ويكون سبخة بتسفاوت و تمنطيط و منها يتجه الى رقان ليضمحل في صحراء تنزروفت .

3- وادي قاريت يأتي من شمال شرق منطقة تيديكلت ويتجه جنوبا نحور الغرب ليكون رافدا لوادي مسعود في النهاية .

4- **فرج محمود فرج** : اقليم التوات خلال القرنين 18-19م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1977 ، ص 1-2.

5- **AUGEAS–S**- : Le Sahara occidental ; societe et geographie ; edit Maison du CIE ;Paris1919 ;pp22-23

جاف و حار جدا و ليل منخفض الحرارة نوعا ما ، و يتراوح المد الحراري في فصل جويلية مثلا بين 21° مئوية و 51° مئوية و هو فرق كبير . فيما يتبقى شهرا أكتوبر ومارس فهما فترة انتقالية .
ومن طبيعة المنطقة تعرضها المستمر للزّوابع الرّملية المحملة بالأتربة التي قد تعيق الحركة وتوقف الحياة أحيانا أثناء حدوثها ، و المتتبع لمناخ المنطقة يرى ان اقليم التّوات يقع تحت ضغط جوي نصف دائم تقريبا و من هنا فان الرّياح ذات تركيبة متغيّرة بحيث أنها شتاءا نجدها تتّجه الى الشّرق والشّمال الشّرقي أما في الصّيف فتأخذ الاتجاه الجنوبي الغربي ، كما ان الإقليم تميزه ريح موسمية تهب بالقطاع الجنوبي الشّرقي تتميز بحرارتها وجفافها الكبيرين[1] و منها رياح الخماسين و تميز بأنها رياح رملية هوائها شديد الحرارة تهب من الجهات الجنوبية و تكثر في شهر فيفري ، و كذا رياح السّوروكو او ما تعرف باسم '**الشّهيلي**' و هي رياح حارة تتسبب في تشكيل الكثبان الرّملية [2] . كما يعتبر سهل تيديكلت الذي يتوسّط منحدرات تادمايت منبع الرّياح الرّملية السّائدة (**رياح الخماسين**)، وهي رياح شديدة جنوبية غربية يذكر انها تستمر خمسين يوما دون انقطاع [3].
أما فيما يخصّ نسبة التّساقط فتكاد تكون منعدمة لقلّتها ، الشّيء الذي أدى الى جفاف كبير في الأقليم خاصة وان معظم التّساقطات تكون في فصل الشّتاء ، الا انها لا تستغرق اكثر من بضعة ايام حيث يتراوح معدل سقوطها بين 6.2ملم الى 9.9ملم أما في فصل الصّيف فتتراوح بين 18.9ملم الى 22.2 ملم [4] متجاوزة بذلك المعدل الشّتوى و هذا راجع الى تذبذب الامطار الموسمية و مع ذلك فهي تعتبر غير كافية لحياة نباتية او لاستغلالها في أغراض الفلاحة[5] ، و هو أمر لا يؤثر على شيء في النّظام المائي الجوفي الذي تجرّه الفقاقير أو تستقطبه الآبار و تكون خلال فصل الشّتاء و لكنها جد ضئيلة ولا تستغرق سوى بضعة ايام .

1-AUGEAS (C) :Op-cit . pp22-23
.
2-Gautier (E.F) : Sahara Oranais . Paris .1903. p 247.
3-Maire(A) et Savelli(A) : In Salah et Tidikelt oriental étude historique et géographique et, médicale ,T4, Paris ,1955, pp33 aussi voir **Daumas(e)** Le Grand desert ou iteniraire d'une caravane du Sahara au pays de Nigers , Paris , 1984,p84.
4-**Dubieg (J)** . Climatique on sahara.T.RI.R.S.Universite d'Alger.t.VI.Alger.1950.pp.22-23.
5-**Gortier**. Les teritoires du sud de l'Algerie . Anciens maisons batu.dejardi. Alger . 1922 . p23

لذا فان أهل هذه المناطق استغلوا المخزون المائي الذي يتوضع عليه الاقليم ، وهو عبارة عن حوض هيدروغرافي و هو يمتد من جبال الأطلس حتى حوض التاوديني بالنيجر[1] ، لذا نجد على طول هذا الامتداد خاصة من الجهة الشرقية لواد السّاورة و وادي مسعود ، واحات وقصور عديدة نشأت لوجود آبار عدة تعمل على بعث الحياة في هذه المناطق القاحلة ، فمثلا بين مأزر في الشّمال و لقصابي في الجنوب على طول السّاورة هناك حوالي 30 واحة تقريبا كلها توجد على الضّفة اليسرى (الشّرقية) للوادي ، وحول سبخة تيميمون توجد أكثر من 15 واحة كلها كذلك بالجهة الشرقية [2] . هذه الأودية وغيرها كانت كثيرة الجريان في الفترة القديمة[3] ، كلها او معظمها تنبع من جبال الأطلس مثل وادي السّاورة الذي يصل الى عمق الصّحراء بمسافة 300 و 600 كلم و يصل الى اقصى الطرف الجنوبي لجبال "اوجرته" بعدما يمر بمضيق "فم الخنق" و تستمر معظم مياه النهر في السّيران نحو الجنوب حتى تبلغ أعالي واحة توات[4] ، و كذلك من الأودية الكبيرة التي تأخذ مياهها نحو الجنوب وادي درعة و وادي تافيلات التي تنطلق بدورها من جبال الأطلس [5] و كانت تصل المنطقة في الفترة القديمة ثلاثة أودية رئيسية تنحدر مياهها ناحية المنطقة و هي على التّوالي وادي مقيدن و هو امتداد لوادي سفور الذي ينبع من منطقة المنيعة ثم يتحول الى وادي شيدون ويستمر غربا لينتهي بمنطقة القورارة مكونا سبخة تيميمون ، واما وادي مسعود فيعتبر امتدادا لوادي قير الذي ينحدر من جبل تاندررة بجبال الأطلس و هو وادي كبير و فسيح قليل الأشجار كثير المرعى يجري نحو الجنوب الى ان يصب في وادي مسعود[6] و يتلقى كميات من المياه الجوفية في الحوض السّفلي الكبير لمنطقة تيميمون ، ولكنه في الوقت الراهن لا يمثل سوى اراض منخفضة جافة معزولة بكثبان الرمال و يتجه صوب الجنوب الغربي حتى يكون رافدا من روافد وادي مسعود .

1- **Martin (A.G.P).** Opcit . p 20.

2- **Gautier (E.F)** Le Sahara ; Payot. Paris . 1928. . p 250 .

3- **أوجرتة :** يمثل حاليا الفاصل بين ولايتي أدرار و بشار .

4- **اسماعيل العربي :** الصحراء الكبرى وشواطئها ، م و ك ، الجزائر ، ط1 ،1983، ص 28 .

5- **GAUTIER (EF)** :Le Sahara.Paris .1946.p84

6- **مولاي بالحميسي:** الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981،ص69 .

و كان لأطراف هذه الأودية و السّباخ دورا فعالا في توفير نسبة هامة من الرّطوبة التي تعتبر عامل من عوامل الاستقرار البشري في مثل هذه المناطق الجافة [1] ، ونسبة الرّطوبة بهذه المناطق متغيرة بحيث تتراوح في نسبة 14 % بين شهري مارس واكتوبر و تصل الى حدها الأعلى 45 % خلال شهر ديسمبر و علي ذلك فان المعدل السنوي للرطوبة يبلغ 27% [2] ،كما أن المياه الجوفية الوفيرة الموجودة في الجيوب الارضية التّحتية التي تجعل من اقليم توات منطقة قابلة للزّراعة كونها تتوضّع على حوض مائي تصل مساحته الى اكثر من 600.000 كلم^2 ، و تعتبر من الكتل القديمة التي تكونت مياهها خلال الحقبة الزّمنيّة الرطبة عبر جيوب مائية التي تنحدر منها الوديان الكبيرة للأطلس الصّحراوي [3] تصل بذلك الى غاية دول الجوار شرق ليبيا و تونس سمحت لقطني هذا الحوض من استغلال مياهه بحفر ابارا ارتوازية عرفت باسم الفوقارة [4] وكثيرا ما تكون موضع نزاع و سببا للحروب بين القبائل نظرا لأهميتها و لخطورة شأنها في الحياة العامة فان منطقة بأسرها قد تحمل اسمه [5] . وقد تكلم عنها ابن خلدون حيث قال " **و في هذه البلاد الصّحراوية الى ما وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية ... لا توجد في تلول المغرب و ذلك أن البئر تحفر بعيدة المهوى و تطوى جوانبها الى أن تصل بالحفر الى حجارة صلدة ...فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا ...وهذه الغريبة موجودة في قصور التّوات"** [6]

1- **أحمد العماري** : توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 – 1902 منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، فاس ، ب ت ، ص15 .

2- هذه المعلومات اخذت عن محطة الارصاد الجوية بادرار .

3- جمعية الدراسات و الأبحاث التاريخية بأدرار، بحث حول الفقارة ، ادرار ، سنة 1992 ، ص 8

4- **الفقارة :** تعددت التفسيرات فيا يخص أصل الكلمة فمنهم من يرى أنها مشتقة من فعل 'فقر' الذي له معنيان اولهما يدل على الفقر والفاقة و هو الشائع عند الناس لابن منظور : لسان العرب ، م5 ، ص 64 , ومنهم من يرى أنها مشتقة من فعل 'حفر' و هي الفقير أي البئر . كما يرجعها البعض الى كلمة 'فجر' و قالوا أصل كلمة فقارة هو فجارة لأنها تتفجر بالمياه ، و هي عبارة عن سلسلة من الآبار الارتوازية غير محددة العدد تتصل فيا بينها بنفق قطره حوالي المتر الواحد تتجه من الشمال الى الجنوب أو من الشرق الى الغرب ، و قد أخذت اسماءا متعددة بتعدد المناطق ففي تونس تعرف باسم أنقولا او خريقا و المغرب ب الخطارة و في اليمن بالصهريج و المدينة المنورة بالشراج و في عمان بالفلج للمزيد عن هذا الموضوع أنظر (**بلي صادق** : عمان بلاد النخيل و النارجبيل) ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد 346 ، سبتمبر 1987 ، ص 157 -160. كذلك(**باي بلعالم** : على منوال شراج المدينة) ، مجلة اعمال المهرجان الثقافي للتعريف بمنطقة ادرار ، 1985 ، ص 55 -60 كذلك **لحسن تاوشيخت** : عمران مدينة سجلماسة من خلال المصادر التاريخية و الخريطة الأثرية ، اطروحة دكتوراة دولة في التاريخ ، كلية الآداب و العلوم الانسانية ، جامعة محمد

الخامس ، المغرب ، سنة 2002-غير منشورة – ص 55. كذلك **Boualem Remini** ; Le Fougara. OPU.2008. p77 .

5- **العربي اسماعيل :** المرجع السابق ، ص 19.

6- **ابن خلدون :** نفس المصدر . م 5 ، ص 118 .

، و بسبب هذه القلّة في التّساقط والوفرة في المخزون المائي كان له الأثر البالغ في الغطاء النّباتي حيث تحدث الوزان واصفا منطقة تسابيت بتوات بقوله في هذا الاطار " ...**سكانه فقراء جدا لا تنبت أرضهم غير التمر ، وقليل من الشعير**"[1] ، ويصف منطقة القورارة في نفس هذا السّياق بقوله " **... لهذه البلاد أرض صالحة للزراعة ، لكن يلزم سقيها بماء البئر ، وتسميدها بالسّماد ، لأنها جافة و هزيلة جدا ، لذلك يسكن أهل تيكورارين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصلوا على سماد الخيل و رجيع النّاس ، حتى ان أكثر ما يسيء به الغريب لمضيفه تغوطه خارج بيته** "[2].

ثالثا - تاريخ توات

من المؤكد ان منطقة توات تعود الى فترات بعيدة قبل الاسلام و ذلك ما تدل عليه تلك الرّسومات و النّقوش الصّخرية المتناثرة هنا وهناك في هذا الأقليم[3] مثل ذلك الموقع الهام في منطقة ماطريون بعين البلبال شمال أولف و الذي عثر فيه على نقوش و رسومات صخرية تصور الحياة في ذلك الحين[4] ، و يرجع تواجد حضارة الانسان الحجرية الى الحقبة الأولى ، التي تبدأ بالعصر الحجري القديم الأسفل ، الذي يعتبر فترة ظهور الصناعات الحجرية البدائية المتمثلة في حضارة الحصى المهيأة[5] و قد عثر على أدوات من هذه الصناعة ناحية اولف ، منها ذات الوجهين و الشّظايا و المكاشط و المحكات ، وتؤكد الأبحاث أن زاوية سيدي الحاج بلقاسم بمنطقة تيميمون شهدت حضارة أشولية تمثلت في مخلفات فؤوس ذات الوجهين وبعض النصال [6]و من اهم المواقع المعروفة موقع يوجد بالقرب من مدينة رقان عثر به على مجموعة من الأدوات الحجرية متمثلة في شظايا مهذبة منتشرة على السّطح مسافة مئات الأمتار ، ومن مظاهر العصر الحجري القديم في ناحية القورارة وجدت بقايا تعود الى الحضارة الأشولية و هذا في موقع زاوية الحاج بلقاسم التي تبعد بنحو 10 كلم جنوب مدينة تيميمون اتجاه شروين و هذا الموقع مثل مئات المواقع الصّحراوية

1- **الحسن الوزان :** نفس المصدر ، ج2، ص133

2- **نفس المصدر السابق ، ص 133 .**

3- **ريمون فيرون:** الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الدين الدناصوري و آخرون ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1963،ص46

4- **Miguel.(L**). Gravures rupestres.du matriouenne wilaya d »Adrar ; C D S ; Gardaia ;Sd,p26.

5- عملية تهياة الحصى تتم بازالة شظية أو أكثر على وجه او اثنين هذه العملية تعتبر اول اتجاه للأنسان في التفكير لصنع اداة ، و يرجع تاريخها الى ما يفوق اثنين مليون سنة قبل الميلاد بافريقيا الشرقية ، وقد أطلق عليها العلماء اسم حضارة الحصى المهيأة.

6- **Ferhat(N)** ; Le gisemnt Acheuleen de la zouia sidi belkacem , Timimoune , libyca,tome xxx ,1984-1986,pp 81-95 ,

وجدت هذه اللقى على مستوى السّطح تتكون عادة من القطع ذات الوجهين و نويات و عدد من الشظايا اللويفالوازيا(Levalloisien)[1].

اما العصر الحجري الأوسط و هو يمثل المرحلة الانتقالية لفترة ماقبل التاريخ فتظم ادوات تعود الى الفترة العاترية [2] التي تميزت بتقنية العنق على بعض الادوات مثل ما عثر عليه بموقع شمال ادرار باتجاه تيميمون [3] و خلال العصر الحجري الحديث الذي تميز بتغير نمط معيشة الانسان باكتشاف الزّراعة و استئناس الحيوان ، ومن المواقع الهامة التي عثر عليها بالمنطقة موقع تنزروفت في الجهة الشرقية لعرق شاش و هو عبارة عن مساحة من رق تتواجد بها أدوات حجرية ، مثل المطاحن و القطع الفخارية و رؤوس السهام و الفؤوس اليدوية و بعض الحلي من قشر النعام و يعرف هذا العصر بالنيوليتي الصحراوي[4] وقد لوحظ تواجد العديد من المواقع الأثرية عبر اماكن واسعة بين مناطق تيميمون و أدرار و أولف ، وتأتي بعد ذلك مرحلة فجر التاريخ و هي مرحلة انتقالية بين حقبة ما قبل التّاريخ و بداية التّاريخ و هي الفترة التي بدأ الانسان يعبر فيها عن حياته اليومية عبر النّقوش و الرّسوم الصّخرية و يعتبر الفن الصّخري من التّراث الثّقّافي الهام الذي يزخر به الاقليم ، الذي قدم لنا بعض تفاصيل الحياة اليومية للأقليم في ذلك الزّمان ، اضافة الى تلك الرّموز المنقوشة التي تعتبر البدايات الأولى للكتابة الأمازيغية المحلية أو ما يصطلح عليه بالتيفيناغ ، و قد عثر كذلك على موقع هام لهذا النوع من الرسومات و النقوشات في منطقة ماطروان على بعد 100 كلم شمال مدينة أولف[5] و التي قد كانت محل دراسات عديدة منها تلك التي قام بها الباحث هيقو(Higo) بمنطقة أولف وكان ذلك سنة 1955 حيث توصل الى ان المنطقة عرفت حضارة الحصى (Galia amenagé)[6]، و قد تم التّعرف على العديد من المواقع الأثرية التي تعود الى عصور ما قبل التّاريخ على طول وادي تيدكيلت القديم خاصة في منطقة واد اللّفعاية الواقع شرق بلدية

1- توجد مجموعة متنوعة من الأدوات الحجرية لفترة ما قبل التاريخ بمتحف اكمالية الابراهيمي بتيميمون.

2- الحضارة العاترية نسبة الى موقع قرية ببئر العاتر الذي يؤرخ الى حوالي 40000 سنة قبل الميلاد .

3- مجموعة من الأدوات الحجرية ذات العنق عثر عليها في الموقع المذكور معروضة بمتحف جمعية الدراسات و الأبحاث التاريخية بأدرار.

4- العصر الحجري الحديث أو النيوليتي يأتي في مرحلة ما بعد العصر الحجري الوسيط ، ظهر مبكرا في الصحراء حوالي 9000ق م و هو يتميز بتغير كبير حدث في تاريخ البشرية من حوالي 6000 سنة ق م ، ظهرت الزراعة و بدأ الانسان في استئناس الحيوانات و في الاستقرار ببناء المساكن او الحجرات للمزيد أنظر **Malika(D)** ; Les pierres écrites de l'Atlas Saharien , T1, ENAG édition , Alger ,1992 ,p159 .

5- **Larburburu (Miguel)**, Gravures rupestres du Tadmait, Matrionenne-saharienne, Ghardaia, -5wilaya d'Adrar, Centre de documentation 1995, p7

6- **ريمون فيرون** : نفس المرجع ، ص 46 .

الفقارة و التي تبعد عنها بحوالي 150 كلم و كذا موقع عين الحجاج الذي يقع 90 كلم شمال عين صالح [1]، حيث عثر بها على كميات مهمة من الأدوات الحجرية عبارة عن فؤوس يدوية ذات الوجه والوجهين و النّصال و الشّفرات وغيرها (صورة 09). كما أكدت دراسات أخرى مسّت زاوية سيدي الحاج بلقاسم بمنطقة القورارة على وجود مخلفات فؤوس حجرية ذات الوجهين و كذا بعض النّصال [2]، و تصنف هذه الأدوات المكتشفة الى حضارات العصر الحجري القديم التي يصل تاريخها الى أكثر من مليون سنة قبل الميلاد ، اضافة الى حضارة العصر الحجري الحديث التي يعود تاريخها في الصّحراء الى عشرة الآف سنة قبل الميلاد ، تم العثور على العديد من المعالم الجنائزية بقصر مراقن بأدرار مثلا [3] و التي تعود الى فترة فجر التّاريخ ، وهي عبارة عن قبور ذات فوهات (Timulus) اضافة الى العديد من المعالم الجنائزية المكتشفة خاصة ببلدية انغر التي تقع في الجنوب الغربي للأقليم [4]. اضافة الى كل ما سبق و كما هو معروف أن أغلب القصور الصّحراوية تقع عادة في بداية أو نهاية الطرق التّجارية الهامة [5]، و من الأمثلة على ذلك قصور تّوات التي كانت تحتل موقع هام على طريق الرابط بين سجلماسة ثم تافيلات بعد ذلك الى غات و أغاديس و تومبكتو و بلاد السّودان التي كانت تجارتها مزدهرة في ذلك الحين . و في هذا النطاق لا يمكن الجزم عن الاسباب الفعلية التي كانت وراء نشأة وظهور قصور اقليم تّوات ،

1- **ك.ابراهيم** : تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر . ترجمة محمد البشير شنيتي و رشيد بورويبة ، ش و ن ت ، الجزائر 1982، ص 07 .

2- **Ferhat(N)** ; Le gisement Acheuleén de la Zaouia si B.Kacèm a Timimoun ;libyca ;txxx.1984-1986.pp81-95

3- **محمد بن مويسي)** : مواقع ما قبل التاريخ و محطات النقوش الصخرية بولاية ادرار) ، النخلة ، مجلة ثقافية تصدرها جمعية لقروط بأدرار ، العدد الرابع ، و الخامس ، جوان 2008 ، ص 08 .

4- ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء " أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد بقصر تايلوت يحمل محرابه تاريخ(106 هـ- 752م) ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام (517 م) حسب ما وجد

مكتوباً على جدران مسجد القصر" . راجع الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية .كما نقش على محراب مسجد بمنطقة أولف تاريخ 164هـ ضف الى هذا أن كثير من المؤرخين يرجعون بداية انشار الاسلام في الصحراء الجنوبية وبلاد السودان الى حوالي(138هـ-755م) أنظر **سعد زغلول عبد الحميد :** تاريخ المغرب العربي (المرابطون،صنهاجة الصحراء، الملثمونفي المغرب و السودان والاندلس) منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ط1، 1995 ، ج4،ص 110 . كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد، (BERNARD) في بحثه عن تاريخ المنطقة أن عمارة المنطقة بدأت 50 سنة قبل الميلاد. التّسلسل الزّمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت) ص6. كذلك: **ك. ابراهيم** : نفس المرجع السابق ، ص 07.

5- **سعيدوني ناصر الدين** : دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر. العهد العثماني ، سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 . ص 234 .

هل شُيّدت لتكون محطات للقوافل المتوجهة للصّحراء (*Qsur caravanserails*) [1]و التي لا بد لها من مراكز للراحة أثناء ذهابها و ايابها ، تطورت فيما بعد وباتت تجمعات سكانية كبيرة ؟ أم أنها نشأت لظروف سياسية بحتة كالهروب من الصّراعات و الحروب التي كانت دائرة في الشّمال ؟ ام انها وبكل بساطة كانت قصورا للتّخزين تطورت وباتت محلات للأقامة ؟ او ماذا ياترى ؟ في حقيقة الحال ، ان الخوض في غمار هذا المضمار وفي غياب ادلّة تاريخية و اثرية واضحة ، تبقى الرّوايات المتوفرة وحدها التي يمكن ان نعتمد عليها بالرغم من انها هي في حد ذاتها محل تناقض ، لانعدام الوثائق المادية و بقدر ما تحتمل الصّواب تحتمل الخطأ ، و كل ما لدينا هو بعض المعطيات التي تركها علماء المنطقة في مخطوطات موجودة في خزانات شّعبية في جل قصور توات و التي هي في حد ذاتها تحتاج الى تحقيق، أو الرّحالة بجميع فئاتهم ممن مروا بالأقليم أو بعض المؤرخين الذي حاولوا الخوض في تاريخه ، الا أنها في مجملها تبقى في كثير من جوانبها تكهنات وافتراضات هي كذلك تحتاج الى تحقيق . وإن جل ما يهمنا بصفة خاصة في الموضوع هو دراسة هذا الاقليم في الفترة الاسلامية ، غير أنه لا ضير في أن نحاول الغوص و لو قليلا في تاريخ هذا اقليم التوات . و نستهل الأمر بدراسات و آراء و نختمها بدراسات الباحثين المسلمين و ننظر من حين لأخر في حجية هذا أو ذاك . ان جلّ الدّرسات التي مست الاقليم ، و حسب اوليال(Oliel.J.) فان اليهود نزحوا الى اقليم توات خلال القرن 2 م ، و أن وجود القبائل الزّناتية يعود الى القرنين الرابع والخامس ميلاديين في حين العرب المسلمين وجدوا بالمنطقة ابتداء من القرن 4هـ-10م [2]، اما الباحث مارتان (MartinAGP-)

1- **Godard .(J)**. L'Oasis moderne . Essai d'urbanisme saharien . 1953 . p18 .

2- نشير هنا أن اليهود نزحوا الى الأقليم بعد محاولة القضاء عليهم من قبل الامبراطور تراجان سنة 118م. لكن ماهو غير معروف هل منطقة توات كانت مأهولة بالسكان المحليين ام ماذا ؟ حسب Oliel Jacob و هو باحث يهودي و الذي كان غامضا في هذه الفكرة موحي فقط بأن اليهود هم الأسبق في الاقامة بهذا الاقليم و اعتماده على نمط العمارة فقط كمرجع ، و هذا في حقيقة الأمر غير كافي ، خاصة و أن التاريخ يوكد وجود قبائل البربر التي كانت تتركز في اطار جغرافي فسيح يمتد عبر السهوب والسفوح الجنوبية لمرتفعات الاطلسي و شمال الصحراء و انهم هم من كانوا اصحاب الأرض و قد قاوموا الرومان كثيرا و على سبيل المثال شنت روما حملة بقيادة الجنرال سويتونيوس باولينوس سنة 41م أو 42 م جنوب جبال الأطلس لتهذيب هذه القبائل ، ولولا ذلك كذلك لما قامت امبراطورية كروما في بناء ثكنات على طول حدودها لابعاد هذه الهجمات وحماية مدنها ، و كيف لليهود ان يقطنوا كذلك منطقة هي على بعد مرحلتين من المعسكرات الرومانية التي عرفت بالخط الدفاعي اللياس ، كبوماريا بتلمسان أو كاستلوم ديميدي بالأغواط ؟ هذا الأمر مغالى فيه نوعا ما ، و قد يحدث ان اليهود قدموا الى المنطقة لكن ليسوا الأولين أو أنهم بربر يدينون باليهودية فهنا لابد من التدقيق . و حسب اعتقادنا الشخصي ان قدون اليهود واستقرارهم بالمنطقة راجع الى امر اساسي هو وجود قوم قبلهم ربما يدينون باليهودية سمح لهم للأقامة و كذا تفعيل النشاط التجاري السائد ، وبالطبع قدومهم الى بلاد المغرب كان كلما نزلت بهم صائبة ، للمزيد حول قبائل الجيتول ومقاومة قبائل المور للرمان انظر : **البشير شنيتي** : التوسع الزراعي الروماني و ظاهرة البداوة في الجزائر ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 2 ، 1986 ، ص11. نفس الباحث : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني –بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1999.ج127،1-1-132. **أحمد شيلي** : التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ، القاهرة ، 1966، ط2، ج4،ص166. **عبد الله سالم محمد** : انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2010 ، ص ص 248-250.

الذي اعتمد في هذا تأريخ بعض قصور الاقليم منطقة تديكيلت (عين صالح) الى فترة الجيتول و قد حددها من فترة ماقبل التاريخ الى غاية 100ق م [1] ، كما ارجع قسم آخر من هذه القصور الى فترة تواجد اليهود بالمنطقة مابين 100م-600م [2] ، و قسم أخير محلي بربري ابتداءا من القرن السّابع ميلادي ، و يبقى هذا الرأي فيه نوع من التّحيّز و المغالبة من طرف صاحبه . أما الباحث كابوراي(Capot Rey) فأرجع الفترة الزّمنية التي نشأت فيها القصور الى القرن 5هـ-11م ثم تلاها تطوّر تقني ابتداءا من القرن 10هـ-16م[3] ؟ في حين أرجع الباحث ايشالي(Echallier.J.C) نشأتها بداية من القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي ثم تطورت هذه القصور بين القرنين (7هـ و9هـ- 13م و15م)[4]. لما سبق يتجلى أن القرن (4هـ-10م) قد اتفق عليه الكثير من الباحثين الغربيين كبداية ظهور القصور بالمنطقة معتمدين بصفة خاصة على أشكالها و مواد بنائها . غير أنه لا أحد تطرق الى الفترة الرّومانية و البزنطية و الأكيد ان التّحصينات التي اقامها الرّومان المتمثلة في الخطوط الدّفاعية التي يصطلح عليها باسم (اللّيمس)[5] و التي كانت تمثل حدود الامبراطورية الرّومانية و من بعدها الرّومية بعيدة عن حدود الاقليم ، ضف الى أنه لم يسجل وجود أي علامات أو بناءات دينية أو مدنية ترمي الى وجود مد روماني أو بيزنطي يشتبه به في الاقليم [6].

1- **Martin(AGP**). A la trontiere… ;pp25-59

2- **Oliel (J**) : Les juifs au Sahara. Le Touat au moyen age. CNRS.ed. Paris .1944.pp21-28

3- **Capot Rey**. L'AfriqueBlanche…cas de Tamentit .p235. aussi meme auteur / Grenier domestique. pp139-158. Aussi voir Chabou.M. Espace Ksorien et

societe.Le cahier de l'EPAU.Revue semestrielle d'architectureet d'urbanisme 5/6.pp 9-20.

4- **Echallier.J.C**. Essai sur l'habitat…84-85. Aussi Echallier.J.C. Villages desertes…pp51-50.

5- الليمس الموريطاني هو عبارة عن مجموعة من الحصون والقلاع العسكرية الممتدة من الشرق الى الغرب أنشأها الرومان لحماية مدنهم واراضيهم من هجمات قبائل المور ، انشأت هذه التحصينات على مرحلتين ، المرحلة الأولى كانت في عهد كل من الامبراطور تراجان و بعده هادريان لتأتي المرحلة الثانية لدعم هذه الاستحكامات في عهد الامبراطور سبتيم سيفار الذي انتهى من الاشغال منه سنة 211م . للمزيد حول هذا الموضوع انظر **محمد البشير شنيتي** : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني)و مقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1999,ج1،ص 129.

6- كان سكان المغرب في القديم يدينون بالوثنية أو المجوسية حيث يذكر **الدباغ** في هذا الباب " **لقيته الكاهنة في جيوش عظيمة ، فقاتلهم حسان و هزمهم الله ، … فمضت تريد جبال الأوراس و معها صنم كبير من خشب تعبده فتبعها حسان …**" **الدباغ (عبد الرحمان ابو محمد بن عبد الله الأنصاري)** : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تونس 1320 ه ،،ج1 ، ص 61-62. ، واحيانا بدين من غلبهم من الأمم،**(ابن خلدون**، العبر،ج6،ص106) ، و لعل خير من يتكلم على ديانة البربر هو **السلاوي** حيث يقول " **البعض من البربر قد دانوا باليهودية و أخذوه من بني اسرائيل.حتى محى ادريس الأكبر جميع من كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل، ولما أخذ الروم بدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك و كانت لهم اليد العالية على من جاورهم من الأمم …حملوهم على الأخذ به فدانوا به معهم و تلقنوه معهم و بثوه في رعاياهم ، و كان الفرنج مجاورين للبربر في المغرب الأدنى و القوط مجاورين له في المغرب الأقصى ليس بينهم الا خليج البحر فحملوه اهل السواحل منهم على الأخذ بذلك الدين ….و استمر الحال على ذلك حتى جاء الله بالأسلام فدانت به البربر" السلاوي(**احمد بن خالد الناصر السلاوي) :الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، 1954،ج1،ص69-70. هذا تأكيد على أن اليهودية كانت منشرة بين فلول البربر و ان المسيحية لم تمس سوى بربر السواحل او ما يصطلح عليهم بالبرانس ، اما بربر المناطق الدّاخلية فهم من البتر وكانت ديانتهم و ثنية و فلول منهم باليهودية و لما جاء اسلام رحبوا به ودخلوا فيه هذا لما رأو فيه من رحمة وتسامح كذلك لأن الاسلام يدعو الى المساواة و العدل بين الرعية ،حتى وان حافظوا على ديانتهم القديمة فعليهم الجزية و لهم الحماية فكان هذا جديدا على قوم البربر ، وكان مدعاة لترك ديناتهم القديمة والدخول في الاسلام ، و لما كانوا يتشابهون مع العرب القاتحين في الخصال و الطباع و لعل بن خلدون أكثر المؤرخين بلاغة في وصفهم (انظر **ابن خلدون:** العبر،ج6،ص104)، وقد وصفهم موسى بن نصير للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك اذ قال : **" هم يا أمير المؤمنين أشبه بالعرب لقاءا و نجدة وفروسية" ابن قتيبة :** الامامة و السياسة ، القاهرة ، 1904 ، ج1 ،ص104.

و عليه يمكن الجزم الى حد بعيد على أن الاقليم كان بعيدا على كلتا الحضارتين ، خاصة وان كلتا الحملتين العسكريتين الرّومانيتين كانتا في سنة (41م أو 42م) من أجل تأديب القبائل الثّائرة ، ولايقاف ثورات السّكان الرّحل بالجنوب الشّرقي المغربي و قد دامت عشر أيام ، و وصلت الى ما وراء جبال الأطلس و حتى وادي قير و هذا دليل على أن المنطقة لم تمثل للرومان سوى وجودها على هذا المسلك فقط ، اضافة انه لم يعرف للرّومان شغفهم بتجارة القوافل الصّحراوية الا فيما يرتبط بمحاربة المتمردين[1](خريطة 06) . و أما العرب المسلمين و على اعتبار حملة حسان بن نعمان[2] هي من كانت وراء القضاء على الكاهنة و طرد الرّوم و استدباب أوضاع المغرب تحت لوائه و دخول ألوية من البربر لأول مرة في تاريخهم [3] تحت لواء الاسلام ، هذا كله حدث قبل عزله من طرف عبد العزيز بن مروان سنة (85ه-704م) [4]، و من بعده ساروا في حملات العرب المسلمين و شاركوهم فتح الأندلس و قد حسن اسلامهم و جهادهم . وهذا يعني أن الاسلام قد وصل الى الاقليم عن طريق العرب الفاتحين أو عن طريق البربر المسلمين متاجرين أو مسافرين من و الى أقليم توات [5]. و عليه فان المراجع الغربية قد تحيدت في هذا الموضوع

1-- **لحسن تاوشيخت** : نفس المرجع ، ص 122 . كذلك **Gsell S** : Histoire ancienne de l'Afrique du nord ;T1 ;libririe Hachette ;Paris ;1921 ; p 59 , :

2- حسان بن نعمان بن عدي بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن الأزد ، من محدثي الخليفة عمر بن الخطاب وكان ذو حضوة ومنزلة مقربة عند بنو أمية ، ولاه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان استمرار لفتح بلاد المغرب و ولاه عليها ، حيث استطاع القضاء على الروم البزنطيين و اخراجهم نهائيا من قرّطاجنة والبلاد التابعة لها و القضاء على قائد الحملة آنذاك و هو البطريق يوحنا و هذا في عهد الامبراطور ليونتيوس وكان هذا سنة 78هـ-697م بعد أن تمكن من الكاهنة والقضاء عليها و اخضاع المغرب تحت لوائه سنة 82هـ-701م ، و قد تم عزله بعد ذلك سنة 85هـ-704م لدخوله في خلاف مع عبد العزيز بن مروان والي مصر . للمزيد حول هذا الموضوع انظر : **الاصفهاني(حمزة)** :تاريخ بني ملوك الأرض والأنبياء ،طبعة برلين ،1340هـ،ص77 كذلك **المسعودي(ابو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي)**: مروج الذهب ،ج2، القاهرة ، 1958، ص106-107. **المالكي(ابو عبد الله بن ابي عبد الله)** : رياض النفوس،تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، 1951، ج1،ص31.

3 - **ابن عبد الحكم** : فتوح افريقية و تونس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،1964،ص271 .

4- نفس المصدر السابق ، ص 68. كذلك **ابن عذارى** (ابو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي) : البيان المغرب في اخبار الأندلس و أ المغرب (تحقيق ليفي بروفنصال) ، طبعة بيروت ، لبنان، 1948 ، ج1 ، ص39 .

5- لما تبين لحسان حسن اسلام و ولاء البربر عاد الى مدينة القيروان بعد أن "ترك ثلاثة عشر رجلا من العلماء التابعين يعلمون لهم القرآن و شرائع دينهم . فعزموا على الاسلام بنية صحيحة فبنوا المساجد" للمزيد انظر: **عبيد الله بن صالح** : نص جديد في فتح العرب للمغرب ، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد - 1954،ص223. و على هذا نقول ان دخول البربر في الاسلام و تسليمه له كان ابتداء من سنة82ه أي بعد مقتل الكاهنة و استمر ت الدعوة الى هذا الدين الى سنة 85ه وهي سنة عزل حسان وتولية موسى بن نصير الذي قاد جيشا معظمه من البربر ، بل ان الجيش الذي فتح بلاد الأندلس كان اغلبه من البربر تحت قيادة قائد من ملتهم وهو طارق بن زياد ، للمزيد انظر **ابن عبد الحكم** : المصدر السابق ، ص247. **العبادي عبد الحميد** : المجمل في تاريخ الأندلس،القاهرة ، 1964،ص37-38. و نحن نرى أن بداية وصول الاسلام الى الاقليم يبدأ من نهاية سنة 85هـ-704م ، أي ابتداءا من القرن السّابع الميلادي . و ليس القرن العاشر الميلادي خاصة وان الجميل في الاسلام انه لما يصل اول مسلم الى ارض جديدة الا و يبدء الانتشار لحكمة الاهية.

قاصدة ارجاع تعمير المنطقة من قبل اليهود وتأخير وصول الاسلام و المسلمين اليها الى غاية القرن العاشر ، مما حسب اعتقاد المراجع الغربية أن دخول الاسلام لم يكن الا بعد ثلاثة قرون من فتح افريقية على يد الفاتح عقبة بن نافع ، الا أن القرائن تنفي هذا الإدعاء جملة وتفصيلا [1](خريطة 7). و بحكم موقع الاقليم الذي يعد محطة رئيسة للقوافل المتوجهة الى بلاد السّودان ، حيث ترتاح و تتزود بما تحتاجه لأستكمال الطّريق ، وقد عرف أن الرّستميين عملوا على تقوية الرّوابط التّجارية مع بلاد السّودان ، و ذلك قصد التّحكم في تجارة الذّهب ، التي طالما كانت المحرك الوحيد للهيمنة على الطّرق التّجارية الصّحراوية ، وقد تحدث عن هذا الموضوع وعن العلاقات التي كانت تربط بلاد السّودان بالرستميين ابن الصّغير حيث قال عن ولاية عبد الرّحمان بن رستم " **...ليس أحد ينزل بينهم من العرب الا استوطن معهم ، وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه ، وعدله في رعيته ... واستعملت السّبل لازدهار بلد السّودان و الى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتّجارة و ضروب الأمتعة ، فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر و العمارة زائدة و النّاس و التّجار من كل الأقطار تاجرون**" [2] ، و حين تحدث عن فترة عبد الرحمان بن أفلح(258هـ-261هـ) رابع الأئمة الرستميين قائلا " **... و كان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة[3] ، وكان وسيما ، جميلا ، جوادا ، سمحا ، وكان قد وفد**

على ملك السّودان يهديه من قبل أفلح بن عبد الوهاب ..." [4] ، و كل هذه الإيحاءات دالة على العلاقة المتينة بين الرّستميين و بلاد السّودان[5] ،

1- يذكر عبد الكريم البكري أنه وجد بمحراب بمسجد قصر تايلوت بتمنطيط نقس يحمل تاريخ (106هـ-752م)، كما أنه وجد نقش على محراب مسجد بأولف تاريخ (164هـ-815م) راجع مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام ، ص18، كذلك يرى **عبد الحميد زغلول** أن انتشار الاسلام في الصحراء الجنوبية و بلاد السودان كان حوالي السنة(138هـ-755م) أي في القرن الثامن ميلادي عكس ما أورده الباحثين الأجانب الذين سلف ذكرهم ،انظر : المرجع نفسه ، ص 114. بل أكثر من ذلك فنحن نرى أن الاسلام قد وصل الى هذه المناطق قبل هذا التاريخ وكان ذلك عن طريق التجار بصفة خاصة كون المنطقة كانت محور القوافل الرابطة بين الشمال وبلاد السّودان منذ القديم .

2- **ابن الصغير** : أخبار الأئمة الرستميين (ق 3ه)، تحقيق محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغربالاسلامي ، بيروت لبنان ، 1406هـ-3086م،ص36.

3- محمد بن عرفة من المقدميين واصحاب الحضوة في البلاط الرستي عادة ما كان سفيرا ورسولا للإمام الرستمي بن أفلح، للمزيد راجع ابن الصغير : نفس المصدر ، ص 70 .

4- **ابن الصغير** : نفس المصدر السابق ، ص 71 .

5- بلاد السودان تحدثت عليها كل المصادر التاريخية و ذكرها معظم الرحالة و الجغرافيين ، الا أنهم دائما يتكلمون عن البلاد الموجودة جنوب الصحراء الكبرى و ليست دولة السودان المعروفة في وقتنا هذا بل كان يقصد بها بلاد الأقوام السود، و قد ظهرت العديد من الممالك في هذه البلاد سواءا في السودان الغربي أو الأوسط و من اهمها مملكة غانا و ستغاي و غيرها للمزيد أنظر **عبد الرحمان بن عبدالله بن عامر السعدي** : تاريخ السودان . تحقيق هوداس مطبعة بردين . باريس 1898م .كذلك **عبد القادر زبادية** : مملكة سنغاي في عهد الاسيقين . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر (ب ت).كذلك **محمد بن محمد** . اهتمام الأوروبيين بالسودان الغربي . مجلة جامعة نواقشط .1998م .

و من المرجح أن يكون الاقليم خلال هذه الفترة مركز عبور اسياسيا لتجار بني رستم [1] . و خلال القرنين الخامس والسّادس الهجريين (11-12)م ، شهدت بلاد المغرب حركتين سياسيتين قامتا في المغرب الواحدة تلو الأخرى و هما حركة المرابطون ثم الموحدين حيث حقق المغرب الاسلامي أيام الموحدين تأسيس أول دولة اسلامية مغربية وحدت بلاد المغرب الاسلامي وشطرا من الأندلس وهذا لأول مرة منذ الفتح الاسلامي لها [2] ، و لما كان المال من اهتمامات الدّول فقد عمل المرابطون هم كذلك على السّيطرة على المراكز التّجارية ، فكانت سجلماسة من بين أهم المراكز التي تمت السّيطرة عليها سنة(450هـ-1058م) (خريطة 08) ، لما تمثله من أهمية اقتصادية و كانت عصب المرابطين خاصة بعد السيطرة على مراكز جنوب الصحراء (تمبكتو) . و قد ذكر أن سجلماسة وتوات و القرارة وقعوا تحت سيطرة المرابطين سنة (456هـ-1063م) ، و بعد ذلك تحت سيطرة الموحدين في القرن (7هـ-13م)[3](خريطة09) . و كما كان دائما صراع الدّول و المماﻟﻚ على السّيطرة والاحكام على منافذ التّجارة والمال ، حيث ذكر أن السّلطان الزّياني أبوحمو موسى الثاني (760-791هـ - 1359-1389م) سلك الطّريق الرّابط بين توات و المناطق التّلية في الشّمال بعد الهجوم المريني على تلمسان [4]، و مما لا شكّ فيه أن هذه المناطق كانت تابعة لدولة الزّيانيين حيث بعد سقوطها بقي بذلك الاقليم في حالة حكم ذاتي الى غاية أن دخله أبو علي بن أبي سعيد المريني عام (989هـ-1581م) [5] . و قد عين

خلال فترة السّعديين و بعدهم العلويين قادة يديرون شؤون اقليم التّوات خاصة منها جمع الضّرائب ومراقبة القوافل العابرة [6].

1- اقليم التوات كان دائما يمثل حلقة وصل هامة بين الشمال والجنوب ، خاصة وان الطريق الغربي الذي يعبر الجزائر كان مساره سجلماسة ثم توات شمالا ثم أودغست ضف الى ذلك ان الدولة الرستمية بسطت نفوذها على رقعة شاسعة من الصحراء ابتداء من عهد الامام عبد الوهاب ، حيث امتد نفوذها جنوبا حتى بلغ أقاصي بلاد السودان، ضف أن هناك تأثير عمراني إباضي ملاحظ في بعض المآذن مثل ذلك الجامع القديم بتيميمون عاصمة القورارة كل هذا يؤكد أن الاقليم كان خاضعا للسيطرة الرستمية للمزيد انظر : **سعد عبد الحميد زغلول** : تاريخ المغرب العربي (المرابطون ، صنهاجة الصحراء، الملثمون في المغرب و السودان والأندلس) منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1995، ج4 ، ص 110. كذلك **محمد عيسى الحريري** : الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي(160-296) ه ،ط3، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت، 1998 ،ص 13 .

2- **عبد العزيز السيد سالم** : المغرب الكبير ، دار النهظة العربية ، بيروت لبنان ، 1981 ، ج2 ، ص 867 .

3- **عبد العزيز بن عبد الله** : معلمة الصحراء.ص72.

4- **مختار حساني** : تاريخ الدولة الزيانية ، الأحوال الاقتصادية و الثقافية ، دار الحضارة للطباعة و النشر ، ط2007،1،ج2، ص148.

5- **عبد العزيز بن عبد الله** : معلمة الصحراء ، ص 72.

6- عين السعديون قادة لهم ليحكموا و يديروا شؤون الاقليم نذكر منهم القائد مولاي هيبة الله سنة 1526، القائد العمري سنة 1528ثم القائد محمد بن أحمد سنة 1530. وقد استمر الحال حتى خلال فترة العلويين ففي سنة 1082ه-1671م كانت قيمة العشور التي وجبت للمخزن من محصول التمر بواحات القورارة مثلا 10حمولات لقصر طلمين ، 12 حمولة لقصر شروين و أولاد سعيد 43 حمولة للمزيد أنظر **احمد العماري** : توات في مشروع التوسع الفرنسي ، ص ص 36-49.

و بهذا فإن السّلاطين المغاربة اتخذوا اقليم توات مورد جباية لتموين حملاتهم العسكرية [1]، قصد السّيطرة على الطّرق التّجارية الصّحراوية (تجارة الذّهب) ، و مع كل هذه فان التّبعية لم تكن الا ظاهرا فقط من خلال مكس و ضرائب لصالح خزانة هؤلاء الملوك ، و عليه فان الاقليم ظلّ خارج الأحداث المغربية الكبرى ، ولم ينظر اليه من زاوية محطة للقوافل العابرة ، و تبعيته تعني ضمان طريق تجاري آمن ، الأمر الذي يزيد من ازدهار التّجارة وارتفاع نسبة العائدات . أما المصادر العربية فذكرت بأن الاقليم كان يسمّى بالصّحراء القبلية ، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف وادي قير[2] في غضون القرن الرّابع الهجري [3]. و لا أدلّ على ذلك من كثرت الحديث عنها في كتب المؤرخين والرّحالة العرب والأعاجم وهناك من المؤرخين والجغرافين الذين اشاروا بصفة عامة على الصّحراء القبلية دون ذكر توات فاليعقوبي مثلا في كتابه البلدان بوصفه الصحراء الواقعة بين سجلماسة وصنهاجة بقوله " **و من سجلماسة لمن سلك متوجها القبلة يريد أرض السودان يسير في مفازة و صحراء مقدار خمسين رحلة ، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار ...**"[4] و كذلك الجغرافي الكبير ابن حوقل خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حين قال " **و بين السودان و أرض المغرب سكان من البربر و مفارز و براري منقطعة ، قليلة المياه متعذرة المراعي ، لا تسلك الا في الشتاء**"[5] و

الاصطرجي في قوله " **ارض المغرب ماكان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة و كلما تباعدوا فيما يلي الجنوب و المشرق ازدادوا سوادا حتى ينتهوا الى السّودان فيكون النّاس فيها أشد سوادا** "[6] ، و قد كانت هناك اشارة خفيفة لأبن أبي زرع لهذا الاقليم حين قال " **و هناك قبائل**

1- من اهم الحملات خلال الفترة العلوية بغرض السيطرة على ممالك السودان الغربي ، حملة العسكرية الكبيرة التي قادها المنصور الذهبي بنفسه . للمزيد حولة هذه الحملة راجع **عبد القادر زبادية** : نفس المرجع ، ص 43-49 .

2- وادي قير أو كير أو جير : واد ينحدر من جبال الأطلس بالمغرب(جبال تندرارة) و يجري نحو الجنوب الى أن يصب في وادي مسعود.وقد وصفه **العياشي** بقوله" **هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب و عليه قرى و مزارع ويمتد كذلك إلى ناحية الصّحراء و الحمادة متصلة جوانبه الى أن يصل الى أطراف الحماد الكبير الذي بينه وبين سجلماسة ، ومن هناك تنقطع العمرة الى ان يصل الى اول قرى وادي الأساور(الساورة)إ فتتصل فواه كذلك نحو عشرة ايام الى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة** ". الرّحلة العيّاشية. تحقيق محمد حاجي . مطبوعات دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر. الرّباط 1397هـ . 1977 م. ط 2 . ج2، ص18.

3- **- الشيخ احمد باي بلعالم** : الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الأثار و المخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة الجزائر. 2005 . ج 1 ، ص12.

4- **أحمد ابن ابي يعقوب المعروف باليعقوبي** : كتاب البلدان ،(وصف افريقيا الشمالية) تصحيح ونشر هنري بيريس ، 1960،الجزائر ، ص 17.

5- **ابو القاسم ابن حوقل** : صورة الأرض ، طبعة برلين ، 1938،ص83.

6- **ابراهيم محمد الفارسي الأصطرجي(الكرخي)** : المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد صابر عبد العالي ، مراجعة محمد شفيق غربال ، مصر ،1961،ص36.

صحراوية هي ما بين بلاد البربر و بلاد السّودان " [1]و يلي هذا الوصف وصف لأبن عذارى المراكشي حيث يقول " **و يلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل ، وحدها الى مدينة تاهرت و يليها بلاد المغرب ... و اذا جزت هذا الجبل فعلى يمينك بلاد السّوس الأقصى ببلاد الصّحراء الى السّودان** "[2] ، و قد جاء ذكر توات كذلك على لسان ابن مريم اثناء حديثه على عبد الكريم المغيلي التلمساني [3] ، في حين ذكر الاقليم الرّحالة ابن بطوطة و هذا أثناء عودته من مالي سنة 754هـ حين يقول : " **قصدت السّفر الى توات و رفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام بين تكدا و توات ...** "[4] و قصد بها هنا كافة التّجمع السّكاني المعروف بأقليم توات ، و اسماعيل بن الأحمر في ذكره هروب أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي و دخوله توات سنة 772هـ ، من مطارديه السّلطان عبد العزيز و وزيره أبا بكر بن الغازي [5]. ،و ابن خلدون الذي يذكر على أنها المقاطعات الواقعة على الضّفة الغربية للأقليم فقط و يقصد بذلك "واد مسعود"، و كذا ما جاء في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ماكان يتنعم فيه من خيرات الارض ونعيمها قائلا " ... **وفواكه بلاد السّودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات و تكدرارين...**"

[6]، ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر واصفا قصورها وعمرانها و نشاطها التّجاري بقوله " ... **وتسمى وطن التّوات ، و فيه قصور متعددة تناهز المئتين آخذة من الغرب الى الشّرق ..."** [7] .
و جاء على لسان الحسن الوزوان في ذكر وصفه لبعض مناطق توات اين قال في تسابيت " **...تسابيت اقليم مؤهول في صحراء نوميديا ، على بعد مائتين و خمسين ميلا شرق سجلماسة و مائة ميل من الأطلس يضم اربعة قصور و قرى عديدة ...**"[8]

1- - **علي بن ابي زرع الفاسي** : انيس المطرب بروض القرطاس ، مراجعة عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، المغرب ، 1999 ، ص 153 .
2- **ابن عذارى المراكشي** : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق احسان عباس ،ج5، بيروت ، 1884-1885، ص5.
3- - **بن عبد الله محمد بن محمد احمد الملقب بابن مريم** : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، الجزائر 1986 ، ص 253 .
4- **ابن بطوطة** : تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. طبعة القاهرة 1287 هـ ، ج2 .ص299.
5- **اسماعيل بن الأحمر** : روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية ، المغرب ، 1991 ، ص 68.
6- **عبد الرحمان ابن خلدون** .كتاب العبر. ج1 ، ص 59 .
7- **نفس المرجع السابق ،ج1،ص299.**
8- **الحسن بن محمد الوزان** : وصف افريقيا ، ج2، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،دار الغرب الاسلامي ، لبنان، 1983 ،ص ص133-134.

و الرّحالة أبو سالم العياشي[1] الذي زار المنطقة خلال رحلته الى البقاع المقدسة سنة 1663م حيث حل بالمنطقة يوم الخميس ربيع الثاني بقوله : " ... **ثم دخلنا أول عمالة توات، وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الرأس ...**" [2] ، و عبد العزيز القشتالي القرن السّادس عشر ميلادي بقوله عن الأقليم "... **اقليم التوات هو أوسع وطنا و أفسح مجالا و أقرب للسودان اتصالا و جوارا ..و قطر تيكورارين هو أعظم اشتهارا و أعرف نقيبا و أشد شوكة و أخشى جانبا** " [3]، و القاضي محمود كعت [4] ، و يذكر عبد الرحمان السعدي كذلك ان اقليم توات هو مجموعة الواحات الواقعة جنوب القطاع الوهراني وشمال الهقار[5] و غيرهم .

كما كان لهذه المنطقة كذلك حظ وافر في زيارات و كتابات الأجانب حيث حلّ الرحالة أنطونيو(Malfonte) بتمنطيط سنة 1447 م و مكث فيها لفترة وجيزة ، و في سنة 1631 م وصل الى منطقة توات قدوما من تيديكلت مجموعة من التّجار الانجليز، وكلتا الرحلتان لا نعرف

عنها الكثير و في غالب الأحيان كانت كل هذه الرحلات شخصية و غير منتظمة[6] كما كان للفرنسيين الحظ الوافر في الرّحلة والاستكشاف و كانت اولى الرّحلات الكبيرة رحلة الرّائد لين (Magor laing) حيث انطلق من المغرب سنة 1826 التي زار فيها الاقليم ثم بعد ذلك بسنتين جاءت رحلة رنييه كايي (René Caillé) ثم تبعتها رحلة الرائد كولونيو و الملازم بوران (Colonieux et Burin) سنة 1829 التي زار فيها منطقة قورارة [7] ، كما جاء على ذكر الاقليم أيضا الرحالة الألماني

-1 رحلة العياشي جاءت في ثلاث رحلات قام بها ، سجل فيها كل ملاحظاته للمناطق والأقاليم التي زارها و هذه الرحلات في حقيقة الحال كانت عبارة عن اسفار قام بها متوجها بذلك الى الحجاز يريد الظفر بمغفرة من ربه فكانت الرحلة الأولى سنة 1059هـ-1649م و الثانية 1064هـ-1653م و اخرها كانت سنة 1074هـ-1661 م للمزيد أنظر **ناصر الدين سعيدوني** : من تراث التاريخي للمغرب الاسلامي ، تراجم مؤرخين ورحالة و جغرافيين ، ص 376.

-2 **ابو سالم العياشي** : ماء الموائد ، ج1، .ص20.

-3 **ا لقشتالي (ابو فارس عبد العزيز)** : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء . تحقيق كريم عبد الكريم . مطبوعات وزارة الوقاف الاسلامية و الثقافية . الدار البيضاء .1972، ص 73.

-4 **القاضي كعت محمود كعت** : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش . تحقيق هوداس و دلافوس ،طبعة بردين، 1964 م . ص 15.

-5 **عبد الرحمان بن عبدالله بن عامر السعدي** : تاريخ السودان . تحقيق هوداس مطبعة بردين . باريس 1898م . ص 7.

-6 **JC . Echallier** : Opcit. P12

-7 **Ibid**. p12.

جيرهارد رولف[1] (Gerhard Rolf) الذي زار المنطقة خلال سنة 1864م خلال رحلته التي انطلقت من المغرب مرورا بالساورة الى توات ثم أولف و أخيرا عين صالح ، حيث تنكر في شخصية طبيب تركي يريد الذهاب الى مدينة تمبكتو غير أنه لم يتمكن من ذلك حيث عاد الى طرابلس عن طريق مدينة غدامس و قد تحدث عنها في كتاباته ، بعد ذلك جاءت رحلة الملازم بالات (Palate) و هذا سنة 1886 التي لم تكتمل كذلك اذ توفي صاحبها بمدينة عين صالح بالقرب من حاسي التو قبل اتمامها [2] و في سنة 1887 قام كاميل دول (Camille Doule) برحلته الأولى في الصحراء كللت بدراسة تم نشرها بفرنسا ، و قد قام برحلة ثانية تقمص فيها اسم الحاج عبد المالك ، و اطلق من مدينة طنجة مارا بالساورة عبورا بتوات وصولا الى رقان الا انه تم اكتشاف أمره من قبل سكان المنطقة أين أجهز عليه بمنطقة إيليغن الواقعة بين أولف و أقبلي [3] و المؤرخ الفرنسي مارثان (Martin) الذي زار الاقليم سنة 1904م و كتب عنها في كتابه الشّهير أربعة

قرون من تاريخ المغرب 1504م الى 1902م [4]. و برنار سافوري [5] (Bernard)الذي درس المنطقة و ألف فيها كتابه المعروف التّسلسل الزّمني لأحداث تّوات .

أما من علماء المنطقة و رحالتها المعروفين ، فقد كتب عنها الشّيخ مولاي أحمد الأدريسي المتوفي خلال القرن 14 ه في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب أخبار توات حيث قال " **توات ارض سباخ كثيرة الرمال ، و الرياح ، لا يحيط بها الجبال ، ولا أشجار ، شديدة الحرارة المفرطة ، لا يكاد ينبت فيها الا النخيل و بعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها و الماء يستخرجونه من باطن الرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة و يقسمونه على الحقول بكيفية أعجب**"[6] .

-1 - **Rohlfs .G** : Résume historique et géographique au Touat et Ain Salah. publie par les soins du Dr 'R Auguste Petermann en 1866. P64.

-2 محمد حوتية : توات و الأزواد ص290

-3 **Doule Calmille** : Les derniers jours de Camille Douls . Bulletin de liaison saharienne n43 , Sepembre 1961.p262.

-4 - **Martin .AGP** : Quatre siècle d histoire . Paris . 1923. voir aussi : Les oasis saharienne (Gourara .Tidikelt. Touat) . Paris chalamel . 1908.

-5 **Bernard Saffory** ; Chronique du Touat . Centre Saharien . Ghardaia . Algerie .1994.

كذلك **برنارد سافرو** : التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) . مركز البحث العلمي غرداية .

6- **مخطوط الشيخ مولاي أحمد الأدريسي** : نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار التوات . ورقة 12 و ما يليها . مخطوط موجود بخزانه كوسام بأدرار.

و الشّيخ سيدي محمد بلعالم الزّجلاوي [1] ، و الشيخ محمد العالم البكراوي نزيل المنيعة في مخطوطه الدرة الباهية في الشجرة البكرية ، حين يقول " **توات صحراء بها قصور متعددة ، أخرها من جانب المشرق تبلكوزة..**" [2]والشّيخ محمد بن عبد الكريم البكري التمنطيطي المتوفي خلال القرن14هـ أتى على ذكرها في مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الأسلام ،حيث قال " **توات هي صحراء بأعلى المغرب ذات نخيل واشجار و عيون ...**" [3]و الشيخ محمد بن مبروك في مخطوطه نقل الرواة عن من أبدع قصور توات حيث قال " **توات هي من الواحات العامرة باقليم**

الصّحراء"[4] و الشّيخ مولاي أحمد بن هاشم [5] و القاضي كعت محمود كعت [6] و غيرهم الكثيرين [7].

رابعا ـ عَمارة الأقليم

ان كل الدّراسات التي شملت اقليم التّوات كلها دون استثناء اتفقت على أن سكان هذا الافليم ينحدرون من أصول مختلفة ، انما الاختلاف و الاشكال ها هنا وقع في من وصل أو استوطن هذا الاقليم قبل غيره . الحقيقة ان هذا الموضوع شائك جدا ، ذلك أن طبيعة البشر الأولى كانت التّرحال ، و عملية الاستيطان او البقاء في رقعة محدودة و امتلاكها في التاريخ لم تكن سوى فكرة حديثة جاءت بعدما بدء الانسان يمل من حياته الأولى الصّعبة و استبدلها

1- **محمد باي بلعالم** : الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة الجزائر. 2005 . ص 1- 2 .
2- **محمد بالعالم البكراوي نزيل المنيعة** : الدرة الباهية في الشجرة البكرية ، المخطوط بيد عبد الحميد بكري ، ورقة 135 .
3- **محمد بن عبد الكريم البكري** : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الأسلام . ورقة 6 . مخطوط موجود بخزانة المطارفة بأدرار.
4- **محمد بن مبروك**: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط موجود بخزانة أبا سيدي جعفري بزاوية سيدي حيدة بودة بولاية ادرار، ورقة 2.
5- تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة 1113ه . المخطوطات موجودة داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر -19م- و بداية القرن العشرين -20م- بتوات و قورارة و تيديكلت .
6- تناول بعض أعلام المنطقة في كتابه المشهور ب **كعت محمد كعت** : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس . تحقيق هوداس و دلافوس . مطبعة بردين . باريس 1964. ص 15.
7- الكثير من المؤرخين و الرحالة العرب أتوا على ذكر المنطقة سواءا مروا بها أو سمعوا عليها و الحاج بن الدين الأغواطي كما جاء على ذكرها كذلك علماء المنطقة نذكر منهم السيخ سيدي عبد الرحمان بن باعمر التنلاني ، الشيخ سيدي عبد القادر بن عمر و الشيخ سيدي احمد النحوي...الخ. للمزيد انظر **عبد القادر زبادية** : الحضارة العربية و التأثير الأوربي في افريقيا الغربية و جنوب الصّحراء ، دراسات ونصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 .

بالزّرع بعدما ادرك سبله و وعى دروبه ، وهذه الفكرة معلومة لدى الجميع ولا داعي الى الاسهاب فيها ، انما الأكيد أن سكان هذا الاقليم قدموا اليه عبر فترات مختلفة ولأسباب متعددة مرغمين تحت ضغوط شتى ، ضرورة العيش و العجز عن دفع المغارم والخوف من الطّارقين و الذّعار. اذ هي بذلك بلاد امان و اطمئنان ، فأستقروا بها لوجود الكلأ و توفّر حياة الحريّة المطلقة بعيد عن استبداد الحكّام الطّاغين و السّياسات المتقلّبة و الصّراعات المستمرة فأتوا فرادا و جماعات على مد تاريخ ليس بالقريب و لم يتوقف هذا النّزوح الى غاية القرن الثّامن عشر .

و قد يعود أصل سكان المنطقة الى قبائل الجيتول (Gétule) أو القبائل الرّحل الذين كانوا يسيطرون على جميع المناطق الصّحراوية أي جنوب خط اللّيمس و هي قبائل ذات بشرة بيضاء سكنت الجهة الغربية الليبية ، و كانت طريقتهم في القتال هي الاعتماد على الكرّ والفرّ كونهم يحفظون المسالك الصّحراوية عن ظهر قلب[1] . و كان لهم دورا حاسما في هذه المناطق خاصة أثناء التواجد الروماني بشمال افريقية .

وربما كان أول من تكلم عن المنطقة و لو بصفة عامة هو المؤرخ اليوناني هيرودوت وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد حينما كان يصف جنوب ليبيا حيث قال " **في الناحية السفلى لليبيا مليئة بالوحوش و أسفلها لا يوجد الا الرمال ، الجفاف والصّحراء القاحلة** "[2] و هنا يقصد المنطقة الجنوبية لليبيا [3] ، و يأتي من بعد بلين (Pline) وكان ذلك خلال القرن الأول ميلادي و أكد ما ذكره هيرودوت [4] ، و أما سويطونيوس بولنيوس (Suitonius Paulinus) حينما وصل الى

-1 **محمد البشير شنيتي** : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني)و مقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1999,ج1،ص ص125 -129. كذلك : Larouse 2eme librairie Paris .P335 volume نشير فقط بأن الانسان الأول استقر بهذه المناطق بالقرب من منابع المياه والأودية و السباخ ، وقد تكلم المؤرخ اليوناني هومير (Homére) عن مجموعات بشرية أطلق عليهم اسم الأثيوبيون سكنوا هذه الجهة ، و فيما بعد هيرودوت (Hérodote) (القرن 5 ق م) الذي وصف المنطقة حيث يقول " **توجد منطقة خالية و قاحلة** " كما تطرق المؤرخ بلين القرن الأول ق م الى الموضوع و أمدنا بمعلومات قريبة من تلك التي أفادنا بها هيرودوت اضافة الى هذه المعلومات امدنا المؤرخ بتلومي (Potolémée) الذي أشار الى بعض المدن القديمة (قصر) في الصحراء حيث ذكر سبعة عشر قصرا و نهرار قديما للمزيد : **Echallier JC** : Villages domestique et structures agraires anciennes , Pais,1972 ;P17 . كذلك : **Nadir(M)** : Lecture de l'espace oasisien , Ed Sindbad, Paris1980,P23

-2 **Herodote**. Histoire . T6.Paris 1045.p191

-3 المقصود من ليبيا ليست دولة ليبيا الحالية بل هي الأراضي الواقعة على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.

-4 و صف بلين قصد به مناطق الحمادة Reg انظر **Echallier JC**. Opcit . **p 17**

جبال الأطلس قال " **و من هناك الى النهر...**" وربما قصد وادي قير -GER- و هذا ما أعتقده ايشاليي [1] . ثم يأتي من بعدهم الرحالة والجغرافيين المسلمين الذين مروا او سمعوا عن هذه الأقاليم ، امثال ابن حوقل خفي كتابه صورة الأرض الى سكان هذا الأقليم بقوله " **و بين بلاد السودان**

و أرض المغرب سكان من البربر و مفارز وبراري منقطعة ، قليلة المياه ، متعذرة المراعي ، لا تسلك الا في الشتاء " [2]. في حين جاء وصف الاصطرجي بقوله " **و أرض المغرب ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة و كلما تباعدوا فيها يلي الجنوب و المشرق أزدادوا سودا حتى ينتهوا الى السودان فيكون الناس فيها اشد الأمم سوادا "** [3] . ، في حين أشار لهم ابي زرع اشارة خفيفة حين قال **" و هناك قبائل صحراوية هي ما بين بلاد البربر و بلاد السودان "** [4].

اضافة الى هذا كانت المنطقة وجهة لليهود حيث ذكر جاكوب اوليل(باحث يهودي الأصل) أن المنطقة شهدت ثلاث هجرات لأقوام يهودية أولها كانت في القرن 2م و انطلقت من منطقة سيرانيك(Cyranique) بليبيا و مرت بجبل نفوسة ثم ميزاب الى ان دخلت توات ، اما الثّانية فكانت في القرن 6م انطلقت من الموصل ولدى وصولها الى الصّحراء المصرية اللّيبية التقت بفوجين آخرين من اليهود احدهما اتى من الحجاز والآخر من خبير و أتجها جميعا الى توات ، في حين كانت الهجرة الثالثة في القرن 7م انطلقت من الأندلس ودخلت المغرب و مرت بتافيلات لتصل أخيرا الى اقليم توات [5]. اضافة لهذه الطّروحات ذكر احد الباحثين الفرنسيين أن أصل سكان التّوات هم من البربر و قد حلوا بالمنطقة سنة 431م ، و أسّسوا قصر تمنطيط سنة 472م [6]. أما بعد الفتح الأسلامي و اعتماد على المصادر المحلية فان أول من سكن المنطقة هم ألاقباط الذين لجؤا الى اقليم التوات في القرن الأول الهجري [7].

1- و هو ما سماه بطليموس بالنيجر و يتكون من حوض الغير ، القير الممتد الى غاية واد الساورة و وادي مسعود في منطقة توات .

2- **ابن حوقل** : صورة الأرض ، ص 83 .

3- **ابراهيم محمد الفارسي الأصطرجي** المعروف بالكرخي : المسالك والممالك ، تحقيق محمد صابر عبد العالي ، مراجعة محمد شفيق غربال ، مصر ، 1961 ، ص 36 .

4- **علي بن ابي زرع الفاسي** : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص153 .

5- **Jacob Oleil** . Les juifs au Sahara . Le Touat au moyen age. CNRS.Edition . Paris.1994.Page15

6- **Bernard Saffory** . Chronique du Touat. Centre Saharien.Ghardaia.Algerie.1994.p04.

7- **محمد بن الطيب الحاج** . القول البسيط في أخبار تمنطيط . ورقة 14.

كما ان المنطقة كانت مأوى لقبيلة زناتة التي كانت تسيطر على معظم الأقاليم المغربية و الجزء الأكبر من الغرب الجزائري أي ما كان يطلق عليه اسم الماسيصيل قبل ان يوحد ماسينيسا الماصيل و الماسيصيل في ما يعرف بالدّولة النّوميدية [1]. و بالأضافة الى كون توات نقطة هامة لتجمع قوافل الشّمال في طريقها الى السّودان الغربي ، فانها منطقة بعيدة عن الصّرعات المذهبية و الطّائفية و عن الحروب التي كانت سجالا بين دول الشّمال ، فكانت المنعة و الملجا لكل من هو مطارد ، مثلا ما وقع للزيّانيين في القرن (4هـ – 10م) حيث طاردهم الموحدون ، ففر عدد كبير من مغراوة و بني يفرن الى الصّحراء الوسطى[2]. و قد تحدث ابن خلدون عن ذلك بقوله " **...ولاذوا ببني ومانو و بني يلومي ملوك الضواحي بالمغرب الأوسط و تفيئوا ظلهم و اقتسموا ذلك القفر بالمواطن ، فكان لبني مرين الناحية الغربية منها قبلة المغرب تيكورارين** "[3] .

و خلال هذه الفترة استولى يوسف بن تاشفين على سجلماسة و و أمن الطّريق الصحراوي الرابط بينهما وبين بلاد السودان و كانت توات و القورارة من ظمنهم و كان ذلك سنة (456هـ - 1063م) ليستولى الموحدون عليها بعد ذلك خلال القرن (7هـ- 13م) . و استمر هذا الوضع الى غاية أن دخل الأقليم أبو علي بن سعيد المريني سنة (731هـ-734م) و لكن توات لم تخضع في هذا الوقت من الزّمان من النّاحية السّياسية الى حكم دولة بني مرين و لوالي سجلماسة أبو علي لما انتفض هذا الخير على حكم أخيه الأمير أبوالحسن على بن عثمان (731-752هـ) الذي استولى على سجلماسة و أتخذها مركزا للسّيطرة على مدن الصّحراء و منها قصور توات و تيقورارين و تمنطيط ، وقد وصف العلامة اين خلدون هذه الأحداث بقوله **" و نزل الأمير أبو على بسجلماسة فأقام بها ملكا ، و دون الدواوين ، واستلحق و استركب ، وفرض العطاء و استخدم ظواعن العرب من المعقل ، و افتتح معاقل الصحراء و قصور تاورت و تيكورارين و تمنطيت ، وغزا بلاد السوس فأفتتحها و تغلب على ضواحيها "** [4] و ازدادت أهمية المنطقة في

1- كانت عاصمة الماصيل مدينة قسنطينة الحالية بينما الماسيصيل كانت سيقا ، و اذا كنا نعرف الكثير عن قسنطينة فان سيقا ما تزال تحت الأنقاض.

2- **السلاوي** : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى . ص 67.

3- **ابن خلدون** : نفس المصدر، ص1836.

4- **ابن خلدون : نفس المصدر , ص 338**

طرق القوافل التّجارية التي تربطهم بالسّودان الغربي ، و كان نتيجة ذلك فرض كثير من الضّرائب على القصور . و يمكن القول أن التّبعية الى الدّولة المرينية كانت اقتصادية بالدّرجة الأولى بحكم العلاقات التجارية التي نشطت أثناء تلك الفترة ، ولكن سرعان ما استقلت سلطة القرار بتوات بعد سقوط دولة بني مرين . و بعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنوات دخل الاقليم احمد المنصور الذّهبي السّعدي[1] . كما شهد الاقليم خلال هذه الفترة توافد العديد من القبائل العربية من بني هلال و الذين استقروا به .و من بين القبائل العربية التي انصهرت في المجتمع التواتي قبيلة عرب المعاقيل التي وفدت الى المنطقة في القرن الثّالث عشر و هم من الرّحل الذين يعيشون على الرّعي و التّرحال ، لكن استهوتهم الصّحراء بقصورها و بساتينها فاستقروا داخل الواحات التي تقع ظمن مجال تنقلهم ، وسرعان ما فرضوا وجودهم الكامل داخل الأقليم [2]. وقد تكلم عن هذا الموضوع مخطوط نقل الرواه بقوله " **فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ، دخلوا الأمصار و المدن . أقام بنو معقل هؤلاء في القفار و تفرقوا في البيداء ، فنمو نمو الأكفاء و ملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيط ثم تسابيت ثم تيكورارين** "[3] ، و من المعلوم ان منطقة توات خضعت لفترة طويلة لحكم و سيطرة القبائل العربية التي استولت على الطريق الثاني المار بواحات الصحراء الذي كان يمر عير بلاد الزاب و ريغ و واركلان[4] و قد تمكنت قبلئل عرب المعاقيل من السيطرة على واحات التوات و بودة و تمنطيط و تسابيت و تيكورارين فقد تمكنت من أن تفرض عليها الأتوات و صارت لها جباية ، وفرضت نفوذها كاملا على المنطقة[5] ، وبسبب غياب سلطة مركزية في هذه الفترة من تاريخ المنطقة ، طغت على الساحة النزعة القبلية فانقسم مجتمع الاقليم الى صفين هما صف يحمد و صف سفيان

1- لد أحمد ابو العباس المنصور بن المهدي سنة 956ه ويعتبر ابرز الحكام في الدولة السعدية ، ولي على ولاية فاس اثناء فترة حكم اخيه عبد الملك المعتصم وهو الذي رشحة لولايته على المغرب ، وغداة الانتصار عل البرتغال في معركة وادي المخازن بويع ابو العباس ياالخلافة ولقب بالمنصور وكان ذلك سنة 986ه ، تمكن من ظم بلاد السودان الغربي(تمبكتو ، كاغو) الى حاضرته كما تم ظم كل من تيكرارين وتوات سنة 990 ه ، خلالة فترة حكمه جابه العديد من الثورات الداخلية التي كان ورائها الاتراك والبرتغال والاسبان لكنه استطاع اخمادها والقضاء على زعمائها حتى وافته المنية سنة 1012ه بداء الطاعون . للمزيد انظر **عبد الكريم الغلالي** : المغرب ملكا وشعبا . ص4. كذلك عبد العزيز عبد الله : تاريخ المغرب. ج1 . ص 184. السلاوي : الاستقصاء ..،ج5 ، ص 94. **عبد العزيز القشتالي** : مناهل الصفا. ص ص 160-170.

2- **محمد بن مبارك** : تاريخ التوات ، ص 14. كذلك انظر :لتغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية ، جامعة منتوري ، قسمطينة ، 2004 ، محاضرة بعنوان : استقرار العرب وانشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط ، للدكتورة بوخالفة نور الهدى ، جامعة وهران .

3- **محمد المبروك** : نقل الرواه عن من ابدع قصور التوات ، مخطوط ، ص 07.

4- **أحمد عمر**،(ابو ضيف) : المرجع السابق ، ص 281 .

5- **أحمد ابن خالد الناصري** : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج1 ، ص178

سفيان ، اسبابه المباشرة الصّراع القائم في الشّمال بين الموحدين و المرينين [1] و استمر هذا الصّراع لفترة طويلة مما ادى بكل طرف الاستنجاد بقبائل خارجية بحثا عن الموالين فكان فأستنجد بنو يحمد بقبائل البرابرة و اما سفيان فاستنجدوا بقبائل ذوي منيع [2] و استمر هذا الصّراع بين مناطق بأكملها تظم مجموعات من القصور ، فبينما كانت منطقة قورارة في غالبيتها ضد سفيان ، تبعت منطقتي توات و تيديكلت صف يحمد ، و كانت تنتمي الى هذا الصف قبائل الخنافسة والمحارزة [3] ، و في خضم الصّراع الدّائر بين دول الشّمال ، فلما ظهرت الدّولة المرابطية التي قامت على أسس دينية صلاحية ، أقامتها قبيلة صنهاجة و بعض القبائل الأخرى كجدالة و لمتونة و مسوفة وغيرها ، وما لبث أن أخذت في التّوسع شمالا على حساب القبائل المتصارعة ، فارضة على المغرب وحدة سياسية و اتخذت مدينة مراكش عاصة لها في حدود سنة(450هـ-1063م)[4].

و خلال القرن السّادس الهجري الثّاني عشر الميلادي أصبحت توات قبلة ومحطة للنّازحين الجدد من بقايا هذه الدّولة بعد زوالها ، فكان استقرار جماعات قبائل لمتونة بتمنطيط التي كانت في ذلك الحين عاصمة ومركز الاقليم ، فشيدوا أول قصبة لهم سميت بقصبة تايلوت .[5]

و كان المغرب الاسلامي قد شهد أحداثا سياسية وصراعا محتدما ، وقد استغلت القبائل المغربية ضعف الموحدين ، وعدم قدرتهم على التّصدي لمحاولات الانفصال فتأسّست على أنقاضها ثلاث دول هي دولة بني مرين بالمغرب الأقصى و دولة بني زيان بالمغرب الأوسط "الجزائر و تلمسان" و الدّولة الحفصية بافريقية "تونس حاليا" .

1- **O.I(Watin)**, Opcit ,p124
2- **Rachid ,(Bellil)** , Ksour et saint du Gourara , nouvelle série N3, CNRPAH , 2003 ,p73
3- **Deporter(V)**, Extréme sud de l'Algerie, Imprimerie Fountana et compagne ; Alger , 1889 , p 108)
4- **عبد العزيز سالم** : المغرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 704.
5- **عبد العزيز بن عبد الله** : الرحلات من المغرب و اليه عبر التاريخ ، ملحق2 ، دار نشر المعرفة ، المغرب ، ط1 ، 2001 ،ص 338 .

و يتسارع حكام المغرب كلما ضعفت شوكة المغرب الأوسط الى اخضاع منطقة توّات الى سلطانهم و هذا ابتداء من القرن 12م الى غاية نهاية القرن 16م حينما ارسل السّلطان احمد منصور حملة عسكرية لإخضاع سكان توّات و لمتابعة الفارين الى المنطقة[1]. وذلك يرجع لما من أهمية كبيرة لتوات عند حكام المغرب وذلك لما تدره عليه من أموال المغارم و الضرائب لتمويل حملاتهم المخزن العسكرية المختلفة ، وبالرغم من كل ذلك لم يقم المخزن من انشاء عمالة هناك تخصه كتعيين حكام ابرازا لدولتهم و بذلك بناء مدن و انشاء انظمة و دواوين بل كانت سياستهم تسعى لعدم الاستقرار و زرع الفتن مثل ما تم سرده سابقا في النزاع الدائر بين صف يحمد وسفيان. وربما يرجع السبب كذلك ان كل الفارين من المغرب بسبب الصراعات الدائرة سببا في عدم ايلاء اهمية كافية لهذا الاقليم ، مثل نزمح قبائل من البربر مثل مغراوة و بني يفرن هذا بعد مقتل أميرهم مسعود بن مروان المغراوي الى الصّحراء حيث نزلوا بالقرارة و واد الحناء بالاقليم التّواتي في القرن 5 هـ- 11م بعدما استولى المتون على بلاد المغرب ، و تتبعوا قبيلة زناتة يحاربونها [2].

و يذكر ابن خلدون في قوله " ... **وقد زعم زاعمون انهم من مغراوة و مواطنهم متصلة ، قبلة المغرب الاقصى و الأوسط وراء العرق المحيط بعمرانهم المذكور ...اختطوا بتلك المناطق القصور والأطام واتخذوا بها من الجنات من النّخيل والأعناب و سائر الفواكه . فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة ، وتسمى موطن توات ، وفيه القصور المتعددة تناهز المئتين قصرا آخذة من الغرب الى الشرق آخرها جانب الشّرق تسمى تمنطيط ...**"[3] . و جاء في مخطوط تاريخ التّوات لصاحبه محمد بن مبارك و كذا مخطوط درة الأقلام لصاحبة محمد بن عبد الكريم اسماء القبائل التي نزحت الى المنطقة مثل أولاد عبد الجليل سنة 500هـ ، اولاد عياش عام 502هـ ، اولاد خيرالله عام 516هـ ، اولاد و على البلبالي عام 518هـ ، أولاد ندير عام 520هـ ، أولاد حسين عام 528هـ ، اولاد ابن سليمان عام 531هـ ، البرامكة عام 656هـ ، اولاد علي 673هـ ، المحاجيب عام 675هـ و قبيلة احرازم عام 698هـ. [4] .

1- **بابا حيدة** : البسيط في ذكر أخبار تمنطيط (مخطوط غير منشور)، ص 14.
2- **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المغرب الاسلامي الكبير . دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية . ج2 . بيروت . 1981. ص 740.
3- **ابن خلدون** : نفس المصدر . مجلد 7. ص ص117-118.
4- **محمد بن مبارك** . تاريخ التوات . ص 10. كذلك **محمد بن عبد الكريم البكري** : مخطوط درة الاقلام . ص 7. كذلك من اسماء القبائل العربية لتي وردت الى اقليم توات حسب ما جاء في كتاب اقليم التوات لصاحبه فرج محمود فرج ص 33 هي : اولاد محمد- الخنافسة- المحارزة- اولاد طلحة –

اولاد أعيش-اولاد بحم-اولاد عمر- اولاد ملوك – اولاد غانم – اولاد مريم – اولاد اجبر – اولاد حرزالله – اولاد منصور – اولاد زنان – ذوي منيع – اولاد الحاج.

فنتج عن هذا الإختلاط صراع مستمر[1] . تولدت عليه حروب كثيرة بين مختلف القبائل الوافدة ذلك أن معظم الوافدين اما محاربين مهزومين او فارين قدموا مسلحين أو هم القبائل المغامرة الباحثة عن شروط افضل للعيش [2]. و من بين القبائل المتناحرة على السّيادة قبيلة اولاد احمد أو محمد و قبيلة سفيان. كما عرفت المنطقة حروب كانت بين قبيلتي كنتة و قبيلة كلنتصر بالأزواد [3] . استطاع الكنتيين أن يفرضوا وجودهم بمناصرة القبائل العربية من أولاد غنام و اهل غلان و أولاد ادريس و أولاد سليمان ، ثم محالفتهم للطوراق.[4]

هذه الفترة تزامنت مع قيام دولة المرابطين والموحدين بالمغرب خلال القرن (12-14) م ، و تعتبر فترة استقرار نسبي و سيطرة الأولى خاصة على المناطق الصّحراوية ، وبالتالي توافد أعداد كثيرة من القبائل الهلالية الذين كانوا السّند الأقوى للقوات. و من الاحداث التي توالت على المنطقة مشكلة الزّعامة على هذا الأقليم ، التي تعتبر من أكبر المشاكل السّياسية التي ظهرت آنذاك نظرا لتعدد القبائل الوافدة الى المنطقة فنتج عنه هذا المزيج من القبائل الذي بقي متمسكا بالقبلية والحمية الجاهلية مما سهل على الوافدين من شبه الجزيرة العربية من بسط نفوذهم على المنطقة و منهم العرب المعاقيل الذين تضاعف عددهم و زادت قوتهم بإطراد مما مكنهم من الاستحواذ بالملك بالجزء الأوسط من الصحراء الكبرى و استطاعوا أن ينفذوا الى القصور والواحات الواقعة على طرق سيرهم في الصحراء [5]. و كان على القبائل أن يكيفوا أنفسهم على حياة يسودها الاستقرار و الأمن داخل المدن و القصور التي شيدوها [6]. وفي القرن (7ه-13م) قدم المرينيون الى هذا الأقليم الا أن دورهم لم يكن فعالا نظرا لبداوتهم و احتقارهم للعمل الفلاحي و تفضيلهم الرّعي و التّرحال لذلك لم يتحولو الى فلاحين إلا بصورة بطيئة ، و في القرن (10ه-16م) قدم العرب الهلاليين بأعداد هائلة و شكلوا تجمعات في واحات الإقليم . و لقد عرفت المنطقة على وجه خاص حدثا هاما في القرن 11ه-17م و هو انتقال عاصمة الاقليم من تمنطيط الى ادرار أكبر مقاطعات تيمي و نتج عن ذلك صراع مرير بين القبائل .

1- **فرج محمود فرج** : نفس المرجع . ص 9.
2- **الطيب عبد الرحيم** : مخطوط البسيط في ذكر أخبار تمنطيط . ص 5.
3- قامت حروب عدة بين القبيلتين و دخلت بعض الطقوس التي كانوا يقومون بها في الاحتفالات بالمولد النبوي في هذه المناطق .
4- يذكر محمد حوتية هذه القبيلة باسم اولاد غنام بينما يذكرها محمد فرج اولاد غانم.
5- **ابن خلدون**. نفس المصدر. ص 120.

6- **فرج محمود فرج** : نفس المرجع السابق . ص 9.

و لا ريب ان الهجومات الخارجية التي كانت تتعرّض لها مقاطعات الاقليم التّواتي من وقت لآخر من قبل الجيران و نقول هنا تنازع قبلي ، قد شكّلت خطرا دائما يهدد سلامة و أمن السّكان . و كثيرا ما كانت تسفر عن ضحايا في الأرواح و تخريب للمتلكات فجهزت القصور بأبراج وأسوار عظيمة للدّفاع عن نفسها . وقد عرفت كذلك المنطقة الدّيانة اليهوديّة في القرن السّادس الميلادي و ما يؤكده ذلك وجود لوحة تذكارية بالخط العبري محفوظة بتمنطيط[1].

و خلال القرن التّاسع ميلادي أخذ توات منعرجا جديدا و أصبح لها صدى بعيدا على الرّغم من أنها كانت تابعة لزاوية " تافيلالت " ، وتجدر الاشارة أن دخول توات في الاسلام لم يكن عن طريق العرب وحدهم بل ايضا عن طريق البربر الدّائمي التّوافد و المرور بتوات عبر جبال الأطلس ، وكانت كل انتفاضة في المغرب الأقصى تصحبها هجرة البربر تجاه الجنوب و توات على الخصوص . كما تجدر الاشارة بالذّكر ان توات كانت مركز عدة هجرات أخرى متعاقبة قادمة اليها من السّاقية الحمراء و مناطق الطّوارق في الجنوب من الصّحراء الكبير[2] .

و خلال الفترة العثمانية ، أدركت سلطة البايات في الجزائر أن لا قدرة لها في بسط يدها على سكان الصّحراء و منهم أهل اقليم التّوات ، فاستمالت إلى صفها من الأتباع والعملاء ، يكونون من وجهاء البلد و أعيانه مدركة في ذلك أنه الأسلوب الأنجع للحصول على بعض الموارد التي تحتاج إليها لتغطية تكاليف موظفيها ، خاصة الجيش الانكشاري بعد ما أضافت عليها صبغة الشّرعية على أساس أنها دولة إسلامية وأنها يحق لها الحصول على زكواتهم لتقوية بيت المال ، فلذلك أخضعت سلطتها بصورة غير مباشرة بواسطة ما كان يعرف بموظفي المخزن[3]، لذلك نصب باي وهران أعيان من أولاد سيدي الشيخ كوسائط من وسطاء المخزن على منطقة القصور[4] و قد تطرق الاستاذ بلحميسي الى هذا الموضوع حين قال " **أن أجزاء كبيرة من الجزائر كانت**

1- **Martin(AGP)**:Opcit.p53 راجع كذلك **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المغرب الاسلامي الكبير . دراسة تاريخية و عمرانية و اثرية ج 2 . بيروت 1981. ص740.

2- كانت معظم الهجرات التي أستوطنت المنطقة قد نزحت من الهضاب العليا و تلمسان و مدن المغرب الأقصى سواءا مهاجرين او فارين و معظم هذه القبائل النازحة مدونة في مختلف المخطوطات التي تزخر بها خزائن المنطقة و التي تزيد عن ثلاثين خزانة .

3- **موظفو المخزن**: مجموعات سكانية لها صبغة فلاحيه وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤدي أدوارا...فهي تشكل لارتباط مصالحها بالبالك حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن، انظر **سعيدوني ناصر الدين**، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص109

4- **سعيدوني ناصر الدين**، نفس المرجع السابق، ص ص109-110 . كذلك : **الأستاذ مولاي بلحميسي** : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ص ص 14- 15.

مستقلة لا تخضع للنّفوذ العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين...ولأولاد سيدي الشّيخ نفوذ على مناطق واسعة..."[1]. و بعد عام 1820 م بدأت أطماع الغربيين تتجه نحو المنطقة خاصة منهم الفرنسيين ، فجاء الى المنطقة رحالة اوربيون كثيرون منهم الألماني جيرات وولين (Giraret woullin) الذي سلك الطريق القادم من المغرب مرورا ببشار و توات سنة 1864م على متن قافلة ليقضي شهرا و نصف بعين صالح .

و في نفس السّنة مرّ الفرنسي بول صولي (Paul Soli) لكنه و نظرا لعداوته مع الحاج عبد القادر شيخ قصر أباجودة ، لم يقم بعين صالح سوى يومان ليعود بعدها عن طريق المنيعة و كانت هذه المحاولات وغيرها الكثير وراء فكرة انشاء مشروع السكة الحديدية التي كانت فرنسا تحاول اقامته لنقل البضائع من السينغال الى الجزائر مرورا بتوات [2] .

في نهاية المطاف تم تنفيذ الاحتلال، في الأيام الأخيرة من سنة 1899، باحتلال قصور إن صالح وإتباعه بالسيطرة الكاملة على مجموع واحات توات في غضون سنة 1900. ثم تلا ذلك احتلال واد الساورة بأكمله إلى قصرإيغلي، أقصى نقطة في شماله، الذي كان همزة وصل بين المسالك الرابطة بين تافيلالت وفجيج، من جهة وتوات من جهة ثانية. وبعملية الاحتلال الأخيرة التي تمت سنة 1901، كانت من بين التحولات الكبرى في تاريخ المنطقة ، فبسبب الاحتلال، جرى تقسيم قبائل وحرمان أخرى من مراعيها الطبيعية كما هو حال قبيلة ذوي منيع، بينما تدهور وضع توات بحرمانها من مناطق الاتصال التي كانت لها طيلة قرون. و كان للزّوايا المنتشرة في الاقليم دورا كبيرا في مساندة الثورات المسلحة التي كانت ترمي الى طرد المستعمر الفرنسي و هذا خاصة منها السّنوسية والقادرية التي استقبلت المجاهد بوشوشة[3] .

فمساندة الزوايا و تدعيمها للحركة الثورية رفع من معنويات المقاتلين ومن المنطقة ككل اين ازدادت مخاوف المستعمر من تنامي المقاومة و تسارع وتيرة التكافل و التضامن الاجتماعي لمحاربة المد الاستعماري في الصحراء ، عندما قدم الشيخ بوعمامة[4] الى توات عام 1882م ،

1- **بلحميسي** : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ص 15 .

2 **محمد بن محمد** : اهتمام الأوروبيين بالسودان الغربي . مجلة جامعة نواقشط .1998م ص ص 115- 118.

3 - هو احمد بن التومي بن ابراهيم بوشوشة 1827م-1875م. من الوائل الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي و نادوا للجهاد.

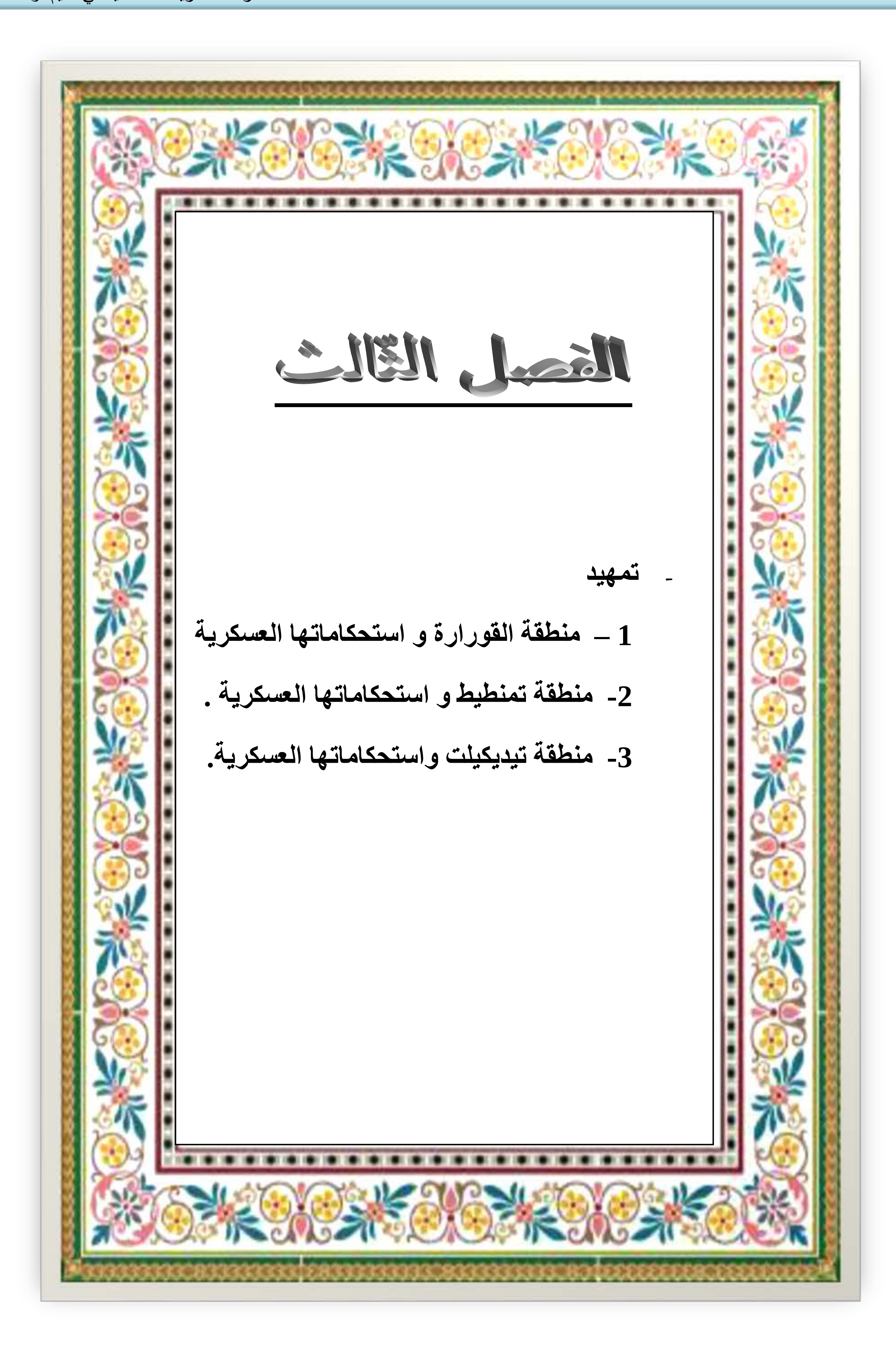
4 - هو محمد بن العربي بن حرمة، الصوفي و المجاهد البطل الملقب ببوعمامة امتدت ثورته من 1881م- 1904م و التي عرفت بثورة اولاد سيدي الشيخ.

والتفّ حوله أهله بعدما لمسوا منه التّقوى و الورع و ما يحمله من علم و معرفة ، و بقوا معه في عهد حتى نهاية انتفاضتة سنة 1904م . فكان الرّد هو ارسال حملات عسكرية بغرض فرض الهيمنة حتى يتسنى لها انجاز مشروعها الوهمي و كانت اخطر حملة هي حملة فلامند (Flamend) التي تمكنت من الوصول الى عين صالح عبر المنيعة سنة 1898م ثم منطقة تيديكلت ثم توات ثم اتخذت من قورارة مركزا حربيا بتيميمون استعداد لجميع التدخلات العسكرية و الأستكشافية في الصحراء الجزائرية و محاصرة المغرب من جهاته الأربع[1]. و على الارجح أنه منذ سنة 1845 توالت وتواترت المؤلفات والتقارير العسكرية وروايات المستكشفين عن توات ومنطقة الجنوب الشرقي المغربي عموما. وعلى ضوء ما تم جمعه من معلومات، وضعت السياسة التي اتبعت في احتلال الواحات، من ذلك استخدام النّفوذ الدّيني لبعض الزّوايا والصّلحاء، كالزّاوية الوزّانية وأولاد سيد الشّيخ للتأثير على السّكان. وفي السّياق ذاته، أنشئت بالقرب من الواحات مراكز إدارية وأسواق تجارية لتنافس الأسواق المحلية التي كان أهالي توات يتعاملون معها. كما أقيمت الحصون العسكرية على أهم المسالك الرابطة بين توات والجنوب الوهراني بغاية تسهيل تنقل الجنود ومراقبة المنطقة ، كما تم تشييد قرب قصر انزمير قلعة في المكان الذي كانت تتوقف فيه القوافل المتجهة من البيض و تلمسان الى السّودان الغربي و العكس[2].

في نهاية المطاف تم تنفيذ الاحتلال، في الأيام الأخيرة من سنة 1899، باحتلال قصور إن عين صالح وإتباعه بالسيطرة الكاملة على مجموع واحات توات في غضون سنة 1900. ثم تلا ذلك احتلال واد الساورة بأكمله إلى قصرإيغلي، أقصى نقطة في شماله، الذي كان همزة وصل بين المسالك الرابطة بين تافيلالت و فجيج من جهة وتوات من جهة ثانية . و بعملية الاحتلال الأخيرة التي تمت سنة 1901 تم رسميا خضوع هذا الاقليم الى الحكم الفرنسي .

1- **Dèporter**: La question de Touat. Sahara Algerienne. Alger 1981.P50

2- مازالت هذه القلعة شاهدة على الأهمية الأقتصادية للمنطقة .



الفصل الثالث

- تمهيد

1 – منطقة القورارة و استحكاماتها العسكرية

2- منطقة تمنطيط و استحكاماتها العسكرية .

3- منطقة تيديكيلت واستحكاماتها العسكرية.

تمهيد

كما سبق الذكر ان اقليم توات هذا يتكون من ثلاثة مناطقة متجاورة (خريطة11)أما اولاها من الشمال فهي القورارة ثم تليها توات او تيمي بلاد تمنطيط و أخيرا الى الجنوب منطقة تيديكلت اخر المناطق الثلاثة فأردنا التعريق بكل منطقة على حدى ثم وصف أهم عمارتها الدفاعية على أمل ان نخرج بمقارنة و لو بسيطة تصنيف عناصر العمارة العسكرية الخاصة بكل منطقة من مناطق توات الثلاث ، مع العلم أنه حسب ما توفر لدينا من معلومات و بحوت ان هذه المنطقة تخلو من القلاع و الحصون و كذا الأربطة بينما تكثر فيها القرى المحصنة أي القصبات أو ما يصطلح عليها بالقصور ، و لكذا قمنا باختيار مجموعة من القصور حسب اقاليم التوات الثلاث و قمنا بتسليط الضوء على انظمتها العسكرية .

اولا- منطقة القورارة و استحكاماتها العسكرية

القورارة او تيميمون كما تعرف حاليا قد عرفت عند المؤرخين امثال ابن خلدون باسم تيكورارين أو تينجورارين و التي تعني التّجمعات السّكنية او المعسكرات و هذا باللّهجة المحلية البربرية (الزّناتية) و قد عربي فصارت تيقورارين و شيئا فشيئا القورارة او القرارة [1]، يقول الوزان في خضّم حديثه عن القورارة بقوله " **القورارة منطقة مأهولة في الصّحراء يوجد بها ما يناهز خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية بين حدائق النّخيل ، و سكان هذه المنطقة اغنياء اعتادوا الذّهاب كثيرا بسلعهم الى بلاد السّودان ، و هذه المنطقة تعتبر مجمع القوافل لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يرتحلون جميعا** " [2] اما ابو فارس عبد العزيز القشتالي فيجمع كل من مقاطعة توات و القورارة و يقول " **...و لما كان صقع توات و تيقورارين من دون سائر الأقطار القاضية بالمحل القريب من جواره ..."** [3].

1- **بابا حيدة** : القول البسيط في اخبار تمنطيط ن تحقيق فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجزائرية ،1977، ص24.

2- **الحسن بن محمد الوزان** ، نفس المصدر السابق ، ص133.

3- **عبد العزيز القشتالي** : نفس المصدر السابق ، ص 75 .

يقع اقليم القورارة شمال اقليم توّات و تبعد عن مدينة ادرار بحوالى 200 كلم شمالا و موقعها جاء على محور طريق تجارة الصحراء التي اشتهرت في العصر الوسيط بين الشمال والجنوب من افريقيا و نعني بذلك بلدان السّودان الغربي كمملكة سنغاي و غيرها . و يحيط بالقورارة العرق الكبير من جهة الشّمال و الشّمال الشّرقي ، ومن الجنوب سفح هضبة تادمايت الشّمالي ، اما من الغرب وادي السّاورة و وادي مسعود ، مركز هذه المنطقة مدينة تيميمون، و ينتهي بها وادي مقيدن ، تشرف المنطقة على هضاب تبلغ 100 كلم عرضا و هي عبارة عن سباخ على شكل كثبان رملية و في بعض الاحيان مغطاة بعروق تعرف بسبخة القورارة [1] .

يشمل اقليم القورارة منطقة الأقروت او بلاد الخنافسة تين آركوك او ما يسمى ببلاد المهارسة ، الجرافيت ، تيميمون ، اولاد سعيد ، شروين ، تقنات ، تسابيت ،زواة دلدول[2] ، و بخصوص تسميتها (بالقورارة) هذه الكلمة التي اشتقت من لفظة " تيقورارين" باللهجة المحلية(الزناتية) والتي تعني القصور أو الحصون أو المعسكرات . و عربت وصارت تيقورارين ، و شيئا فشيئا أتخذت من القورارة اسما لها [3].

لكن الشّائع و السّائد اليوم هو تسمية تيميمون و قد اختلفت الرّوايات حول هذه التّسمية ، و حسب هذه المراجع فان هذه التّسمية (تيميمون) تعود الى ولي صالح اسمه ميمون ، الذي نزل بهذه المنطقة عند فراره من المغرب الأقصى أقام فيها و عمل بالزراعة لضمان قوته ، فمرت ذات مرة قافلة به فزودها بتمر و ما أرادت و ما استطاع ضيافتهم به ، فواصلت تلك القافلة المسير و عند بلوغها مرادها سئل اصحابها عن مصدر هذا التّمر الطّيب و حلو مذاقه و كأنه تين فأجابوهم بأنه " تين" " ميمون ". يقطن هذه النّاحية من توات بربر الزّناتة و العرب وهجين من الأفارقة[4].

1- **J.(Bisson).Gourara** ;Etude de géographie humaine .I.R.S. N03. 1957.p7.

2- **Deporte**r. Le Gourara , Le Touat , p 106

3 - **بابا حيدة** : القول البسيط في اخبار تمنطيط ، تحقيق فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1977 ، ص 42.

4- **محمد حوتيه** : قبيلة كونتة بين اقليمي توات و الأزواد. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر . الجزائر . 1993. ص94. كذلك **مزيان عبد المجيد** : النظرة الاقتصادية عند ابن خلدون . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر .1981 . ص 168. ايضا عبد **العزيز بن عبد الله** : معلمة الصحراء ، مطبوعات وزارة الأوقاف.المغرب.1976.ص177 كذلك. **Pietro Laureaux** ; Les ksours du Sahara algerienne , ecomos-info,Septembre,1987,p02

و يذكر بعض المؤرخين ان العنصر الزنجي جاء اثر عملية جلب السّود من مواطنهم الأصلية و بيعهم في اسواق النّخاسة ، واستمرت هذه العملية حتى القرن العشرين ، اما العنصر البربري فقد قدم من شمال افريقيا و العرب المسلمين ظهروا في المنطقة بعد الفتوحات الأولى للمغرب(1) و بعد سيطرة المرابطين على دولة غانا و سيطرة المسلمين التّامة على طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن 5 هـ-11م انتشروا وانتشر الاسلام بسرعة فائقة عن طريق الفتوحات والتّجارة(2) ، و يضيف باحثيين اخرين أمثال اشاليي (Echallier) لهذه التّركيبة عنصر اليهود الذين حسب رايهم يتواجدون في المنطقة منذ عصور قديمة(3) .

يوجد بتيميمون عددا كبيرا من القصور و الواحات (خريطة11)معظمها يقع في دائرة قطرها حوالى 80 كلم أبعدها قصور تبلكوزة في الشّمال و قد ورد في تقييد مغربي يرجع الى عهد السّلطان الحسن الأول(4) ، أن منطقة القورارة تظم حوالى ثمانية قصور كبيرة ، و ان كل واحد من هذه القصور يظم عددا من القصور الأقل شأنا ، و التي تبلغ في مجملها ب 86 قصرا نذكر منها قصور تيميمون التي تتشكل من 27 قصرا تقع الى الناحية الجنوبية لسبخة تيميمون و هي من أهم قصور المنطقة ، ثم نجد قصور أولاد سعيد الثّلاثة و أهمها قصر الحاج قلمان ، و تأتي من بعد ذلك قصور تسابيت

1- **محمد جلال عباس** : المد الاسلامي في افريقيا ، القاهرة 1398هـ/1978م ، ط1، ص 75. كذلك **شوقي الجميل و عبد الله ابراهيم** : تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1996 ، ص 85 كذلك **P-Augier,M-Mameri,et autres** , Le Gourara , Elements d'etude anthropologique , IRS , 1956 , T14 ,P242 .

2- **حسن ابراهيم حسن** : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، القاهرة ، 1963 ، ص 99 .

3- **Echallier** , Village desertes...p14 ، ان الرحالة والمؤرخيين الغربيين يعملون بكد حتى يوطدوا معلومات خاطئة و كأنهم بذلك يريدون باطلا يراد به باطل أكثر منه ان عنصر اليهدون يتكون من صنفين صنف يهودي الأصل والنسب و هولاء هم من طوردوا سواءا في عهد الفراعنة والرومان و غيرهم ، وهناك صنف ثاني وهم القبائل التي تدين باليهودية و ليست في أصلها من اليهود بشيء حيث يقول السلاوي " **البعض من البربر قد دانو باليهودية اخذوه من بني اسرائيل ...." السلاوي** : نفس المصدر ، ص 69-70.، هذه االأخيرة وجدت في كامل بلاد المسلمين حتى اتى الاسلام واتبعوه و منهم من بقى على ملته و يدفع الجزية و بلاد توات كانت تأوي مثل هذه القبائل حتى قام الامام المغيلي بحملته ضدهم و قضى عليهم بالأقليم وسميت تلك الواقعة بنازلة توات فمنهم الكثير من دانوا بالاسلام والقلة هاجرت و يقول الحسن الوزان في هذا الشأن "**كان بعض اليهود الأغنياء يقيمن بتيقورارين ، ثم تدخل أحد فقهاء تلمسان المغيلي فأدى ذلك الى نهب اموالهم و تقتيل بعضهم من قبل السكان حدث ذلك في العام الذي طرد فيه الملك الكاثوليكي اليهود من اسبانيا"** الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج02، ص 133..

4- تولى الحسن الأول الحكم خلفا لأبيه محمد الرابع بن عبد الرحمن(1873-1859) ميلادية حاول أن يجعل الحكم مركزيا وان يبسط سلطة الدولة على كل القبائل دون تميز بما فيها قبائل القاطنة باقليم توات . لكن الإصلاحات لم تتم للنهاية بسبب تمرد بعض القبائل خاصة تلك المتواجدة بالأطلس. و يرجع السبب في عدم تحقيق كل الإصلاحات وبسط سلطة الدولة إلى سياسة التقشف التي اتبعها الحسن الأول لكي لا يُغرق المغرب في الديون

توفي" في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس ثالث ذي الحجة الحرام، متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف" (يوافقه 6 يونيو (حزيران) 1894) على مقربة من "وادي العبيد، من أرض تادلا .

التي تجتمع على ثلاثة عشرة قصرا تمتد من الشّمال الى الجنوب من هذه القصور نجد بني ملوك و تورسيت و الواجدة و عبو و بنغازي ثم خط أخر من الواحات منها سمجان ، قنتور ، تسفاوت ، بني يسلم و شروين ، وتقع الى الجنوب اتجاه منطقة ادرار، حيث كانت سابقا تابعة لمنطقة تيميمون و خلال التقسيم الاداري الأخير للإقليم باتت تتبع منطقة توات الوسطى (ادرار) ، هذه المجموعة تتكون من ثلاثة عشر قصرا تمتد من الجنوب الغربي الى الشّمال الشّرقي لوادي مسعود و منها قصر برينكان ، لمعيز عريان الراس [1] . و تعتبر تيميمون عاصمة القورارة اين تختلط فيها المباني مع البساتين (اقران) ، حيث نجد بها عدة قصور مثل قلمان ، شروين ، اولاد مهدي ، قصر تادمايت ، تازاغارت و تبغوني المان و يتوفر كل قصر من هذه القصور على ساحة خاصة و مسجد و كلها تتوفر على الوسائل الدفاعية من خندق و سور مدعم بأبراج .
من هذه القصور نجد قصر سيدي ابراهيم و هو بنتمي الى مجموعة قصور تيميمون (صورة20) و هو قصر ذو شكل مستطيل غير متساوي الاضلاع طوله 93 م وعرضه 67 مترا اما الجهة الاضافية فتبلغ من الطول 43 م و 25 م عرضا (شكل10) يحيط به سور تتخلله ابراج للمراقبة ، يحده من الجهة الشّرقية سوقا و من الجهة الشّمالية مقبرة و من الجهة الغربية بعض المساكن الحديثة و من الجنوب قصر احراش ، يتوفر سور القصر على مدخلين (أثّاف) ، واحد في الجهة الجنوبية و الأخر في الجهة الشّمالية يؤدي الى مسجد القصر .
يمتاز قصر سيدي ابراهيم بتشكيلته المعمارية المتداخلة حيث تترابط البيوت عبر شوارع (تيزمت) و أزقة ، منها المسقوفة و المكشوفة ، جلها (الشّوارع) يؤدي الى مرافق القصر العامة و قد هدّمت اجراء كبيرة منه و فتحت الكثير من الفتحات في سوره و هدم الكثر منه لم يبق منه من معالمه الا قليل القليل خاصة بعد هجرانه من طرف العامة لبنائهم بيوتا جديدة و حديثة (شكل11).
يحيط بالقصر من كامل جهاته على ما جاء من روايات شفوية خندق يبلغ عمقه حوالى المترين و عرضه الثلاثة امتار أو أكثر و لم يبق منه في وقتنا الحاضر ما يشير اليه الا الحكايات . و مازالت معالم الهضبة التي أنشأ عليها القصر بادية للعيان رغم عمليات الردم التي شهدها فهو بذلك يحتفظ بأهم ميزة لقصور منطقة تيميمون ، حاليا لا يتجاوز ارتفاعها(الهضبة) أكثرمن متر ونصف في بعض الجهات كأقصى تقدير كما غابت كثيرا معالمه من حيث الشّرفات و يلي هذا الخندق سور

1- الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج2،ص133

يبلغ سمك قاعدته حوالى المتر الواحد و ارتفاعه سبعة امتار ، دعّم هذا السّور بثلاثة ابراج هرمية الشّكل لم يبق منها سوى البرجين الجنوبيين يتكون كل برج من طابقين يصل ارتفاعها الى عشرة امتار يتخللها صفين من مزاغل من الجهات الثّلاث المطلّة على الخارج ، كما تتوزع هذه المزاغل على كامل محيط القصر و قد اندثرت ولم يبق منها الا الشّيء القليل .

حسب المعاينة التي قنا بها تظهر ان هذا القصر في بادىء امره كان ذا شكل مربع تقريبا بابعاد تقدر ب 67م على 63م يحيط به سورا من جهاته الأربع مدعم بأربعة ابراج ركنية هرمية مثله مثل غالب قصور المنطقة غير انه خضع الى عملية توسيع لأسباب مجهولة نرجح انه زيادة في عدد سكان القصر مستغلا بذلك المساحة الموجودة على نفس الهضبة محيطا اياه بسور مدعم بأبراج . بعض هذه التّفاصيل تنطبق كذلك على قصبة قلو بتيمون فهي تأخذ شكلا مستطيلا ، مقاساتها 27 متر طولا على 21 متر عرضا ، تتوفر على مدخل رئيسي و حيد يتواجد في النّاحية الغربية للقصبة ، يحيط بهذه القصبة سور يبلغ ارتفاعه حوالى السّبعة امتار بني بالحجارة ياخذ الشّكل الهرمي السّائد في الاقليم و الصّحراء عموما ، يحتوي هذا السّور على برج وحيد يوجد في الرّكن الشّمالي تبلغ ابعاد قاعدته المترين على متر و نصف ، وضع أساسا للمراقبة والحراسة وليس للدّفاع و نظرا لهجران هذه القصبة و عزلتها غمرتها الرمال و هدمت الكثير من أجزائها وزالت بعضها . و من جهة اخرى نرى ان قصبة بني مهلال التي بنيت في الأصل على هضبة مازالت اسوارها الشامخة صامدة الى ايامنا هذه و التي تميز بضخامتها كما انها تغيب فيها الأبراج لعدم الحاجة كونها احتلت أعلى موضعا حيث تظهر كالحصن محتلة بذلك الجهة الغربية لقصر بني مهلال و على سبخة تيميون يحيط بها سور دائري الشّكل يبلغ علوه حوالى التّسعة امتار من الصّخرة التي اقيمت عليه القصبة و خمسة عشر مترا من الأرض قسم هذا السّور الى قسمين اولهما دائري و الأخر مربع الشكل يبلغ من الارتفاع سبعة امتار ونصف ينتهي بشرفات مثلة الشكل اضافة الى فتحات من الجانبين الشمالي والغربي لمراقبة محيط القصر والتهوية والنور خصوصا أن الميزة الأساسية هي البناء على الرّبوات والهضبات كي تزيد من مناعتها و ان بداية الأساس تكون من نهاية الحافة العلوية للهضبة و هذا ما يزيد من ارتفاعها و تحصينها (صورة 22). و في هذا القسم المربع يجد المدخل الرئيس مكانه حيث تقدر ابعاده بمتر في العرض و المترين في الطول ثبيت في

سور سمكه 70 سم ، تتكون عتبة الباب من اربعة قطع خشبية من خشب الصنوبر طول الواحدة 86 سم أما الباب فهو يتكون من تسعة الواح خشبية مثبتة بواسطة ثلاثة صفوف افقية من المسامير الحديدية الكبيرة في كل صف تسعة مسامير الكبيرة . ، وقد انتهت اسوارها كما هو معلوم بشرفات و هي في حقيقة الحال جاءت للزخرفة والتمويه أكثر منها للدفاع(صور22) ، كما أن للخنادق الدّور الفعال في دعامة وحصانة هاته التّجمعات السّكنية سواءا قصرا او قصبة فهي في حقيقة الأمر اول نقطة للدّفاع ، تجابه المهاجمين و تنقص من تدفقهم و تحبط من عزيمتهم ، وهي ميزة هامة في قصور توات حيث ان جل القصور التي بنيت على ربوات حصنت نفسها بخندق يملا بالماء عند كل حاجة ، وحقيقة كذلك لم يبق من ملامح هذه المعالم الكثير خاصة انها تعرضت للردم جراء العوامل الجغرافية المختلفة ، ولأن السكان لم يعودوا في حاجة اليها باتوا لايستخدمونها ولا يميلون الى ترميمها فأدى هذا بالضرورة الى اندثارها عبر سنين عديدة ، و لكن لا يمكن تجاهلها كمعلم دفاعي بامتياز ، ونحن لانشك انها قد كانت تحيط بجل القصور الصّحراوية خاصة قصور توات (صورة24) المتوضعة خاصة على اراضي منبسطة ، و بتوفر الخنادق لا بد من توفر الجسور ، و السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحالة هل هي جسور ثابتة او متحركة ؟ ان بناء الجسور حاجة ملحة عند بناء الخنادق ، و اذا كانت من الجسور الثّابتة فهذا يعني ان المهاجمين يمكنه استعمالها و الاقتراب اكثر من البوابة الرئيسية اذ نجد ان هذا الموضوع مستبعد فسيكبد اهل القصر مشقة هم في غنا عنها لذلك لابد من وجود فكرة اخرى . و اما اذا كانت من الجسور المتحركة فلا بد لها من آليات و قائمين لهذا الغرض ، واما القائمين فهذا شأن سهل و أما ما يخص الآليات فلم نجد من خلال القصور التي مررنا بها ما يوحي الى ذلك لكن ما هو أكيد انّ باب القصر يفتح من شروق الشمس الى غروبها تحت أعين الحراس ،كذلك يقومون بوضع بعض جذوع خشب النخيل ثلاثة و لا يزيدون عن اربعة يصلون بذلك حافتين الخندق(شكل14) مباشرة امام باب القصر و لا شك أنهم يقومون بشدها لبعضها البعض بواسطة الباف او سعف النخيل حتى لا تلحق الأذى بالمرين ، و يصف أحد المستكشفين الفرنسيين قصبة بني مهلال حيث يقول " **قصبة بني مهلال التي تبعد عن تيميمون بحوالى اربعة كيلومترات جنوبا ، قد بنيت فوق تلة صخرية و احيطت بخندق يعلوه جسر خشبي مكون من ثلاث الى اربعة قطع خشبية** "[1]

Caporay : opcit . p142. -1

و من خلال المسح المستمر بواسطة تقنية قوقل ايرث وكذا الخرائط المتوفرة والصّور الجوية خاصة لهذه المناطق القاحلة تم الوقوف على أن هذه البيداء الشّاسعة تخفي عنا الكثير من الأسرار التي لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى فهناك العديد من القصور التي محيت تماما من سطح الأرض و لم يبق منها سوى ما يوحي الى مظهرها بعدما كشفته الرمال من خلال حركتها (صورة24) و مثال ذلك قصر تاقزلي الذي يبعد عن مدينة تيميمون حوالي 52 كلم اتجاه 273.25 درجة شمالا و عن قصر شروين بحوالى 3.5 كلم اتجاه 270.00 ° شرقا ، و كذلك ما تحصلنا عليه صدفة كذلك من استعمال هذه التّطبيقة قصر دائري جميل جدا وربما يكون أعجب قصرا قد مر علينا ، أنه كما تم تسميته قصر الذّراع (صورة25)، و إنه على ما تحصل عليه من معلومات تفيد انه خلال سنوات الثّمانينات قدمت فرقة امريكية على اساس انهم سوّاح مجهزين بأحدث التّجهيزات و الدّعامات التّقنية المعروفة خلال ذلك الوقت الى مدينة تيميمون اين قامت بتوظيف احسن المرشيدين بالمنطقة و توجهت نحو هذا القصر الغريب و عند و صولهم طلبوا من المرشيدين الرّجوع و العودة اليهم بعد اسبوع ولا يعلم أي شخص كيف تمكنوا من تحديد موقع هذا القصر او على ماذا جاؤوا يبحثون او ماذا وجدوا بداخله ، حيث كانت أول مرة يظهر فيها هذا القصر للعيان و يتعرف على موقعه المرشيدين وتطلق التّسمية عليه بقصر الذراع نظرا لموقعه ؟

بعد هذه الحادثة بسنوات عديدة و خلال شهر نوفمبر من سنة 2009 قام بعض السّواح الفرنسيين بجولة استطلاعية باستعمال طائرة شراعية لهذه المنطقة وصف من خلالها هذا المستكشف القصر بأنه ذا شكل بيضوي مزدوج الاسوار و مدعم بأبراج مضيفا أنه قصر يهودي يعود الى الفترة التي سبقت الاسلام و الله أعلم من أين أتى بهذه التكهنات و هذه الاستنتاجات و كأن الشكل الدائري بات حكرا على اليهود .

الحقيقة ان زيارة هذا الموقع يتطلب عدة وعتادا ليس بالهين لأنه لا توجد لاطريق ولا ممر يستطيع من خلاله المرئ الوصول اليه ، كما ان الوصول هناك لا بد ان يكون بسيارات رباعية قادرة على تخطي الرمال الكثيفة مع مرشيدين أكفاء يعرفون الطريق جيدا . وحين شاء المراد و وقفنا امام هذا السّرح الكبير و الفريد أين تأكدنا ان هذه البيداء تخفي عنا الكثّير و ما نعلمه نحن وما ذكره من سبقنا لا يمثل الا القليل مما تخفيه هذه الصّحراء ، لذا كانت الفرصة لنجعل منه

نموذجا لهذه الدراسة باستعمال كل الأدوات المتوفرة من صور وخرائط و كل التقنيات من خلال تطبيقة قوقل حتى أظهره أولا و أجعله موضوعا للدراسة مستقبلا لي أو لغيري لمن أراد ذلك .

يقع قصر الذّراع كما أطلق عليه بين الاحداثيات (29درجة ً3205.14) شمالا و (0درجة ً1059.88) شرقا . يبعد عند مدينة تيميمون بحوالى 29 كلم اتجاه 172.45° شمالا . ان تسمية الذّراع نجدها حديثة او قد أطلقت على هذا القصر لموقعه (مرتفع بسيط منبسط قليلا) عند رؤيته اول مرة من طرف المرشدين الذي صاحبوا الفرقة الأمريكية و هو في حقيقة الحال مصطلح شائع كثيرا ، كذلك اذا نظرنا في تسميات القصور المحيطة بهذا القصر نجد جلها تحمل تسميات عربية او زناتية لذا لا بد ان لهذا القصر اسم معين .

هذا القصر يختلف كثيرا عن القصور الصّحراوية التي اتخذناها كنماذج للدّراسة أو التي تم دراستها من طرف الكثير الباحثين خاصة منها في اقليم توات سواءا عربا او عجم ، وان معضمها يأخذ في أصله الشّكل المربع او المستطيل أما هذا القضر فيأخذ شكلا بيضويا تبلغ ابعاد قطريه 27/37متر ، و أما ثاني اهم ملاحظة ان كل قصور توات عموما و تيميمون خصوصا هي الواحة المحيطة بالقصر و التي تغيب تماما في قصر الذراع و هذا أمر يدعو للبحث لأستحالة الحياة في هذه المناطق دون واحة ؟
جاءت مادة بناء قصر الذّراع من الحجارة الغير منتظمة في جميع مراحلة حيث غابت مادة الطّوب و الطّابية رغما شيوعها في هذا النّوع من العمارة و بهذه المناطق ، حيث اعطت لهذا القصر طابعا خاصا (صورة 26). ضف الى هذا يتميز قصر الذراع عن غيره من قصور المنطقة بمنظومة دفاعية جد خاصة ، و أول هذه الخصائص ازدواجية السّور ، وهذا يعني ان هذا القصر قد انشأ في فترة صراع دفعت الى الرّفع من درجة استحكاماته او انه دعم بسور ثاني نتيجة ظروف ومستجدات طارئة ، في هذا الباب نقول ان السّور الدّاخلي و الأصلي لقصر الذراع من نوعية القصور التي تكون فيها الأسوار الخارجية هي نفسها اسوار المساكن ذلك انه نظرا لشكله البيضوي جاءت المساكن المكونة من اثنين الى ثلاثة طوابق محيطة و مطلة كلها على صحن القصر ، ينتهي هذا السّور الضّخم بشرفات كبيرة مقارنة بمثيلاتها في كثير من القصور التي تم تناولها ، فتبدو انها وضعت للدّفاع اكثر منها للزّخرفة (صورة27) . بينما نجد السّور الخارجي او البراني(صورة28) الذي يحيط

تقريبا بثلثي السّور الخارجي و هو لا يتجاوز ثلث ارتفاع السّور الرئيسي حيث يفصل بينهما رواق لا يتجاوز في عرضه المتران هذا السور نجده يخلو من الشّرفات تماما بينما زود بعدد من الفتحات المنتظمة و التي تمتد من البرج الشمالي الغربي الى غاية البرج المربع . و ينتهي هذا السور في كلتا حافتيه على برج شبه دائري يأخذ نفس ارتفاع السّور المنشأ عليه . هذان البرجان الشّبه المخروطيان(صورة29) يعتبران فريدان من نوعهما خاصة وان المعهود في هذا النّوع من العمارة (الأبراج) هو العلو و البروز لكنهما لا تعدوان ان تكونا الا للحراسة حيث تأخذ نفس ارتفاع السّور المقامة علية ، زودت هذه الابراج بمجموعة من الفتحات الغير منتظمة حلت محل المزاغل . و يبدو انه يوجد برج ثالث مستطيل الشكل تعرض للهدم عند مدخل القصر و ربما وضع خصيصا لمراقبة الوافدين و كذا تدعيم المدخل (صورة30).الثّلث الذي تبق من السور الرئيسي و لم يتم احاطته بسور براني دعم بخندق يمتد بين البرجين الشبه دائريين(صورة31) ، وبذلك يكون السّور الرّئيسي محاط بخندق وسور ثاني زاد من قوته وحصانته ، كما قام المشرفون على البناء فاضافة دعم ثاني لهذا السور من جهة الخندق وذلك بتدعيمه جدار اضافي مائل حتى لا يتمكن منْ اجتاز الخندق من المهاجمين من نقب السّور او تسلقه (صورة32)(شكل16).

الشّرفات الموزعة بانتظام على كامل محيط القصر من خلال السّور الرئيس توحي لنا بأن سقف المساكن القصر كانت في حد ذاتها ممشى للحراس المشرفين على المراقبة و الدّفاع (شكل15).

هذه المنظومة الدّفاعية التي تميز بها قصر الذّراع عن غيره من قصور المنطقة تفيدنا بشكل أساسي عن حالة اللا أمن و عدم الاستقرار التي كانت تسود توات في ذلك الوقت من الزّمان ،و لا ريّب ان الدّوافع كانت قاهرة كي تدفع سكان هذا القصر الى كل هذا التّحصين و التأمين بقدر ما ابرزت مدى استعداد الاهالي للأبتكار و التّغلب على الصّعاب ، حيث ابدوا استعدادا ليس له نظير من خلال ابتكارهم حلا لكل هذه المشاكل التي جابهتم في انشاء هذا القصر . يبدو كذلك حسب المعاينة المبدئية انه عند انشاء هذا القصر للوهلة الأولى انشأ بسور واحد وهو السّور الرئيس خالي من الابراج لكنه كان عاليا و صلبا بما يكفي حتى يمنع من يريد تجاوزه ، و هذا ظاهرا من خلال اتقانه الجيد ، لكنه دعم بعنصرين هامين اولاهما هي الشرفات و التي على ما تبدو غاية في الجمال و الاتقان و وجدت لغاية واضحة وهي المراقبة و الاحتماء ، ثم ان الشّكل البيضوي هذا واحاطة المساكن بالسّاحة او الصّحن المركزي وفر ممشى للحراس يجوبون كل محيط

القصر ومن جميع جهاته ، و لكنه لسبب ما دعم هذا السّور من الجهة الجنوبية للقصر بسور اضافي احاط بالسور الرئيسي على طول ثلثيه لكنه ليس لا بالعلو ولا بالصلابة التي تميز بهما الأول كما تنتهي كلا حافتيه ببرجان ليسوا بدرجة اتقان او قوة يمكن التكلم عليها ، ضف انهما لا يحملان حتى صفات الابراج المتعارف عليها و كل ما يمكن وصفها به انها مخادع للحراسة ليس غير ، كما ان هذا السّور تم تزويده بفتحات للرؤية تمتد من البرج الغربي الى غاية مدخل القصر من جهة السّور البراني كما زود كذلك بغرفة مربعة يمكن اعتبارها برجا ثالثا يعمل على مراقبة الوافدين للقصر الذين يلجون عبره قبل وصولهم للبوابة الرئيسية و نعتبرها تقنية دفاعية غاية في الاحتراس ينفرد بها كذلك عن جميع القصور التي تم تناولها للدراسة . ثم ان الثلث المتبقي من محيط السّور الرئيس دعم هو الآخر بخندق يربط البرجين المذكورين زاد من ارتفاع السور الرئيس و صعب من تسلقه او نقبه و حتى لا يتمكن كذلك المهاجمون من نقب هذا السور (الرئيسي) من هذه الجهة(جهة الخندق) او تسلقه قاموا بتدعيمه بسُمك مائل زاد من قيمة الابتكارات في هذا الميدان ، ولعلى هذه الاحترازات جاءت نظير تداعيات أمنية مستجدة دفعت الاهالي لبذل المزيد من التّحصين .

ونحن نرى أن الاسباب التي كانت وراء عدم احاطة هذا القصر بخندق من كل جهاته بدل سور اضافي هو طبيعة الهضبة المقام عليها هذا القصر فبالملاحظة نجد الجهة التي اقيم عليها السور الثّانوي عبارة عن صخور ضخمة يستحيل تحطيمها او الحفر فيها فكان البناء احسن و أوفر للجهد(صور34) ، بينما الجهة التي حفر فيها الخندق تبدو خالية من الصخور الضخمة وسهلة الحفر مقارنة من الجهات الاخرى(صورة35) . كما يبدو ان السّور الرئيسي من جهة الخندق اكثر ارتفاعا بقدر طابق كامل اين نجدها تتكون من طابقين بينما الجهة المقابلة للسور البراني تتكون من طابق واحد و كله ينتهي بشرفات و هذه ميزة اخرى (شكل16)(صورة36) . و يبدو كذلك ان البوابة الرئيسية كانت ضخمة وذات رونق مقارنة بأبواب القصور المعروفة في توات و قد تم الاهتمام بها من حيث نسق البناء فيبدو انها كانت تميل في شكلها الى الأبواب المغربية(صورة37) استعمل فيها نظام الاقواس و العقود شأنها شأن النّوافذ و هي ميزة فريدة كذلك قد تميز بها هذا القصر على ما يبدو (شكل18) . ذلكم ما كان من نبأ قصر الذراع كما أطلق عليه وإني اراه من أهم قصور القورارة و توات جميعا من حيث اجماعه على الميزات دفاعية جمة لولا يفند البعض .

ثانيا- تمنطيط و استحكاماتها العسكرية

إن التّطرق الى التّاريخ الحضاري لإقليم توات يقودنا بالضّرورة الى التّحدث عن العاصمة التّاريخية لهذا الاقليم و هي تمنطيط و قد جاء على ذكرها ابن خلدون حين قال " **و آخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت ، وهو بلد مستبحر العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب الى بلاد مالي من السودان** " [1] (شكل19) ، و لم يتكلم رحالة او مؤرخ عن توات دونما يتطرّق اليها . و قد ازدادت أهمية هذه المدينة بفضل موقعها الممتاز في الصّحراء الغربية الذي يجمع بين قصور الشّمال أو بالّأحرى مدن الشّمال منها بالجنوب ، الأمر الذي جعلها في موقع الرّيادة بالنسبة للمراكز الحضارية في الصّحراء الكبرى ، لما له من أهمية بالغة التّأثير في درجة نمو و التّطور العمراني و الاقتصادي و الفكري لأي حاضرة معيّنة و قد كانت كذلك العاصمة الثّقافية و السّياسية و حتى الاقتصادية للمنطقة و لم تنتقل العاصمة الى مدينة تيمي حتى القرن الحادي عشر (11ه/17م) و بالضبط سنة 1014 ه[2].

تقع ناحية توات أو تسوات ما بين منحدر القورارة التي تكون الحافة الشّرقية لواد مسعود و الحافة المقابلة له المعروفة باسم العرق الغربي(خريطة15) ، و يوجد في مدينة تمنطيط قصور كثيرة تناهز 360 قصرا مازالت أطلال بعضها شاهدة رغم ما مر عليها من تقاسيم الزّمن ، و نظرا لمكانتها هذه المدينة ألف فيها أحد مؤرخي توات[3] مخطوطا أسماه (**القول البسيط في اخبار تمنطيط**) ، حيث قدم لنا صورة عامة عن اقليم توات و عن مدينة تمنطيط بالتّحديد .

يذكر ان أول من بنى قصور تمنطيط هم اللمّتون من اولاد يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين ، حين انكسرت شوكة دولتهم بالمغرب والأندلس[4] بسبب ظهور دعوة الموحدين و امام الضربات

1- ابن خلدون : نفس المصدر . ج2. ص 1833.

2- فرج محمود فرج : اقليم توات ... ص 162 .

3- هو الشيخ الفقيه المرحوم محمد الطيب بن الحاج عبد الرحمان المشهور بابن بابا حيدة ، من فقهاء توات خلال القرن التاسع عشر ميلادي ، ولد شهر صفرمن سنة 1184ه بمدينة تمنطيط ينحدر من قبيلة اولاد يحي التي تنتمي الى قبيلة منيارة بالمغرب الاقصى و يقال أن سبب تأليفه البسيط في أخبار تمنطيط ما آلت اليه المدينة بعد تحويل مركز رئاسة الاقليم الى مدينة ادرار بقصد احياء المدينة من جديد والتذكير بما كانت عليه قبل الألف الثاني الهجري .

4- الطيّب عبد الرحيم : مخطوط البسيط في اخبار تمنطيط . ص08.

العنيفة التي تلقوها من نصارى اسبانيا بالأندلس و تكتل ممالك كاتالونيا و أرغون و قشتالة و البرتغال ضدهم[1]. و كذا قيام المهدي بن تومرت (447هـ-524هـ) بالثورة ضدهم بالمغرب مما اضطر ما تبقى من فلولهم بالفرار الى بلاد توات[2] فوجدوا في هذه البلاد الجديدة الجذب فعرفوا أنها أرض آمان ، لأن الجند لا يطيق المقام بها ، فبنوا القصور وحفروا الآبار . و يعتبر قصر "تايلوت" او ما يصطلح على اسمه القصر القديم أول قصر بنوه اللّمتون بتمنطيط ، اناسه ضعفاء ، ثم أضافوا القصر الكبير الى جانبه و يسمى " **أتعالى يوسف**" و ربما يكون اسمه كناية الى يوسف بن تاشفين (400هـ-500هـ) ، و يقطن هذا القصر أولاد يعقوب و هناك ايضا سيدي عبد الله العصموني و يلي ذلك قصور اولاد داود بن عمر و هي قاعدة أسواق تمنطيط . و قصر أولاد ميمون الذي زاحمته الرمال من الجهة الشرقية و قصر أولاد محمد الذي تولاه المرابطون من اولاد السيد البكري المشهور بالعلم و الفضل والصلاح ، و الى جانب قصر اولاد يعقوب يوجد قصر اولاد أهمالي و هو الآن بيد الحراثين و يقال أنه اول قصور أولاد يحي من جهة الشّرق و أخرهم قصر أغلاد و قصر المهاجرين المسمى الآن " **أغمر أقبور**" من قصور اولاد يحي السّكان الأوائل لتمنطيط ، التي لم يبق من قصابهم الشيء الكثير و يجهل تاريخ انشائها و قد سكنها أولاد يحي و أولاد مولاي عبد الواحد بن الزويني[3] .

1- نظرا لسقوط دولة المرابطين في المغرب على يد الموحدين عام 541 ه الموافق ل 1146 م و مقتل مايربو عن الثمانين الف من المسلمين في بلاد الاندلس نتيجة الحروب بينهما كان لهذه الاحداث العظام تداعيات خطيرة على كل بلاد الاندلس و المغرب العربي حيث في سنة (542هـ= 1147م) سقطت ألمرية في أيدي النصارى، وهي تقع على ساحل البحر المتوسط في جنوب الأندلس؛ أي هي بعيدة جدًّا عن ممالك النصارى، لكنها سقطت عن طريق البحر بمساعدة فرنسا.. وفي ألمرية استُشْهِدَ آلافٌ من المسلمين، وسُبِيَتْ أكثر من أربعة عشر ألف فتاة مسلمة ، وفي هذا يقول المقري التلمساني: «**وأُحْصِيَ عدد من سُبِيَ من أبكارها فكان أربعة عشر ألفًا**« **المقري التلمساني** : نفخ الطيب. ج4 ص 463.كذلك ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج9 ص 347 ، المراكشي : المعجب : ص 279 ، **السلاوي** : الاستقصاء : ج2 ، ص 118. و بعدها أيضًا- بعام واحد وفي سنة (543هـ- 1148م) سقطت طرطوشة ثم لارِدَة في أيدي النصارى، وهما في مملكة سرقسطة التي تقع في الشمال الشرقي، والتي كان قد حَرَّرها المرابطون قبل ذلك وفي العام نفسه -أيضًا- توسَّعت مملكة البرتغال في الجنوب، وكانت من أشدِّ الممالك ضراوة وحربًا على المسلمين انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ج4 ص 526 / **يوسف اشباخ** : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين و الموحدين ج1ص257 بدأ النصارى يتخطَّوْن حدود الأندلس ويُهاجمون بلاد المغرب العربي، فاحْتُلَّت تونس في السنة ذاتها -أيضًا- من قِبل النصارى، وهي خارج بلاد الأندلس. ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج9 ص 350 .تاريخ ابن خلدون ج5 ص 203. ولقد كانت مثل هذه التداعيات شيئًا متوقَّعًا نتيجة الفتنة الكبيرة، والحروب التي دارت بين المسلمين في بلاد المغرب العربي.

2- **السّيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المغرب الكبير ، ص 740.

3- **محمد الطّيب عبد الرحيم** : مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 08.

تعتبر تمنطيط من أقدم مناطق إقليم توّات ان لم نقل اولها ، و قد أتى على ذكرها جل المؤرخين والرّحالة ممن تكلموا على الصّحراء الغربية ، و يعود تاريخها الى فترات قديمة في التّاريخ ، استقرت بها العديد من القبائل ذات الاصول المختلفة ، فمنها البربرية ، كقبائل مطغرة التي كانت تستوطن صحراء المغرب وقد نزلوا بقصور تمنطيط و اغترسوا الأشجار و النّخيل على طريقة العرب [1]، و الزّناتية بوجه خاص، و دليل ذلك ان اللهجة الزّناتية [2] مازالت تستعمل عند السّكان الاصليين في المدينة ، و نجد كذلك القبائل العربية خاصة منهم عرب المعاقيل ضف الى الجاليات اليهودية التي وفدت الى الاقليم لأسباب مختلفة و اسست قصورا تخصها كقصر تاخفيفت بأدرار مثلا. و قد لعب هذا التّمازج الحضاري بين كل هذه القبائل دورا فعالا في تشكيل نمط العمارة بتمنطيط و ظهور مختلف المنشئات الدّينية والمدنية وحتى الدّفاعية و كذا برعت في مجال التّقنيات مثل صناعة واستغلال الفقارة ، كما اشتهرت هذه المدينة كذلك كونها كانت مركزا علميا و دينيا كان له الفضل في استقطاب وظهور العديد من العلماء والفقهاء كالمغيلي و غيرهم ممن كان له الشأن و الصيت العظيم في تلك الارجاء وخارجها ، وكان بها مقرا لقاضي الجماعة التّواتية الى غاية تراجع دورها وانتقال الزعامة الى منطقة تيمي .كل هذا دون ان ننسى العامل الرئيسي في ظهور و تطور المنطقة و هي الأسواق الهامة التي نشأت في المدينة فقد كانت محطة هامة للقوافل التّجارية العابرة للصّحراء ، حيث كانت محطة رئيسية لا يمكن تجاهلها حين المرور بإقليم توات ذهابا او ايابا الى اسواق الممالك الافريقية كسوق تمبوكتو مثلا[3] .

1- **عبد الرحمان ابن خلدون** : نفس المصدر ، ج2.ص 245.

2- **الزناتية** لهجة من اللغة الليبية القديمة ، تنتمي اليها لهجة الظهرة من تيبازة الى مستغانم ، والشاوية في الشرق الجزائري و الميزابية في واحات غرداية و ورقلة ، والزناتية في الونشريس و واحات تيميون في القورارة ، وكذا لهجة تلمسان انظر عقون محمد العربي : كتاب الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 .

3- يجمع المؤرخون على أن معنى كلمة تمبكتو هو **حافظة الأمانات** وهو مأخوذ من اسم امرأة من الطوارق اسمها (تن بكتاون) أي حافظة الأمانات، كانت تقطن في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد. كانت هذه المرأة تحفظ للسكان الرحل الأمانات والودائع والأمتعة فاشتهر بها المكان وغلبت التسمية على المدينة بعد ذلك. وإذا كان الطوارق قد سموا تمبكتو بهذا الاسم لارتباطها عندهم بالعجوز بكتو حافظة الأمانات، فإن القواميس الإنكليزية تفسر هذه التسمية بأنها **المكان القصي** الذي لم تطأه قدم البشر ولم يدركه بصر. تأسست مدينة تمبكتو بداية القرن 11 م، إلا أنها لم تكتسب شهرة واسعة بوصفها حاضرة للثقافة الإسلامية إلا في منتصف القرن 15م، وتعاقبت عليها ممالك كبيرة مثل مملكة مالي ومملكة السونغاي. لم يرد ذكر المدينة في المصادر العربية قبل زيارة ابن بطوطة لها سنة 1353م، إثر زيارة سلطان مالي منسا موسى للمدينة عند عودته من الحج 1325 م واتخاذه سكناً فيها، حيث بنى ما يعرف اليوم بالجامع الكبير. وشهدت المدينة عصرها الذهبي من الناحية السياسية والعلمية في القرن 16م، وتحديداً في عهد السلطان الحاج أسكيا محمد الذي كان يهتم بالعلماء، وخرجت عددا كبيرا من العلماء الموسوعيين الذين ذاع صيتهم في الآفاق مثل أحمد بابا التنبكتي الذي توفي عام 1036هـ. كان الغزو المغربي لتمبكتو عام 1591 م أيام السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي بداية النهاية لعصر ازدهارها، إذ بدأت أهمية تمبكتو العلمية والتجارية تنحدر تدريجيا إثر ذلك حتى كادت تضمحل. تخلّص حكام المدينة العسكريون المغاربة من تبعيتهم لدولة السعديين في المغرب، ووقعت تمبكتو تحت سيطرة قبيلة الفولب في النصف الأول من القرن التاسع

عشر إلى أن احتلها الفرنسيون 1893، واستمروا في حكمها حتى إعلان استقلال مالي .1960 للمزيد انظر كتاب **عبد الرحمان السعدي** : تاريخ السودان ، ص 320 .

تتوضع مدينة تمنطيط على هضبة صخرية ضخمة مكوّنة من الحجر الرّملي و هي مغطاة بطبقة من الرّمال و الحجارة ، و تميل الهضبة تدريجيا من الشّرق الى الغرب نحو منخفض الذي يجانب السبخة [1] و يبعد عليها وادي مسعود بحوالي 35 كلم الى الغرب ، اما واحات النّخيل التي تحيط بالقصر فتأتي في الانحدار ناحية الجهة الشمالية و تبعد بحوالى12 كلم عن ادرار ، يحدها من الشمال بلدية ادرار و سبع و من الجنوب فنوغيل و من الشرق أوقروت و تمقطن ، ومن الغرب بودة و اما موقعها الفلكي فهو بين خطي عرض27.46° شمالا و 0.15° غربا[2] ، و هي تتوسط اقليم توات الكبير ، وتبدأ من أعالي قصور بودة في المنطقة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه من الشمال الى الجنوب ، و تتشكل هذه المنطقة من ارخبيل من القصور و الواحات تصل الى غاية رقان وتسمى بتوات الأصلية [3].

و من أهم قصور منطقة تمنطيط و تشتمل على قصور بودة الفوقاني و بودة التّحتاني (السّفلي أو الجنوبي)[4]، تامست ، اولاد الحاج او كما يطلق عليها بوفضي ، تمنطيط فنورة ، اولاد سي حمو بلحاج ، وزاوية كنتة و انزقمير وتسمى ايضا توات الحنة ، سالي ورقان [5] ، قصور تيمي التي تقع جنوب بودة وهي قريبة و تتركز في اتجاه موازي لوادي مسعود وبها كثافة سكانية كبيرة مقارنة بقصور توات ، وتتألف من 39 قصرا ، اهما قصر ملوكة و الذي يمثل ملتقى الطرق القادمة من الشمال و الشرق و الغرب يضاف الى توات الوسطى قصور تسابيت جنوب دغامشة على نحو 30 كلم من السّاورة وهي مجموعة من القصور منها قصر سيدي محمد بن صالح العروف بعريان الراس[6] .

جاء في مخطوط البسيط في اخبار تمنطيط قوله **" فأعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في اقليم توات اجتمع فيها العلم والعمارة و الدّيانة و الرّياسة و انتهت بها الأسواق و الصّنائع والتّجارات و البضائع "**[7].

-1 **Vallet(j)** : Oasis du Sahara algerien .Tamentit,IGN, Paris,1973,p 64.

-2 Carte dressee en 1965 et publiee par IGN- Echelle ; 1/200.000

-3 **محمد حوتي** : توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر ميلادي ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة الجزاء ، معهد التاريخ ، السنة الجامعية 2004 ، ص 6 .

-4 يبعد قصور بودة الفوقاني عن بودة التحتاني ب 08 كلم .

-5 **محمد حوتي**: قبيلة كنتة ، ص 8.

-6 **ابو سالم العياشي : نفس المصدر ، ص 20 . كذلك متولاي بالحميسي** : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 69 .

7- **الطيب عبد الرحيم** : القول البسيط في اخبار تمنطيط(مخطوط) ، ص ص 13-14

تقع هذه المدينة جنوب قصور تيمي و تبعد عنها حوالى 12 كلم شرق مدينة ادرار باتجاه مقاطعة تيديكلت و عن واد مسعود بحوالى 30 كلم و تظم هذه المجموعة خمسة قصور أهمها قصور اولاد الحاج . و لقد جاء في مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط فان الكلمة تمنطيط كلمة أعجمية مركبة من اسمين هما " **أمَّا**" و معناها النهاية و " **تيط**" و معناها العين فصار النّطق بدمج الكلمتين معا فباتت " **امتنتيط**" ثم قلبت التاء بإشباع الباء فصارت تمنطيط[1]. كما توجد اشارة ثانية لهذه التّسمية و هي تركيب من كلمتين ايضا وهما "أمان" و تعني الماء و " تيط " و تعني العين وتم احتواء الكلمتين في كلمة واحدة لتعطي اسم تمنطيط ، وان هذه التسمية الأخيرة تظهر المكانة الكبيرة التي كان يعطيها سكان القصر للماء .

يتشكل قصر تمنطيط من تتابع خطي لمجموعة من القصبات تأوي تجمعات سكنية مرتبطة ببعضها البعض بأزقة او ساحات او ما يصطلح عليها بالرحبة(صورة38) ، في حين تكون القصبة نفسها محددة المعالم بأسوار مرتفعة يحيط بها خندق مهمتها تأمين الناس والمال من المهالك والمخاطر الخارجية . و أقدم القصبات التي تشكل التّوسع العمراني بإتجاه الشرق في تمنطيط هي قصبة أولاد ميمون او المأمون التي يعود انشاؤها الى القرن الثاني (2هـ/8م) من طرق قبيلة اولاد نسلام و التي اندثرت كلية و لم يبق منها سوى بعض الأطلال من سورها و مسجدها ، كما كان للرمال الأثر البالغ حيث انها غمرت القصبة كليا و لم تترك سوى بقايا من سورها العتيق ، و على العموم فهي تأخذ الشكل المربع مزودة بأربعة ابراج[2] . أما قصر تايلوت فهي تسمية بربرية الأصل و تعني '**الشكوة**'[3]وربما أخذ القصر تسميته من طبووغرافيا المكان الذي بني عليه ، ويقال أن سكانه كانوا من بسطاء اليهود الذين قدموا من المغرب [4] . هذا القصر تم بناءها في بداية القرن الثاني عشر ميلادي من طرف قبائل اللّمتون [5] على مرتفع صخري اختير لضمان حماية أكبر لسكانه[6] ، و قد أورد الباحث مارتان(Martin AGP) بأن تاريخ بناء أقدم مسجد به يعود الى سنة(106هـ-725م) .

1- نفس المصدر السابق ، ص 15 .

2- **Jacob Oleil ,** Opcit ,p143

3- الشكوة ، جلد الرضيع من الغنم ، وتستعمل لمخض اللبن ، تأخذ شكل القربة الصغيرة للمزيد راجع ابن منظور : لسان العرب ، م5 ، ص 174 .

4- **عبد الحميدبكري** : النبذة في تاريخ التوات...ص18 .

5- عثر الباحث هيقو'Hugo' سنة 1953 على شاهد قبر بهذا المكان ، ولكنه لم يترك وثائق هامة تكشف على ما عثر عليه في مكان القصبة .

6- **محمد الطيب عبد الرحيم** : المخطوط السابق ، ص 16 .

و ظاهرة البناء فوق المرتفعات الصّخرية انتشرت في كافة ارجاء الاقليم مما يوحي الى حالة الصّراع و اللأمن السّائدة فيه و يعتبر هذا القصر من أقدم قصور تمنطيط ، شكله شبه دائري و هذا مرجعه الأساس شكل الموضع الذي أنشأ عليه وهو هضبة صخرية . و من بين أهم القصبات التي تقع الى الشّرق من تمنطيط ، قصبة أولاد أمحمد او محمد التي انشأت سنة 1053 م[1] تأخذ الشّكل المربع و تتراوح مقاساتها بين 54.50 متر طولا و 41.30 متر عرضا يحيط بها خندق يبلغ من العمق المتر الواحد وربما كان أكثر من ذلك و من العرض يساوي ثلاثة امتار و لم يبق منه الشيء الكثير[2]، ، تعرض للردم اجمالا ، دعمت هذه القصبة بسور له قاعدة ضخمة تصل الى المتر في قاعدته و30 سم في قمته ، و يصل علوه الى 5.10م ارتفاعا و نظرا لانهيار أجزاءا كبيرة نظرا لتطاول البنايات الحديثة عنه كما أن المزاغل غائبة به(صورة39) ، دعم هذا السّور بأربعة أبراج شبه هرمية الشّكل فالقاعدة تتراوح ابعادها الى 3.35 م طولا أما طول ضلعه فيقدر ب 2.80 م (صورة40)، ثم ينطلق بعد ذلك قالبه المربع ابعاده مقدرة ب(2.90مx2.90م) ليشكل البرج النهائي بارتفاع 7.50م و يولج الى داخله بباب تتراوح ابعاده ب 1.60م على 80سم ، يوجد بكل بيت من البيوت الاربعة في الزّوايا الرّكنية للسّور . وجدت بوابة القصر في الناحية الغربية حيث يتوسط السّور وهو عبارة عن فتحة مستطيلة مقاساتها تتراوح بين 2.30 ارتفاعا مقابل 1.70م عرضا و هو يتوسّط دعامتين هرميتين سمك الواحدة منها حوالي 1.20م . و حسب التقييد الذي وضعه الباحث الفرنسي برنار سافوراي(Bernard saforay) فان قبائل زناتية وهي اولاد محمد و أولاد معمر قدمت من تافيلات و نزلت بتوات سنة(460هـ/1067م) فيعتقد ان يكونوا قد استوطنوا تمنطيط لكونها كانت مقصد العديد من الأقوام لما ازدهرت به من العلم والتجارة ، وقد قال الرحالة العياشي بأنهم عرب [3] و على العموم هذا القصر هو عبارة عن نسيج عمراني يحتوي على قصبة داخلية . يحد هذا القصر من الجهة الغربية قصبة أولاد يعقوب ، و قد شيدت بدورها على هضبة صخرية ، يرجع بنائها الى منتصف القرن الثاني عشر ميلادي من طرف جماعة من البربر ، و موضعها يحتمل أن يكون مقبرة قديمة[4].

1- **Echallier J.C** , Opcit, p52

2- ملاحظات طلبة الاثار مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في الاثار الاسلامية لسنة 1996 للطالبين محمد يهري و عبد الكريم الياس بعنوان قصور الوكالات التجارية الصّحراوية(دراسة نموذجية لقصور اقليم توات).

3- **العياشي** : ماء الموائد ، ص 281
4- **Echallier J.C** , Ibid , p52

أما ما كان من أنباء قصبة اولاد أهمالي فتعتبر بناية عتيقة جدا ، يعود تاريخ إنشائها الى القرن السّادس ميلادي ، تأخذ الشّكل الشّبه الدّائري يحيط بها سورا يتخذ من أطراف الربّوة التي توضّعت عليها القصبة حدودا له ، غير أن أهم ما يميز هذا السّور غياب الأبراج فيه . و توجد قصبة التّاهقة الى الغرب من تمنطيط ، و اسمها يدل على أصولها البربرية ، وقد احاطت بها المساكن الحديثة بعدما اندثرت أسوارها ، وهذه الحارة حاليا تعرف بحي سيدي سالم .
و تتوسط قصبة اولاد يعقوب التي تقع في المخرج الشّرقي لتمنطيط و التي تأسست خلال منتصف القرن الثاني عشر ميلادي قصبتي اولاد أهمالي و اولاد داود التي تأسست خلال القرن الخامس عشر ميلادي ، وقد كان لقصبة أولاد يعقوب صيت و باع كبيرين و ذلك لإقامة الامام عبد الكريم المغيلي و القاضي عبد الله العصموني[1] بها ، و يعتقد أن القصبة تعود ملكيتها الى اليهود قبل عودة ملكيتها للمسلمين[2] . و في أقصى غرب تمنطيط توجد قصبة أولاد على بن موسى التي تأسست خلال القرن الثاني عشر ميلادي من طرق أولاد علي بن موسي وهم تجارا في الأصل استقروا بتمنطيط لأزدهار تجارتهم بها ، هذه القصبة تأخذ الشّكل المربع ، محاطة بسور عالي يفوق علوه الثّمانية أمتار دعم بأربعة أبراج ، تحتوي على مدخل رئيس صغير الحجم لا يفرق كثيرا عن أبواب المساكن من حيث الأبعاد .
ان ظاهرة العمارة هي في الأساس مرتبطة بفطرة مزروعة في الانسان و قد جاء على لسان ابن خلدون في هذا الباب قائلا : " **الانسان مدني بالطّبع ، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم و هو معنى العمران ...** "[3].
و من قصور المقاطعة التي مازال الى حد ما يحتفظ بمعالمه قصر ملوكة (صورة41) و يقع هذا الأخير على بعد 9 كلم غرب مدينة ادرار، على نفس المحور المؤدي الى بلدية بودة ، يحد القصر من الجهتين الشّرقية والجنوبية واحات النّخيل و بعض الكثبان الرّملية اما الجهتين الغربية و الشّمالية قصور بودة و من الجهة الجنوبية قصبة بوزان و كوسام ، و من الجهة الشرقية قصبة بربع و مدينة ادرار

1- نزل القاضي عبد الله العصموني بتمنطيط قادما اليها من تلمسان سنة 863هـ/1459م برفقة اين اخيه سالم العصموني فتولى القضاء بعد وفاة شيخه يحي بن ايدير و توفي سنة 968هـ/1509 م ، تولى القضاء بعد وفاة عمه عبد الله سنة 995هـ/1561م تعتبر عائلة العصموني من أهم العائلات التي ساهمت في نشر الاسلام و العلم بتوات للمزيد انظر **عبد الحميد البكري** : النبذة في تاريخ توات و أعلامها من القرن التاسع الى القران الرابع عشر ، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2005 ، ص ص 78-81 .
2- **Jacob Oliel**. Op-cit .p145

3- ابن خلدون . نفس المصدر ،ج1. ص 27 .

التي يعد قصر ملوكة تابعا لها وهي احدى بلدياتها. تعود فترة الاستقرار بالمنطقة التي يقع عليها القصر الى اواخر القرن الحادي عشر هجري القرن 18 ميلادي [2] و يؤكد ذلك شيوخ المنطقة حسب الرّوايات الشّفوية ، حيث يحددون تعمير المنطقة من قبل جماعة من مرابطي تافيلات من المغرب الأقصى ، جاؤا الى المنطقة و نزلوا بأطراف توات و مكثوا بمنطقة تبلبالة قرب تندوف حاليا ، ثم انتقلوا الى تسابيت ثم الى قصر المنصور ، ثم قصر أدغا بأدرار ثم ما لبثوا ان انتقلوا الى أراض بأطراف تيمي حيث استوطنوها بأمر من أصحابها و أطلقوا على المكان الذي سكنوه و استقروا به ملوكة ، و تعود هذه التّسمية لملكيتهم المكان بعد أن اشتروه من أصحابه فأشتقت منه كلمة ملوكة و يذكر الباحث مرتان ملكية القصر بقوله "**...وثيقة اعفاء مصادق عليها حررت يوم 29 رجب من سنة 1089 ه الموافق ل 1678 م موقع عليها ببصمة حاكم الدّولة مولاي اسماعيل لفائدة مرابطين زاوية ملوكة بتيمي.**" [1]. و في رواية أخرى تسند هذه التّسمية الى امراة تدعى حدية او علجية أو هدية على حسب تعدد الرّوايات عاشت بالمنطقة ما بين القرنين الخامس و السّادس هجريين حيث جاء ذكر هذه المرأة في أحد المخطوطات لصاحبه ابي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب السّملالي حيث قال "**...اما ملوكة كانت قبل ملكا لمولاتنا حجية أو علجية تملكوها الاخوان و هم سيدي الحاج محمد و سيدي الحاج علي و سيدي الحاج عبد الرحمان و سيدي الحاج عبد الله و أصلهم من تافيلات و ينسبون لأبيهم أحمد بن أبي زيد الأنصاري و يلقبون ببلبلة لأنهم نزلوا فيها سنة 1010 ه و هم الذين نصروا سيدي الأبرار سيدي عبد الله الذي مات في السودان** "[2]. و هناك من يرى أن أول من سكن ملوكة و شيد القصر هم الأخوة البلباليين الخمسة المرابطين الذين قدموا من تافيلات و هم سيدي الحاج بلقاسم ، سيدي الحاج عبد الله ، سيدي الحاج محمد ، سيدي الحاج عبد الرحمان و سيدي الحاج عبد المؤمن كلهم دفنوا في مقبرة ملوكة تحت ضريح واحد [4]

1- فرج محمود فرج : مرجع سابق ، ص 12

2- **Martin (AGP)**. Quatre siecles d'histoire Marocaine au Sahara. Paris. 1923.p85 .

3- **ابي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب السملالي**: مخطوط عمدة الطالبين لفهم الفائض المرشد المعين . مخطوط موجود بخزانة كوسام

4- من العائلة البلبالية الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي الأب الثالث لشيخنا سيدي عبد الله المذكور مسقط رأسه قصر ملوكة ... انظر كتاب **عبد العزيز سيدي عمر :** قطف الزهرات من اخبار علماء توات ، الجزائر ، 1983 ، ص ص 25-26 .

و تعود ملكية القصر اليهم بعدما اشتروا المكان الذي أقاموا فيه من مالكيه بتيمي بثمن عشرون فرفورا [1] لاقامة قصر يخصهم ، ويذكر أيضا ان الذي تولى عملية البيع هو القاضي العلامة محمد البكري بن عبد الكريم التمنطيطي[2] الذي كان قائما بأمور منطقة تيمي ، حيث قال السّملالي في هذا الباب " **...ان حدود ملوكة نصها القاضي العلامة محمد البكري التمنطيطي الذي كان يشرف على أمور المنطقة** " [3] . و زعم آخرون ان الذي جاء الأول الى المنطقة هو الجد الأكبر للأخوة البلباليين و هو أبي يزيد البلبالي الذي قام بتشييد القصر بعدما ابتاع الارض من أصحابها.

يعد قصر ملوكة أحد القصور النّموذجية التي احتوت على العديد من المنشئات الدّفاعية الأساسية كون موضع القصر جاء على أرض منبسطة ، و كان لهذه الاستحكامات التي نأتي على ذكرها لاحقا الدّور الفعال في درئ المخاطر الخارجية و الصّراعات المختلفة ، التي كثيرا ما كانت تسفر عن ضحايا و خسائر في الأرواح والممتلكات و قطع وحرق للأشجار المثمرة خاصة منها النّخيل عمدة المحاصيل و الرّزق الرّئيس لاهل البلاد و كان ذلك يتطلب من رجالات القصر المسلحون وفرسانه الدّفاع عن رقعتهم و اذا استلزم الأمر اشراك رجال المقاطعة الواحدة في صد ودرئ اي هجوم محتمل يقع على قصورها او يمس مصالحها الاستراتيجية [4]. يحيط بهذه القصبة سور منيع من جهاته الأربع يأخذ القصر الشكل المربع تقريبا ، تتراوح أبعاده بين 70م بالنسبة للجدار الجنوبي والشّمالي في حين يصل الجدار الشّرقي والغربي طوله الى 65 م . هذا الجدار تصل قاعدته سمك المتر و النّصف و يبدء في التناقص كلما زدنا ارتفاعا الى غاية أن يصل النّصف المتر تقريبا . و عمارة الأسوار في الجزائر حسب بعض الدّراسات ظهرت في العصر البونيقي[1] ،

1- الفرفور : قطعة نقدية من الفضة تعادلا عشرين مثقالا ، والمثقال بخمسة وسبعون حبة شعير.
2- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي هو بن الشيخ عبد الكريم المغيلي ، تولى القضاء و لقب بالتمنطيطي قاضي الجماعة ، تولى القضاء بعد وفاة أخية محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة 1092ھ الى غاية ان توفاه الله عام 1133ھ .
3- **ابي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب السملالي**: عمدة الطالبين لفهم الفائض المرشد المعين. مخطوط موجود بخزانة كوسام.ورقة18.
4- **فرج محمود فرج** : اقليم توات ، ص 7.
5- يقصد بالعصر او الفترة البونيقية او كما يطلق عليها بعض المؤرخين الفترة البونية و هي الفترة التي دارت في الحرب بين الامبراطورتين العظمتي القرطاجية والرومانية وقد مرت على ثلاث مراحل الحرب البونية الأولى امتدت من 247ق م-241ق م ثم اتت بعد ذلك الحرب البونية الثانية وتمتد من 218 ق م الى 201 ق م و من أهم قادتها حنبعل من جانب القرطاجيين و سبيون من الجانب الروماني ثم واخيرا تأتي الحرب البونية

الثالثة وامتدت من 149 ق م الى غاية ان تم القضاء على مملكة قرطاجة سنة 146 ق م و هي الحرب التي حاك خيوطها القنصل الروماني اليانوس. للمزيد حول هذا الموضوع انظر **محمد الهادي حارش** : التاريخ المغاربي القديم (السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ الى غاية الفتح الاسلامي) ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1992 ، ص ص 73-92 .

و في فترة الحروب التي خاضها النّوميديون ضد الرّومان بالرّغم من ان هذه التّحصينات لم يبق منها اثرا اليوم الا ان المصادر الأدبية مازالت تأتي على ذكرها[1] .

كما كان المسلمون كلما فتحوا مدينة باشروا تحصينها أو ترميم تحصيناتها كاللاذقية مثلا[2] ، و يعبر عن ذلك البلاذري حين قال " **... و كان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رقبوا فيها ما قد يحتاج اليه المسلمين ، فان حدث في شيء منها من قبل العدو سربوا اليها الأعداء ، فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب الى معاوية يأمره بتحصين السّواحل و شحنها و اقطاع ما ينزله اياها القطائع ، ففعل ...** "[3] . و لم يبتعد ابن هطال التّلمساني في وصفه لعمارة الجنوب الصّحراوي الجزائري خلال رحلة باي الغرب الجزائري المشهورة حيث قال " **... المواضع الرميمة جددوها و الجديدة حصّنوها و شيدوها ، مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها ، محمية بأسوارها ورجالها ، ولذلك لم يطمع أحد ممن كان قبله فيها ...**"[4].

و سور ملوكة جاء للحماية من الطارقين و وضع السّور على قاعدة بنيت من الحجارة الغير منتظمة بلغت المتر الواحد في سمكها ، ثم رُفع هذا السّور بالطّوب المصنوع باليد الى ان بلغ السّبعة امتار ، و تختلف القاعدة عن قمة السّور من حيث السّمك و مرد ذلك انه يزداد في التّناقص كلما زاد ارتفاعه الى أن يصل النّصف المتر من السّمك أو اقل من ذلك بقليل و هذه القاعدة الضخمة جائت للحفاظ على تماسك و توازن الأسوار خاصة منها المبنية باللّبن الطّيني أو الطّابية ، كما و جدت بهذا السّور فتحات متوسّطة الحجم في الواجهة الشّرقية و الغربية ربما استعملت للمراقبة أو انها مستحدثة ولا أحد يعلم لماذا ذاك . و أغلب الظن أن هذا الجدار كان يخلو من الشّرفات و ان كان فهي ميزة تخصه .

دعّم هذا السّور في أركانه الاربع بأبراج كانت على ما يبدو غاية في الدّقة و التّناسق أضفت عليه جمالا و قوة ظاهرة للعيان رغم ان ثلاثة منها قد اتى عليها الدّهر والانسان ولم يبق منها الا الرّدم

1- **بوشنافي منير** : المدن القديمة في الجزائر ، سلسلة فن وثقافة ، اسبانيا ، 1983 ، ص 49

2- **حسين مؤنس** : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، طبعة مدني ، مصر ، 1993 ، ص 58.

3- **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص 138 .
4- **ابن هطال التلمساني** : رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ، ط1 ، القاهرة ، 1969 ، ص 54 .

برجان لم يبق منها أثر و البرجان الآخران الشّمالي الشّرقي و الجنوبي الغربي مازالا يحافظان على معظم ملامحها و تقاسيمها، هاته الأبراج الرّكنية تأخذ الشّكل الهرمي هي كذلك و ترتفع على نهاية السور بمترين تقريبا أي تصل في ارتفاعها الى حوالى 9 م ، جاءت هذه الأبراج للحماية والدّفاع و دعامة للسّور ، لها واجهتان كبيرتان و أخرتان صغيرتان ، فأما الكبيرتان فطول أضلاعها في القاعدة يصل الى 4م و في القمة 1,5م بينما الصغيرتان لا تتجاوزان 2,5م و تبدأن في التناقص حتى تصلان المتر و نصف المتر في الأعلى ، تحتوي على فتحات مستديرة صغيرة يصل قطرها الى 15 سم و هي موضوعة على ثلاثة صفوف و بكل صف عدد من المزاغل تزيد أو تقل بقليل في كل صف ، اكبرهم الصّف السّفلي الذي يصل الى 22 فتحة ثم الأوسط ب 18 فتحة ثم العلوي ب14 فتحة ، بالأضافة الى اربع مزاعل أكبر حجما مستطيلا الشكل طول أضلاعها 20/15 سم كلها مخصصة للمراقبة تتوسطان الصّفين العلوي والأوسط و توجد كل فتحة في واجهة من واجهات البرج الأربع (صورة42) ، و في وصف الأبراج يقول في هذا الشأن ابن هطال التلمساني " **... وجعلوا الرماة في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع ...**" (1)

يتكون البرج عادة في اقليم توّات من ثلاثة طوابق كحال ابراج قصر الاخوة البلباليين ، ترتبط بعضها البعض بواسطة سلالم خشبية اذا كانت برانية او ان يكون بكل طابق بوابة تربطه بالمسكن الملتحمة به تتراوح ابعادها بين 0.8م عرضا و 1.6م طولا ، يمكن الولوج الى البرج من عدة مستويات سواء العلوية أو السّفلية ، هذه الاخيرة قد يؤدي اليها ممر من داخل القصر او انها ملحقة بمسكن كما هو الحال بقصر ملوكة الذي يحتوي على برجين ملحقة بالمساكن و برج واحد مفتوح على فناء أحد البيوت، هذه الطوابق هي عبارة عن غرف تتوضع الواحدة فوق الاخرى ، و يقل حجمها صعودا ،و تتوفر كل حجرة على بوابة تؤدي الى طابق من طوابق المسكن و اخرها تكون مفتوحة على سقف هذا المسكن، و كذلك الممشى ان وجد بالأسوار و قد يحدث ان تكون السّكنات لا تتوفر على اكثر من طابق وفي هذه الحالة يستعان بسلم خشبي حتى يصل الى الطّابق الثّاني في البرج. هذه الأبراج شأنها شأن السّور تخلو من الشرفات ، و

على العموم قد تعرضت الى التّخريب في جلها و سمك جدار الأبراج من سمك السّور و يأخذ عادة مواصفاته .

1- ابن هطال التلمساني : نفس المصدر ، ص 54-55.

يحتوي سور القصر على منفذ واحد يؤدي الى ما بداخله (صورة43)، يتواجد في وسط الجدار الجنوبي ، يتكون من مصراع واحد ، تبلغ ابعاده 1.2م عرضا على 1.8م طولا ، ذات عارضة خشبية افقية ، تصنع البوابات عادة من مادة خشب النّخيل المتوفرة بكثرة و تزود بعارضات و دعائم تزيد من مناعتها ، محور دوران هذه البوابة عبارة عن فرع خشبي غرس في كلا الجدارين ليوفر القوة الكاملة ، وسهولة في اداء البوابة (صورة44)، كما تزود هذه البوابة كذلك بأقفال خشبية و احيانا أخرى معدنية ، و لا ننسى أن هذا القصر كان مأهولا بالسّكان حتى زمن قريب و لم يتم هجرانه بصفة مباشرة بل كان تدريجيا و يعني ذلك انه تعرض الى عمليات متكررة من التّرميم والتّغيير مسّت كل ميزاته الأصلية خاصة منها البوابة التي غابت و اختفت في أيامنا هذه . كما نشير أن المنطقة تحتوي على كثير من القصور المماثلة ، وعدد الأبراج بها قليل مقارنة بعدد المباني المندثرة ، و قد قام الباحث ايشالي(Echallier) بمسح للمنطقة سنة 1972 و قد ذكر أن عدد الأبراج بالقصور يختلف في العدد فهناك من يحوي برجا وحيدا فقط مثل ذلك قصر تاوريرت الذي يوجد به برجا واحد في الجهة الجنوبية للقصر ، وكذلك في الشّكل فهناك بعض الابراج المخروطية مثل ذلك قصر جاب الله يعلوه برجا بني بالحجارة يأخذ الشّكل المخروطي يخلو من الفتحات ، مدخله يأتي من النّاحية الخارجية للقصر و ربما وجد للمراقبة فحسب و التي عادة ما تكون بارزة عن القصر[1] .

من خلال ماسبق يمكن القول بأن المنظومة الدّفاعية لقصبة ملوكة جد بسيطة حيث يبدو ان الخندق غائب تماما في هذا المثال المعماري و لا يمكن ان نقول انه قد زال او تم ردمه و هذا بالنظر الى وضعية المصلى الموجود خارج القصبة والملتصق بسورها (صورة45) فهذا دليل يؤكد عدم وجوده أصلا ضف الى هذا غياب تام للشّرفات فتكون بذلك الابراج هي أهم ميزة دفاعية تميز بها هذه القصبة .

1- **Echallier** J/G . Villages desertes. p 37.

ثالثا- تيديكلت واستحكاماتها الدفاعية

تقع مقاطعة تيديكلت الى الجنوب من اقليم توّات ، تبعد عاصمته التّاريخية عين صالح عن العاصمة الجزائر بمسافة تقدر بحوالي 1278 كلم جنوبا و عن مدينة تمنراست ب 650 كلم شمالا ، و تتربع على مساحة إجمالية قدرها 101763 كلم2، تنحصر هذه المنطقة بين دائرتي عرض24°و27° شرقا، و 2° و 4,1 ° شرقا (خريطة15) ، مرتفعة بذلك على مستوى البحر ب 283م.(1) و بذلك فهي تحتل الاراضي الواقعة بين توات غربا، وهضبة تادمايت شمالا ، وهضبة مويدر جنوبا، وهي بذلك تجمع ثلاث بلديات فقارة الزوي و عين صالح و اينغر ، يحد المنطقة اداريا من جهة الشّمال بلدية المنيعة و من الشّرق بلدية ادلس بولاية تمنراست و برج عمر ادريس بولاية اليزي و من الجنوب بلدية عين امقل بولاية تمنراست و من الغرب بلدية تيط بولاية ادرار . يخترق هذه المنطقة وادي أقاربا، الذي يصب في وادي مسعود ، نحو الجنوب الغربي ، بينما يتفرع من الجهة الشّرقية إلى عدد معتبر من الرّوافد، والأودية مما سهل ظهور واحات كثيرة على أطراف هذه الأودية ، معتمدة في الأساس على مياه الآبار الارتوازية في الحياة الزّراعية ، و العيش، أما الجهة الغربية لتيديكلت تكسوها نباتات غابية و قاعدة الانطلاق من المنطقة ، فإليها كان يلجأ توارق الهقار، و أهل أدرار ، و جانت في حالة الخطر، وهي كذلك الطريق التي تمر منه القوافل التّجارية المتجهة نحو تونس، و المشرق بصفة عامة و ترتبط منذ نشأتها من الجنوب إلى الشّمال بطريق تمنراست و المنيعة و المقدر ب ب 400 كلم، وعن تمنراست كذلك ب 658 كلم، وعن أدرار ب 347 كلم .(2) و من أهم الواحات التي تحيط بهذه العاصمة نجد اينغر 72كلم غربا ، فقارة الزوي 45 كلم شمالا ،وشرقا نجد كل من البركة 5 كلم ، فقارة العرب 45 كلم ، ايقسطن 20 كلم ، حاسي لحجار 18 كلم ، السّاهلة الغربية و الشرقية 10 كلم و أخيرا أولف 170 كلم.(1)

1 **Voinot (l)**, le Tidikelt étude sur la géographie l'hisoire, les mdeurs du pays, éditions jacques gandini .p 8.

2. **الحاج نومي سعيدان**، سكان تيدكيلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومه، 2005 ، ص18 .

3 نفس المرجع السابق ، ص 18 .

منطقة تيديكلت تميز بمناخ صحراوي قاري جاف شديد البرودة شتاء، وشديد الحرارة صيفا، وهي ميزة تختص بها كل الصّحراء الغربية لأنها منطقة سفلى مليئة بالكثبان الرّملية التي تمتص كمية كبيرة من الحرارة في ساعات قلائل و الدّرجة القصوى تبلغ ° 50 في شهر جويلية والمتوسطة 40 ° و منخفضة في فصل الشّتاء [1] ، تجتاحها رياح جافة بسبب موقع الإقليم ، بما أنه ينتمي للضفة القاحلة، فالرّياح تتسلّل من التّأثيرات البحرية من الشّمال بواسطة جبال الأطلس التي تكون حاجزا متوازيا، كذلك لا ننسى أن طبوغرافية الصّحراء وحدها هي عامل من عوامل الجفاف، رغم وجود المرتفعات في القسم الأوسط، الرّياح هي نفسها تساهم في جفاف الصّحراء لأنها على العموم جافة ، كما أنها تحدث التبخر بقوة[2] . و قد وصف ابن سعيد المغربي احوال هذه الصّحراء و رياحها ذلك قائــــــلا : " **إن رياح الصّحراء تمتد بين غانا وسجلماسة تجفف حتى المياه التي يحملها المسافرون في قربهم** " [3] و هذا وصف دقيق لشدّة قحط المنطقة وفرط حرارتها . أما في الصّيف فالرّياح المهيمنة هي ريـــاح الشّمال الشّرقي التي نجدها غالبا في الحوض الغربي ودائمة في عين صالح، أما رياح الجنوب الغربي فتهبّ عند انخفاض الضّغط على سواحل البحر الأبيض المتوسّط، وترتفع على سواحل الصّحراء، وهذه الرّياح تتصف بالحرارة والجفاف وهو ما يعرف (بالسّيروكو)، أما في فصل الشّتاء فالرّياح تهب خاصة من الشّمال الغربي ، على الاتجاه الجنوبي للأطلس، ثم يتجه إلى الشّمال ثم إلى الشّمال الشّرقي، وهذه في القسم الغربي من الصّحراء ، كما تمتاز رياح الصّحراء بشدة البرودة في المساء منها في النّهار[4] ، و لم يبتعد عن هذا الوصف كثيرا الكاتب ديسبوا (Despois Jean) مما يؤكد قسوة المناخ الصّحراوي و كذا عدم استقراره .[5] و تتّسم هذه المنطقة كذلك بامطار لا تتخذ نمطا عاديا ، إنما تكون مرفوقة بالرعود و البرق ، وهي قليلة وغير منتظمة ، وغالبا ما تشهد المقاطعة فترة طويلة من الجفاف، وفي بعض الأحيان نزول أمطار متقطعة ، و مياهها الخفيفة و الغزيرة سرعان ما تغوص في الرّمال ، وتترك رطوبة فوق سطح الأرض ، ولا تلبث أن تختفي بسبب الرّياح .[6]

1- **Moulias (Daniel)**, Organisation hydrolique des oasis sahariennes, Alger, 1972, p19

2- **Moulias (Daniel) :** Opcit . pp 21-22

3- **ابن سعيد المغربي** ، الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة2 ، الجزائر، 1982 ، ص113 .

4- **Mellion (Adrien)**, le désert,Paris, 1890, p189-190

5- **Despois, jean réne raynol**, Géographie de l'Afrique du nord, France, 1968, p19-20

6- **Moulias (Daniel)**, Op-cit, p22-23

اضافة الى هذا تميز تيديكلت بمرتفعين يحدان المنطقة من الشّمال و الجنوب ، يمثلان حلول للاستمرارية ، و اتجاهيها تقريبا شرق شمال شرق ، وغرب جنوب غرب، وضعيتهما تتطلّب نوعا من السّير بخطوات عملاقة ، نزولا من هضبة تادمايت ، عبر واد جارت، الدّرج السّفلي لباب القصور و الغابة مقطوع في الوسط بأخدود حتى اينغر، و فتحة مماثلة أين يوجد خط واد سوف ، يصل هو الآخر الدّرج العلوي ، في امتداد اينغر كما هو هيكل تيديكلت[1] .

في حين نجد حركة الأرض النّاتجة عن المرتفع النّهائي لتادمايت، و التي تعرف عند السّكان الأصليين باسم الباطن ، وهو اسم يطلق على مجموعة منحدرات جبلية ، و الباطن له نفس مظهر المنحدرات المشابهة له في الصّحراء، و هو ردم بحوالي54 كلم، متغلب عليه حجر رملي على مستوى الهضبة ، و الجزء الشّرقي من هذا المرتفع هو الأكثر ارتفاعا واضطرابا ،والارتفاع قد يصل الى 100 متر ، وفي بعض المناطق قد يظهر على شكل طابقين ، فاللنتوءات و الارتفاعات خصائص متعددة ، و من أبرزها عنق المهري، لكنه أكثر تجمع و أما منكب عمارات، فهو ينتهي في الرق بفقارة تيليناك ويصل حتى منكب الفقيقيرة الصغيرة، في طريق اقسطن وفقارة الزوى ، وفي شرق مليانة الفقارة الكبيرة فقارة علي مومن ، تتوج الطابق الأول للمرتفع . وهناك بعض المرتفعات المنعزلة في الرق مثل كدية الدّاحية، وفقارة تغليلت وفقارة أولاد يحي، وخارج مقطع واد سوف ورواق مليانة الكبير، فالباطن يمكن تسلقه باستعمال الأودية الصّغيرة التي تشنجه[2] اضافة الى هذا نجد أن المرتفع الجنوبي أقل أهمية من باطن تادمايت، و يشكل واد جارت ومن روافده واد أنسين، و يصل ارتفاعه من جهة الشرق الى 20 أو 30 متر، والقمّة يمكن الوصول اليها بكل سهولة ، و الممرات

الأكثر استعمالا هم الأودية الصّغيرة ، كحاسي أنسميت وشعبة النّخيل ، و باتجاه الغرب و المرتفع ، تقطعه في عدة مواقع منحدرات خفيفة الميولة، وتبقى اذا قطع مثل كرب تغليت وكرب القارة، والمدرجات التي ترتكز عليها كدية البرقة ، و هذه المرتفعات تكاد ترتفع انطلاقا من اينغر، وقد تبلغ 40 متر عندما نقترب من أقبلي، أين تقطع برواق، وفوق ذلك ينقسم المرتفع الى كل الاتجاه، على شكل .فوضى حقيقية، أين نلاحظ عدة طبقات والتي تنزل حتى واد جاريت [3].

1-. **Moulias (Daniel)**, Op-cit p19
2 - **Ibid** . p 20
3 - **Ibid** . p 20

و أما كدية البرقة ، فتظهر كالهلال وهي ترى من اينغر، والمنحدر الغربي لهذا المرتفع هو الأكثر انحناءا، وله علو حوالي 60 متر، ويمكن اجتيازه بدون أي صعوبة . ففي منخفض اينغر وفي جنوب هذا الموقع، الأرض غير مستوية فهي مقسمة بعدة نتوءات صخرية، متوازية في المحور وبالاضافة الى هذه النّتوءات، فهناك غير بعيد عن اينغر، فقارة كبيرة منعزلة وهي الفقارة الزّرقاء . أما الحركات الأرضية الوحيدة المهمة، هي التي أشير اليها في سهل تيدكلت والموجودة بالقرب من عين صالح، وتسمى قور أولاد محمود أو ضروس الكلب. و تمتد على ضفاف هذه الهضاب ما يعرف بالرّق و هي كل أرض سطحة مغطات بالرّمل والحصى ، على أرضية صلبة والسّير عليها سهل جدا، لأن الأقدام تطأ عليها بدون أن تغرس فيها ، والسّهل الموجود وسط منحدر تيدكلت، ليس الا رقا شاسعا و أفقيا تقريبا، ونلاحظ جيدا من الشّمال الى الجنوب، ميول خفيف متصاعد لكن الفرق في المستويات، لا يتعدى متوسط 20 متر ، و في الغرب بين النّقاط الأساسية مهل رق تيدكلت ، يكون غالبا رمليا و يغطي بعض التّموجات الشّبه منعدمة ، غير أنه غالبا ما تضيّق الأفق، وهذه التّموجات تسمى الحدب ، خاصة لما تكون خالية من الأعشاب و المنخفضات التي تفرقها و تسمى الحفرة[1] . ويطلق أهل تيديكلت اسم الغابة على كل رق تنمو به بعض الأعشاب المتناثرة ، و بين هذه الأعشاب نجد بعض الشّجيرات التي تصل الى علو 1.30 متر، و منذ أن عرفت الغابة في الصّحراء و لا يمكن تسميتها لغويا بالغابة . فالغابة توجد في النبع أي أين يكون هناك بحيرة ماء غير عميقة ، ما يجعلنا نفهم بسهولة كيف يمكن للأعشاب أن تبقى

رغم الجفاف ، حيثما تكون الأرض رطبة بما فيه الكفاية، والغابة تمتد على مساحة 200.000 هكتار ، و بالداخل النبات كثيف نسبيا ، الجهة الشرقية للغابة في انحطاط على مساحة 30.000 هكتار ، والجزء الأكبر من النباتات مات بسبب الجفاف الدّائم والفرسيق هو الوحيد الذي لازال يقاوم أما في الناحية الغربية عين صالح ، أين التّربة مازالت رطبة العشب بقي بما فيه الكفاية، لكن النّاحية الأكثر عشبا بدون منازع هي الواقعة بين منخفض اينغر وتيط وأقبلي ، حيث الماء و فير وذو نوعية جيدة .

1 - . **Voinot Louis** . Le Tidikelt .Etude sur geographie l'histoire , P 15

السّكان الأصليين لهم عادات في تقسيم الغابة إلى أقسام كثيرة ، و التي تحمل عموما نفس اسم نقطة الماء المتواجدة بها ، مثلا يسمون غابة أبرجيق، أين يوجد حاسي أبرجيق وغابة حاسي العقاية أين يوجد حاسي العقاية [1].كما أن قمم الرّق هي عبارة عن تلال طينية قليلة العلو تعرف باسم الزّبارة ، ونجدها بكثرة على الخط بين اقسطن و عين صالح و اينغر ، و من الواضح أن هناك علاقة بينها وبين العرق و خارج هذا الخط يوجد ايضا زبارة في منخفض انغر و عند القدم الغربي لكدية البرقة ، وغالبا لا تحمل الزبارة اسما ماعدا القليل مثل الزبارة الكبيرة جنوب اقسطن و زبارة التارقي بالقرب من عوينة السيسا .

و بين هذه التّلال نجد الكثير من الكثبان الرّملية أو ما يصطلح عليها بالعرق ناهيك عن الرّمال التي تتجمّع على حاشية الواحات، هناك بتيدكلت بعض السلال من الكثبان الرّملية وأهمها التي تكون عرق سيدي موسى ، والكثبان تستمر حتى عوينة السّيسا الى نهاية قارة ملوك، ومن ايقسطن وصولا الى نواحي اينغر، و هناك أيضا سلسلة من الكثبان تحيط بتيط وتصل الى أقبلي عبر عرق لكراع وتين بيضن وأعلى عرق بتيدكلت يتراوح علوه من 29 الى 30 متر ، فالرياح تغير أشكاله باستمرار ولهم شكل مرجات متتالية تعلو بارتفاع خفيف على بعضها البعض ، والجانب المفاجيء في العرق أنه دوما متجه عكس اتجاه الرّياح السّائدة فلما تهب الرّياح ، الرّمال المتحركة تزحف على منحدرات العرق منحنية قليلا وعندما تصل الى القمة تكون سحابة صغيرة ثم تسقط على الجانب المقابل نقول اذا العرق يدجن . تكوين هذه الكثبان سهلا جدا فلكي يكون

هناك حاجزا أو وجود أرضية تسمح بتجمّع الرمال عندما تهب الرّياح فاذا بالرّمال المنحوتة من الجبال تتجمع . ومقاومة هذه الرّمال تعتبر شبه مستحيلة لأنه حتى أن ثبتنا هذه الكثبان بالشّجيرات فسرعان ما تغطي هذه النّباتات بالرّمال القادمة من جديد ، وللقضاء على الكثبان يجب القضاء على انتاج الرّمال القادمة ، الا أنه يبدو من الصّعب توقيف عملية الحتّ التي تقوم بها الرّياح على الهضبة الكبرى الموجودة بالصّحراء ، ففي هذه الأثناء يكتفي الأهالي ببعض المصدّات التي تمنع تجمع الرّمال من أن تغمر المنازل والحقول. و في مناطق أخرى من الغابة أين تكون المياه قريبة من سطح الأرض تتكون السّباخ التي تكسي قشرتها اللون الأبيض لتشبعها بالملح و منها من يكون خطيرا جدا كسبخة تغبارة الواقعة جنوب طريق عين صالح واينغر .

-1 **Voinot Louis :** . p 16 . **Opcit**

تتكوّن ناحية تيديكيلت من قسمين اداريين ، قسم غربي يجمع واحات و قصور أولف و يتبع ولاية ادرار ، وقسم شرقي يجمع قصور و واحات انغر و عين صالح و يتبع ولاية تمنراست ، و النّاحية مجتمعة تتكون من ستة مناطق و هي أولف ، أقبلي ، تيط ، اينغر ، عين صالح و فقارة الزوي ، فأما الأولى و هي اولف التي تقع شمال سالي[1] ، و تنقسم بدورها الى قسمين فأما الأول فتدعى أولف الشّرفة و بها تسعة قصور والثانية تدعى بأولف العرب و قائدهم يسمى بالشيخ[2] وكان يسكن بالقصر الجديد عند مرور رولف(Rholf) سنة 1863م أما الأن فهو يقيم بزاوية حينون حسب بعض الرّحالة ، او زاوية هيبة [3]، و بعد مسير ساعة من الزّمن نصل قصر الجديد و هو تابع لأولف ثم نجد قصر المعزول ثم قصر الشّرفة اما القصور الأخرى فهي على بعد رمية حجر من قصر الجديد و هم قصر بلال ، تفرافت ، قصر بابا لكريم ، و في الجنوب زاوية حينون .[4] وأما القسم الثّاني فهو قطاع أقبلي و يقع الى الجنوب الشّرقي من اولف في حوال مسيرة تسعة ساعات ، وتعتبر ملتقى تجمع القوافل القادمة من توات لتنطلق باتجاه تنبوكتو ثم تأتي منطقة تيط التي تقع اسفل الضفة الجنوبية لمنطقة تادمايت و هي منطقة صغيرة ليست ذات أهمية بالغة ، بها قصر يتكون من اربعة احياء وهم اولاد سيدي عبد الوهاب ، اولاد الباي ، اولاد سيدي علي و بعض طوارق الأهقار . يلي هذا كله منطقة اينغر وتقع الى الجنوب من هضبة تادمايت على بعد 30 كلم شمال شرق تيط ، والى الشرق من ايتغر

توجد الغابة المتحجرة التي تمتد حتى عين صالح [5] ، هذه الأخيرة تعتبر اهم مناطق تيديكلت و موقع قصر العرب هو المركز الرئيسي للفوج [6] الذي يتكون من 13 قصرا وهم :

1- - وهي التي قال فيها الرحالة رولف "... **للوصول الى المحروسة سالي و تقطن نتبع اتجاه 65° لمدة اربعة وعشرون ساعة ، عبر ارض مسطحة حجرية قاحلة بدون نبات ، ولا يحبس النظر سوى كثبان رملية التي تظهر ، تيط ، عين صالح ، اقبلي ، فقارة الزوي و ايقسطن من وقت للآخر ن وهذه المرتفعات هي أعلى ب 200 كلم فوق تيديكلت وتوات ، والقمة على نفس الخط مع الحجر الكبير المسمى زوفيا و الواقع على بعد 12 كلم شرق أولف ...**" للمزيد انظر **GERARD RHOLFS ; Opcit . p12** .

2- **عبد المجيد قدي** : صفحات مشرفة من تاريخ مينة اولف العريقة . ب ن . ب ـ ص 20..

3- العقيد كولب حسب رأية فان منطقة تيدكلت مقسمة بين قيادتين و هما اولاد زنان و تتكون من 15 قصرا وهم على التوالي تمقطن ، قصبة السيد ، زاوية مولاي هيبة ، قصر اولاد الحاج ، اولف ، الجديد ، تقراف ، قصبة الحراطين ، قصبة اولاد سيدي احمد الطيب ، قصبة الحاج عبد القادر ، اضافة الى اقبلي ، تيط و اينغر هذه الثلاثة الاخيرة هي اقاليم وليست قصورا .

4- GERARD RHOLFS ; Opcit . p18

5- Ibid. p.24.

6- حدده المايجور لينغ (Cd LAING) سنة 1825 على خطي طول 2 ° و 15° و دائرتي عرض 11° و 27° وواحة عين صالح تمتد من الشمال الى الجنوب .

زاوية سيدي الحاج بلقاسم ، قصر الجديد ، قصر العرب ، قصبة باجودة ، اقبور ، قصر اولاد بلقاسم ، قصر اولاد الحاج ، الدغامشة ، فقارة العرب ، زاوية الماء ، البركة و عوينة السيسة . والثلاثة الأخيرة في مثابة واحات نخيل . و اما آخر مناطق هذا الاقليم فهما مجموعة فقارى الزوي و ايقسطن.

تعتبر تيديكلت احدى اقاليم تّوات الكبرى و التي تقع في الجنوب الغربي من الصّحراء الجزائرية ، وهي تضمّ منطقة القورارة ، تّوات و تيديكلت ذاتها بكسر اوله ، و هو لفظ مركب من كلمتين تيدي و دوكلت ، فكلمة تيدي تعني اليد و دوكلت تعني المكان المنخفض او الأرض المنخفظة او راحة اليد [1] و هو وصف يطابق الطبيعة الجغرافية للمنطقة للتّشابه القائم بين التكوين الطبيعي الجغرافي للمنطقة و بين كف اليد حيث ان الشّكل الطبّيعي يتمثل في منبسط سهلي تحيط به مجموعة من المرتفعات كهضبة تادمايت التي تقع الى الشّمال من الاقليم في حدود واد جارت [2]و هضبة تيهرت الواقعة الى الشّرق و جبال اميدير في الجنوب الغربي و هذا على حد لغة البربر . اذن فتيديكلت مصطلح بربري يطلق على المناطق الواقعة اسفل هضبة تادمايت من جمتها الجنوبية و الجنوبية الغربية و الشّرقية ايضا ، وهي تظم كافة الواحات و القصور التي

تنتمي الى الاقليم الشّرقي من اقاليم توات الكبرى ، وتنتشر على الحدود مقاطعة اولف غربا الى حدود الزّوي شرقا . و على الرغم من كثرة المياه الجوفية للمنطقة ، الا ان سكانها لا يهتمون بالزراعة بقدر اهتمامهم بالتّجارة و رعي الابل ، و مرد هذا موقع المنطقة المتقدم في الصّحراء و الذي يمثل نقطة التقاء و تجمع القوافل العابرة لهذه المناطق الجرداء الشّاسعة . و قد امتلكت هذه المنطقة ست قبائل دائمة الترحال و التنقل وراء ماشيتها من ابل وماعز بأعداد كبيرة ، و اول هذه القبائل هو فوج اولاد زنان حاليا قد عرفوا الاستقرار بعدما كانوا يرتحلون و قد أخذوا عادات الطوارق للأحتكاك الدائم بهم و يستقرون في الواحات الغربية أي منطقة اولف واقبلي[3] ثم ياتي فوج اولاد باحمو و هو رحالة متميزون و قد تحصلوا على مكانة قيادية و امتد نفوذهم الى كامل

1- **عبد المجيد قدي** : صفحات مشرقة من تاريخ مدينة اولف العريقة ، بدون ناشر ، الجزائر ، بدون تاريخ ، ص 20 .

2- واد جارت من روافد واد مسعود و يبدو أن مصبه ينتهي من منخفض واسع الشكل سبخة او تسربات و هي غير واضحة المعالم ، كما ان سكان تيديكلت لا يستطيعون التعرف على حدوده بدقة و ان كان المتعارف عليه أنه يحده من الجنوب مجرى وادي جارت و من لشرق سلسلة من المرتفعات .

3- **Gérard Rohlfs** ; Voyage et exploration du Sahara(1861-1864).Kartala.p08

نفوذهم الى كامل الصّحراء الغربية الى قادة طوارق الهقار اين كان لهم تأثير جد معتبر [1] ثم يلي هذا الفوج فوج اولاد المختار و يعتبرون من اشدّ منافسي اولاد باحّمو غير انهم اقل منهم عددا و هم في الاساس تجارا و ثراؤهم اعطاهم نفوذا كبيرا في المنطقة ثم يأتي من بعد ذلك فوج اولاد الزّوي وهم من صلب اولاد سيدي الحاج محمد و اصلهم من اولاد سيدي الشّيخ ثم فوج اولاد أهل عزي وهم مرابطون من بني الحاج قاسم ، الموجود ضريحه بتيط شمال قبة اخيه عزي الحاج الشيخ بابا عبد الرحمان و ابوهما الحاج محمد عبد الرحمان عزي صاحب القبة الموجودة بفنوغيل بادرار ، والتي قطنوها بعد توافدهم من تافيلات بالمغرب الاقصى التي كانت مستقرا لهم بعد وفودهم اليها من الحجاز و لم يمكثوا بها طويلا نظرا للمعاملة السّيئة التي تلقوها من الاسر المالكة انذاك [2]، و آخر هذه الأفواج فوج البربر الذي يتكون من المرابطين اهل عزي وهم من زاوية سيدي محمد الوافعة قرب اغدامس و كذا اولاد سوكنة و يتمركزون بعين صالح و كذلك الطوارق ، و لكلاهما مناطق كثيرة يقطنونها هناك . كل هذه القبائل تلتقي في سوق المدينة القصر الكبير المتواجد بمقاطعة عين صالح و هو مقصد القوافل المارة بالإقليم خاصة المتوجهة من و الى اسواق مدينة تمبوكتو ، لذا كانت اسواق تيديكلت صاحبة الحظ الأوفر في المنتجات القادمة من الجنوب

(خريطة15) . لقد كان للبيئة بمنطقة تيديكلت اثر كبير في تشكيل و توجيه القصور و الواحات و بالطبع مع مراعاة طبيعة الأرض والعوامل المشجعة على الاستقرار و خصوصا عنصر الماء ، و من خلال ملاحظة خريطة المنطقة نجد أن واحاته موزعة بشكل منتظم على شكل ارخبيل تحيط به الرمال من كل حدب وصوب يمتد من الشّمال الشّرقي الى الجنوب الغربي . خلال شهر سبتمبر من سنة 1864 زار المنطقة الرحالة الالماني جرهارد رولفز (Gerhard Rolfs) و تحدث عنها قائلا " **تمتد واحات عين صالح على العموم من الشّمال الى الجنوب حيث بنيت على التّخوم الشّرقية لغابات النّخيل بجانب الكثبان الرّملية** " [3] .

-1 **Gérard Rohlfs** ,opcit . p 08 **.**

-2 .**Ibid**. p 12

-3 **Malte Burn** . Résume historique et géographique de l'exploration de Gerhard Rolfs a Touat et Ain Salah/Paris .1966.p99 .

و تشكل لنا القصور و القصبات المنتشرة هنا و هناك تراثا معماريا تزخر به منطقة تيديكلت بالرغم من أن معظمها قد اندثر أو غمرته الرّمال ، فالقصر[1] أو القصبة [2] هي عبارة عن تجمع سكاني يشكل لنا ناحية بلدة محاطة بسور منيع ، و أول ما يتبادر الى الاذهان بعد الاطلاع على هذه التّصاميم ، هو طبيعة البيئة الصّحراوية التي وجدت فيها القصور و التي كانت في مجملها بيئة حربية [3]. جاءت عمارة المباني نتيجة حتمية تدفع الى توفير التلائم مع البيئة المحلية أو لدواعي ظروف طبيعية و توفير الوسائل الكفيلة بالتّأقلم مع هذه الظّروف القاسية ، او لعوامل اجتماعية استجابة لتوجيهات دينية أو عرفية أو بغرض الأمن والدّفاع للأحتماء من المؤثرات الخارجية مهما كان نوعها ، فينتج عن هذه المتطلبات مجتمعة أو منفردة منشئات معمارية تتماشى و المطلوب ، و قد اعتمد التّواتيون في تشييد هذه المباني على مواد محلية بحتة استغلها وطورها في اطار تقني بحت فنجد الطين و الرمل لتحضير قوالب الطوب و الجير الخام لتثبيت الأبواب و الأقفال و كذا

لتبييض المباني و الحجارة لرفع الاساسات و الأخشاب من النّخيل لتسقيف المباني وصناعة الابواب .

و حسب ما توارث من رّوايات محلية فأن أولى العمائر بالمنطقة يعود الى ما قبل القرن الخامس الهجري الحادي العشر ميلادي[4] ، حيث تعد واحة اقسطن الواقعة شرق مدينة عين صالح اولى المناطق التي استقر بها الوافدين ، ويعود لها فضل أول صلاة جمعة تقام في مسجدها العتيق[5] ، ثم أقامت وفود اخرى بعد ذلك بالدغامشة[6] التي تقع الى الجنوب من عين صالح .

1- القصر شكل من المباني الضخمة عرف من ذي قبل في العلم الاسلامي و يعود ظهورها الى العصر الأموي بمصر وشام للزيادة في هذا الموضوع انظر **كمال الدين سامح** : العمارة الاسلامية في صدر الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 .

2- **القصبة :** القرية و قصبة القرية وسطها ، و هو بناء يبنى جوف الحصن و القصبة مدينته ، و قيل القصبة و هي جوف القصر ، انظر **ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد):** لسان العرب ،دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1968، المجلد الأول ، ص 676 .

3- **كمال جلوفة** : العمارة التقليدية و التوافق مع البيئة ، ندوة العمارة الخضراء، القاهرة ،1991.ص 12.

4- **محمد مزراق**، البيئة واثرها في توجيه العمارة المحلية (اقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، معهد الأثار ، جامعة الجزائر ، 2009 ، ص 28 .

5- حسب الرواية المتوارثة في المنطقة للشيخ المرحوم الحاج امبارك بالحاج (1906-2002) الذي يعد مرجع للروايات التاريخية في المنطقة حسب ما تناها الى علمنا .

6- **الدغامشة** : اسم لقبيلة بربرية سكنت منطقة تيديكلت و عرفت المنطقة بها و سميت العديد من المعالم بها منها فقارة الدغامشة الواقعة بأولف الشرفة ، قرية الدغامشة بعين صالح و غيرها .

و بعد هذا تواصلت هجرة القبائل الى المنطقة و انتشرت في ربوعها و أقامت كل فرقة في المكان الذي اختارته و تعايشوا جميعهم في هذه المنطقة [1]. و قد لعبت هذه المنشئات التي استحدث أدوارا هامة في تاريخ هذه المنطقة ، فكانت في المجال الاقتصادي محطات تجارية هامة تستريح فيها القوافل وتعرض بها سلعها و شكلت بذلك أسواقا ضخمة تشدّ أنظار العابرين والمجاورين لهذه البلاد خاصة و أنها المحور الرّابط بين أسواق الجنوب من مملكة سنغاي و الشّمال من البلاد توات ومن ورائها سجلماسة و غيرها من الحواضر ، و في المجال الدّيني و الثّقافي و بسبب هذا الموقع الممتاز والمتوغّل في الصّحراء ساهمت منطقة تيديكلت في بعث الثّقافة العربية الاسلامية و نشرها بواسطة الزّوايا منها الزّاوية القادرية [2] ، التّجانية [3] ، السّنوسية [4] و الشّاذلية [5]، و المدارس القرآنية منها مدرسة مولاي أحمد الادريسي [6]، فقد ازدهرت بهم الحركة العلمية

-1 **اسماعيل العربي** : الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 195 .

-2 **القادرية** : نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلالي المتوفي عام 561 ه ، انتشرت في العراق و اليمن و الصومال و الهند و تركيا ومصر و المغرب وغرب افريقيا و و سطها ، حيث وصلت الى افريقيا الغربية في القرن 15م على يد مهاجرين ،كانوا يتخذون من توات مركزا لهم و هي واحة في النصف الغربي من الصحراء للمزيد انظر **محمد نسيب** : زوايا العلم والقرآن في الجزائر ، دار الفكر ، الجزائر ، ص 290.

-3 **التيجانية** : نسبة الى سيدي أبي العباس أحمد بن محمد التجاني مؤسس الزاوية التجانية بعين ماضي الأغواط ، ساهمت هذه الزاوية بنشر الاسلام في شمال افريقيا و في الصحراء وجنوبها و وذاع صيتها في آسيا انظر **محمد نسيب** : نفس المرجع ، ص ص 209-226.

-4 **السنوسية** : نسبة الى الشيخ محمد بن علي السنوسي ، ينحدر من أسرة عريقة تعود في نسبها الى الأدارسة ، ولد بالقرب من مدينة مستغانم سنة 1791 م و تعلم في فاس و أسس زاويته سنة 1837م بجبل أبي قبيس بمكة المكرمة ثم انتقل الى المغرب ثم الى برقة ، قدمت هذه الزاوية خدمة جليلة للأسلام في جميع افريقيا الداخلية من سواحل الصومال شرقا الى سواحل السنغال غربا ، فأنتشرت في تونس و الجزائر وفاس و برقة و مصر و الحجاز واليمن و السودان و برنو و توات ثم امتدت الى الهند وتركيا و بلغ عدد فروعها سنة 1884م نحو 100 زاوية . للمزيد انظر **محمد نسيب** : نفس المرجع ، ص 181-209 .

-5 **الشاذلية** : نسبة الى أب الحسن الشاذلي ، و هي التي كانت وراء دخول الصوفية الى المغرب و مركزها مراكش ، ومن اشياخها سيدي العربي الدرقاوي المتوفي سنة 1883 م ، والذي أوجد عند مريديه حماسة دينية امتدت الى المغرب الأوسط ، و كان لأتباعها دورا هاما في مكافحة الغزو الفرنسي للمنطقة . انظر **محمد باي بلعالم** : الرحلة العلية الى منطقة توات ، ج1، دار هومة ، الجزائر ، 2005،ص 331 .

-6 **مدرسة مولاي احمد الادريسي** توجد بأقبور عين صالح ، اسست سنة 1953 م ، و شيخها العلامة الفقيه أمحمد ابن مالك ، وهو تلميذ مولاي أحمد الادريسي الذي أشرف على فتح هذه المدرسة و كان لها فضل كبير في نشر العلم والمعرفة لمزيد انظر : مجلة ملتقى أعلام منطقة عين صالح ، المنعقد بالمركز الثقافي الاسلامي فرع عين صالح ، تنظيم المجلس العلمي الولائي ، عدد خاص ، 20 و 21 ربيع الأول 1417 ه الموافق ل 5 و 6 أغسطس 1996 . أرشيف معتمدية الشؤون الدينية والأوقاف بعين صالح .

بهم الحركة العلمية و اشتهرت و ذاع صيتها في كل الارجاء وكونت رجالا حملوا الرّاية وشعلة الاسلام في تلك البقاع وما جاورها . و من هذه القصور نذكر:

الرقم	القصر	البعد عن العاصمة عين صالح	الملاحظات
01	البركة	05 كلم غربا	لم يبق من تحصيناتها الشيء الكثير
02	الدّغامشة	03 كلم جنوب	كل تحصيناتها اندثرت
03	قصر العرب	يشكل الجهة الشمالية لعين صالح	و به قصبة القصر الكبير محصنة بالجدران الخلفية للبيوت و بدون ابراج و معظم جدرانها زالت.
04	قصر المرابطين	يشكل الجهة الجنوبية لعين صالح	لم يبق أثر لتحصينات هذا القصر نظرا لتوسعه المستمر
05	الزّاوية	03 كلم شمالا	لا زالت تحافظ على تخطيط عمرانها القديم مع

			غياب العناصر الدفاعية
06	هنو	12 كلم شمالا	قصور مهجورة و مندثرة
07	السّاهلة الغربية	10 كلم شمالا	قصور مهجورة ومندثرة
08	المطارفة	12 كلم شمالا	قصور مندثرة ومهجورة
09	مليانة	20 كلم شمال شرق .	قصور مندثرة و مهجورة
10	اجواليل	08 كلم شمالا شرق	قصور مهجورة و مندثرة
11	السّاهلة الشرقية	10 كلم شمال شرق	لما يبق من قصباته سوى اطلال الجدران والأبراج
12	حاسي لحجار	15 كلم شمال شرق	قصور مهجورة و مندثرة
13	اقسطن	20 كلم شرقا	و به بنيت أول قصبة بالمنطقة المعروفة حاليا بحي تاغزم
14	لفقيقيرة	25 كلم شرقا	قصور مهجورة و مندثرة
15	فقارة العرب	40 كلم شمالا	قصور مهجورة و مندثرة
16	فقارة الزوي	45 كلم شمالا	أطلال من القصبات المحصنة
17	حينون	بلدية فقارة الزوي	قصور مهجورة و مندثرة
18	سلافن	بلدية فقارة الزوي	أطلال من القصبات المحصنة
19	انغر	58 كلم غربا	لم يبق من قصباتها سوى أطلال الجدران و الأبراج
20	مليانة(انغـــــــر)	بلدية انغر	أطلال من القصبات المحصنة

جدول يبين أهم قصور و واحات تيديكلت

و سبب اندثار معظم هذه القصور والقصبات بالصّيغة الأولى هو هجرانها لسبب أو لآخر ضف الى ذلك العوامل الجغرافية كما أسلفنا ذكرها، كما أن للإستعمار الفرنسي الأثر الكبير في تدمير العديد من هذه المنشئات في اقليم توات كما حدث لقصبة اولاد جلول بأنغر التي بنيت بتاريخ 1818م و دمرت اثناء التّوسع الفرنسي نحو القصور الغربية شأنها شأن قصبة اولاد حادوي بأنغر المنشأة بتاريخ 1286م التي تعرضت هي بدورها للتّدمير سنة 1870 م . كما ان للتّطوّر السّريع الذي تشهده هذه الأرض دورا فعلا في تغيير واندثار هذه القصور كما حدث لقصر العرب الذي يعود بنائه الى القرن الثالث عشر ميلادي فقد اندثرت جميع معالمه الاصلية التي لم يبق منها الشّيء الكثير كذلك قصبة باجودة التي تعود الى القرن السّادس عشر فهي في حالة تغيير سريع غيب شكلها الأصلي .

هذه الحالة التي وصلت اليها قصور منطقة تيديكيلت من اندثار وتردي لم تسمح لنا بدراسة ميدانية حقيقية نسطيع من خلالها اخذ قياسات و صور حقيقية لقصور هذه المنطقة و التّركيز بالطّبع على المنشئات الدّفاعية لهذه القصور ، لكن على العموم رأينا قصبة أبا جودة التي يبدو وانها رممت وبدت الحداثة عليها أكثر من أصالتها ويقيت خالية من أهلها(صورة46) ، تأخذ هذه القصبة الشّكل المربع تقريبا يبلغ طول الواجهة الشّمالية التي بها المدخل الرئيسي للقصرو الأخرى المقابلة الثمانون مترا (80م) بينما الواجهتينن الأخرتين سبعين (70م) ، يأخذ السّور الشّكل الهرمي كلما زاد من الارتفاع أين بلغ علوه 5 أمتار ، زود في نهاياته بشرفات هرمية الشّكل يبدو ان الغاية منها الزخرفة أكثر من الاحتماء ، تميز بوابة القصبة بكبرها نوعا ما مقارنة مع بالمدخل الرئيسي لقصر ملوكة ، يبلغ ارتفاعها حوالى الثلاثة امتار و عرضها حوالى المترين و بذلك فهي كانت تحتوي على مصراعين ضخمين مصنوعين من مادة خشب النخيل ، وهي تغيب في أيامنا هذه . دعم سور هذه القصبة بأربعة أبراج ركنية هرمية الشكل تزيد في ارتفاعها عن السور بحوالى المترين وهي بذلك تصل السّبعة أمتار ، تحتوي على طابقين وقد زودت بصف وحيد من المزاغل موجود في الطابق العلوي و يولج الى داخل هذه الابراج من السّاحة المحيطة (صورة 47). لكن الشيء الجديد في هذا القصر ان البوابة الرئيسية تفتح على بهو دون سقف يؤدي بدوره الى قاعة مستطيلة الشكل تفتح على ساحة مركزية تحيط بها مجموعة من الغرف من جميع الاتّجاهات كما أن

كل الابرج الأربعة يولج اليها مباشرة من ساحة القصبة عكس ما سجلناه في قصبات توات التي يلج الى معضمها عبر السّكنات الملتحمة بالسور ، بها بوابة تفتح على ساحة محيطة بكل هذه المباني و بالطّبع كل ذلك داخل محيط السّور ، و لعمري أنه لم يسبق وان رأينا هذا النّمط في منطقة تمنطيط او تيقورارين. و يبدو هذا النّوع وكأنه انه احتياط ثانوي دفاعي أكثر منه جمالي ، او ان هذه السّاحة المحيطة تستغل لترك الانعام بها خاصة وانهم يشتهرون بالرّعي و تربية المواشي خيفة سرقتها أو ضياعها . فما نستطيع قوله حول هذا الموضوع أن جل القصور بمنطقة تيديكيلت تأخذ الشّكل المربّع و أحيانا المستطيل ، ابعادها في كثير من الاحيان لا تتجاوز 60 م الى 80 م ، مزودة بأبراج ركنيّة هرمية الشّكل يتراوح علوها بين السنّة والثّمانية امتار ، مبنية عادة على

مواضع مرتفعة بهدف الاستطلاع والكشف و يمكن ان تدعّم جهاته الاربعة او على الأقل اضعف جهاته بخندق يزيد من قوته وقدراته الدّفاعية .

ان المتتبع لتاريخ قصور توات من خلال المصادر التّاريخية يدرك انه يطلب المحال ، ذلك ان جل المصادر لم تتعرض الى وصف عمارة تلك البلاد الا اذا استثنينا كتابات الرحالة الاجانب كإيشالي او لورو او غيرهم ممن وَفدوا او مرُّوا على الاقليم ، خاصة و ان من سبق ذكرهم قدموا لنا من يعينا على تصور شكل تلك القصور .
و يبدو ان سهو الرّحالة و الجغرافيين المسلمين في وصف منشئات هذا الاقليم مرده الاساس الى افتقارها الى معالم تشدّ الانتباه ، كالمساجد الكبيرة المزوّدة بالصّوامع الضّخمة ، فضلا عن كل هذا لم تكن بالنّسبة الى هؤلاء سوى محطة راحة من السّفر والإستعداد لسفر جديد، لذا لم يكن يطول فيها المقام الا للحاجة الملحّة ، وهذا واضح من خلال كتاباتهم عن هذه المناطق و التي اتصفت بالايجاز و السّطحية ما يوحي ان أصحابها كانوا على عجلة من أمرهم ، إضافة الى كل هذا غياب الامارة في هذا الاقليم كان من بين اسباب اهمال وصف معالمها[1] و ما زيارة امير سنغاي الى الاقليم دليل على مكانة الامارة في سرد الوقائع والتّاريخ .
و من المؤرخين الذين اوجزوا في ذكرهم للمنطقة ، ولم يتعرضوا الا ما كان من التّجارة وطرقها ، و عن رحلات الحج انطلاقا من المغرب الأقصى أو في خضم الحديث عن سجلماسة ،

1- عبر تاريخ البشرية وجد مؤرخوا البلاط ، ولم تخو الدول الاسلامية من هذا التقليد ، نظرا لما تدره هذه المهنة من ارباح طائلة على صاحبها ، و على سبيل الذكر نجد ابن الصغير(260هـ-878م/300هـ-912م) مؤرخ الدّولة الرستمية ، كذلك التنسي مؤرخ سلاطين الدولة الزيانية .

نجد ابن بطوطة الذي يذكر بودة ويقول انها من اكبر قرى توات كما يذكر بعض خصائص ارضها و محاصيلها خاصة من التمور [1]، أما ابن خلدون فيذكر تمنطيط و يحدد لنا موقعها و بالطبع مقارنة بسجلماسة و يشير الى انها بلدة عامرة و يذكر كذلك تيكورارين (تيميمون او القورارة) و يصفها أنها ذات عمران مستبحر و سكان كثر [2].

و قد ذكر الحسن الوزان حين حل بتسابيت (توات الوسطى) فيقول انها من أكبر قرى توات و ان نسائها حِسان كما ان وصفه للقورارة لم يبتعد كثيرا عن وصف تسابيت [3].

أما ما ورد عن الباحث الفرنسي اشالي (Echallier) ، فكانت أكثر دقة ، فلذلك كان الاعتماد عليها بشكل واسع في دراسة هذه المواقع كونه تطرق الى وصف و ذكر انواع هذه القصور و لم يكتف بهذا فحسب بل تطرق كذلك الى المواد المستعملة في البناء ففي كتابه : Sur (quelques détails d'architecture du Sahara) يورد لنا وصفا دقيقا لقصور توات فيقول "...**ان الصّبغة العامة وتقنيات البناء المنفذة في اقليم توات ، مشرقية الأصول ، فقد كان ذلك اثر توافد القبائل العربية على المنطقة في فترات متفاوتة ، أو انها نتيجة للإرث المحلي القديم ، الا أنه من الصّعب الجزم بذلك لقلة الحفريات في تلك المناطق ...**"[4] كما أنه شبهها بالمدن الطّينية في المشرق العربي **"...اليمن"** ثم يواصل حديثة فيقول "... **ان القصور والقصبات في توات غالبا ما تحتوي سورا مربع الشّكل مزود بأبراج هرمية ، و أحيانا نجد برجا يتوسّط السّور الذي يحوي صف أو اثنين من المزاغل و غالبا ما يحاط بخندق حفر في الصخرة لاصلية التي بني عليها القصر وذلك لتدعيم النّظام الدّفاعي للقصر ، كما يعلو هذا الخندق جسر خشبي مكون من جذوع النخل ، ومنه نصل الى مدخل القصر و من مميزات هذه القصور الأزقة المسقوفة** "[5] .

1- ابن بطوطة : تحفة الأنظار ، ص 699 .

2- ابن خلدون ، نفس المصدر ،ج6. ص 1833 .

3- الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ص 133-134.

4- **Echllier** ; Sur quelques details d'architecture du Sahara (Touat ,Gourar ,Elgolea) , Le saharien ,n44, 4eme trimestre ,1966 , p 14 .

5- **Echallier** : Village désertes et structures agraires anciennes ,du Metiers grahique , 3 -Touat , Gourara Sahara Algeriens , Arts et Paris 1972 ,p115

أما عن قصور القورارة فيذكر أنها تميز عن باقي قصور توات بمادة البناء وهي الحجارة و كذا في اختلاف سورها المحيط الذي عادة ما يأخذ الشّكل الدّائري او الشّبه الدّائري و في مقال له بعنوان : (Forteresses berberes du

(Gourara ,Problemes et resultats de fouilles

فجاء فيه ان هناك أكثر من 300 قرية محصنة في تلك المناطق هي عبارة عن قلاع (قصبات) منها مجموعة من المخازن لتخزين المحاصيل ، ومهما يكن فيمكن ان تقسّم هاته التّجمعات الى مجموعتين على أساس مواد البناء المتمثلة في الطّين والحجارة ، ويبدو ان هذا الباحث وقع في التباس بين القصبة والقصر فمن خلال وصفه يتبين وانه يتحدث عن القصبة

أما الباحث لورو (Piétro-Laureux) فيقول في كتابه قصور الصّحراء الجزائرية " **ان البربر المنحدرون من شعوب فترة العصر الحديث و التي توجهت نحو السفانا الجنوبية بسبب التّصحر الذي حلّ بمناطقها ، كونّت أكبر سلسلة من القرى الحجرية ، الواقعة بين حوض البحر المتوسّط و افريقيا جنوب الصّحراء ، وهي مبنية على مرتفعات معزولة ، ذات أشكال دائرية تميزها الصّفة العسكرية (صفة الدّفاع) ، فالأجزاء العلوية بنيت بالحجارة ، ونظمت على شكل حجرات صغيرة بشكل مخازن، ولقد هجرت غالب القصور القديمة ، وعوضت بقرى في الوادي بمحاذات الحقول ، كما أن الفضاءات و البيوت تتماثل بشكل كبير ، وفي نموذج خاص يعكس التّنظيم الاجتماعي المعتمد في تلك المجتمعات ، اما الأزقة والممرات و الانفاق فتختلف أبعادها ومقاساتها ، لتعطي احساسا هندسيا غير اعتيادي ، يستجيب للحماية الفيزيائية والمناخية في أنظمة متداخلة الواحد للآخر"**[1] و يؤكد الباحث بيترو (P-Devors) ما قاله ايشالي اذ يقول "... **ان مجمل القرى في اقليم توات بنيت على نمط واحد ، فالبيوت يميزها عدم وجود الجدار المستقيم ، كما أن القصر يحاط بسور مربع الشكل مزود بفتحات للتهوية و النور ، و تنصب في أركانه الأربعة أبراج هرمية الشكل و يحاط القصر بخندق عمقه حوالى المتر و عرضه ثلاثة أمتار** ..."[2] .

أما قصور القورارة فتختلف عن قصور توات في عدة جوانب حسب الباحث كابوراي (R, Caporay)، فالمنطقة كثيرة المرتفعات الصخرية ، حيث بنيت معظم قصورها على تلال صخرية ،

1-Pietro-Laureux : Les Ksours du sahara Algerien , un exemple d'architecture globale , sd , p21 -

2-P,Devors : Le Touat , Etude geographique et medical , IRS , 1956 , T 14 , p 243 .

مما يضفي عليها الصّبغة الدّفاعية ، وقد أحيطت بها أسوارا دائرية أو شبه دائرية مضيفا أن معظم واحات القورارة بها قلعة حصينة (قصبة) اما داخل القصر أو خارجه ، وهي تحتل غالبا ارفع الأمكنة في القصر ذاته[1] . و على هذا الاساس فان طبيعة المنشئات الدّفاعية في اقليم توات متشابهة في معظمها و الاختلاف الذي يرد في نمط عن باقي الانماط كان السّبب الاساس فيه هو طبيعة الموقع الذي بني عليه القصر خاصة وان جل القصور تأخذ الشّكل المربع او المستطيل بينما وجدنا هناك قصور اخرى دائرية و ذلك لتوضعها على هضبات او مرتفعات حتمت على القصور اخذ شكلها الدّائري ، ثم ان مواد البناء كانت ما توفره الطّبيعة و ما هو في متناول اليد فنجد مثلا في منطقة القورارة توفر الحجارة فأستغل البناؤون هذه الماده وعكس أهل تيمي و نظرا لقلتها فأستعملوا التراب ، فأما فيما يخصّ التّحصينات فهي تتفرّق من قصر الى آخر و هذا في عدد الأبراج فضُعف الموقع يولدُّ فكرة تعزيز دفاعات القصبة و لكن يتوحدون في فكرة المدخل الواحد حتى يسهل الدّفاع عنه ،و القصر في هاته المناطق مكون من جزأين ، أحدهما يبنى أسفلى الهضبة بالقرب من حدائق النّخيل و هو عبارة عن نسيج عمراني متراص يستغل خاصة للسّكن الأقامة . أما الجزء الثّاني فعبارة عن قلعة حصينة تبنى على مرتفع من الأمكنة يشرف على النّسيج العمراني الأول ، يملك كل من يقطن في الجزء الأول غرفة أو بيتا ، يتحصن فيه كلما دعت الضّرورة ذلك ، و هناك من القصور من يملك قصبة داخلية فقط مثل قصبة بني مهلال و أولاد محمد أما قصور تروكانت ، ملوكة ، ليشتة فتحتوي على قصبات خارجية ، الا أن قصر تايلوت فتنعدم فيه قصبة ، من القصور التي تحتوي على قصبة داخلية ، و يذكر العسكري كابوري خلال زيارته للمنطقة " **يتم الاحتفاظ بالمحصول الزراعي اما في مطمورات ارضية او في حجرات داخل المنازل ، غير ان الامر يختلف بالنسبة لسكان القورارة فهي المناطق الوحيدة التي بها مخازن محصنة كالقلاع تسمى القصبة و هي تشبه القلعة في اغادير** " [2].

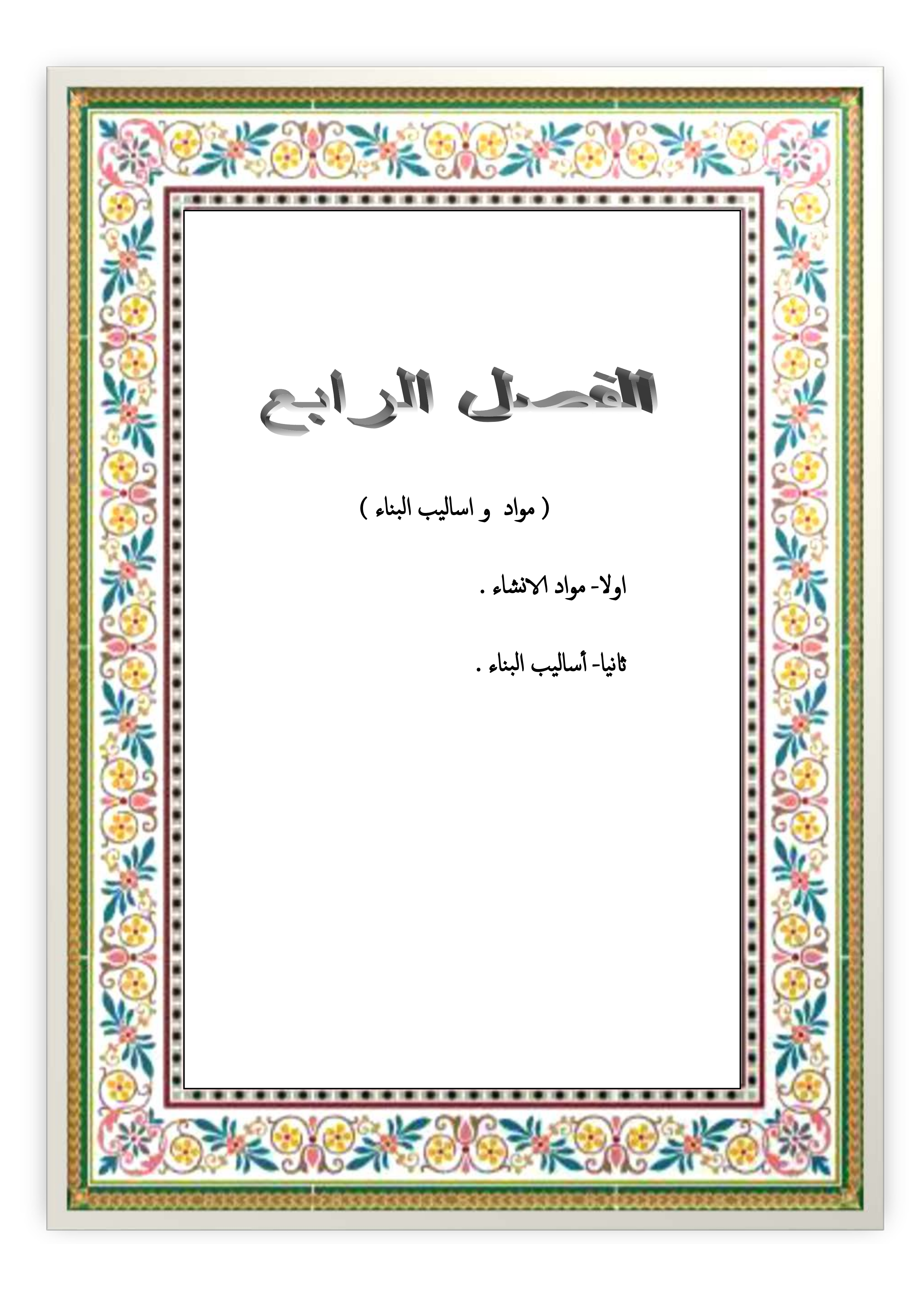
1- **R , Capory** : Grenniers domestiques et grenniers fortifiers au Sahara (Gourar) ,IRS,T14,1956,P141 .

2- **Op-cit ; p 139.**

و يذكر قصبة بني مهلال فيقول "**قصبة مهلال التي تبعد حوالى 4 كلم جنوب تيميمون و قد بنيت فوق تلة صخرية احيطت بخندق يعلوه جسر خشبي مكون من ثلاث الى اربع قطع خشبية**" (1) كما اعتبر القصبة نوع من المخازن الجماعية للقصر و على العموم ان الصّبغة الدّفاعية في كل قصور توات ظاهرة وتوحي بخطر محدق ودائم و حياة غير مستقرة عاشها هؤلاء القوم و لازمتهم طوال عهود طويلة و لا ندري أ أرادوا هذا أو أريد بهم ذلك وقد لخصّ ايشاليي هذا بقوله " **سمة قصور توات جد معروفة سور مربع مزود بأبراج هرمية الشكل اضافة الى صف او صفين من المزاغل**"(2) .

1- **Caporay** :Opcit P142

2- **Echallier** : Sur quelques details du sahara ,p14



الفصل الرابع

(مواد و اساليب البناء)

اولا- مواد الانشاء .

ثانيا- أساليب البناء .

أولا - المواد الإنشائية

و يقصد بمواد الإنشاء تلك المواد التي يستعملها البنّاءون في تشييد المباني ، و يتحصّل عليها من الطّبيعة كالحجارة ، الطين والخشب [1]، و قد تستعمل على طبيعتها أو يتمّ تهيئتها حسب الحاجة كالحجارة مثلا ، وهناك من المواد التي يتم تركيبها بجمع موادها الخام من الطّبيعة بواسطة طرق متوارثة لتعطي مادة بناء مركبة و جيدة كالآجر و الطّوب ، وكل ذلك يتأتّى حسب الإمكانيات المتاحة للطّالبين لها ، و من هذه المواد المستعملة في بناء التّحصينات في بلاد تّوات ، و لعلّ من أهم و أقدم المواد التي استعملت في هذا الاقليم **الحجارة** و قد جاء ذكر هذه المادة في التّنزيل الحكيم اشارة تشبيه في قساوتها اذ قالى تعالى " **ثم قست قلوكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة و ان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار و ان منها لما يشقق فيخرج منه الماء و ان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون** "[2] . و يقول ابن خلدون " ... **وكذا حال أهل المدينة الواحدة ، فمنهم من يتخذ القصور المشتملة على عدة دور ... ويؤسس جدرانه من الحجارة** "[3] و الحجارة جمع حجر و هي من أقدم المواد الطّبيعية التي استعملها الإنسان في البناء ، نظرا لتعدّد وظائفها في البناء الواحد فقد استعملت كمادة زخرفيه و إنشائية في آن واحد . و هي احد أهم المواد الأساسية المستعملة في تشييد المباني ، وخاصة الأسس والأسوار و لواحقها من ابراج ودعائم . و الحجارة اصطلاحا هي كل قطعة يزيد قطرها عن 2 مم طبقا للتّصنيف الدّولي[4] .

و بدأ استخدام الحجارة في تشييد مختلف العمائر الاسلامية مبكرا من خلال مباني العصر الأموي ، مثلما ظهر في مسجد حماه و في المسجد الكبير بقرطبة ، وقد اصبح فيما بعد البناء بالحجارة احد مميزات العمارة في العصر المملوكي و العثماني أيضا [5].

1- **توفيق أحمد عبد الجواد** . معجم العمارة و انشاء المباني ، ص 238.
2- البقرة ، الأية 74.
3- ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 206 .
4- **التوني يوسف** . معجم المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي . بيروت 1977 . ص 178.
5- **وزيري يحي** : العمارة الاسلامية والبيئة ، مرجع سابق ، ص 108 .

و تصنف الحجارة اما حسب حجمها ، فالحجارة الكبيرة تسمى أحجار آلة أما الأحجار الصّغيرة فتسمى بطيحا متى كانت مهذبة و تسمى دبشا متى كان العكس[1] .
أما الثّانية (الكوارتزية) و هي بذلك تتركب اساسا من اكسيد السّيلس ،و هذا النّوع من الحجارة يكثر في منطقة توات لذا فهي رائجة الاستعمال في مجال البناء ، تميل في لونها الى الأبيض المصفر عادة وقد تميل الى الأحمر اذا احتوت على شواب الحديد صلبة مقارنة مع الحجارة الغرانيتية ، تتكون من ثاني اكسيد السيليكون النقي الذي تصل نسبته الى 46,7 % و تكون من الأكسيجين الذي تصل نسبته الى 53,3 % ، ويتحلل هذا النّوع من الحجارة بسرعة في أحماض الهيدروفلوريك كما أنها غير قابلة للأنصهار[2].
و استخدمت الحجارة في اقليم توات بنسب متفاوتة بين مناطق الاقليم فنجدها تختلف من مقاطعة لأخرى و مرد ذلك مكان تواجد البناء فاذا كان الموقع يتوفر على هذه المادة بكثرة فتبيت بذلك المادة الاساسية في البناء مثل قصر الذراع و ان تنقص الحجارة في الموقع فيقتصر استعمالها في الاساسات وبعض الدعائم ففي تيديكلت مثلا يشاع استعمالها بينما في توات الوسطى يقل استعمالها و يتناقص في حين في منطقة القورارة تستعمل بشكل ملحوظ و قد يحدث أن تجد بناية كاملة منحوتة في الصخر كمسجد تروكانت بالقورارة مثلا (صورة48) أي بذلك فأن النّحت على الحجارة من معارف أهل توات . و عمد النّاس في انشاء عمائرهم الى استخدام الحجارة الهشّة و الصّلبة ، وهي من تقاليد العمارة في الاقليم . هذه الحجارة الرّسوبية تتكوّن من حبيبات متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي و يطلق عليها في معظم المناطق الجنوبية باسم التّافزا[3] . و منها من يميل لونها الى الأحمر المصفر نظرا لاحتوائها على أكسيد الحديد ، وتمتاز بصلابتها وشدة مقاومتها لعوامل الطّبيعة ، لذلك يكثر استعمالها في الأماكن الباردة حيث يكثر تساقط الأمطار والثلوج[4] ، أو في الأماكن المعرضة للرطوبة مثل أسس المباني و تسمى

1- **نجيب محمد مصطفى** . العمارة في عصر المماليك . القاهرة تاريخها وفنونها وأثارها .القاهرة1970.ص235 .
2- محمد عزالدين حلمي : علم المعادن . مكتبة انجلو مصرية . 1984 . ص197 .
3- تطلق عليها بعض المراجع اسم الحجارة الجافة (**Pierres Sèches**) .
Terrasse(H) . Kasbah Berbère de l'Atlas et des Oasis . Les grandes architectures du sud Marocain . Horizons de France . Paris 1938. p 32 -4

بالحجارة الصّلبة[1] . و نوع آخر من الحجارة الرّسوبية والتي تتكّون من سولفات أو كربونات الكالسيوم و تدعى بالحجارة الهشّة ، و تكثر هذه الأخيرة بالمناطق الصّحراوية لوجود طبقات كلسيّة تعود الى الفترة الكريتاسيّة [2]، و تمتد من منطقة وادي ميزاب الى هضبة تين قريت[3] ، علاوة على منطقة بسكرة و وادي سوف و منطقة وادي ريغ [4]. و في معظم الأحيان نجد أن الحجارة التي تستعمل في البناء بمنطقة توّات عبارة عن دبش تستعمل خاصة في بناء الأساسات وقواعد الأبراج و الأسوار و ذلك حماية للمباني من الانهيار و قد يحدث ان تفتقد هذه المادة من موقع بناء القصر فيؤتى بها من بعيد لأنه لا بناء بدون أساس و هذا الأمر كثير الحدوث بمنطقة تمنطيط (زاوية سيدي البكري ، قصبة اولاد محمد...) ، و المعروف ان المسلمين استعملوا الحجارة غير المشذّبة في بناء الجدران التّرابية [5] و هذا النّوع من الحجارة معروف منذ القدم في عملية البناء [6] حيث يستعمل على حالته الأولى كما يمكن أن يطرأ عليه تغيير بسيط على حسب تناسب وتنساق البناء في حين تترك الحجارة المستوية لتنسيقات البناء[7]كما أنه من خلال المعاينة الميدانية لم نجد للحجارة المنحوتة من أثر في مختلف ارجاء الإقليم [8] و أحيانا أخرى تنشأ القصور على مواقع صخرية فتصبح هذه المواضع أسسا للبناء في حد ذاتها كحال قصر اولاد اهمالي بتمنطيط (صورة49).

1- **Bernard (A)** . Enquête sur L'Habitation rurale des indigènes de L'Algérie Imprimerie Orientale Fontana frères . Alger . 1921.p.32 .

2- الفترة الجيولوجية الكريتاسية (**Crétacé**) هي آخر فترة في الحقبة الجيولوجية المسماة ميزوزوايك (Mésozoïque) . تمتد من 140 مليون سنة الى غاية 65 مليون سنة . هذه الحقبة تتعلق بانقسام الزمن الجيولوجي ، وهي تمتد من 250 مليون سنة الى 65 مليـــون سنة ، ويطلق عليها الحقبة الجيولوجية الثانوية (Ere Secondaire) . و تنقسم الى ثلاث أزمنة هي 1) Cénozoïque 2.Paléozoïque 3.Crétacé)

3- هضبة تينقريت تقع الى الجنوب الشرقي من العاصمة الجزائر وتبعد عنها بحوالي 1150 كلم .

4- **André (C)**.Reconnaissance géologique dans L'Erg d'Oubain et la Hamadas Zeher (Fezzan) T.I.R.S. T2 .pp. 69-72 .1950 راجع ايضا

-Estorages . (P). La Bordure Saharienne du djebel Amour . Etudes morphologique . Travaux de l'institut de recherches Sahariennes .T 24.pp 36-40. p 87.1965

5- **عبد الرحيم غالب**: موسوعة العمارة الاسلامية ،ط1،مطبعة جروس بريس، بيروت،1998،ص126.

6-استخدمت الحجارة الغير محذبة "الدبش" (Mœllon) في العمارة الساسنية وبلاد ما بين النهرين . العهود الأولى من ظهور الإسلام ، وعرفت ازدهارا واسعا في بلاد المغرب خلال القرن 5هـ / 11 م .

7- **Donna dieu** (**C**). et **Didillon** (**H.J.M**). Habiter le Désert . Les Maison Mozabites. Pierre Mardaga . 3éme édition . Bruxelles 1986 .

8- الحجر المنجد أو المنضد أو المشذب كلها مصطلحات يقصد بها الحجر المنحوت.

ثم تأتي من بعد هذه المادة مادة أخرى لا تقل أهمية بل و كانت من بين أهم المواد المعروفة في العمارة الاسلامية و هي **الطّوب** تعتبر هذه المادة من أقدم المواد المصنعة المستعملة في العمارة [1]، وقد عرفت منذ العهود القديمة . فاستعملت بشكل واسع في بلاد الرافدين والفراعنة و أخذها عنهم الإغريق[2] . و هذا لما تتوفّر عليه من مميّزات و خصائص ساعدت على انتشار هذه التقّنية خاصة كونها تعتبر عازل حراري جيد ، لذا يكثر استعمالها في البنايات بالمناطق الصّحراوية .

تنقسم مادة الطّوب الى نوعين فهناك الطّوب البسيط و يحتوي على تربة طينية من (13-20) % ، تربة غرانيتية (7-12) % و تربة رملية من (4-6) % [3]، و هناك الطّوب المركّب الذي يتكّون من الطّوب البسيط يضاف له التّبن أو القصب أو سعف الجريد أو الحصى وهذا أثناء صناعته و الغرض من ذلك هو رفع درجة تماسكه .

يتمّ تحضير الطّوب المجفف في الشّمس بخلط مادة الطّين الخام مع الماء والرّمل فقط إذا كانت من النّوع الضّعيف ، في حين يضاف لها التبّن أو سعف الجريد أو الحصى للتّقليل من دسمها و يزداد تماسكها[4]. يدلك الخليط جيدا بالأرجل و يقلب بالمعول حتى يذوب ويصبح عجينة طريّة ومتماسكة ، بعدها يصبّ في قالب خشبي مستطيل الشّكل بدون قاعدة مهيأ لهذا الغرض و يسويه العامل إما بالأيدي أو بآلة مهيأة ثم ينزع القالب بخفة حتى لا يؤدي ذلك الى اعوجاج الطّوبة المصنّعة وتطرح في مكان مستوى معرض لأشّعة الشّمس بضعة أيام حتى تجفّ و تكتسب صلابة و متانة [5]، عندها تصبح صالحة للاستعمال . كما يفضل أن تكوّن فترة صناعة الطّوب في الأيام الغير ممطرة (فصلي الرّبيع والخريف) ولا يفضل صناعته في الصيف حتى لا يجف بسرعة و يتشقق[6] . و يعتبر الطين المجفف تحت الشمس من المواد الغير موصلة ، فهو يحتفظ بالحرارة طول النّهار و ينشرها ليلا و ذلك يعود لضعف مقاومته الطّبيعية و المقدّر ب 0.22 حريرة لكل دقيقة/سم2 [7].

1- استعارت اللغتان الفرنسية والانجليزية هذه الكلمة (Adobe) من اللغة الاسبانية والتي أخذتها بدورها من اللغة العربية . و قد عرف استعمال هذه المادة في المناطق الجافة والنصف الجافة خاصة في إفريقيا الشمالية . المكسيك. الجنوب الغربي للولايات المتحدة الأمريكية .

2- **Adam(J.P)** . La Construction Romaine .Matériaux et Techniques .Grande Manuelle Picards. Paris. S.D .p63.

3- **Clartés (T)**. Métiers et Techniques.Encyclopédie du Présent. Paris 1987. PP70-80

4- **حملاوي علي**. نماذج من قصور منطقة الاغواط . الجزائر 2006.ص288.

5- **LEHUREAUX (L)** – Le Sahara Algerien. Alger.1937.P 47.

6- حملاوي علي : نفس المرجع السابق . ص 290..

7- **Fathy (H)**. Construire avec le peuple . Sinbad. Paris 1970.pp90-91.

يعتبر أبو العرّب[1] من الأوائل الذين أشاروا الى استعمال هذه التّقنية ، أي إدخال التّبن أو غيره في تركيبة الطّوب بالمغرب في سياق حديثه عن أبي الوليد مروان بن أبي شحمة المسيلي حيث يقول " **لقد حدّثني عبد الرّحمان و ابنه أنه كان يعمل بيده الطّوب فيتصدق بثلث ما يربح فيه و ينفق ثلثا على عياله و يرد ثلثا في التّبن و ما يصلح به عمل الطّوب ...**" [2] . ومن هذا نستنتج بأن من المواد الضّرورية في صناعة الطّوب مادة التّبن التي تكاد تكون ضرورية دون سواها و ذلك لما توفّره من تماسك و ربط بين أجزاء الطّوبة الواحدة ، وقد اختلف استعمال هذه المادة من منطقة الى أخرى حسب توفّرها ، فأستعمل بدلا منها فضلات الحيوانات والحلفاء وسعف النّخيل و ألياف الكرناف وحتى الحصى [3] . و هناك من العلماء من يرى أن هذه التّقنية دخلت بلاد المغرب من سوريا أثناء العهد الأموي (41-132هـ/662-750م). [4]

اقليم توات كغيره من الأقاليم الصّحراوية استعملت فيه هذه المادة بشكل واسع في تشييد العمارة (صورة50) ، و كانت المادة المهيمنة و الطّاغية على باقي مواد البناء لتوفّرها وسهولة صناعتها ، و هذا لتوفّر مواد تصنيعها ، وسهولة الحصول عليها ، و هي من المواد المحبذة في بناء القصور التّواتية لما توفّره من تناسب في درجة الحرارة خاصة . في هذا الأقليم رأينا أن لها طريقتان في التّحضير ، حيث بعد تحضير العجينه المتكونّة من الطّين والتّراب والماء و كذا مادة الرّبط من قشّ او حصى او ليف الكرناف اما أن تحضر الطّوبة باليد اين يقوم الشّخص العامل بوضع العجينة المحضرة على الأرض ثم يقسمها بمقدار اليدين ثم يقوم بقولبتها بيديه اللتيّن تكونا متقاربتان في الأعلى و متباعدتان في الأسفل و يتركها بعد ذلك تجف و يدعى هذا الشّكل بطوبة اليدين و هي اقرب شكلا بالمثلث و هي اسرع تحضيرا من الطّريقة الثّانية و هي طريقة القالب التي يتم تحضير الطّوب

بها و التي تتميز عن الأولى بالشكل المنتظم والمتساوي للطوب و الذي يسهل عملية تناسق البناء و يقلل من استعمال مادة الميلاط .

1- ابوالعرب . هو محمد ابن احمد بن تميم ، فقيه وشيخ من أهل القيروان ولد مابين 250 هـ الى 260 هـ ، 170-احترف التعليم ، توفي سنة 333 هـ من مؤلفاته طبقات علماء افريقية ، فضائل مالك .

2- **أبو العرّب تميم** . طبقات علماء افريقية و تونس . تقديم وتحقيق علي ألشابي ونعيم حسين أليافي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، ص 200 .

3- **الطين المزوج بالحصى** ، استخدم كمادة لاحمة في الأسوار أو الحيطان و هذه التقنية ملاحظة كثيرا في البناءات الصحراوية خاصة في القصور (قصر بني يزقن بغرداية ، قصر تاويلة بالاغواط ....) .

4- **MARCAIS.(G) .** L'Architecture Musulmane d'Occident Tunisie . Arts et Métiers graphique. Paris Maroc . Espagne Sicile .1954 . p 40 .

الا ان هاتين المادتين اللّتان سبقا ذكرهما لا بد لهما من رابط يصل بينهما ويربطهما جيد و يغطي الفراغات التي تكون بينها ، وأول هذه المواد وهي معروفة منذ القديم ، و قد عرفت استعمالا واسعا في شتى المجالات ، فبنيت بها جدران المباني بمختلف أنواعها وغطيت بها أجزائها ، و قد استعملت في ربط وتماسك الحجارة أو الطّوب كما هو الحال في اقليم توات حيث كانت مادة الطّين هي مادة الميلاط الرّئيسية .

هذه المادة هي عبارة عن صخر متماسك يتألف من الصّلصال و مشتقاته ، وقد يحتوي على أنواع مختلفة من المعادن[1]، التي تضفي على مادة الطّين ألوانا مختلفة كاللّون الرّمادي ، الأسود ، الأصفر ، الأبيض ...[2]. و تمتاز هذه المادة كونها عازلة و طيعة ويسهل تشكيلها ، لأنها تمتص نسبة عالية من الماء تقدر الى 60 % من وزنها [3] ، وهي نوعين فمنها الطّينة الدّسمة و منها الضّعيفة ، و ينتج كليهما من جراء عوامل كيمائية كالأكسدة أو عوامل ميكانيكية كالاختلاف في درجات الحرارة و الرّطوبة و عوامل الحتّ[4]. ويصنع من الطّين الطّوب المجفف في الشّمس . ثم تأتي من بعد هذه المادة مادة أخرى أقل استعمالا من نظيرتها وهي مادة <u>**الجبس**</u> هذه المادة قليلة الاستعمال بأقليم توات اللّهم ما كان منها بقصد الزخرفة في بعض مساجد وزوايا الأقليم بمنطقة تمنطيط كمسجد قصر اولاد محمد ، كما تستعمل في بعض الأحيان كمادة لاحمة في بعض الجدران و قد تستعمل في تكسيه و فرش الأرضيات و بناء الأسقف في أماكن أخرى . و مادتها الخام نادرة بالأقليم الا أنها معروفة لديهم و لا يستعملها الا أولي الشّأن في الأقليم كالمشايخ و القضاة و كبار التّجار ، لذا باتت قليلة .

الجبس أو الجصّ معروف منذ القديم و تفرقت مجالات استعماله فمنها ما يستعمل في البناء و آخر في الزّخرفة . و قد عرفه واستعمله النّاس في البناء منذ عصر الفراعنة بمصر، و حضارة وادي الرّافدين ، و انتشر استعماله عند السّاسانيين ، و منهم انتقل إلى المسلمين حيث استعمله

-1 **نقولا نقاش** . " الآجر" دائرة المعارف . بيروت . 1956. م1 . ص 77 .

-2 **حملاوي علي** . نفس المرجع . ص 288 .

-3 **التوني يوسف** . معجم المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي . بيروت 1977. ص 336 .

-4 **OLIVIER (E)**. Matériaux de construction . T2 . 6EME édition . Paris . 1978. p 16

الأمويون في قصر الحير الغربي(109 هـ/ 727 م) [1] ، و العباسيون في الجامع الكبير بسمراء[2] وفي مختلف أبنيتهم و قصورهم بسمراء ، و استعمله الطّولونيون في مسجد احمد بن طولون [3]، و الفاطميون في جامع الأزهر[4]، و اتبعهم الأيوبيون و المماليك في مصر ، و الشّام بنفس الأساليب الفاطمية في 15م . كما هو الحال في مسجد الظّاهر بيبرس[5] كما زينت به الأضرحة ، و المدارس ، و بالموازاة مع المشرق عرف المغرب الإسلامي و الأندلس الجبس ، واستعملوه في مختلف أبنيتهم ، وبرعوا فيه حتى بلغ عندهم أرقى درجات الإبداع ، و قد وجدت نماذج منه في الحظائر العباسية الأغلبية والفاطمية ، والقلعة الحمادية ، كما استعمله الموحدون في تلبيس الجدران داخل المباني ، وواجهات الحصون، والأبنية[6] ومن نماذجه البديعة تلك التي كانت تزين القصور التي أنشأت في بلاد الاندلس على مر الفترات الاسلامية المتعاقبة في حكم هذه البلاد

-1 عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص429 .

-2 الجامع الكبير بسمراء او جامع الملوية نسبة الى منارتة الفريدة بناه الخليفة العباسي المتوكل على الله ابن الخليفة المعتصم بالله بين عامي 234-237هـ/848-851م .

-3 هو ابو العباس احمد بن طولون (220-270هـ/835-884م) كان واليا للعباسيين على مصر ثم استقل عليهم و اسس ما عرف بالدولة الطولونية في مصر والشام (254-268هـ)-(868-884م). و من اهم منجزاته انشاء مدينة القطائع واتخاذها عاصمة له وبناء مسجده المعروف بأسمه بمدينته الجديدة سنة 263هـ-877م و اصبح بذلك ثالث مسجد جامع بني بالقاهرة بعد جامع عمر بن العاص الذي بني في الفسطاط و جامع العسكر الذي بني في مدينة العسكر .

-4 **جامع الأزهر** (361 - 359) هـ(- 972 - 970) م هو من أهم المساجد في مصر ومن أشهر المساجد في العالم الإسلامي .وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف سنة، وقد أنشئ على يد جوهر الصقلي عندما تم فتح القاهرة 970 م، بأمر من المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر،

وبعدما أسس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر، ووضع الخليفة المعز لدين الله حجره الأساس في 14 رمضان سنة 359 هـ970 - م، وأتم بناء المسجد في شهر رمضان سنة 361 هـ 972 - م، ويعتبر وهو أقدم أثر فاطمي قائم بمصر .وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، والراجح أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

5- شرع الملك الظاهر بيبرس في إنشاء هذا الجامع سنة 665 هـ في ميدانه الذي كان يلعب فيه الكرة، وأكمله سنة 667 هـ، وجعل باقي الميدان وقفًا على الجامع ويعتبر من أكبر جوامع القاهرة حيث تبلغ ابعاده 106/103م و قد ورد ذكر هذا الجامع في كتاب المقريزي ، .ولما جاء الفرنسيون إلى مصر، ركّبوا فيه المدافع واتخذوه قلعة، ثم تحول في عصر محمد علي إلى معسكر لطائفة التكارنة السنغالية، ثم إلى مصنع للصابون وأخيرا تحول إلى مذبح في عهد الاحتلال الإنجليزي،و لم يبق منه اليوم الا حيطانه الخارجية وبعضا من تفاصيله الزخرفية سواءا الحجرية او الجصية ، وفي سنة 1893 اهتمت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح الجامع ومحاولة إرجاعه إلى مهمته الأصلية .

6-MARÇAIS(G.*)*, L'Architecture musulman D'occident, Tunisie,-
Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et métiers graphiques, Paris. 1954, p40.

فهناك بركة قصر الحمراء[1] ، و الزّهراء[2] بقرطبة(3 هـ / 9م) . وكانت من تقاليد ذلك الفن تغطية الجدران الدّاخلية - أعلى الزّليج - بالجص الذي نقشت فيه شتى أنواع الزّخارف الهندسية والكتابية ذات التّظفير ، التي يغلب عليها التّوريق المتقابل داخل عقود قائمة على أعمدة دقيقة من الجصّ ، و لعب فن الجصّ المغربي دورا حاسما في فن الجمال الزّخرفي بحسن تقسيمه وتنوّع أساليبه ، وما اشتمل عليه من عبارات أدبية ، وأبيات الشّعر الرّقيق ، بالإضافة إلى النّصوص الدّعائية والقرآنية ، وكذلك النّصوص التّأسيسية ، كما هو الحال في نصوص مدرسة سلاّ [3]التي تدور على الجدران والأعمدة .

و الجبس أو الجبص أو الجصّ من مواد البناء ، يتحصّل على هذه المادة عن طريق حرق صخر رسوبي يدعى الجبس [4]. و تتمّ هذه الطّريقة باستخراج الحجارة الرّسوبية وتكون على شكل صخور والتي توجد بطريقة أفقية على عمق لا يتجاوز 01 متر من سطح الأرض و يطلق عليها في جلّ المناطق الصّحراوية اسم التّافزا . مناطق الحفر هذه عادة ما تهيأ بجانبها أفران لغرض حرقها تحت درجة حرارة تقدر بحوالي 140 درجة مئوية حيث تطحن في مطاحن خاصة بهذا الغرض[5] معطية مسحوقا رمادي اللّون سهل للبناء أو التّسويق[6]. إلا أن هذه الطّريقة أصبحت مفقودة في أيامنا هذه كونها أصبحت مكلّفة و غاية في العناء ضف الى توفر مصانع تفي بهذا الغرض . كما أن أغلب المناطق الصّحراوية تطلق على هذا المسحوق مصطلح التّمشمشت .

1- **قصر الحمراء** شيده الملك أبو عبد الله محمد الأول **محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن الأحمر** بين 1238-1273 م في مملكة غرناطة . وقد اختلف العلماء حول تسمية هذا المعلم تسمية هذا المعلم البارز باسم قصر الحمراء، فهناك من يرى أنه مشتق من بني الأحمر، وهم بنو نصر الذين حكموا غرناطة بين عامي(897 - 629 هـ/1492 – 1232 م)، بينما يرى آخرون أن التسمية تعود إلى التربة الحمراء التي يمتاز بها التل الذي تم تشييده عليها. من التفسيرات الأخرى للتسمية أن بعض القلاع المجاورة لقصر الحمراء كان يُعرف منذ نهاية القرن الثالث الهجري، الموافق للقرن التاسع الميلادي؛ باسم المدينة الحمراء.

2- **الزهراء** مدينة أندلسية مشهورة، تبعد عن قرطبة 13 كم. تشتهر بعمارتها وما استخدم فيها من الذهب والرخام قام ببنائها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله(300-350هـ) ، انطلقت عمليات البناء لهذه الضاحية الملكية سنة 325 هـ /936م وقد بناها لتماثل قصور دمشق العاصمة الأموية القديمة، وازدهرت لنحو 80 عاماً، ثم هجرها أهلها من جند قرطبة خلال ثورة الأمازيغ.

3- **المدرسة المرينية بسلا**، او **مدرسة أبو الحسن المريني**، مدرسة الطالعة، هي مدرسة أسسها السلطان المريني أبو الحسن المريني سنة733هـ- 1341م على حسب اللوح المنقوش الموجود على القوس الحجري بالمدخل . وكانت المدرسة تدرس أصول الفقه والآداب واللغة والفلسفة والطب والحرف الصناعية، وبلغ عدد أساتذتها في أوج ازدهارها 100 أستاذ. ومن أشهر العلماء والمشايخ الذين مروا من هذه المدرسة لسان الدين ابن الخطيب وعبد الله مغيث وأحمد بن عاشر . وهي واحدة من أصغر المدارس التاريخية بالمغرب حيث لا تتجاوز مساحتها 180مترا مربعا .

4- مصطلح الجبس موجود بنفس التسمية في اللغة الفرنسية(**Gypse**) ، وهو يعني الصخر الرسوبي الذي يستخرج منه الجص .

5- **عبد العزيز لعرج** : المرجع السابق. ج2. ص 661 .

6- **André Roger** (V). Le Souf . Alger .2003. p.164.

و لهذه المادة خاصية المقاومة الشّديدة للعوامل الطّبيعية و هي تضمن البقاء لمدة أطول[1].و يرجع استعمالها الواسع الى تميّزها بقدرة حرارية تساعدها على التّقليل من حدة درجة الحرارة نهارا و تمنع تسربها داخل البيت لفترة طويلة [2]، بحيث أن هذه المادة تعمل على انعكاس أشعة الشمس خاصة الجير الأبيض أو التّمشمشت وغيرها[3]. و هناك مادة أخرى تشبه في استعمالاتها مادة التّمشمشت و تدعى بالتّاغوري إلا أنّها أقل جودة منها . وهي عبارة عن تربة تشبه مادة التّوف[4]، وهي تستعمل خاصة في البناء و التّلبيس .

كما أن درجة الحرارة التي يتم فيها حرق الصّخور الرّسوبية لها دور فعال في نوعية الجبس فنجد أن الجصّ العادي الذي يستعمل في البناء أو صناعة الملاط يتحصّل عليه عند درجة (130-160) درجة مئوية، بينما عند درجة (170-250) تعطي جص سريع التّصلب و الذي يستعمل خاصة في صناعة القوالب الجصية المزخرفة كما ورد عن ابن خلدون فيقول " **...و من صنائع البناء ما يرجع الى التّنميق و التّزيين .كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يعمر بالماء ثم يرجع جسدا و فيه بقية البلل فيشكل على التّناسب تخريما بمثاقب الحديد الى أن يبقى له رونق و رواء ...**"[5]. من 600-900 دم° ، يعطي جص غير فعال أو ميت كونه لا يتصلّب عند إضافة الماء له و هو يسمى بالجير بنوعيه المائي و الهوائي و تستعمل هذه المادة كملاط لاحم ٍأو في طلاء الجدران الخارجية للبيوت أو أطر المداخل و هذه المادة معروفة منذ القديم فقد بينت

الحفريات المقامة في بلاد النيل أن هذه المادة استعملها الفراعنة في بناءاتهم منذ أكثر من ستة الآف سنة [6].

-1 - **Claret (T) ;** Opcit. Pp 70-80.

-2 -**Arbaoui (A).** L'Aménagement Urbain dans les régions arides du sud Algérien. Considération climatique .Les cahiers de L'EPAU. 7/8-10/98. p 43

-3 - **Donnadieu.(C).** Opcit . pp 109-110.

4- مادة التوف تحمل نفس التسمية باللغة الفرنسية (TUF) وهي صخر مسامي يتجمع من حمم البراكين أو التربة المسامية و يحتوي على كربونات الكالسيوم .

4 - **عبد الرحمان ابن خلدون** . نفس المرجع. ج2، ص ص 388-389 .

-6 Meunier A ; Technologie prfessionelle de construction , Les materiaux de construction , édition foucher , Paris , 1970 , p 57 ,

كما استعملها المسلمون كذلك وقد أشار ابن خلدون الى كيفية استعمال هذه المادة بقوله "... **و من صنائع البناء أن تجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء و يخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه من إفراط النارية المفسدة للالحام** ..."[1]. عند 1100دم° تعود الى مادة الجبس قدرة التّصلب لكنّها تكون بطيئة بحيث تدوم من 5ساعات الى 20 يوما لتصبح بعد ذلك نسبة تصلّبه عالية جدا . كما أن ملاط التّمشمت الذي يتحصّل عليه بإضافة كمية من الماء يتميّز بالصّلابة الى جانب كونه سريع الجفاف و سريع التّأثر بالرّطوبة [2] ، و هو ملاط يكسب أسطح الجدران و العناصر المعمارية ملامح من الخشونة على هيئة حبيبات ناتئة[3]. و يعود ذلك الى عدم سحقها جيدا كي تصبح غبرة ، كما يمنح لها لون أمغر تشوبه حمرة . ومن مميزاته أنه إذا كان سمك طبقة الجصّ يبلغ 10 ملم فهو يوفّر حماية لمدة 30 دقيقة تحت درجة حرارة تبلغ 800دم° في حين توفّر طبقة سمكها 40 ملم الحماية لمدة 40 دقيقة تحت درجة حرارة 1100دم° [4] . وقد عرفت مادة التّمشمت في الكثير من مناطق الجنوب الجزائري كالمنيعة ، متليلي و قصور ورقلة و الاغواط وبسكرة [5].

و يمكن المزج بين الطّين و الجبس بواسطة لتعطين مادة لاحمة تدعي **بالملاط** و هو عبارة عن خليط متصلّب من مادة لاحمة ، تتكون من حبيبات دقيقة من الرّمل و الطّين والماء و أحيانا يستعمل التّراب الأحمر. و يدعّم الكلّ بإضافة مادة الجير و هو يستعمل في الأعمال النهائية للمبنى كتكسية المباني و تسوية الأرضيات . و يتحدث ابن خلدون عن مادة الملاط قائلا " .. **فمنها البناء بالحجارة أو الآجر يقام بها الجدران ملصقا الى بعضها البعض بالطّين و الكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد** ." [6] هذه المادة لها دور كبير في تماسك البناء كما أنها تمثّل النّقطة الأكثر ضعفا في البناء ، لذا كانت العناية بها كالعناية بالبناء .

---

1 - عبد الرحمان ابن خلدون . نفس المصدر . ص 388.

2-**Mercier(M)**. La Civilisation au MZAB .Imprimerie administrative et commerciale. Emile pfister. Alger.1922.pp304-330

3 - تكتسب هذه الكسوات أهمية بالغة لدى الأثريين ، فكثيرا ما تكون قرينة أثرية بواسطتها يمكن تحديد الترميمات التي أجريت على المنشآت المعمارية الأثرية .

4 **Olivier (E)**;Op cit. T2. p 113.

5- حملاوي علي . قصور منطقة جبال العمور(السفح الجنوبي). من القرن 16-19م دراسة تاريخية أثرية . رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية . قسم الآثار . كلية العلوم الإنسانية . جامعة الجزائر . ص191.

6 - عبد الرحمان ابن خلدون . نفس المرجع .ج2. ص 388 .

إن نسبة مادة الملاط تختلف باختلاف مواد البناء ، فعند البناء بالدّبش المنتظم فكمية الملاط تكون الى 0.40م^3 بينما عند البناء بالدّبش المنحوت أو الآجر فهي تتراوح بين 0.25 م^{3}و 0.30 م^3 في حين عند البناء بالحجارة المصقولة فالنسبة تصبح ضئيلة بحيث تتراوح بين 0.08 م^{3}الى 0.10 م^3 [1]. وتميّز مادة الملاط أنها مادة لاحمة وسريعة التّصلب ، مقاومة للضّغط و غير مسامية ماصة للرّطوبة ، كما أنها تلعب دورا هاما في تسويّة المساحات الغير منتظمة .

و هناك نوعان من الملاط أحدهما يدعي الملاط الطّيني ، و يتركب هذا النّوع من تراب طيني تضاف له كمية من الرّمل و يضاف لهما الماء و يمزجا جيدا ، ويستعمل هذا النّوع خاصة في ألحام الجدران المبنية من اللّبن الطّيني (الطّوب) . كما يضاف له أحيانا فتات من الفخار ، و من مميزاته أنه قليل التحمّل للتّأثيرات المناخية خاصة الأمطار . هذا النّوع من الملاط مستعمل كمادة اللّحام الرّئيسية المستعملة في بناء الجدران بأقليم توات خاصة وأن مادة الطّوب هي المادة الرئيسيّة في

البناء ، وهناك نوع أخر من الملاط أستعمل خاصة في بناء الأساسات المبنية من الحجارة الغير مصقولة ، و هو يختلف في تركيبه عن الملاط الطّيني بحيث أنه يحتوي زيادة عن المواد المكونة للملاط الطّيني مادة الجير ، لذا يطلق عليه اسم الملاط الجيري ، و لا يستعمل في أي حال من الأحوال الجير وحدة كمادة لاحمة إلا في حالات يكون فيها الملاط رقيق جدا . و يعود إضافة القطع الفخاريّة بدلا من الحصى كون أن قطع الفخار قبل استعمالها توضع في الماء لفترة حتى تكسب نسبة عالية من الرّطوبة تترك الملاط يكسب مقاومة أكبر . كذلك وحتى يكون الملاط ذو تماسك جيد يجب مراعاة نسبة مادة الجير فيه مقارنة بالمواد المكونة الأخرى وهذا لملأ الفراغات التي تتراوح من 18-35 % من الحجم الإجمالي للملاط على حسب حجم حبيبات الرّمل [2]. و قد أكتسب البناءون في المنطقة كغيرهم في باقي المناطق الطّريقة المثلى والبسيطة للحصول على أفضل تقدير بين هذه المواد وذلك بطريقة التّحضير في الإناء [3] .
في اقليم توات نجد أن هناك نوعا خاصا من الملاط يتكون أساسا من التّراب الذي يميل الى الحمرة وهو متوفر بالمنطقة استعمله السكان بكثرة ، إضافة الى أنواع أخرى من الملاط متكونة اساسا

2 -**Nachtergal** .(**C**). Agenda du Bâtiment . Bruxelles . 1984. P35.
2 - **Bazin (CH**). Encyclopédie de L'Architecture et de la Construction .Vol 5.Paris , nd ,p 733

3 - طريقة التحضير في الإناء تتم بوضع التربة الطينية و الرمل وفتات الفخار في إناء كبير أو برميل و يضاف إليهم حليب الجير حتى يملأ ، فنجد بذلك أن حجم الفراغات يعادل حجم الماء المسكوب .

من مادة الطّين و الكلس ، هذا النّوع من الملاط يختلف باختلاف طرق تحضيره من حيث الاستعمال ، حيث يمزج التّراب الأحمر بكمية مناسبة من الماء بعد عملية المزج يصبح كالعجينة ، ويستخدم هذا النّوع كمادة ربط في بناء الأسوار و الجدران . و نفس التّراب تضاف له كمية أقل من الماء حتى يسهل دكّه و يستعمل خصوصا في أرضية البيوت و الأسقف ، وهناك نوع آخر تضاف كمية كبيرة من الماء لنفس المادة حتى يصبح كالغراء و يستعمل لتسوية الأرضيات حتى تصبح ملساء أما النّوع الأخير فيستعمل فيه تراب أقل جودة من التّراب الأول و يعوّض هذا النّقص بإضافة التّبن أو الحصى و في بعض المناطق تضاف فضلات الحيوانات الى هذا المزيج مع كمية من الماء ويستعمل في تكسيّه الجدران . عموما فان هذه التّركيبات من الملاط تختلف عن تلك التي تم استعمالها في العالم الإسلامي فالملاط فيها يتركّب من التّراب و الكلس و الرّمل [1] .
و يرجع استعمال هذا النّوع بكثرة في الواحات الصّحراوية كواحات توات و ميزاب و المنيعة و

سوف نظرا لتوفر التّربة الصالحة لتحضيره و كذا عدم تكلفته ، لذا نجده رائجا عند العامة من النّاس و **الرّمل** المزوج مع الملاط مادة عرفها الإنسان و استعملها في مجال البناء و صناعة الفخار و الزّجاج منذ القديم . و هي مادة مضافة لا تستعمل وحدها . يتحصّل عليها من ترسبات الأودية ، و يعود مجال استعماله في البناء و ذلك بعد تصفيته من الشّوائب في تلبيس الجدران و الزخرفة فيها حيث يخلط الرّمل النّاعم بمادة الجير و يستعمل للتّلبيس الدّاخلي لجدران المساكن أما الخشن منه فبعد خلطه بنفس المادة يستعمل كفراش لأرضيات المباني [2] . و هذه المادة متوفرة بأقليم توّات و سهلة المنال . يضاف الى ما جاء ذكره من مواد بناء مادة **الخشب** ، وهو من المواد المتحصّل عليها من الطبّيعة ، و يعتبر ذا استعمال واسع سواء في البناء أو التّجهيزات أو كمصدر أساسي للطاقة . و مازالت تحتل المرتبة الأولى في كثيرا من مناطق العالم كمادة أساسية في العمارة ، خاصة في المناطق التي تكثر فيها الثّروة الغابية . حيث نجدها في السّقوف و الأبواب و الرّكائز وحتى الجدران ، وقد تكلم ابن خلدون عن هذه المادة بقوله "**... ذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات منافع تكتمل بها ضروراته ، و كان منها الشجر ،**

1- **Revault** (J). **Galvin** (L) et **Amhan** (A). Palais et demeures de Fès - . T1. Epoque Mérinide et Sadienne (XIV-XVII) siècle . C.N.R.S . Paris.1985. . p71.

2 **MANUEL ROCHE**. Le M'Zab Architecture Mozabite .Ibadite en Algérie . Paris. 1970.p76

... فان له فيه من المنافع مالا ينحصر مما هو معروف لكل واحد ... فأهل البادية يتخذون منه العمد و الأوتاد لخيامهم ، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم ، والاغلاق لأبوابهم "[1] .

يعود استعمال الخشب كمادة بناء إلى عهود بعيدة في التاريخ لما له من خصائص بالغة ، فهو يتميز بقوة احتمال كبيرة ، و منتظمة ، ومقاومة الشد ، والضغط ، وسهولة تصنيعه، و تشكيله ، وصقله[2]، وكان استخدام المسلمون لهذه المادة في عدة مجالات أحيانا لا ينفصل عن المباني ، مثل الأسقف ، كسقف جامع سيدي الحلوي المريني[3] ، وجامع أبي الحسن [4] ، والقباب ، والأعمدة ، والمسانيد الخشبية ، والأبواب ، و قد بقي منها العديد من الأمثلة في العالم الإسلامي ، و استعمل في المحاريب كمحراب مشهد السّيدة رقيّة و[5] السّيدة نفيسة بالقاهرة[6]

1- ابن خلدون . نفس المصدر. 207 ص 388.
2- **يونس محمد خنفر**، المرجع السابق ، ص(165 - 166).
3- ينسب هذا المسجد الى الشيخ العالم ابي عبد الله الشوذي الذي تولى القضاء في اشبيلية ، وبعد سقوطها توجه الى تلمسان وكانت انذاك عاصمة للزيانيين سنة 1266م و عاش بها يقتات من بيع الحلوى و لقب بالحلوي متفرغا بذلك للعلم والفقه ، يحمل مسجد سيدي الحلوي مميزات العمارة المرينية بتلمسان، يشبه كثيرا مسجد حسان بالرباط ومسجد قرطبة ، وقد أمر بتشييد هذا المسجد السلطان المريني ابو عنان سنة 745ه/1353م تكريما لهذا الامام الاندلسي الورع.للمزيد انظر : **بورويبة**، ' الفن الديني الإسلامي بالجزائر، الجزائرSNED : ، .1983 ص.185. **ج. مارسي**، ' الهندسة المعمارية للغرب الإسلامي'، تونس، الجزائر، المغرب وإسبانيا وصقلية.باريس : الفنون والحرف التصويرية، عام 1957.ص 44. **ج. مارصي.** فهرست ' الفن المعاري وتونس والجزائر والمغرب وأسبانيا وصقلية وباريس : أ بيكار، 1926. ص 165. **ج. مارصي**. الآثار العربية تلمسان، باريس : أ. فونتموانغ، 1905.ص 203 . **بارجس**، تلمسان العاصمة القديمة لمملكة ذات نفس الاسم. باريس : دوبراة، 1859 ص.142.
4- بني هذا المسجد بتلمسان سنة 1296م تخليدا لذكرى الامير ابي ابراهيم بن يحي يغمراسن بعد وفاته كما تشير الى ذلك الكتابة المنقوشة على لوح من المرمر المنصوبة على الجدار الغربي لقاعة الصلاة . يعتقد ان الاسم الحالي للبناية جامع ابي الحسن انبثق من اسم القاضي والعالم الشهير ابي الحسن بن يخلف التنسي الذي مارس القضاء في فترة حكم السلطان ابي سعيد عثمان 1283-1303م فترة حكم بني عبد الواد . وقد حول حاليا عن وظيفته الاصلية وبات متحفا .للمزيد انظر **رشيد بورويبة** : فن الدين الاسلامي في الجزائر ، الشركة الوطنية للكتاب .1981.ص 108-129..
5- **مشهد السيدة رقية**، هو أحد المساجد التي انشئت في العصر العثماني في مصر على يد الأمير عبد الرحمن بن حسن جاويش القازدغلي الذي اشتهر باسم عبد الرحمن كتخدا، كتخدا مصر أي حاكم مصر ، يقع مشهد السيدة رقية بجوار البوابة الموصلة إلى السيدة نفيسة بالقرب من جامع شجرة الدر .هو في الاصل مسجد فاطمى صغير يسمى مسجد الاندلس بنى في عهد الخليفه الفاطمى الحافظ لدين الله . يوجد تابوت خشبي عليه كتابه بالخط الكوفى تقول " هذا الضريح السيده رقيه بنت امير المؤمنين على بن ابي طالب و امر بعمل الضريح جمه الكريمه الآمريه على يد السنى ابو تراب حيدره بن ابي الفتح فى سنه 533 هجريه" .

6-مسجد السيدة نفيسة 1314 هـ/ 1897م. السيدة نفيسة هى بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولدت بمكة ونشأت بالمدينة، وقدمت إلى مصر في سنة 193 هـ/ 809م وأقامت بها إلى أن توفيت في سنة 208 هـ/ 824م حيث دفنت في منزلها وهو الموضع الذى به قبرها الآن والذى عرف فيما بعد بمشهد السيدة نفيسة،.ويقال إن أول من بنى على قبرها هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر. وفى سنة 482 هـ/ 1089م أمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله بتجديد الضريح كما أمر الخليفة الحافظ لدين الله في سنة 532 هـ/ 1138م بتجديد القبة. وفى سنة 714 هـ/ 1314 أمر الناصر محمد بن قلاوون بإنشاء مسجد بجوار المشهد وفى سنة 1173 هـ/ 1760م جدد الضريح والمسجد الأمير عبد الرحمن كتخدا حاكم مصر . ولما أتلف الحريق قسما كبيرا من المسجد في سنة 1310 هـ/ 1892م أمر الخديو عباس باشا الثاني بإعادة بنائه هو والضريح وتم ذلك في سنة 1314 هـ/1897م وهو المسجد القائم الآن بالحى المعروف باسمها.انظر **حسن زآبي**، فنون الإسلام، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان، 1981 ، ص (118-119).

بالإضافة إلى تلك المجالات فقد استخدم في إنتاج تحف منقولة منفصلة عن العمارة مثل المنابر كمنبر جامع القرويين بفاس[1] ، و منبر جامع الكتبية بمراكش[2] . تشكّل شجرة النّخيل المورد الأساسي لمادة الخشب للسّكان في المناطق الصّحراوية [3] . بحيث تعتبر الزّراعة الرئيسية في هذه المناطق [4] . و قطعها واستعمالها في مجال البناء لا يكون إلا بعد أن تصبح النّخلة عاجزة عن الإنتاج أو بعد موتها [5] . وتستعمل كل مكونات النّخلة في البناء كون أنسجتها متلاحمة ومقاومة [6]. فتصنع من الجذوع العوارض و الأبواب و النّوافذ و الميزاب و السّلالم و حتى الجسور ، أما الأجزاء الأخرى كاللّيف و الكرناف والجريد فتستعمل بصفة خاصة في تسقيف المباني[7] . أن جذوع النّخل تستعمل في بناء الأسقف المسطّحة كعوارض و يتم ذلك بعد تهيئتها بحيث يقطع

الجذع طوليا و يقسّم الى جزئين أو أربعة أجزاء متساوية و هذا يرجع الى حجم الجذع في حد ذاته ، ثم تترك تحت أشعة الشّمس لمدة حتى تجف تماما . و من ثم تصبح صالحة للاستعمال[8] . أما الجريد فتتم تهيئته بنزع السّعف منه ومن ثم يتم تشبيعه بالماء ليبيت صالحا لصناعة ما يصطلح عليه بالسّدة ، هذه الأخيرة عبارة عن لوح خشبي يوضع فوق العوارض حتى يمنع سقوط الأحجار و الأتربة من السّقف معطيا رونقا و جمالا وسندا للسّقف .

---

1 - **جامع القرويين** أو **مسجد القرويين** هو جامع في مدينة فاس المغربية "وتم الشروع في بناء الجامع في الأول من رمضان 245 هـ الموافق 30 نوفمبر 859م بمطالعة العاهل الإدريسي يحيى الأول، وأن أم البنين فاطمة الفهرية هي التي تطوعت ببنائه وظلت صائمة محتبسة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شكرا لله"، .وكان أهل المدينة وحكامها يقومون بتوسعة المسجد وترميمه والقيام بشؤونه. ولقد أضاف الأمراء الزناتيون بمساعدة من أموبي الأندلس حوالي 3 آلاف متر مربع إلى المسجد وقام بعدهم المرابطون بإجراء توسعة أخرى. و قد سمي الجامع بالقرويين نسبة إلى القيروان لا تزال الصومعة المربعة الواسعة في المسجد قائمة إلى الآن من يوم توسعة الأمراء الزناتيين عمال عبد الرحمن الناصر على المدينة، تعد هذه الصومعة أقدم منارة مربعة في بلاد المغرب العربي.

2 بني **جامع الكتبية الأول** من طرف الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي الكومي و هذا سنة (541هـ- 1147م) على أنقاض قصر الحجر المرابطي ، أما المسجد الثاني فقد تم بنائه في سنة (550هـ-1158م)، يقول صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية » : فبنى عبد المومن بدار الحجر مسجدا آخر، جمع فيه الجمعة، وشرع في بناء المسجد الجامع، وهدم الجامع الذي كان أسفل المدينة الذي بناه علي بن يوسف « . واخذ هذا الاسم لساحة تجاوره كان يتخذها الكتاب مكانا لهم .

3 عفيف البهنيسي، الفن الإسلامي، دار الأطلس للدراسات للنشر، الطبعة الأولى، دمشق، 1986 ، ص404 .

4-**Chalet** (**L**) : Les palmiers du M'ZAB .Bulletin de Sociologie et de Géographie d'Alger .1905.pp11-87.

5- **VOISIN.(A.R)**: Opcit . p202.

6- **Revereau** (**A**) : Opcit .p110 .

7- **Revereau** (**A**) : Opcit .p 244.

8 - حملاوي علي . نماذج من قصور منطقة العمور . ص 295 .

و أما ما كان في أمر السّعف فيفرش فوق السدّة(شكل 20) حتى يمنع تسرب الملاط السائل أثناء عملية التّسقيف[1]. و أقليم توات لا يعدو أن يتع باقي الصّحراء في أن يستعمل خشب النّخيل و مشتقاته من الجريد و سعفه والكرناف و اليافه في تشييد ميادينه و ذلك و اضح في جميع ارجاء الاقليم ، لكننا لاحظنا كذلك تقنية ثانية في التسقيف اين يغيب فيها الخشب نهائيا و ذلك باستعمال صفائح حجرية(لوحة 51) تمتد بين جدران الاروقة بطريقة متوازنة تحمل بذلك ثقل السّقف

وكذلك اسكفة الابواب ، وقد وجدت هذه التّقنيات خاصة في المساجد و المخازن التي انشأت في عهد المغيلي اين كان الصّراع محتدما بين المسلمين واليهود (شكل رقم 21) .

ثم يأتي من بعد الخشب **الحديد** فقد أستعملت هذه المادة بإقليم توّات كمادة مكملة في البناء ملحمة في أغلب الأحيان ، فقد استعمل في مغالق الأبواب ، و في الرّبط بين الألواح على شكل مسامير، و الحديد يضم مجموعة من الأنواع ، منها الحديد الزّهري الذي يتميز بعدم النّقاوة لاحتوائه على نسبة كبيرة من الكربون ، مما يصعب من مهمة استخدامه لسهولة تكسيره إذا ما تعرّض للطّرق ، و السّحب ، و يدخل في الصّناعات الحديدية كالبوابات ، و الأثاث المعدني . و من أنواع الحديد أيضا المعدن الصّلب ، و هو على شكل سبيكة من الحديد ، و الكربون يتميّز بسهولة تشكيله ، و إمكانية برده ، و استعمال أقلام الحفر فيه ، و سهولة إحداث ثقوب به ، و قطعه بالمنشار [2] وكانت الأدوات الحديدية على اختلاف أنواعها ، و أغراضها تصنع بطريقة الطّرق ، و الصّب ، و تعتمد هذه الطّريقة على صهر الحديد ، و صبّه في قوالب نموذجية خشبيّة ، أو رمليّة ، أو معدنيّة [3] وكما كانت للحديد طرق مختلفة لصناعته ، فإن هناك طرق أخرى للزّخرفة تقوم على التّخريم وغيرها . و على العموم فان استعال الحديد في مظامير البناء ضئيل جدا في هذه البلاد .

1- **عثمان اسماعيل عثمان** : تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، الجزء الرابع، 1993 ، ص 312 .
2- **محمد زهران** ، فنون أشغال المعادن ، المكتبة الأنجلو المصرية ، 1965 ، ص8 .
3- نفسه الرجع السابق ، ص9 .

ثانيا- طرائق البناء

يقصد بتقنيات الإنشاء هي تلك الطّرق التي استخدمها الإنسان عبر مرّ السّنين لبناء كل سرح مهما كانت الغاية فيه ، أما معماريا فتعني طرق تجميع مواد البناء إلى بعضها البعض [1] . و يعني ذلك تصنيف و تنميط وضعيات مواد البناء و مدى تداخلها ، و هي تمثل أساس ترابط المواد فيما بينها ، وبالتّالي ترابط المبنى ككل . وكان ذلك بواسطة تقنيات ابتدعها الأوّلون وطوّرها اللّاحقون وتوارثتها من بعدهم الأجيال و أصبح العمل بها ضروري لسلامة المباني . و لا شكّ أنّ توفير

المعارف والخبرات الهندسيّة تيسّر عملية تخطيط وتصميم المباني ، فكان الاعتماد على فنيين و حرفيين في آن واحد لصناعة البناء ، و كان الحرفي يجمع بين المصمم و المنفذ ، ويتم كل هذا استجابة لمواد البناء المتوفرة محليا و وفقا لأغراض المبنى المنشأ و وظيفته دون أن ينسى الشكل الجمالي والديني لعامة قاطنيه مع العلم أن كل مبنى يرتبط ارتباطا وثيقا للغرض المنشأ من أجله من جهة ومن جهة أخرى هوى مستعمليه من جهة أخرى[2] .

و لقد برع سكان اقليم توات بطريقة عضوية نابعة من احتياج وظيفي تماشيا مع الظّروف المناخية و الجغرافية للأقليم أدت بهم الى استغلال المواد المتوفرة لديهم في بناء ما يحتاجونه، لذا سوف نقوم بانشاء قصرا افتراضيا نركز فيه ما تعلق بالعمارة الدفاعية فقط ونسميه باذن الله "قصر الاطروحة " نحاول من خلاله افتراض وضعيات و مواد مختلفة لانشاء هذا القصر مع التركيز على النواحي الدّفاعية .

أن أول ما يرفع البناء هو **الأساس** لكن قبل التّطرق الى طرق و تقنيات البناء يجدر بنا التّكلم بإيجاز عن مقاومة الأرضيات والأسس التي تتوضع عليها المباني . من المعلوم أن مقاومة الأرضيات تختلف باختلاف طبيعة الأرضية (شكل22)، ويرجع ذلك الى نوعيتها من جهة ومن جهة أخرى تسرب أوعدم تسرب المياه فيها و يعني ذلك نسبة الرطوبة في الارضية ، و الملاحظ أنه كلما كان عمق الأساس أكبر كلما زادت المقاومة ، و لا يتطلب دائما بناء الأسس اختيار الحجارة ذات الأشكال المنتظمة بل المهم في ذلك أن تكون من النّوع الصّلب ولا تكون صغيرة الحجم كون الملاط و الشّظايا يلعبان دورا هاما في تسوية وتنظيم الفراغات الموجودة بين الاحجار، كما أنّ سمك الأساسات بالضّرورة يكون أكبر من سمك الجدران بحيث

1- Martin (R) : L'Appareil (Architecture) in Encyclopédia universitaire Acropus**.** (Altman-Arnold) .PARIS. 1990. P 670.

2 - و في هذا ذكر ابن خلدون " **...هذه الصناعة هي أول صنائع العمران الحضري ، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت و المنازل و ذلك أن الانسان لما جبل عليه من التفكير في عواقب أحواله لا بد له أن يفكر فيما يدفع عنه الذى من الحر و البرد كإتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف و الحيطان من سائر جهاتها ...و يختلف الصناع في جميع ذلك باختلاف الحذق والبصر...**" ابن خلدون، نفس المصدر ،ج2، ص 205 .

يفوقه بحوالي 20 الى 25 سم من كلا الجانبين (شكل 23)، و كي يكون الرّبط جيد بين الأسس و الجدران توضع آخر سافة من حجارة الأسس بشكل متطاول . كما أنه يمكن إيجاد مباني لا تحتوي على أساسات و ذلك يرجع لكونها بنيت فوق أرضيات صخرية ، يستغني فيها البناء عن حفر

الأسس و يعمد الى وسيلة أخرى تتمثل في زيادة عرض سمك الجدار من الأسفل ثم يضيق تدريجيا الى الأعلى [1] (لوحة24). أما فيما يتعلق بعمق الأسس فيتراوح بين 50 الى 70 سم و هذا ما يزيد في تحمل الأرضية لثقل المبنى . و يختلف بناء الأسس حسب انحدار الأرضية ففي الأراضي المستوية يبنى الأساس على مستوى واحد أما إذا كانت الأرضية منحدرة فيبنى على شكل سلم(لوحة25) ، و هنا تكون كل السّافات أفقية ، ويتم إحكام ربطها بواسطة الحجارة المتطاولة ، أما إذا كان المبنى فوق أرضية صخرية فيتم اختيار الأماكن الأفقية و يخدش الصّخر إذا كان أملسا و تفرش طبقة من الملاط في مكان الخدش و توضع فوقها حجارة الأساس(لوحة53) . و الملاط يجب أن تكون به نسبة عالية من الجير يبنى به الى غاية ارتفاع نصف متر أو ما يراه البنّاء ضروريا و ذلك لحفظ الأساس من الرّطوبة ، وبعد ذلك يمكن استعمال ملاط من الطّين و الجير . أن بناء الأساسات لا بد أن يكون من الحجارة و ذلك لصلابتها كما أنها تعتبر عازل بالنسبة لطبقة المياه الباطنية و الرّطوبة . و لم تبتعد أسس البنايات بأقليم التوات عن ما سبق ذكره حيث يمكن تقسيمها الى قسمين ، فجل اسس البنايات الموجودة بمنطقة توّات و القورارة تمتلك أسس متدرجة وذلك مرجعه الأساس الى اختيار أرضيات تقع على هضبات صخرية مثل ذلك قصر اولاد محمد بتمنطيط و قصر سيدي ابراهيم كما يمكن ان نجد من القصور والقصبات ما يبنى على اماكن منبسطة كقصر ملوكة بأدرار مثلا ، و على العموم فجل القصور الموجود في اقليم توات أو بصيغة أصح ما تبقى منها متوضّعة على اماكن غير مستوية و هذا مرجعه الأساس للطّبيعة الجغرافية للمنطقة هذا من جهة و من جهة الى توفير أكبر قدر من الحماية والدّفاع لهذه

1-Planat.(P) : Ensyclopédie de l'Architecture et de la construction vol VI. Fascicule 2
Paris nd. P 392

2 - **حملاوي على** . نماذج من قصور منطقة العمور . الجزائر 2006 . ص 303 .

المواقع و يأتي من بعد بناء الأساس رفع **الاسوار** و تختلف الجدران في بنائها على حسب ارتفاع الجدار المراد انشائه و بذلك يرتبط سمكه، و في ذلك قاعدة هندسية وهي نسبة أ(ارتفاع) على

س(سمك) أقل من 10مرات، أما فيما يخص جدران الطّابية فتكون النّسبة أكبر ب10مرات أي الأساس على السّمك أكبر 10 مرات [1] . فإذا كان سمك الحائط 0.5م فهو يسمح بارتفاع يعادل 07 م أما إذا كانت البناءات غير عالية فليس من المجدي تخفيض سمك الحائط أقل من 0.4 م . و خلال معاينتنا الميدانيّة لبعض قصور اقليم تّوات و ملوكة سجلنا عدم تجاوزها ارتفاعها من 7 الى 9 امتار ، و بقاعدة سمكها لا يتجاوز المتر الواحد في أغلب الحيان كما أن لمادة البناء المرجع القوي في عرض وارتفاع الجدران فكثيرا ما كانت ترفع الاساسات في هذا الاقليم بالحجارة او بالدبش ، ثم بعد ذلك يواصل بنائها باللبن الطيني و في ذلك مزج بين المواد اكثر من مادة واحدة في البناء فكانت هناك الحجارة غير المهذبة او انه تمّ تهذيبها فبشكل طفيف و كذلك استعمال مادة الطّوب ، هذه الطّريقة أو التّقنية التي انتهجها البّناء تدعى بتقنيّة المزج . في حين الطّابية اقل استعمالا.

و تعتبر تقنية المزج (INCERTUM) من طرق البناء المعروفة منذ القدم ، حيث ظهرت في القرن الثّالث ميلادي ، كما شاع استخدامها في بلاد المغرب أثناء حكم المرابطين ، فكانت الطّريقة المفضلة لديهم . و من خلال المعاينة الميدانية لبعض القصور التواتية يلاحظ استعمال تقنيتين في البناء ، وذلك بإستعمال الحجارة الصّلبة ذات الحجم المتوسّط و الغير المهذّبة في بناء الأساسات و تستبدل بنوع آخر من الحجارة أقلّ صلابة في رفع الجدران الخارجية ، هذه التّقنية تستعمل عادة في الأسوار المبنية على منحدرات أو فوق هضبات بحيث يرفع بحجارة الأساس من نصف متر الى 1.5 متر و ذلك حسب شدة الانحدار ، و يعود السّبب في ذلك الى الرّفع من قوة تماسك جدران البناء (صورة54-55). تستعمل هذه الطّريقة مادتين أو أكثر من مواد البناء ، المختلفة نوعا وشكلا ، و يختلف استعمال هذه التّقنية مادة البناء في حد ذاتها فالأولى تسمى بتقنية المداميك و هي طريقة اقتصرت على الحجارة دون سواها ، خاصة في بناء الجدران الخارجية ،

---

1 - **Dost (P) et Hays (A)** : Construire en Terre . France.1979.p 25-

و ذلك أن سمك الطّوب لا يسمح بالحصول على جدران سميكة ، و تتم عملية البناء بهذه الطريقة بأن توضع الحجارة على كامل السّافة ، على إحدى بطنيها بحيث يكون أحد جانبيها يقابل محور النّاظر ، و عند الانتقال الى الصّف الثّاني يترك فراغ يقدر بنصف الحجارة المستعملة ، ثم توضع الحجارة بحيث تتوسّط الحجرتين المستعملتين ، وهكذا دواليك الى غاية الانتهاء من بناء الجدار(شكل26) (1). وهي التّقنية الغالبة في منطقة القورارة خاصة في البناءات التي تمت بالحجارة، أما الطّريقة الثّانية فتدعى أديّة و شناوي وهي تشبه بكثير تقنيّة المداميك ، حيث يراعى فيها المواد ذات الزّوايا القائمة و المقاسات المتساوية ، مثل الطّوب والحجارة المصقولة و المهذّبة ، ويقصد بهذه التّقنية وضع الكتل أفقيا تارة و على إحدى جانبيها و تارة على إحدى واجهتيها، وفي هذه الحالة تنجز السّافة على المنوال التّالي ، توضع الطّوبة الأولى طولا و على إحدى بطنيها ، و بذلك يظهر منها إلا أحد جانبيها أما الطّوبة الثّانية فتوضع طولا على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث يظهر منها سوى أحد الواجهتين . و لقد استعملت هذا الأسلوب بكثرة في اقليم توّات(شكل 27). كلا الأسلوبين يلقيان رواجلا كبيرا في تشييد الأسوار بإقليم توّات و هذا مرده بالأساس أن هاتين الطّريقتين تستعملان لتقويّة المبنى و ترفعان من درجة مقاومته للعوامل المناخيّة خاصة منها الرّياح التي لا تكاد تهدأ حتى تهب من جديد ، ضف الى التّساقطات ولو أنها ظئيلة مقارنة بمناطق أخرى و لذلك توضع المواد الأكثر صلابة في الأماكن المعرضة لهذه التّقلبات اضافة الى كل هذا توفر موادهما وسهولة الحصول عليها من طرف العامة مما زاد في رواجهما نظرا لقلّة تكلفتهما .

في حين نجد طريقة اخرى في البناء اقل استعمالا تدعى **بالطابية** ، وهي عبارة عن مادة بنائيّة استخدمت في البناء بدلا من اللبن ، أو ا لحجر ، أو الآجر ، أما من حيث المصطلح ، فالطابية كلمة عربية أوردها ابن خلدون في مقدمته عند الحديث عن صناعة البناء ، وسمّاها **"التراب المدكوك"**، وهي نوع من الخرسانة بالمفهوم المعاصر،لأنها تتكوّن من خليط من المواد اللاحمة والماء والحصى وبقايا الفخّار والخزف المكسور، وتتحوّل بعد التّصلب إلى حجر اصطناعي(1)، شديد الصّلابة لا تؤثر فيها ضربات المنجنيق(2) .

-1 **A.KOMARA**, Matériaux et Eléments de Construction, Moscou, 1978, p 174, 175.

-2 **العمري شهاب الدين ابو العباس** : مسالك الأبصار في ممالك الأنصار . تحقيق مصطفى ابو ضياف . ط1. 1988م، ص116 .

ويعتبر الوصف المعماري لها بالحجارة في صلابتها ، وأحسن دليل على ذلك أنها بقيت على حالها في العديد من مواقع الحفريات صامدة إلى يومنا هذا ، وقد استخدمت خاصة في بناء الأسوار مثل سور قصبة اولاد سيدي محمد بتمنطيط وقد ذكرها ابن خلدون " ....**ومنها البناء بالتراب خاصة تقام منه حيطان"** ثم قال **" إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة ، ويسمى الطابية،وصانعه الطوّاب.** "[1]، هذه التّقنية منتشرة بكثرة في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسّط ، وهذا يعود إلى خصائص الطبّيعة ، و سهولة الحصول على المادة البنائية ، و تشكيلها بالإضافة إلى فعاليتها الدّفاعية ،و السّرعة في الانجاز مقارنة بالبناء بالطّوب او بالحجارة ، وهي مادة حافظة للرّطوبة والحرارة ، و قد استخدمت في العمارة القديمة بالعراق ، وفي العمارة الإسلامية في سمرّاء ، كما أنه استخدم أيضا في بناء أسوار قرى ومدن نجد[2] ، ويمكن إرجاع البناء بالطّابية إلى الرّستميون والاغالبة وكذا في عهد الفاطميين بالمغرب ، حيث أشار ابن حماد إلى بناء المنصورية سنة 336 هـ وذكر أن سورها بني بالطوابي[3] ، واستمر البناء بها في بلاد المغرب ، و انتقلت إلى الأندلس ويعد البناء بالطّابية كمادة بنائية قوية أفضل من استخدام مادة التّراب في البناء ، حيث يدخل في الطّابية الجيارة ، و النّورية التي تساعد على قوة تماسكها[4]، ولذلك شاع استعمالها في بناء أسوار المدن ، يصل عرض قاعدة جدران الطّابية الى المترين احيانا و تزداد القاعدة عرضا كلما زاد السّور ارتفاعا و كلما ارتفع ينقص بمقدار حتى يصل نصف المتر كأكبر تقدير على حافته العليا ، و ينتهي بشرفات في بعض الأحيان ، وقد عرفت استعمالا واسعا في العهد المريني ، ويتم الحصول على مادتها البنائية بخلط مركب يدمج الرّمل بالجير ، (50 % من الرّمل ، و 25 % من الجير ،و 25 % من الطّين) ، ويطلق على هذا القياس " الثّالثة" ، والنّوع الثّاني من الخلطة يحتوي على 50 % من الطين ، و 25 % من الجير، و25 من الرّمال ، ويعرف هذا النّوع عند البنائين " بالمركز"، تستعمل كلا الطريقتين في الجزء الواحد من السّور ،

1- **عبد الرحمن بن خلدون** ،المقدمة، تاريخ العلامة بن خلدون ، كتاب العبر ، ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاج ، 1984 ،ج2 ، ص ص 491 – 493.

2- **ابن الرامي** ، المصدر السابق، ص201 .

3- **أبي عبد الله محمد بن حماد** ، أخبار ملوك بن عبيد و سيرتهم ، تحقيق تهامي النقرة و د . عبد الحليم عويسي، دار .العلوم للنشر، الرياض ، 1984 ، ص61 . أنظر كذلك - : **عبد العزيز بن عبد الله**، مظاهر الحضارة المغربية، نشر دار السلي، الدار البيضاء، القسم1 .1958. ص ص 58-59.

4- **عبد العزيزالسيد سالم** ، المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ج2 ،1981 ، ص774 .

فتخصّص الثّالثة للجزء الادنى من السّور في حين يخصص المركّز للمستويات العليا بجوار الخلطة يستعمل الحجر الكلسي ، و الحصى كما يمكن أن نجد الطّبقة الثّانية فقط من الطّابية التي يتم بناؤها فوق جدار من الدّبش أو الطّوب يعلو بمتر أو اثنين ثم تتمّ تكملته بجدار الطّابية الى أن يصل الارتفاع المطلوب كحال سور قصر تيميمون و كثير من القصور الأخراى بمنطقة توات (صورة56) . يعتمد في كل هذه المراحل على خشب صلب كالعرعار مثلا لوضع القوالب وتحضير الألواح اللّازمة لنصب الصّقالة [1] . تشكّل المستويات التي يمكن تمييزها حاليا في الميدان بواسطة فواصل الربّط الأفقيّة والعموديّة ، شواهد على حدود الصّقالة ، يتراوح على هذه المستويات بين 1م، و 2 م و يقل هذا السّمك في بعض الأحيان ليصل إلى حوالي 30 سم إذا عوضت الصّقالة بطريقة نصب الألواح ، أما الفواصل العموديّة فتحددّ اتّساع الألواح المخصصة لصبّ الصّقالة ، وتبيان طولها بين 3 م و5 م . إن عملية البناء بها كانت تتمّ بعملية "الفورمة "كما سماها ابن الرامي ، وهي ألواح من خشب تسكب الطّابية بها قبل أن تجف (شكل28)، وبعد أن تجف تنزع الألواح لبناء طبقة أخرى وهكذا تلاحظ بالأسوار مجموعة من الثّغرات، والفتحات التي تنتشر بشكل غير منتظم أحيانا ، ومنتظما أحيانا أخرى ، هذه الثغرات أحدثت أثناء بناء السّور من أجل تسهيل عملية الارتقاء أثناء تشييد الأجزاء العليا منه ، و عادة ما تترك هذه الفتحات من أجل تهوية السّور، والتّقليل من الرّطوبة به (شكل 28). و لعل من أهمّ ما يجب التّركيز عليه في بناء الاسوار هو **الاركان** . إن المعنى الحقيقي لمصطلح الرّكن هو الزّاوية ، و يقال حائط مركّن يعني متين البناء [2] . الرّكن هو أحد الجوانب التي يسند إليها الشّيء و يقوم بها ، وقد استخدم هذا المصطلح من قبل أهل البناء والآثار و يقصد به زاوية البناء (شكل29). وهناك نوعان من الأركان داخلي وآخر خارجي و أما عن الأول فتوضع الحجارة بشكل متداخل ، بحيث يكون الدّبش الأول من السّافة الأولى ذو واجهة طويلة ، حتى يكون التّرابط طوليا ، أما الدّبش الثّاني الذي يكوّن الرّكن مع الدّبش الأول فيتداخل معه . ولحفظ توازن المبنى يجب أن يكونا ذوي ارتفاع واحد حتى يسهل وضع السّافة الّثانية ، و يتحقّق توازنها ، علما بأن وضعية الدّبش الأول و الثّاني

---

1 **عبد القادر فنان** ،" أسوار فاس ، حاجز أم أصالة" ، مجلة آلية الأدب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، العدد 1.، 1985 ، ص ص 98 99 . أنظر كذلك : - **.يونس جعفر،** الأسس التكنولوجية في استخدام الديكور، دار الراتب الجامعية ، بيروت، لبنان، د .ت .ص .23 كذلك **عبد القادر فنان،** المرجع نفسه، ص ص 97 - - 102 كذلك **ابن الرامي،** المصدر السابق، ص201 .

2 المعجم الوسيط . ص 371 .

تنعكس في السافة الثّانية . و أما ما يخصّ الرّكن الخارجي ففي هذه الحالة يكون الدّبش الثّالث ، الذي يمثل الواجهة يساوي طوله أحيانا سمك الحائط ، و لتوازن السّافات يكون ارتفاع الدّبش الثّالث و الرّابع متساويين . أما السّافات الموالية ، سواء كان ذلك في الرّكن الخارجي أو الدّاخلي فيستعمل فيها دبش بنفس القياسات و الأشكال نسبيا . وتزامنا مع ارتفاع سور القصر الذي حتما ينتهي بشرفات مسنّنة عادة ما تكون هرمية الشّكل وهو امر شائع في بلاد توات و في حقيقة الحال يعبّر هذا العنصر المعماري عن هدفين في العمارة المنشأة بها فمن جهة فهي أحد أهم العناصر الدّفاعية البحتة فهي تعتبر موضع رمي واحتماء و من جهة أخرى فهي طراز زخرفي يزيد من جمال ورونق البناء ، و تعتبر من الزّخارف السّاسانيّة ، التي انتقلت الى الفن العربي الاسلامي منذ العصور القديمة في بلاد فارس و العراق و أواسط آسيا ، وقد استعمل في الأجزاء العليا للعمائر [1] ، و هي عادة ما ترتفع على السور بحوالي من 40 الى 60 سم يستند و يختبأ ورائها المدافع حتى لا يصاب برمي الاعداء ثم يقذف وهكذا دواليك (صورة57)، و لكنّها تعتبر في هذه البلاد عنصرا زخرفيا أكثر منه دفاعيا . ، يبدأ التّفكير في انشاء الابراج الرّكنية و التي تعتبير اهم عنصر دفاعي في السّور كونها تشرف على كامل جهاته ، و كذا فهي تعتبر دعامة للسّور كون جدرانه لا تلتحم ببعضها مباشرة وانما تلتحم بجدار البرج بواسطة ركنيات على شكل الحرف اللاتيني (T) مما يزيد في ثبات جدران الاسوار ، كما أنه يمكن أن تقام أسوار القصور دون ان يتم تزويدها بأبراج (شكل30)، غير أن الحاجة اليها يوما تدعو أصحابها الى التّفكير في أقامة برجا أو أكثر احتياطا و زيادة قوّة وحرص ، و هنا يقوم القائمون على بنائه بإيصاله بسور القصر جيدا ، بحيث يحفر في السّور بغرض دمج عناصر البناء من لبن و حجارة الخاصة بهذا العنصر الجديد بعناصر بناء السّور و يراعى في هذه الحالة تناسب و تناسق هذه العناصر المدمجة جملة و تفصيلا ، و هي في حقيقة الحال عملية صعبة بحيث أنه لا بد لها من الاتقان حتى تتماسك العناصر مع بعض و حتى لا يتهاوى هذا المعلم المنشأ لسبب عدم ارتباطه الجيّد . و اذا كان البرج منفصلا عن المساكن فيسمى البرج البراني فيكون له باب وحيدا مفتوحا على ساحة القصبة او فناء مسكن ومنه الولوج اليه (شكل31)، وفي هذه الحالة نجد سلالم تربط مختلف غرف البرج المجودة عادة على طابقين او

1- **فريد الشافعي** : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، الهيئة العامة للتأليف و النشر ، مج1 ، 1970 ، ص 181 .

ثلاث(شكل32) ، و اذا توفر السّور على ممشى للحراس او اسطح للمساكن فنجد بابا في اعلى البرج مفتوحة على هذا الممشى (صورة58). اما اذا كانت الابراج ملتحمة بالمساكن فهنا نجد للبرج الواحد عدة ابواب مفتوحة على عدد طوابق المسكن بما فيهم السّطح او ممشى السور(صورة59) ، كما يتم تزويد الابراج بسلسلة من الفتحات بغض التهوية والنور (صورة60)والعدد فيها غير مهم لكن توجد في كل طابق من طوابق البرج وتكون على خط واحد في كل جوانبه و أهم هذه الفتحات عل الاطلاق هي المزاغل ، حيث يتم فتحها في كل واجهة من واجهات البرج و عادة ما تكون في الطابق الأول على الخصوص فتحة واحدة من هذا الشّكل و اضافة الى التّهوية والنّور فان الهدف الرّئيس المحدثة من أجله هو المراقبة والرّمي فهي تصنع بعناية بحي تكون واسعة من الدّاخل وضيقة من الخارج و لاتتجاوز ابعادها عادة 30/50 سم من الداخل اما الخارج فهي 10/50 او 15 سم . و لما تشد الحيطان و تقف منتصبة عالية يبدء التّفكير في بسط العرائض بغرض **التّسقيف** . لقد تعددت نظم التّغطية و التّسقيف في العمارة الإسلامية ، لا سيما المدنية و نخص منها بالذّكر المسكن و لا تختلف نفس الطّريقة على تسقيف الابراج ، و عادة ما ترتبط بالسّقف بحيث يكون سميكا و ثقيلا و ذلك راجع الى سمك كل طبقة من الطّبقات المكوّنة له ، و التي يبلغ عددها الأربعة فالأولى تتكوّن من الخشب و ما يلقى عليه من لوح وقصب و يذكر ابن خلدون في هذا الباب بقوله "**...و من صنائع البناء عمل السّقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت و من فوقها الألواح و الدسائر و عليها التراب و الكلس و تبلط المراكز حتى تتداخل اجزائها و تتلتحم و يعال عليها الكلس كما عولي على الحائط...**" [1]، و في حالة توّات فالخشب المستعمل هو عبارة عن جذوع النّخل التي لا تستعمل مباشرة بل بعد أن تقسّم عرضيا الى قسمين ، ويمكن أن تقسم الى أربعة أقسام و هذا في تسقيف الأماكن التي لا يكون عليها الضّغط كبيرا و كذا بالنظر الى سمك جدع النّخل المراد تقسيمه ، وغالبا ما تكون في الطّابق العلوي إن وجدت وكذا الأبراج ، ووضعها لا يكون على واجهتها بل يكون على جانبها الحاد و هذا لرفع قوة تحمّلها للأثقال ، و تكون عرضية في الغرف تربط الجدارين ، و يفصل بين

1- **عبد الرحمان بن خلدون**: كتاب العبر ، مجلد 1، بيروت،1992،ص 450.

عارضة وأخرى من 0.5 م الى غاية 1 متر على كأبعد تقدير لضمان مقاومة كبيرة ، ثم تعلوها السّدة ، وهي مصنوعة من جذوع الجريد توضع فوق العوارض الخشبيّة تتراوح مساحتها من 2 م مربع الى غاية 4 م مربع ، ثم تفرش بسعف الجريد وذلك لمنع تسرب الملاط . هذا في أحسن الأحوال أما في توات فأهله يحبّذون استبدال سدة الجريد بالكرناف و هنا المسافة بين العوارض لا تتجاوز نصف المتر في ابعد الحالات و تتم عملية التّغطية بوضع الكرناف بشكل متقابل ثم يغطى هو بدوره . و لكن قد تميزت منطقة تمنطيط بطريقة اخرى للتسقيف و هي استعمالهم للألواح الحجرية التي تمتد بين الجدران (شكل21) و قد شاعت كثيرا في عهد المغيلي. ثم يعالى على هذه الطّبقة طبقة اخرى تتكوّن من مادة الحجارة المتوسّطة مع ملاط طيني نصف المغربل ، و تتم هذه العملية بفرش مادة الحجارة على كافة مساحة السّقف و يتم بناء الفراغات التي بينها بمادة التّمّشمت أو الملاط المصنوع من الجير و التّراب و يكون نوعا ما سائلا حتى يتسرّب و يملأ كل الفراغات الدّاخلية والخارجية و يعمل على الرّبط الجيد بين الحجارة ويشكل بذلك طبقة متينة و قد أطلق ابن الرامي[1] مصطلح الأصطاك على هذه الطّبقة ، التي يتم تغطيتها هي بدورها كذلك بطبقة من التّراب الجاف ، تفرش فوق طبقة الأصطاك ، يصل سمكها الى 0.2م ثم يقوم البنّاء بدكّها ورصّها حتّى تصبح سويّة ، والفائدة من هذه الطّبقة هي منع تسرب الرّطوبة الى الطّبقة السّفلية وأخيرا ينتهي السقف بطبقة تدعى بالأكحال ، وهي الطّبقة السّطحية ، تتكوّن من الرّمل و الجير(الكلس) ، وهي عبارة عن فراش من الملاط الجيري لمنع تسرّب مياه الأمطار وهي أقل سمكا مقارنة مع الطّبقة التي تعلوها (شكل 33) . هذا النّوع من التّسقيف استعمل بالعديد من المناطق الصّحراوية كورقلة و غرداية ، كما أنه يمكن أن توضّع طبقة أخرى فوق طبقة الأكحال تتكوّن من الرّمل يصل سمكها الى 0.3 م وهذا تفاديا لوصول حرارة الشّمس [2] الى السقف و هو أمر رائج بأقليم توات. ثم أنه عند استكمال بناء جدار السّور ، يعمد الى **تكسية** وجه

1- **ابن الرامي** : هو محمد ابن إبراهيم اللخمي البنّاء واشتهر بابن الرامي أو محمد البناء و كني أبو عبد الله ، وقد نشأ بمدينة تونس و عمل بها وزار بعض المدن الأخرى من بلاد المغرب للقيام بمهام متعلقة بالقضاء في البناء والعمارة و قد عاش في المدة المحصورة بين النصف الثاني من القرن السابع الهجري و النصف الأول من القرن الثامن هجري وقد جمع بين البحث الفقهي والنظري و بين الخبرة الميدانية والعملية وبات يلقب بالمعلم ومن أهم مؤلفاته كتاب الإعلان بأحكام البنيان .

2- **Didillon(J.M) ; Donnadio (P)** : Opcit . p 95. -

الدّاخلي والخارجي بطبقة من الملاط الذي هو عبارة عن خليط متصلّب من مادة لاحمة ، تتكوّن من حبيبات دقيقة من الرّمل و الطّين والماء و أحيانا يستعمل التّراب الأحمر. و يدعّم الكلّ بإضافة مادة الجير وهو يستعمل في الأعمال النهّائية للبناء ، وتسمى هذه الطّريقة بالتّكسية أي بمعنى جعل كسوة للجدار ،أو التّلبيس أو التّلييس وهو المصطلح المستعمل من قبل أهل المهنة مثل ابن الرّامي ومازال يستعمل في العديد من الدّول كتونس ومصر الحجاز و ذلك بمعنى متقارب . عملية التّلييس هذه تكون بمادة من الملاط التي تساعد على تقوية الجدران وحمايتها [1] من الأمطار و العوامل المناخية الأخرى . كما أنها تعمل على سد تلك الفراغات المتواجدة بين مواد البناء ، ولإتقان هذه العملية أكثر خاصة في المباني الرّاقية يقومون بتلييسها بواسطة حجر معين حتى تصبح تلك الجدران و الأرضيات جد ملساء و تختفي الشّقوق نهائيا ، كما أن هذه العملية توفر سطحا أملسا للجدران يمكن زخرفته و تزيينه أن رغب في ذلك . و تختلف المواد التي تستعمل في تكسية الجدران كالطّين و الجصّ و البغلي وغيرهما من المواد ، واستعمالها يرتبط بعوامل مختلفة ، كتوفّر نوعية معينة دون أخرى ضف الى مكان استعمالها ، فمادة التّلييس المستعملة في الجدران الخارجية ليست هي نفسها المستعملة في الجدران الداخلية ، حيث يخلط الرّمل النّاعم بمادة الجير و يستعمل للتّلييس الدّاخلي لجدران المساكن أما الخشن منه فبعد خلطه بنفس المادة يستعمل كفراش لأرضيات المباني [2] . ومن هذا نرى أن إتقان بناء الجدران و هذا بالحد من نتوآت الصّخور أو الدّبش المستعمل في البناء يدفع الى استعمال كمّية قليلة من الملاط ، لذلك نجد بان المباني المبنية بالحجارة المصقولة أو اللّبن الطّيني عادة ما تكون مستوية الجدران حتى أن طبقة اللّياسة تكون رفيعة نوعا ما . في اقليم توات يتّخذ نظام التّكسية شكلا خاصا به نظرا لما سبق قوله من توفر مادة البناء من عدمه، فقد اتخذوا من الميلاط الطينى مادة التّكسية الأساسيّة فتضاف لها مادة الرّمل لزيادة تماسكها و مقاومتها لعوامل الحتّ ، و هذه الطّبقة عادة ما تكون سميكة لما يتعلق الأمر بتكسية جدار مبني من الدّبش الغير منتظم و أقل سماكة عندما يتعلق الأمر بجدار مبني من الطّوب . اضافة الى هذا اتخذت تكسية واجهة السّور التي تفتح بها البوابة الرئيسيّة شكلا استثنائيا في التّلبيس ، حيث اضافة الى طبقة التّلبس العادية التي حضي

- **MANUEL (R**). Opcit . p76. -1
- **Nachtergal** .(**C**). Opcit . p35. -2

بها كامل الصّور تضاف اليه طبقة ثانية تحيط بالمدخل الرئيسي فقط و هي عبارة عن كريّات من الطين يتم الصاقها بالسور بطريقة فنية بحيث تشكل في أن واحد زخرفة وتقوية للواجهة الامامية للبوابة الرئيسية كحال قصبة ملوكة(صورة61) ، و لما يعزم البناء الرّابط بين الطوابق فلا بد له من **السّلالم** و تسمى أيضا بالدّرج ، وقد عرفت في الحضارات القديمة ببلاد الرّافدين و كريت و مصر ، وما الرّسومات الجدارية الملاحظة على قبور الفراعنة بمصر إلا دليل على ذلك[1] . هذا العنصر المعماري كانت الغاية منه تيسير الانتقال من المستوى الأرضي الى المستوى العلوي ، و يبلغ عرض السّلم العادي 0.9 م ، و هذا قياس معقول لأنه يسمح بمرور شخصين في وقت واحد و يمكن ان يكون اقل من ذلك كالتي يتم بنائها في الأبراج ، كما أنه لا يشغل حيزا كبيرا خاصة وانه لا يستحسن بأن تكون السّلالم جد واسعة لما تأخذه من مساحة كبيرة ، وكذا مكلفة أكثر و لا ضيقة بأن لا يستطيع شخصان السّير عليها[2] . السّلالم بالأقليم تتصل مباشرة بالطّابق الذي يلي[3]، ومثل هذا التّوزيع معروف في مساكن قصبة ورقلة ، تقرت ، الأغواط و غيرها . أما فيما يخص طريقة بنائها فهي تتشابه الى حد كبير مع باقي المناطق الصّحراوية ، بحيث أن أدراج السّلم ترتكز على عمود من النّخيل يكون عريضا من الجوانب ليمتص العديد من الهوامش[4]، و توضع على جانبيه أعمدة من اليمين واليسار ، ثم تستمر العوارض الخشبيّة التي لا يزيد عرضها 1.2م بالتّقاطع مع العمود المركزي (شكل34) . و بعد تحضير هيكل السّلم ، يشرع في بناء العتبات و جدار السّلم ، ويتمّ بناء هذه العتبات من عارضة لأخرى بالحجر و الملاط[5] و قد نجدها ترتكز على جدارين بحيث تثبت العوارض الخشبية عليهما ثم تفرش بالتبشمشت ليوضع فوقه الحجارة المسطّحة[6] ، وفي بعض الأبراج عندما يكون سقف البيوت ليس على مستوى واحد بحيث يتفاوت الارتفاع بينهم بمتر أو أكثر يتم استعمال نوع أخر من السلالم وهو عبارة عن جدوع نخل مهيأة لهذا الغرض (لوحة62) .

1- **الريحاوي عبد القادر** . البيت في المشرق العربي . ص 19.

2- **Ricard(P)**. Pour comprendre l'Art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne . Hachette, Paris1824.p114.

3- **عقاب (محمد الطيب)**. مدخل الى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر. ص 13.

4- **RAVEREAU (A)** : Op cit . P 79

5- Ibid . p79

6- **أسامة كمال النحاس** ، عمارة الصحراء ، مطبعة برانت مصر ، ص 246 .

و عادة ما تتوفّر القصبات التّواتية على بوابة واحدة رئيسية بعيدة عن البوابات الرئيسيّة المعروفة في البلاد الاسلامية ، هذه المداخل تأخذ أحجاما عادية كما سبق الذّكر و قليلا ما نجدها تتكون من أكثر من مصراع واحد (شكل4) ، مصنوعة من مواد محلية وهي خشب النّخيل، تزود بأقفال و كذا عوارض حتى تزداد قوة و مناعة ، و ليس بالضرورة ان تتوسط الواجهة الرئيسية (صورة63)و لكن لابد ان تكون مفتوحة على الطّريق الرئّيسي كحال قصبة عمر اقبور او اولاد محمد او اولاد داود او تفتح على رحبة كحال قصبة تايلوت و قصبة اولاد اهمالي و اولاد يعقوب او على بساتين النّخيل كحال قصبة ملوكة او قصبة تحيا او قصبة سيدي البكري . هذه المداخل شكلها ومواد بنائها عادية جدا لا توحي الى مظاهر القوة و المناعة فهي مجرد اوبواب عادية تمنع الدخول الى هذه القصبات دون ان تفتح كما ان جلها يأخذ ابعادا عادية لا تفوق 1.60م في عرضها و المترين في ارتفاعها كأقصى حد .

وقد تستدعي الضّرورة تدعيم سور القصبة بخندق ، فقد عرفت بلاد توات هذا العنصر المعماري حيث تم تدعيم الكثير من القصبات بخنادق و يرجع سبب ذلك الى حالة اللاأمن السّائدة في فترات التّوترات و الصّراعات ، ويشترك في بنائه جميع سكان القصبة شأنه شأن السّور ، وعادة ما يتم حفره حول القصبات المبنية على اراضي منبسطة الأمثلة كثيرة و في هذه الحالة وجب تدعيمه بجسر مقابل الباب الرئيسي، و قد يحدث ان لا يحيط الخندق بكامل سور القصر كقصر الذّراع مثلا .

و على العموم تتميز العمارة القصورية عامة في منطقة توات بالتّماثل والتّشابه في مواد الانشاء و تقنيات البناء ، فمواد البناء بدون استثناء مواد محلية بحتة و لم تكن هناك ندرة من هذا الجانب ، فلا نكاد نجد الا الطّوب والحجارة الهشة وخشب النّخيل و غيرهم من المواد المتوفرة في الاقليم و كانت المواد الاساسية التي استعملت في بناء كل القصور . من جهة أخرى كانت بحسب طبيعة المواضع المرتفعة للقصور اثناء انشائها بهدف الاستطلاع و المراقبة ، فتمنح هذه الهضاب الصّخرية عادة ميزة اخرى وهي أنها تغني البناء من الأساسات ، بحيث يتم بناء الاسوار مباشرة على سطح الهضبة و لذلك نجدها تأخذ اشكالا غير منتظمة ، ولا شك ان هذا المعلم المنيع كان يشترك في بنائه و تمويله أهل القصبة جميعهم ، و في هذا الشّأن يقول

الفرسطائي [1]" **وان اشتركوا في السّور و لم يشتركوا في البيوت فانهم يتآخذون كلهم ما انهم من السّور و لو ما انهدم مما يقابل بيت احدهم ....و اذا التصقت جدران البيوت بالسّور فاليؤخذ كل واحد ببناء ما انهدم** " . اما فيما يتعلق بمساحة قصبات توات· فغالبا ما تأخذ الشّكل المربّع ، او المستطيل ، اما بالنسبة لتحويطة المباني بالأسوار فقد نجد للقصبة الواحد احيانا اكثر من سور واحد بحسب الحاجة التي انشأت القصبة من اجلها كمخزن مثلا ، او بحسب التّهديدات المحيطة بها في حالة الحروب والنّزاعات ، وعلى العموم عرفت قصبات توات على انها قرى محصّنة وهي صفة اطلقها عليها العسكري لورو (Laureux) [2]، كما انه لم ينفرد وحده بهذا الوصف فقد شاركه كذلك كابوراي(Caporay) في هذا الوصف حيث ذكر واصفا قصبات القورارة قائلا " **قصور منطقة القورارة عرفت على أنها مخازن جماعية محصنة لكثرة أسوارها** " [1]، و لما تكون القصبة تحتوي أكثر من سور فتكوّن الأبراج داخل محيط السّور الثّاني و يعني ذلك ان هذا السّور المدعّم يفصل بينه وبين السّور الأصلي رواق لا يتجاوز الخمسة امتار على حد أقصى- و الابراج الرّكنية عادة ما تتكون في السّور الاصلي متكونة ثلاثة طوابق على حد أقصى- في كل قصبة ، تأخذ الشّكل الهرمي قد يلج اليها من المساكن الملتحمة مع سور القصبة كحال قصبة ملوكة بتيمي و هنا نجدها تتوفر على مدخلين او أكثر و ذلك على حسب طوابق المسكن المحاذي ، و قد يلج الى البرج من ساحة القصر كحال قصبة ابا جودة بتيديكلت و هنا نجده يتوفر على مدخل واحد . و موضوع الابراج الركنية في توات قد نجد هنا أو هناك طفرات لا تنطوي تحت هذه القاعدة التي ذكرنا فقد جاء عن ايشاليي (Echallier) على هذه الأبراج اذ يقول " **انه بقصر تاوريرت احد قصور القورارة عثر على برج مستطيل الشكل الا ان أضلاعه غير متوازية ، وقد بني في نهاية الجهة الجنوبية للقصر ، و البرج قسم من الداخل الى قسمين بواسطة جدار حجري ، غير انه يصعب تكهن الدور الذي بني من أجله ، وقد بني من مزيج من الحجارة و الطين ، أما تخطيطه فشبه اسطواني**"[4] ،

1- **الفرسطائي** : نفس المصدر، ص 287.

Pietro Laureux ; Les ksours du Sahara Algerien ,,,,,P04 -2

R Caporay ; Grennier Domestique du Sahara ; p67 -3

Echallier : Opcit , 37 -4

و من الاثار المتبقيّة للعناصر الدّفاعية نجد برجا مستطيل الشّكل يتمركز في الجهة الغربية لسور قصبة ليشتة ، حيث أن هذه الجهة تطل على البساتين مما استدعى شدة مراقبتها ، فقد تكون منفذا لتّسلل الاعداء الى القصبة في غفلة من امرهم لما تسببه كثافة النّخيل من اعاقة للنّظر و لهذا كان وجود هذا البرج من هذه النّاحية في القصر ضرورة دفاعيّة .
و قد سجلنا طريقة عجيبة في التّسقيف ، غير تلك المعتادة و المعروفة بالأقليم و ذلك بأن يستغنى عن الكرناف والسّعف ، و تستبدل بصفائح من الحجارة ، و في هذه الحالة لم نجد العوارض الخشبية بل تنشأ أروقة تتباعد عن بعض البعض بمتر واحد و هي التي توضّع عليها الصّفائح الحجرية ، ولعمري انها طريقة تنفرد بها المنطقة (شكل21)(صورة51) . و على العموم يمكن القول ان المدينة الاسلامية المشيّدة و بالأخص تلك الواقعة في توات بالتّشابه والتّماثل في الخصائص التّخطيطية [2] ، و تخطيط المدينة يجري وفق مستويين في التّخطيط العام للمدينة و يشمل منظومتها الدّفاعية و شوارعها الرئيسية التي تتجه كلها الى المسجد الجامع و دار الامارة و هذا قد يحدث فيه اختلاف بغياب دار الامارة و المسجد الجامع عادة في القصبات الصحراوية و تتجه الى دار الشيخ (شكل35) ، و المساجد عادة كذلك ما تكون خارج اسوار القصبة . المستوى الثّاني يشمل الطّرق الفرعية و المساكن و انتشارها محكوم بعامل العرف الاجتماعي و التّخطيط و العمارة . و كل هذه النّظم دفعت المعماريون الى معالجتها بإتباع انماط تخطيطية عدة بعد استيفاء شروط اختيار مواقع مدنهم تخطيطية عدة بعد استيفاء شروط اختيار مواقع مدنهم و التي سبق الحديث عنها و المتفحّص في عمارة توات الدّفاعية يجد ان المهندس التّواتي لم يهتم كثير بمواد البناء ، و ذلك باعتماده على ما توفر في هذه البلاد من مواد بسيطة كصناعة اللّبن الطّيني او حجارة الدّبش بالرّغم من وجود الحجارة الضّخمة التي يمكن صقلها و البناء بها و يمكن تفسير ذلك الى عدم وجود امارة او دولة معينة بذاتها قامت بمنطقة توات حتى تقوم بانشاء مدن كبرى ، و هذا ما تدلّ عليه كل قصبات توات المنفصلة عن بعضها البعض بمعالم واضحة كالسّور والابراج ، وهذا كله يفسر مدى قصر اهل المنطقة من انشاء مدينة بمفهوم المدينة الاسلامية ، وحتى الرّوايات التي تكلمت عن

1- يحي وزيري : نفس المرجع ، ص 93 .

قصر تمنطيط جلها تتكلم عن قصور بتسميات مختلفة نسبة لشخص او قبيلة او منطقة او غيرها ، وكل هذا يدل ولا شك ان العمارة الدّفاعية في توات كانت تقتصر على حماية الرقعة التي يحيط بها السّور فقط و هنا نقصد قاطني القصبة . لهذا التجأ المهندس التّواتي الى استعمال تقنيات خاصة به للرفّع من درجة قوة و تماسك الدّفاعات المختلفة التي انشأت في القصبة حيث نجد ان الجهة السّفلية للسّور تم تدعيمها وجعلها اكثر سماكة وهذا من الجهة الخارجية فقط وكان المغزى من ذلك عدم تمكن الاعداء من تسلق السّور او نقبه هذا اذا كانت على اراضي منبسطة كحال قصر الذراع (صورة 32) او ان تتخذ قمة الربوة او الهضبة ارضية لبناء القصر فيكون بدالك عاليا صعب المنال (لوحة52) . كما ان تقنية الخندق في حد ذاتها تلعب دورا هاما في الرّفع من دراجات الدّفاعات القصرية حيث ان الخندق في حد ذاته ليس بالضّرورة ان يحيط بكامل محيط القصر بل ينشأ فقط في الجانب الذي يراه مخطط القصر ضعيفا كباب القصر مكان اخر ويحكم فيه بوضع جسر خشبي يوضع ويرفع عند الحاجة . وقد تنشأ كذلك ابراج منفردة خارجية متقدمة عن القصر و دورها المراقبة البعدية ولا بد ان تكون على مرأى من ابراج القصر و في منطقة توات عادة ما تكون داخل الجنان لحراستها و للمصيف كذلك . و من التّقنيات كذلك نجد ان ابواب جل القصبات التّواتية صغيرة وعادية تماما و نرجع ذلك للدّفاع عنها بسهولة حتى لا يتم اختراقها .

الخاتمة

هي قليلة تلك المراجع التي تكلمت عن العمارة الدّفاعية و أقل منها كذلك من تكلمت عن العمارة الدّفاعية القصوربة ، وعادة ما يعرج على الحديث عنها او وصفها في سياق الحديث عن المدن الصّحراوية بصفة عامة ، و لم تستثن قصبات تّوات من هذا ، فالمتصفّح لكل ما جاء عن الرّحالة و الجغرافيين عن هاته البلاد لم يتطرّق اطلاقا لعمارتها الدّفاعية ، فكان الحديث دائما عن اسواقها و مسالكها و احيانا عن عادات أهلها ، و حتى المؤرخوين من اهل المنطقة انفسهم لم يتطرقو هم كذلك الى هذه العمارة حتى بحديثهم عن النّزاعات والحروب التي دارت بين قبائل توات

شهرة بلاد توات جائت بسبب طرق القوافل التّجارية المارة بها و الرّابطة بين ممالك الجنوب في بلاد السّودان كمملكة سنغاي مثلا بدول الشّمال من بلاد المغرب الاسلامي ، فلا تكاد تمر قافلة قادمة من الشّمال خاصة من الغرب الاسلامي الا و تمر على هذه البلاد ، فنشأت بذلك قصور عدة على محور كل هذا الطّريق و ظهرت أسواقا جديدة بها تتوسّط الواجهتين ، فبدى من أن تسير القواقل كل هذا الطّريق من الشّمال من بلاد المغرب الى الجنوب في بلاد السّودان فابتت توات ملتقى لهم يتناصفون فيه الطّريق ويبيعون ويشترون ما يريدون ، فبضائع الشّمال وبضائع الجنوب كلها معروضة في توات و لعل من أهمها سوق تمنطيط .

قد ورد ان بداية تعمير تلك المناطق كانت حوالى سنة 472 م و هو تاريخ بناء قصر تمنطيط ، وهي من اولى المناطق التي عرفت تواجد الجالية اليهودية كذلك ، و بسبب ازدهار وانتعاش التّجارة بالأقليم استمرت الهجرات اليه حتى القرن الثّالث عشر الهجري الموافق للتّاسع عشر ميلادي (**13ه-19م**) ، حيث إنّ عملية النّشأة و التّطور خضعت في البداية لحركة الهجرة التي عرفتها تلك المناطق . فنتج عن هذا التّوسع رخاء كبير للأقليم و باتت هناك أطماع كبيرة . فدفع بالكثير الى الهجرة الى هذه البلاد من كل الاجناس و الأديان ونظرا الى ان أكثر هذه القبائل هم من العصاة و الفارين من الاوضاع السّياسية في بلدانهم الأصلية ، فكانت القبلية هي القوة السّياسية المسيطرة في غياب سلطة حاكمة فعلية .

إن الهجرات المختلفة للقبائل وتوافدها على بلاد توات جعلتها تتكون من مجموعة مختلفة من الاجناس والعقائد كل واحدة منها تحاول التّحصن بنفسها عن الاخرى ، واذا كانت تمنطيط اهم قرى توات فنجدها قد تكونت من مجموعة من القصبات مختلفة الأحجام تخص كل قبيلة معينة بذاتها كأولاد أهمالي ، اولاد يعقوب ، اولاد داود و غيرها تحصنت داخل أسوارها و تفننت عمارتها العسكرية خصوصا في الحياة اليومية أو اثناء الحروب والأزمات ، و لذلك تعتمد سلطة الشّيوخ التي تقوم على بنائها و ترميمها قبل الانصراف الى شؤون اخرى كونها اعتبرت من البناء الواجب . اعتمادا على المادة المتوفرة سواء تلك التي ما تزال عموما قائمة او تلك التي باتت في طريق الاندثار في مقاطعات توات الثّلاث .

و باعتمادنا على المادة الوصفية التي تركها الأعاجم ممن زارو الاقليم و كتبوا عنه و هم عموما اول من تطرق الى هذا النّوع من العمارة لغرض معروف وهو التّمهيد للإستيلاء عل هذه البلاد . وعليه كان الجمع بين المادة المصدرية و نتائج البحث الأثري ضروريا في اعادة قراءة وظائف العمارة العسكرية وما يتعلق بها من نظم و مواد .

مما لا شك فيه أنّ ما يمكن استنباطه كفائدة من هاته الدّراسة تكمن في فتح افاق جديدة للبحث في هذا النّوع من العمارة ، واتاحة امكانية قراءات جديدة في وضع خصائص العمارة العسكرية بصحراء المغرب الاسلامي عامة و خصائص المسكن المحصن (القصبة) خاصة ، وذلك في فترات تاريخية مختلفة .

لقد كان لبلاد توات خاصية تميزها عن باقي الاماكن و ذلك يكمن في تركيبتها البشرية ، فمن المؤرخين من ذكر أن كثيرا ممن استوطن هذه البلاد كان فارا بدينه او رأيه أو ممن ولت عليه الأيام كاليهود و المرابطين والمطاردين و غيرهم ، فكانت أرض لجوء و استقرار ، ضف الى هؤلاء اولئك الذين استقر بهم المقام في هاته البلاد لتجارة ابتغوها ، فأصبحت بلاد كما قال الشّيخ البكري لا يكاد يستغني عنها عالم او زاهد . فبات هذا الاختلاط في حد ذاته مدعاة للإنقسام و التّحزب و الصّراع مثل ما حدث بين يهود و مسلمي توات و التي عرفت بنازلة توات أو الصّراع الذي كان قائما بين القبائل كصف يحمد وسفيان مثلا . كل هذا ترجم لنا صفة العمارة العسكرية

على مباني توات فكانت سببا دفع أهل هذه البلاد الى رفع درجة تحصيناتهم و المداومة عليها في غياب نظام حكم يفصل بين هذا و ذاك ، بل بات لا يمكن الفصل بين سورين لقصبتين

متجاوتين سوى مرمى حجر أو أقل من ذلك ، و ذلك يعني أن حالة اللاأمن كانت تسود المنطقة باستمرار ، لذا بات العمل على رفع درجات التّحصين من أسباب استمرار اقامة قبيلة من عدمه . و على هذا فقد تميزت العمارة الدّفاعية في القصبة التواتية بميزات خاصة تشابهت في جميع مقاطعاته الثّلاث القورارة و توات و تيديكلت ، و يمكن بذلك تلخيص صفات العمارة العسكرية التّواتية فيما أن لم تميز بمواد البناء بل تخصصت في تقنيات الانشاء و يمكن سرد ذلك في مايلي :

- من شروط ابن الربيع في تحصين المدن والثّغور هو اختيار الأماكن المرتفعة والمحصنة طبيعيا لذلك كانت العادة في اختيار أحصن وارفع المواضع لانشاء القصبات ، فمنطقة القورارة مثلا معظم قصباتها تحتل قمم الهضاب .
- قصبات تمنطيط مثلا توضعت كلها على هضبة يسيرة الارتفاع لكن اجتماع كل هذه القبائل في منطقة واحدة وفّر القوة لردع الاعداء و هي كذلك من الشّروط الواجب الأخذ بها في اختيار الأماكن . فهنا بات الاجتماع هو الدّافع الثّاني من الشّروط الواجب توفرها لبناء قصبة
- القصبات التي تتوضع على قمم عالية ليس لها شكل معين فأسوارها تتوضع على الحواف العليا للهضاب و عادة ما تكون دائرية او شبه دائرية و كمثال عن ذلك قصر شروين بالقورارة (صورة 24) فهو يميل في شكله الخارجي الى البيضوي وهي حتمية فرضتها عليه تضاريس الرّبوة التي أنشأ عليها حتى لا يترك مساحة لمناورة مع الأعداء .
- بعد اختيار موضع البناء ترفع الاسوار و هي امر مقدس لا نقاش فيه ، فهي كما ذكر ابن الرّبيع تساعد السّكان في دفع المضار عن أنفسهم . و عادة ما تكون هذه الاسوار هرمية الشّكل فقاعدها اكبر بكثير من القمة و هي سميكة جدا و عالية كذلك و قد نجدها مبنية بمادة الطوب مثل قصبة ملوكة و بالدبش مثل قصبة الذراع بالقورارة او يضاف اليها الطبية مثل قصبة ليشتة المهم في كل ذلك هو الحصول على أسوار عالية .
- و عادة ما تدعم هذه الاسوار بأبراج هرمية الشكل تتصل مباشرة بالسورة و عادة ما تكون اربع في القصبات المربّعة والمستطيلة المتوضّعة على أماكن منبسطة مثل ذلك قصبة اولاد

يعقوب بتمنطيط او ملوكة بتيمي و غيرهم الكثير والكثير و لكن قد نجد قصبات اخرى تتوفر على اقل من هذا العدد فمثلا بقصبة الذّراع نجد برجين مخروطيي الشّكل و احيانا اخرى نجد برجا واحدا يتوسط السّور مثل قصر تاوريرت و هذه الابراج ملحقة بالأسور.

و يمكن أن نجد أبراج منصلة تماما عن الأسوار مثل قصبة جاب الله اين يوجد بها برج مخروطي الشكل بني بالحجارة ذو مدخل خارجي أي انه يولج اليه من خارج اسوار القصر يخلو من الفتحات والمزاغل ، ربما كان هذا البرج مخصص لحراسة البساتين .

- الخندق كتقنية دفاعية داعمة للسّور ليس بالضّرورة أن نجده في جميع القصبات فهو حاضرٌ في قصبة بني مهلال بالقورارة و غائب بقصبة مبوكة بتيمي وعلى هذا فأنه يختلف عل السور فالسور ضروري وأكيد والخندق مضاف لأسباب وحالات يراها أهل القصبة لازمة فيقومون بحفره ، و في حالة القصبات المتوضعة على أرضي منبسطة فلا بد ان يحيط بالجهات الأربع للسّور و في قصبات أخري كحال قصبة الذّراع مثلا بالقورارة لا يحيط الا بثلث السّور وهي الجهة التي رآها أهل القصبة ضرورة لتدعيمها .
- إرتأى المهندس التّواتي ضرورة في تدعيم اسفل السّور بطبقة من البناء خشنة اضافية تميل الى الانحدار تدعيما له وكذا حتى لا يمكن نقبه او حفره كحال قصبة الذراع (صورة 32) او قصبة اولاد محمد (لوحة 64) أو أن يبنى أسفلى السّور بالحجار الضخمة لمنع أي حفر أو تنقيب في السّور كحال قصبة بني مهلال (صورة 21) و تكاد أن تكون هذه التقنية منتشرة في منطقة القورارة أكثر من أي منطقة أخرى .
- لما تكون القصبة مهيأة بخندق يتم تزويده بجسر خشبي بسيط الصّنع وهو عبارة عن ثلاث او اربع جذوع من النّخل تشد الى بعضها البعض بحبل ، يشرف عليها قائمون بهذا الغرض عادة ما توضع منذ فتح باب القصر فجرا وترفع عند المغرب و يغلق باب القصر ورائها ، وهي تقنية ولو بسيطة الا أنها توفر حماية كافية لأهل القصبة (صورة23).
- تنتهي غالبية الأسوار بشرفات يحتمي ورائها مدافعي القصر في حالة الحروب ، هذه الشّرفات تختلف من قصر الى آخر فأحيانا ضخمة كحال قصبة الذّراع (صورة27) و أحيانا اخرى لا تعودو ان تكون سوى للزخرفة فقط مثل قصبة تيميمون (صورة 22) او منعدمة تماما كما في قصر ملوكة

(صورة45)، كذلك نجدها غائبة تماما في كل الابراج و هذا يهني أن اسطح الأبراج خارج الاستغلال .

- من خلال النّماذج التي تم التّطرق اليها لم يسعفنا الحظ الى معاينة قصبة تحتوي على ممشى للحراس ، لكن هذا لا يعني أن المهندس المعماري التّواتي لم يجد لذلك حلا ، حيث استغنى على بناء ممشى للحراس حول السّور و أستعمل في مكانه أسقف المساكن الملتحمة بالسّور في حد ذاته ممشى للسّور و يؤكد ذلك الأبواب العلوية الموجودة في الابراج و التي تفتح مباشرة على سقف المسكن الملتحمة به (صورة 58-59).
- للدّفاع أكثر على القصبات قام التّواتيون بفتح منذ واحد و وحيد في سور القصبة حتى يسهل الدّفاع عنه ثم انهم لم يكتفوا بذلك بل قامو جعله صغيرا مثله مثل ابواب المساكن تقريبا وعادة ما يتكوّن من مصراع الى مصراعين على أكثر تقدير و كل ذلك زيادة في الحماية والدّفاع (لوحة63) .
- لعلى أكثر ما يلفت الانتباه هو أحدى طرق تدعيم البناء بخصوصا الأسقف وعوارض الابواب و هو استعمال بدلا من خشب النّخيل الشّائع استعماله عواررض من الحجارة المسطحة التي انتشرت وشاع استعمالاها في عهد المغيلي خلال ما يعرف بنازلة توات ، وقد اضفت قوة ومتانة اضافية للبناء (صورة51-شكل21) .
- في حالات الاحتدام والخوف تدفع الضّرورة الى تدعيم السّور الخارجي بسور ثاني يحيط بكامل السّور و أبراجه او بالجزء الضّعيف منه و يمكن أن يدعم بخندق كذلك و ذلك للرّفع من درجات الاستعداد و الاحتياط (صورة65) ، و يمكن أن يدعم بسور ثاني وابراج وخندق كذلك في نفس الوقت كحال قصبة الذراع (صورة 35) .
- من خلال البحث في المصادر والمراجع تبين أن قصبات توات تحتوي على مجموعة من الممرات التحت أرضية (أنفاق) لا ندري طولها او هندسة شبكاتها و نظرا لسريتها بقيت طي النسيان و الكتمان و هي بالضّرورة ميزة دفاعية كبيرة يتم من خلالها تدعيم وتزويد القصبة المحاصرة بالمؤن والرجان و هذا ما أشار اليه الباحث بيترو لورو (Pietro Laureux) في كتابه

قصور الصّحراء الجزائرية بقوله " ...**اما الأزقة و الممرات و الأنفاق فتختلف أبعادها و مقاساتها...**" .

- اعتمدت هندسة المداخل في جميع قصور توات الى اعتماد المدخل المنكسر و هذا لتحكم أفضل للوالجين داخل القصبة وهذا لم يكن الا لغاية دفاعية وهي التقليل من تدفق المهاجمين بعد اختراقهم الباب الرئيسي و مقاوتهم و دفعهم الى التّراجع (لوحة 30) .
- تميزت قصبات القورارة عن غيرها من مناطق توات الى كثرت التّحصين و التمكين ذلك لما تميزت به من صراعات وحروب فدعتها الضّرورة الى احتلال أرفع الأمكنة و استعمال الحجارة في البناء بكثرة تميزت بها بالخصوص عن منطقة تمنطيط وتيديكلت و كذا كثرة أسوارها وقد أطلق عليها الباحث ايشالي (Echalier) عليها باسم القلعة الحصينة و ذلك ربما لأنها جلها مخازن كما ذكر الباحث كابوراي (Capot Ray) في كتابه مخازن سكنية ومخازن محصنة حيث ذكر أن القورارة و حدها من تملك المخازن .

و لعمري كان هذا أهم ما ميز العمارة العسكرية في بلاد توات ، كثيرة ، متشابهة و بسيطة في آن واحد ، بسيطة في صناعتها و أكثر بساطة في موادها الانشائية ، لا تعدو أن تكون الا بغرض دفع المضار و بغيان الناس على بعضهم البعض و ليس مجابهة الجيوش المنظمة والجهرة بالأسلحة.
ذالكم ما كان من شأن عمارة الدّفاع في توات ، نسأل الله اننا قد وفقنا ولو في ابراز ما استطعنا ابرازه من قياسات و وصف لهذه المعالم و نحمد الله تعالى الذي لا اله الا هو و نصلي ونسلم على رسوله الكريم و نطلب منه المغفرة على كل خطأ ورد في هذا الكتاب ، وانه والله قد عملنا بجهد وكد طوال سنين عدة ، رغم المشاغل والاتعاب نعمل و نأمل أن نفعل صالحا ترضاه يا رب العالمين ، و إنّ من يعمل يخطئ بغير قصد و لعله قد يرد في هذا الكتاب بعض ما زلّ به القلم أو سها عنه القلب ، فإني أطلب المسامحة فيه ممن وقع في يده من القراء ، ولا تتخذوه سبيلا للنقد والاعتراض فإني أرجو من الله تعالى قبلكم أن يسامحني به فسامحوني أنتم بإصلاحه إن وجدتم عيبا .

وانى بحمد الله تعالى و مَنّه و كرمه من المعتقدين فيهم والمستغيثين إلى الله تعالى

بهم وبسائر عباد الله الصالحين أجمعين ولاسيما سيدنا ومولانا

محمد لقضاء الحاجات الدّنيويّة والأخرويّة فإنه

باب الله و أقرب الوسائل إليه و هو الواسطة

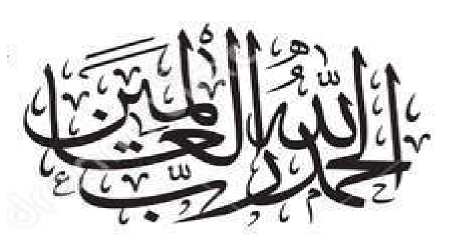
العظمى الوحيدة في سعادة الدّنيا والآخرة

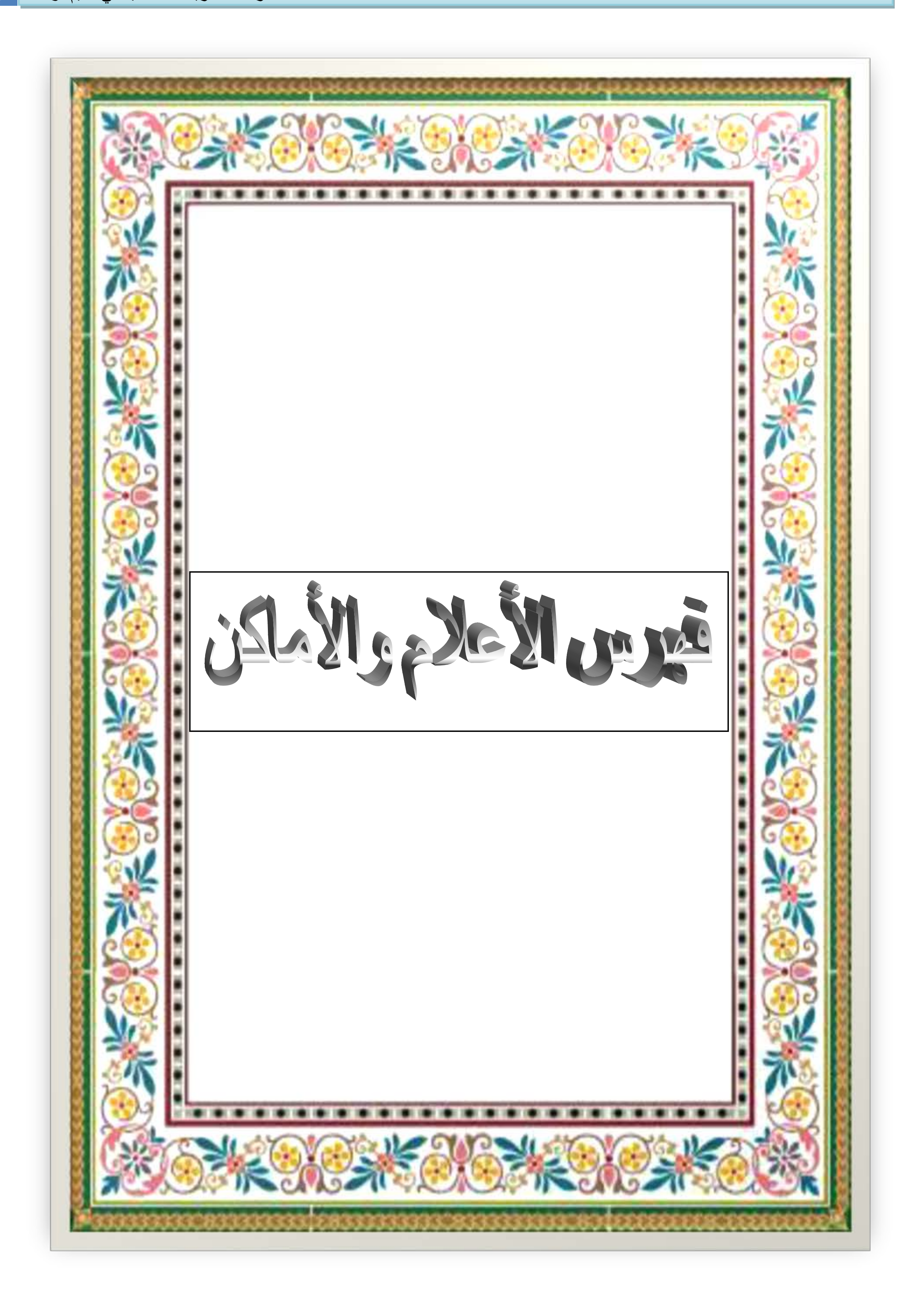
جعلنا الله من المحشورين في زمرتهم

وغفر لنا ولوالدينا وأساتذتنا

وأحبابنا وأولادنا ولمن سبقنا

و ان آخر دعوانا انّ




فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام والأماكن

1- الأعـــــــلام

- محمد صلى الله عليه وسلم : 8 .
- صالح بن قربة : 4 - 8- 101
- سيدي يحي : 23
- سيدي راشد : 24.
- الباحث مارتان أ .ج.ب : 27
- عبد الرحمان ايوب : 28
- العقيدكونار : 28
- كابوراي :-29-94
- الباحث بيسون: 29
- ج . ايشالي : 28 - 30-94 -105-136 .
- ابن دريد : 44.
- ابن فارس : 44
- ابن سيدة : 44
- الفيروز ابادي : 44-45
- ابن منظور : 44
- الحموي : 45
- عبد الله بن الزبير : 47
- عبد الملك بن مروان : 47
- الوليد بن مروان 47 .

- موسى بن نصير : 47
- عثمان بن عفان : 46
- معاوية : 46 .
- ابن قدامة : 47
- عقبة بن نافع : 47-82-97.
- ابن حوقل : 48
- القلشندي : 48
- ابن منظور : 48-68 .
- موسى بن نصير :49
- سعاد ماهر : 49-50
- ابن بطوطة : 52
- هرثمة بن أعين : 52
- هارون الرشيد : 52 .
- ابن الرامي : 59.
- ابن الاثير : 61
- شليمنصر : 61
- السّمهودي : 61
- القزويني : 65
- الجوهري : 66
- ابراهيم انيس : 66
- محمد عيسى صابر : 76
- ابي الفضل جعفر بن علي الدمشقي : 78

- ابن الربيع : 80
- محمد بلعالم : 81.
- سيدي محمد بن الصالح : 81
- عبد الكريم المغبلي التلمساني : 81-100-109-129-178
- مولاي احمد الادريسي : 82
- محمد بن باعومر : 82
- عبد الرحمان السعدي : 82
- سيد البكري : 83- 259
- المهدي الشيعي : 83
- على بن الطيب : 83
- الطاهر بن عبد المؤمن : 83
- البكري : 84
- فرج محمود : 84
- مولاي احمد الادريسي : 84-102 .
- مولاي احمد الادريسي : 84-102 .
- احمد بوساحة : 85 .
- ابن سعيد المغربي : 86 .
- سيدي الشيخ : 86.
- مولاي احمد ادريس : 86
- محمد عبد الكريم البكراوي : 86
- فرج محمود فرج : 86
- ابن خلدون : 90-100-107-115-163- 164-166-173-174 .

- الحسن الوزان : 91-100-115-150
- سيدي الحاج بلقاسم : 91
- سيدي الحاج بلقاسم : 93
- حسان ابن النعمان : 95
- الكاهنة : 95
- عبد العزيز بن مروان : 95
- ابن الصغير : 97
- عبد الرحمان بن رستم : 97
- عبد الرحمان بن الافلح : 97
- محمد بن عرفة : 97
- السلطان ابو حمو موسى : 98
- ابي سعيد المريني : 98
- اليعقوبي : 99
- ابن حوقل : 99
- ابن ابي زرع : 99- 105
- ابن عذارى المراكشي : 100
- ابن مريم : 100
- ابن بطوطة : 100
- اسماعيل بن الاحمر : 100
- ابوحمو بن يوسف : 100
- السلطان عبد العزيز : 100
- ابا بكر الغازي : 100

- ابو سالم العياشي : 101
- عبد العزيز القشتالي : 101
- محمود كعت : 101
- عبد الرحمان السعدي : 101
- انطونيو : 101
- الرائد لين : 101
- ريني كايي : 101
- الرائد كولونيو : 101
- الملازم يوران : 101
- جير هارد رولف : 102
- الملازم بالات : 102
- كاميل دول : 102
- الحاج عبد المالك : 102
- مارتان : 102
- برنار سافوراي : 102
- محمد بلعالم الزجلاوي : 103
- الشيخ محمد العالم البكراوي : 103
- الشيخ محمد بن المبروك : 103
- الشيخ مولاي احمد بن هاشم : 103
- القاضي محمود كعت : 103
- هيرودوت : 104
- المؤرخ بلين : 104

- سويطونيوس بولونيوس : 104
- ابن حوقل : 105
- الاصطرجي : 105
- جاكوب اوليل 105
- ابو سعيد المريني : 106
- احمد المنصور الذهبي السعدي : 107
- عبد الجليل : 109
- محمد بن مبارك : 109
- عياش : 109
- خير الله : 109
- علي البلبالي : 109
- ابن سليمان : 109
- بوعمامة : 112
- السلطان الحسن الاول : 117
- الحاج قلمان : 117
- يوسف بن تاشفين : 125-126
- المهدي بن تومرت : 126
- سيدي عبد الله العصموني : 126-131
- داود بن عمر : 126
- مولاي عبد الواحد الزويني : 126.
- سيدي سالم : 131
- عبد الله سيدي محمد : 132.
- سيدي الحاج بلقاسم : 132

- سيدي الحاج عبد الله : 132
- سيدي الحاج محمد : 132
- سيدي الحاج عبد الرحمان : 132
- سيدي الحاج عبد المؤمن : 132
- سيدي البكري : 133-157 .
- ابن هطال التلمساني : 134
- البلاذري : 134.
- ابن سعيد المغربي : 138 .
- ديسبوا : 138
- ابن بطوطة : 150
- سيدي البكري : 157.
- ابو العرب : 159

أسماء القبائل

- البربر : 47
- بني النضير : 49
- الطوراق : 85.
- اولاد معمر : 130
- اولاد اهمالي : 131
- اولاديعقوب : 131
- اولاد داود : 131.
- اولاد علي بن موسى : 131

- اولاد سيدي عبد الله : 142
- اولاد الباي : 142
- اولاد سيدي علي : 142
- اولاد المختار : 144 .
- اولاد سيدي الحاج : 144

2/ فهرس الاماكن

- النّيجر : 20
- الحجاز : 20- 105
- العراق : 20 -45 - 61-78
- ادرار : 20-23-86-87-93 -119 -127- 131-132-137.
- الشّام : 20-40-48-50-51-57-69-74.
- عين صالح 20-82-86-84-87-93-94-102- 113-137-138-140-141-142-145
- تاسيلي 20.
- جبل ايفورا 20
- جبل اير 20
- مالي 20
- جبال الاطلس 21
- جبل بليجي 21
- تونس 21-33-51-79-80-64-90-137-179 .
- الاغواط : 23-35
- ليبيا 23-33

- المغرب : 23 -32-33-51 -52-57- 64-69-83-99-99-100-101-102-103-109-105-116-125- 129-132-126.

- قصر تماسين23
- قصر تاجموت 23
- قصر تمنطيط 23
- قصر سيدي عمران 24.
- سيدي خالد 24.
- قصر تيميون 23
- قصر الظهراوي 23
- القصر القبلي 23
- قصر اولاد موسى 24
- قصر ورقلة 24
- قصر بني عباس 24
- القصر القديم 23
- القصر الكبير 23
- القصر التحتاني 24
- القصر الفوقاني 24
- القصر الابيض 24
- القصر الاحمر 24
- تموكتان 27.
- قصر حاسي فقاقير28
- قصر المنيعة 28
- قصر اغيل 28

- قصر سيدي خالد 29
- قصر الدوسن 29
- جبل نفوسة 32
- وادي ريغ 32 - 33
- وادي مية 32
- وادي سوف 32-33-139
- وادي ميزاب 32- 33 – 157
- رباط سوس 32
- طرابلس 32
- جادو 32
- كاباو 32
- وادي الساورة 33-82-85-87-89-113-116
- تمنطيط : 33- 79-86- 101-105-106-111-115 - 125-126- 128-129-130-131-139- 148- 156 .
- توات : 33-35-48- 50-57- 75-80- 81-82- 83-84-85 -86- 87-89- 91- 96- 93-94- 99- 100-101-102- 103- 105-106-108-113-115-116-118-122-125-126-127-128- 130-132-135-137-143-146-149-150-153- 156-157-160-169-170-172-173-175- 176 .
- تافيلات : 35-93-132.
- تقرت : 35-37 – 180
- وادي مية35
- تماسين: 35 .
- القليعة : 35 .

- الزّيبان : 35 .
- الجزائر : 35-109-134-137.
- السّودان : 35-19- 82-97-113- 78- 97-99-100-105-101-107
- غدامس 35 – 144
- ورقلة 35 - 54- 164 – 178 – 180.
- غات 35
- بطر 36
- الحيرة 36
- تدمر37.
- اسيا : 40
- مصر 40-46- 52-51-69-74-78-79-178-179
- بلاد الرافدين 40-9 6 – 158 – 180 .
- القيروان : 47 - 49 .
- اسوان : 47
- جبل اللكام 47.
- افريقية 47- 104 – 116 .
- ايران : 48
- المدينة المنورة : 49 -53 – 80
- دمشق 49 - 68
- بغداد 49 - 59- 79 .
- البرتغال :49 – 125
- اسبانيا : 49 - 125
- حلب : 49

- خيبر
- المدينة النورة 49
- دمشق : 49 – 54 .
- القيروان 49 - 74-78-79 .
- الدّرعية 49.
- طرسوس : 51
- يافا : 51
- قشارية : 51
- عسقلان : 51
- سمرقند : 51
- بخارى : 51
- غزة : 51
- عتليت51
- يافا 51
- خليج قابس 52
- مكة المكرمة 52-80
- واسط 52
- نينوى 52
- وادي ماسة 52
- رباط السينغال 52
- رباط نفيس 52
- رباط مراغة 52
- رباط اصيلة 52

- رباط سلا 52
- رباط سوسة 52-70
- الاندلس : 52-57-64-72-99-125 .
- اصفهان 52.
- تازة 52.
- القاهرة : 54-58-66-71- 73-78-80.
- الاغواط : 54 .
- المنيعة 54 .
- الفسطاط : 54- 56 .
- غرداية 54
- قصر تماسين 54
- عين ماضي 54
- بابل 55
- روما 55
- واسط 56
- قلعة بني حماد 58
- صنعاء 62
- اثينا : 62 .
- مراكش 64
- قصر المشتى 67
- قصر الحير 67- 73
- قرطبة 68
- القاهرة 68

- الجوسق 69
- قصر الأخيضر 69 – 73 .
- رباط المنستير 70.
- البصرة 56 .
- المنصورة 59 .
- تلمسان 59-70-98-113
- اشير 70 .
- المسيلة 70 .
- مراكش 70
- فاس 70
- المنصورة 70
- غرناطة 71
- حصن العقاب 71
- اشبيلية 71 .
- برج اسبانتا 71 .
- بروس بيطليوس 71 .
- سوسة 73
- فاس 74
- تيديكلت 75-87-94- 101-113- 138-139-140-137- 142-143-145-146-158-154
- بلاد فارس 75 .
- جامع القيروان 75
- جامع ابن طولون 75
- اليمن 77

- بلاد الحبشة 77 .
- جنى 78
- جامع سنكري 78
- جامع الازهر 78
- تمبكتو 78-93-98-102-127
- غانا 79
- غاو 79
- كوفة 79
- سمراء 79
- قرطاجة 79
- كنيسة القيامة 80
- كربلاء80
- كانو 80
- بورنوا 80 .
- القدس80
- المسجدالاقصى 80
- النجف 80
- كنتة81
- تسابيت 81-117
- تمنراست 82-137-142
- وادي مسعود 82-85-87-89-100-125-137.
- تيميمون 82-86-87-89-91-92-113-115-116- 117-118-153-119-120-121
- سنغاي 82

- درعة 83
- واد نون 83
- سجلماسة 83 -86-93 - 98 – 99 - 110
- تبلكوزة 84-103-117
- تيمي 86-115-127-128-133
- تانزرورت 86-92
- تبلبالة 86-132
- تادمايت 86- 139
- غانا 86
- عرق شاش86
- هضبة تنزروفت87
- عرق اكشاش87
- هضبة تادمايت87
- القورارة 87 -91-99-101-106- 115-116-118-125 .
- وادي مقيدن 87- 89
- وادي قاريت87
- وادي درعة 89
- تندرة 89 .
- وادي تافيلات 89
- وادي سفور 89
- وادي شيدون 89
- وادي قير 89-95-99- 105

- النيجر 89 .
- جبال الاطلس89
- المنيعة 89- 113-137 .
- ليبيا 90
- ماطريون 91
- عين البلبال 91
- رقان 91
- شروين91
- اولف 91 - 92 – 102 -137 .
- تنزروفت 92 .
- قصر مراقن 93 .
- وادي تيدكلت 92
- وادي اللفعاية 92
- عرق شاش 92
- ادرار92
- منطقة ماطرون 92
- عين الحجاج 93
- انغر 93
- غات 93
- اغاديس 93
- اليونان 93
- افريقية 97

- الزاب 100 .
- بلاد السوس100 .
- تكدا 100 .
- تكدارين 100 .
- تسابيت 100- 101 .
- تاهرت 100
- السّاورة 102-113
- اقبلي 102
- طرابلس 102
- غدامس 102
- طنجة 102
- رقان 102
- ايليغن 102
- ليبيا 104
- نفوسة 105
- سيرانيك 105
- تيكورارين 106
- تونس 108
- تلمسان 108
- تافيلات 111
- غانا 117
- شروين 118
- قنتور 118

- البيض 113 .
- تورسيت 118
- تسفاوت 118
- ارغون 125
- كاتالونيا 125
- قشتالة 125
- فنوغيل 127
- اوقروت 127
- تمقطن127
- قصر سيدي محمد 128
- قصبة ملوكة 129-131 -132 -134 -135 -168 -180 -
- برنار سافوراي 130
- قصبة كوسام 131
- تندوف 132
- قصر المنصور 132
- قصر ادغا 132
- اللاذقية 134
- قصر البلباليين 135
- قصر تاوريت 136
- قصر جاب الله 136
- قصبة بودة 137
- قصبة بوزان137
- ادلس 137

- اينغر 137-139-140-141-142
- ايقسطن 137-139-141-145
- هضبة تادمايت137
- هضبة مويدر137
- برج اعمراديس 137
- عين مقل137
- فقارى الزوي 137
- المنيعة 137
- فقارة العرب 137
- فقارة الزوي 139
- مليانة 139
- هضبة تادمايت 139- 143
- فقارة العرب 143
- زتوية الماء 143
- هضبة تيهرت 143
- قصبة با جودة 143
- قصبة اولاد بلقاسم 143
- قصبة اولاد الحاج 143
- قصبة الدغامشة 143
- قصبة الحاج بلقاسم 143
- قصبة الجديد 143
- قصبة العرب 143
- فنوغيل 144

- الدغامشة 145
- سجلماسة 146-149
- سنغاي 146
- قصر العرب 147
- تقوراين 149
- القورارة 150-151-152-156-170
- قصبة بني مهلال 153
- حماة 155
- قرطبة 155
- قصر الذراع 156
- قصبة اولاد محمد157
- قصر اولاد اهمالي157
- قصر الحير 161
- سامراء 161
- الاندلس 161
- قصر الحمراء 162.
- الزهراء 162
- قرطبة 162
- المنيعة 164
- متليلي 164
- الاغواط 164
- بسكرة 164
- المنيعة 166

- مشهد السيدة رقية 167
- القاهرة 167
- مشهد السيدة نفيسة 167
- جامع ابي الحسن 167
- جامع سيدي الحلوي المريني167
- جامع ابي الحسن167
- جامع القرويين بفاس 168
- جامع الكتبية 168
- مراكش 168
- فاس 168
- العراق 174
- سمراء 174
- نجد 174
- المغرب 174
- الاندلس 174
- قصبة اولاد سيدي محمد 174
- اسيا 176
- العراق 176
- غرداية 178
- الحجاز 179
- قصبة عمر اقبور181
- قصبة تايلوت 181
- قصبة سيدي البكري 181

- قصبة اولاد اهمالي 181
- قصيبة تاحيا 18
- كريت 180


المصادر والمراجع

1- المصادر

* **القرآن الكريم** : برواية ورش .

* **أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري(ت256ه)** : الجامع الصحيح ، شركة الشهاب ، الجزائر ، د ت ، ج 04.

* **ابن أبي الربيع شهاب الدين احمد بن محمد (ت 272 ه):** سلوك المالك في تدبير الممالك ، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي ، ط1 ، تراث عويدات ، بيروت-باريس 1978.

* **ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري(ت 276 ه):** عيون الأخبار، المجلد الأول ، ج3، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.ت.

* **البلاذري أحمد بن يحي بن جابر البغدادي (ت 279 ه)** : فتوح البلدان،تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجاريةالكبرى بمصر، 1959

* **اليعقوبي ،ابو العباس احمد بن اسحاق (ت 284 ه)** : كتاب البلدان . مطبعة بريل ، ليدن 1891.

* **ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن(ت 321ه)** كتاب الجمهرة في علم اللغة، تحقيق بعلبكي رمزي منير، دار العلم للملايين لبنان، ط1.

* **الطبري. محمد بن جرير بن يزيد (ت 310 ه)** : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق يوسف بك محمد الحنفي و محمد افندي عبد الله . مطبعة الحسينية . مصر . ج9. سنة 1917.

* **أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333 ه)** : طبقات علماء إفريقيا و تونس . تقديم و تحقيق على ألشابي و نعيم حسين اليافي . الدار التونسية للنشر . 1968 .

* **ابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت337ه)** : الخراج وصنعة الكتابة ، مكتبة المثنى بغداد ، د.ت .ط 1.

* **ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت367ه)** : كتاب الأرض، دار مكتبة الحياة، . لبنان،1992 ، ط 2 .

* **احمد بن فارس بن زكرياالقزيني الرازي (ت 395 هـ) :**معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1.
* **الفرسطائي ، أبو العباس أحمدبن محمد بن بكر '(ت 440 هـ) :** القسمة و أصول الأرضين ، تحقيق و تعليق وتقديم الشيخ بكير ومحمد الصالح ناصر ، ط2 ، نشر جمعية التراث القرارة .2002.
* **الخطيب البغدادي ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ) :** تاريخ بغداد ، طبع القاهرة ،ج1 ، 1931 .

* **اسماعيل بن حماد الجوهري (ت 453 هـ)** : الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399 هـ، .ج1.
* **ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت 485 هـ)** :
1- المحكم و المحيط الأعظم، تحقيق إبراهيم الأبياري ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة 1971 ، ،ط1.
2- المخصص، دار الفكر، المجلد الأول، السفر الأول.
* **البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد** (ت 487 هـ): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب- تحقيق دوسلان ، الجزائر 1875.
* **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد(ت 559 هـ)** : المغرب العربي من كتابه نزهة المشتاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر1983.
* **ابن صاحب الصلاة :ابو محمد عبد الملك ابن محمد بن أحمد بن ابراهيم الباجي (ت 594 هـ):** تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، ط1،السفر2.دار الأندلس للطباعة و النشر ، بيروت 1964.
* **ابن حماد ابي عبد الله محمد بن علي (ت628 هـ)** : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم . مطبعة جول كوبونال . الجزائر . 1927.
* **ابن الأثير عزالدين ابي الحسن بن علي بن ابي الكرم (ت 630 هـ)** : الكامل في التاريخ . مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق.المجلد7.دار الكتب العلمية. بيروت.1987.
* **عبد الواحد المركشي (ت 647 هـ)** : المعجب في تلخيص أخبار المغرب..شرحه واعتنى به د. صلاح الدين الهواري. الناشر : المكتبة العصرية الطبعة . الأولى سنة 1426 هـ - 2006 م.

* **الغالب بالله محمد بن يوسف بن الأحمر(ت 671 هـ)** : روض النسرين في ملوك بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962.

* **القزويني ، ابو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ)** : آثار البلاد و أخبار العباد . دار صادر. بيروت 1960 .

* **ابن العذارى** ابو العباس احمد بن محمد (ت 695 هـ) : البيان في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب .. ج1 . دار الثقافة-لبنان . 1983.

* **ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد (ت711 هـ)** . لسان العرب .الدار المصرية للتأليف والترجمة، بيولات ، ج11.

* **ابن عذارى : ابو العباس أحمد بن محمد (ت بعد عام 712 هـ)** : البيان.المغرب في أخبار الأندلس.ج1.دار الثقافة .بيروت 1980.

* **ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (ت بعد 713 هـ)**: الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس) . تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1971 م.

* **ابن ابي زرع** (ت 726 هـ) : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس . دار المنصور للطباعة و الوراقة . الرباط . 1972 .

* **ابن الأخوة محمد بن محمد (ت 729 هـ)** : معالم القربة في أحكام الحسبة ، نقل وتصحيح روبن ليوي ، مطبعة دار الفنون ، كمبريدج 1937.

* **ابن الرامي: ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي (ت حوالي 750 هـ)**. الإعلان بأحكام البناء . تحقيق محمد عبد الستار عثمان .دراسة أثرية معمارية . الإسكندرية . 2002.

* **ابن كثير (ت 774 هـ)** : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن لبتركي ، هجر للطباعة والنشر . ط1 . 1998م

* **ابن بطوطة : محمد ابن عبد الله (ت 779 هـ)** : تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، طبعة وادي النّيل بالقاهرة، 1287 هـ .

* **ابن مرزوق التلمساني محمد بن أحمد (ت 781هـ)**: المسند الصحيح في مآثر و محاسن مولانا ابو الحسن ، دراسة وتحقيق مريا خيسوس بيغيراء ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م.

* **ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمان (ت 808 هـ)** : كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . الطبعة الثانية . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . بيروت 1959.- ج 3.1 .

* **الفيروز آبادي الشيرازي مجيد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ)**: القاموس المحيط ،ج2، مطبعة البولاق مصر، ط 1 ،م 1 .

* **ابي بكر محمد بن عبد الله المالكي** (ت 819هـ) هـ : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ،تحقيق بشير البكوش ، ط1. 1983 .

* **ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين ابو الفضل بن علي بن محمد (ت 852 هـ)**: الإصابة في تميز الصّحابة . المجلد الثاني . ج3و4 . دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت،

* **المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845 هـ) :** المواعظ والاعتبار، ج2، مؤسسة الجبلي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت .

* **الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 900 هـ)** : الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة .القاهرة،ب ت ، ط2.

* **السّمهودي نور الدين علي بن احمد (ت 911 هـ)** : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، ط2، ج1،بيروت،1339 هـ ،

* **الوزان ،الحسن بن محمد (ت 956 هـ)** : وصف إفريقيا ، ترجمة د. حجي و د. محمد الأخضر ، ط2 ، ن ج1، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1983 .

* **ابن مريم، ابي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت 1020 هـ)**: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان شرح محمد بن أبي شنب، تقديم عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988 م.

* **المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ):** نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب،تحقيق احسان عباس ج1، دار صادر بيروت ، 1997 .

* **الجليدي احمد بن سعيد (ت 1094 هـ)** : كتاب التّسيير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.

* **الوزير السّراج . أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي** (ت 1149 هـ) : الحلل السندسية في الاخبار التونسية . بتحقيق الكتاب و نقديمه المؤرخ محمد الحبيب الهيلة وصدر بتونس عن دار الكتب الشرقية عام1970 . ج2.

* **الثميني عبد العزيز(ت 1223هـ)** : التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل ، صححه الثميني محمد ، تونس ، 1944.

* **السلاوي ابو العباس احمد الناصري (ت 1314 هـ)** : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق الأستاذان جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ج3،2، 1954م-1955 م،

-**ابن خلدون ، ابي زكريا يحي ابن ابي بكر محمد بن محمد بن الحسن (ت 1379 م) :** بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد المجيد حاجيات ، مجلد 2، المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1980.

الزركلي خير الدين(ت 1396هـ): الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء العرب و المستعربين و المستشرقين . المجلد 3 . ط 11 . دار العلم للملايين ، بيروت.

- **بابا حيدة** .القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م

- **محمد باي بلعالم** .الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. .ط1.2005 دار هومة الجزائر.

- **مجموعة من علماء توات** : غنية المقتصد السّائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل ، تحقيق **محمد الدباغ وآخرون** ، دراسة وإخراج. وحدة بحث الجامعة الإفريقية أدرار /الجزائر.

المصادر المخطوطة

- **السلاطي محمد بن علي** : معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان و منافع البوادي و الأمصار ، مخطوط رقم 1192 ، الجزائر ، د ت ، ورقة 32 ،
- جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني : محمد بن عبد الكريم البكري . خزانة قصر تمنطيط . ولاية أدرار .
- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات .ج1و2. الشيخ محمد باي بلعالم .ط1.2005 دار هومة الجزائر .

- **العالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري** : مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . خزانة سيدي احمد ديدي قصر تمنطيط . ولاية أدرار.
- **الحاج البكري بن عبد الكريم** : مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .خزانة سيدي احمد ديدي بقصر تمنطيط أدرار .
- **محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني:** الدّرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية : . خزانة قصر كوسام . ولاية أدرار .
- رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب المزمري .خزانة قصر تمنطيط أدرار.
- **سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان ، وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن سيدي محمد** (جمع مشترك) : غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل .خزانة تمنطيط أدرار.
- **مولاي أحمد الطاهري الإدريسي** : مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات .خزانة كوسام أدرار .
- **محمد بن عمر بن محمد الجعفري:** نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : . خزانة قصر بودة . ولاية أدرار .
- تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني : العالم عبد الرحمان بن عمر التنلاني . خزانة قصر تنلان . ولاية أدرار.
- ترجمة وجيزة لبعض علماء توات .الحاج محمد بكراوي (المنيعة).
- **مخطوط مجهول العنوان:** حصل عليه كركب بشير أستاذ التاريخ بأربوات.

ثانيا- المراجع

1- المراجع العربية

- **فرج محمود فرج** : اقليم التّوات خلال القرنيين الثّامن عشر و التّاسع عشر ميلاديين . ديوان المطبوعات الجامعية . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1977.

- **الصديق الحاج أحمد:** التّاريخ الثّقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ /17م إلى 20م . ط2003/1. الجزائر .

- **الشيخ مولاي التهامي**: سلسلة النّواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .ج1و2. ط1. مارس 2005.المطبعة الحديثة للفنون المطبعية .الجزائر .

- **الزبير محمد العربي** : التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1798-1830م ، ط2 ، م و ك ، الجزائر ، 1984.

- **عبد الحميد بكري**: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ .ط1. 2005. دار الهدى الجزائر.

- **الدكتور أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي" ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م .

- **كمال بوشامة"** : الجزائر أرض عقيدة و ثقافة(باللغة الفرنسية) – طبع دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر 2007 م.

- **أيوب (عبد الرحمان):** "من قصور الجنوب التونسي . القصر القديم" . النقائش و الكتابات القديمة في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 1988.

- **الخولي (بدر الدين)** : المؤثرات المناخية و العمارة العربية . الجامعة العربية ببيروت.1975.

- **ابراهيم مياسي**: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر.ديوان المطبوعات الجامعية .1999 .

- **توريس (بلباس) :** الأبنية الأسبانية الإسلامية . ترجمة علية إبراهيم العناني . في صحيفة معهد الدراسات العربية بمدريد . ع1 .مدريد 1953.

- **حملاوي (علي)** : نماذج من قصور منطقة الأغواط. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر2006 .

- **حركات إبراهيم** : المجتمع الإسلامي والسّلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا والشّرق، المغرب، ،1998،

- **خالص الأشعب** : المدينة (العربية) ، التّطور ، الوظائف ، البيئة والتخطيط . بغداد . المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم .1982 .

- **نجيب محمد مصطفى** : العمارة في عصر المماليك . القاهرة تاريخها و فنونها و آثارها . القاهرة 1970 .

- **عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات** .المدينة في العصر الوسيط، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار . البيضاء ، 1994 ،

- **نسيب (محمد)** : زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، دمشق / الجزائر ، د.ت.

- **نقولا نقاش** : دائرة المعارف . م 1 . بيروت 1996.

- **سليم عادل عبد الحق** : تشييد بغداد وأثره في فن العمارة و العمران العربي و العالمي . الحوليات الأثرية السورية .1963 . المجلد الثالث عشر.

- **شنيتي (محمد البشير):** . الاحتلال الروماني للمغرب (سياسة الرومنة .146ق م/40م). الشركة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1985.

- **شافعي (فريد) :** العمارة العربية في مصر الإسلامية . عصر الولاة. المجلد1.الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .1970.

- **فتحي (حسن)** : العمارة الإسلامية و الذاتية الثقافية و اتصال الأرض بالسماء، مجلة تنمية المجتمع . العدد الأول، السنة السّابعة ، القاهرة 1982

- **عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:**

1- تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ط7 ، د م ج ، الجزائر ، 1994

2- تاريخ الجزائر العام . ج2 . د.م.ج . الجزائر1995.

- **عقاب (محمد الطيب):** المدخل الى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان- الجزائر 15-18نوفبر1982.

- **محمد عبد الستار (عثمان)** : المدينة الإسلامية . عالم المعرفة 128. الكويت 1988 .

- **محمد سحنوني** : ما قبل التاريخ . مطبعة جامعة الجزائر. الجزائر 1992.

- **موسى لقبال** :المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984،م 3.

- **عبد العزيز بن عبد الله**: مظاهر الحضارة المغربية، نشر دار السلي، الدار البيضاء، القسم1 .1958..
- **فريد الشافعي** : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، الهيئة العامة للتأليف و النشر ، مج1 ، 1970 .

- **مصطفى غالب** : تاريخ الدولة الاسماعيلية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 1965.
- **سعاد ماهر** : العمارة الاسلامية على مر العصور ، دار البيان العربي ، جدة ، 1985 ،
- **يحي بوعزيز**: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى-الجزائر 1992.

- **الموسري مصطفى عباس** : العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العربية الاسلامية ، العراق ، 1982.
- **الزبيري محمد العربي** : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين1830 و .1798 ط2. المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1984 .
- **مزهودي مسعود**: الإباضية في المغرب الأوسط،جمعية الثرات بالقرارة غرداية، الجزائر،.1996 .

- **محفوظ ولد بيه عبد الله** : خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام ، الطبعة الأولى، الرياض ، 1999 .
- **إبراهيم حركات** : المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان ، .1998

- **ربيع محمد حسنين** :دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1995 ، ط1 .

- **الصديق الحاج أحمد** : التّاريخ الثّقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ /17م إلى 20م . . ط2003/1. الجزائر .

- آدم عبد الله الألوري الحفناوي و **أبو القاسم محمد** :

1- تعريف الخلف برجال السلف" -مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1985 م.

2- الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا" ، ط 1، مصر، 1974 م

- كمال أحمد عادل :القادسية ، دار النفائس ، لبنان ، 1409 هـ / 1989 م ، ط1 ، م 9

- ابن عمارة(خليفة): كتاب النسب الشريف، شرفة الجنوب الغربي، مكتبة جودي مسعود، وهران،2009.

- بلحميسي(مولاي): الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

-إبراهيم (عبد الباقي): التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر الجديدة،دت.

-ابن يوسف (إبراهيم) : إشكالية العمران والمشروع الإسلامي،ط1، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1992.

- أوكطاف(نبيل): البيع في المذهب المالكي، طبعة مونشو، الرباط،1940.

- بريال وآخرون: الجزائر بين الماضي والحضر، ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- بناسي(أحمد): من يوميات أستاذ من سنة 1931 م إلى سنة 1945 م ، ط1، دار المنشورات التبيين الجاحظية ، *1994*.

- الجزيري (عبد الرحمن) : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات،ج1، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- الحصري (ساطع) : دراسات عن مقدمة ابن خلدون،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1967 م.

- **حليمي (عبد القادر):** جغرافية الجزائر(طبيعة بشرية اقتصادية) ط1 ، المطبعة العربية ، الجزائر، 1968.

- **وجدي محمد فريد** : القصر ، دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد7، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1971.

- **ماجد عبد المنعم**، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963 م.

- **خلاصي(علي):** القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحدسث، مطبعة الديوان، 2008.

- **خلف الله(بوجمعة):** العمران والمدينة، دار الهدى، عين ميلة ، 2005

- **دخموني (منى):** قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية تحليلية، رسالة الماجستير، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2004.

- **سالم (عبد العزيز):** المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطرها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية، دت.

- **شافعي(فريد):** العمارة العربية في مصر الإسلامية، م1، عصر الولاة، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة، 1969.

- **عبد الوهاب (حسن):** تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة،ط2، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1993.

- **عقاب (محمد الطيب):**

1- لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر،ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

2- مساكن القنادسة الأثرية، دار الحكمة ،الجزائر، 2007.

3-مساكن قصر القنادسة الأثرية، الجزائر ، دار الحكمة ، 2007.

- **زبادية عبد القادر** ، السّودان الغربي وممّاليكه الاسلامية الكبرى ، مجلة التاريخ ، م و د ت ، العدد 9 ، الجزائر ، 1988.

- **عميري (محمد):** النقوش الحجرية، مصلحة الثقافة ،مكتبة التراث الثقافي، ولاية البيض،1989.

- **محمد صالح بن قربة** : المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب . 1986 .

- **ج مارسيي :**

1- فهرست ' الفن المعماري وتونس والجزائر والمغرب وأسبانيا وصقلية وباريس : أ بيكار، 1926.

2-الآثار العربية تلمسان، باريس : أ. فونتموانغ، 1905.

3- الهندسة المعمارية للغرب الإسلامي'، تونس، الجزائر، المغرب وإسبانيا وصقلية.باريس : الفنون والحرف التصويرية، عام 1957.

-**بارجس :** تلمسان العاصمة القديمة لمملكة ذات نفس الاسم. باريس : دوبراة، 1859.

- **حسن زكي محمد** : فنون الاسلام ، ط1، القاهرة، 1948

- **حسين أحمد الخرخوري** : الأبراج تراث و تاريخ ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة،1998

- **عبد الله محمد جمال الدين** : الدولة الفاطمية (قيامها ببلاد المغرب و انتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش)،دار الثقافة ، القاهرة ، 1991..

- **الكعبي(ص)** : القيروان ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990.

- **فتحي (حسن):** التشييد مع الشعب، ترجمة مصطفى إبراهيم ،ط5، مكتبة الأسرة،2000.

- **فكري (أحمد):** مساجد القاهرة، ومدارسها، المدخل، دار المعارف، مصر،1961.

- **قوراري (عيسى):** قصر تيوت دراسة أثرية ومعمارية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان 2001.

- **كامل (عبد العزيز):** في المحراب، بيليو إسلام، القاهرة، 2007.

- **الشيخ طه الولي** : المساجد في الاسلام . دار العلم للملايين . بيروت . 1988 .

- **لمعي (صالح):** التراث المعماري الإسلامي، دار النهضة ، بيروت ، دت .

- **فريد الشافعي**، العمارة العربية في مصر الإسلامية، دار التأليف والنشر، الهيئة المصرية العامة، 1970 ، المجلد .الأول

- **مؤنس(حسين):** المساجد، سلسلة كتب ثقافية شهرية بإشراف مشاري العدواني، صدرت في يناير 1978، الكويت،1990.

- **يج بريتون** ، البرج في العمارة الإسلامية الحربية ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، .دار الكتاب، بيروت،1981 .

- **الميلي (مبارك):** تاريخ الجزائر القديم والحديث ،ج1،مكتبة النهضة الجزائرية.

- **عثمان اسماعيل عثمان** : تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، الجزء الرابع،1993 .

- **محمد زهران** ، فنون أشغال المعادن ، المكتبة الأنجلو المصرية ، 1965 .

- **العربي اسماعيل** : الصحراء الكبرى و شواطئها ، م و ك ، الجزائر ، 1987.

- **حسن ابراهيم حسن** : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، القاهرة ، 1963 .

- **خالد عزب** : فقه العمارة الاسلامية ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط1 ، 1997.

- **فرنسيس اور:** حضارات العصر الحجري الحديث . ترجمة سلطان محسن . مكتبة الاسكندرية . دمشق. 1995.

- **جون براند ترند:** إسبانيا والبرتغال، دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام بإشراف أرنولد، د ت.

- **باقر طه** : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، ط2،بغداد ، 1968 .

- **عبد اللطيف عاشور** : غزوات الرسول(ص) . مكتبة الرحاب . بور سعيد . الجزائر . 1963.

- **عبد العزيزالسيد سالم** ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 1992 .

- **علي جواد** :تاريخ العرب في الاسلام ، السيرة النبوية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2،بغداد ،2003 .

- **بونافان جيمت وبولس** : فن الزخرفة الخشبية في صنعاء ، دمشق ، 1996

- **خضير فريال مصطفى** : البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، وزارة الثقافة و الاعلام ، المؤسسة العامة للآثار و التراث ، بغداد ، 1983.

- **اسماعيل العربي** : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، ش و ن ت ، ب ت.

- **رشيد بوروبية :**

1- مدن مندثرة ، تاهرت ، سدراتة ، اشير ، قلعة بني حماد ، وزارة الاعلام و الثقافة ، ش و ن ت ، الجزائر ، ط1، 1981 .

2-فن الدين الاسلامي في الجزائر ، الشركة الوطنية للكتاب .1981.

3-الدولة الحمادية ،صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، بيروت،ط1 ، 1980.

4- الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- **ايمن فؤاد سيد :** التطور العمراني لمدينة القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية . ط1997،1،

- **حسين باشا** : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1979 .

- **حسن زآبي**، فنون الإسلام، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان، 1981 .

- **أيمن فؤاد السيد،** التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ط1. 1997.

- **مصطفى صالح لمعي** : التّراث المعماري الاسلامي في مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1404هـ .

- **ابراهيم على الجمل** : الامام عبد الله بن ياسين ، دار الاصلاح للطبع والنشر و التوزيع ، الدمام،د ت.

- **صبحي الصالح** : النظم الاسلامية نشأتها و تطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1965 ،

- **بن يوسف ابراهيم :** اشكالية العمران في التوسع الاسلامي ، مطبعة بودواد ، الجزائر 1992

المعاجم و الموسوعات

- **مجمع اللغة العربية:** مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، القاهرة، ج3، 1977.
- **مجمع اللغة العربية:** معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون القاهرة، دت.
- **قاجة (جمعة أحمد):** موسوعة فن العمارة الإسلامية،ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،2000.
- **غالب (عبد الرحيم):** موسوعة العمارة الإسلامية،ط1، جرس ، بيروت، لبنان، 1988 م.
- **غربال محمد شقيق** : الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة للطبع والنشر ، بيروت ، 1981..
- **عاصم (محمد رزق):** معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000.
- **التوني (يوسف):** معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، 1977.
- **محمد الهادي لعروق:** أطلس الجزائر والعالم . الجزائر .2005 .
- - **مقلد الغنيمي (عبد الفتاح)**: موسوعة المغرب العربي،ج1، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1994
- **الزركلي خير الدين:** الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب و المستعربين و المستشرقين . المجلد 3 . ط 11 . دار العلم للملايين ، بيروت 1995.

- **التوني يوسف** : معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي . بيروت 1977.
- **عطية الله أحمد** :القاموس الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية، مصر،1383 هـ - 1963 ، ط1.
- **بطرس البستاني**: دائرة المعارف، قاموس عام لكل عام و مطلب ، دار المعرفة، بيروت، لبنان1983
- **وجدي محمد فريد** : القصر . دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد7، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1971.
- **دائرة المعارف الاسلامية** ، السودان ، ط1 ، ج19 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1998 .
- **علام مهدي** : "الزاوية" دائرة المعارف الاسلامية . مركز الشارقة للإبداع الفكري . ج10 .
- **لهيثم مقدم الأيوبي**، موضوع التحصينات، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، مطبعة المتوسط . المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت، 1977 ، الجزء الأول .
- **إبراهيم زكي خو رشيد و آخرون**،" الحصن"، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مركز الشارقة للإبداع الفكري،1996 .
- **الزبيدي محمد مرتضى** : تاج العروس في جواهر القاموس ، بيروت ، ج1.
- **للواء جمال محفوظ واخرون** ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1987
- **المقدم الهيثم الايوبي و أخرون** : الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1987.
- **العسكري ابو هلال** : التلخيص في معرفة اسماء الأشياء ، تحقيق عزة حسن ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1969.

- **الأيوبي مقدم هيثم:** مقال الأسوار،الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، المؤسسةالعربية للنشر والتوزيع،ساقية جنزير ، بيروت،1990 .

- **مرزوق عاصم محمد** : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000 ، ط1 ، ص 121 .

- **ثويني على** : معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، دار الحكمة ، بغداد ، 2005 .

المجلات و المقالات

- (زبادية عبد القادر ، السودان الغربي وممالكه الإسلامية الكبرى) ، مجلة التاريخ ، م و د ت ، العدد 9 ، الجزائر ، 1988 ، ص 54 -. 62.

- (**الريحاوي عبد القادر** البيت في المشرق العربي الإسلامي) . المؤتمر العاشر للآثار. نوفمبر 1982 . صفحة من 15-18 . تلمسان الجزائر .

- التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر ، بحث للأستاذ د: (عبد الكريم عوفي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، ص ص 86 -98 ، العدد الأول(120ص)، السنة الأولى 1414 هـ/1993م وهران الجزائر

- دليل ولاية أدرار لجمعية الأبحاث د.ت. أدرار ، ماي 2000.

- المخطوطات داخل الخزانات الشعبية بتوات وتديكيلت ، محاضرة لمبروك مقدم أعمال الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية أدرار 1994 م ، ص ص 11-17 ، وزارة الثقافة الجزائر.

- (**شنيتي حمد البشير** التوسع الزّراعي الرّوماني وظاهرة البداوة في الجزائر). مجلة الدّراسات التّاريخية ،1986، ع2 .ص ص 11-17.

- (**باي بلعالم** : على منوال شراج المدينة) ، مجلة أعمال المهرجان الثقافي للتعريف بمنطقة ادرار ، 1985 ، ص 55 -60.

- **محمد بن مويسي :** مواقع ما قبل التاريخ و محطات النقوش الصخرية بولاية ادرار) ، النخلة ، مجلة ثقافية تصدرها جمعية لقروط بأدرار ، العدد الرابع ، جوان 2008 ، ص ص 08 - 15

ت- الرّسائل الجامعية

* **عقاب (محمد الطيب)**: قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني.رسالة دكتورا. الحلقة الثالثة. الجزائر .1982

***عليق نابت(خ)**: قصر ملوكة بأدرار (اقليم التوات). دراسة تاريخية اثرية . بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الأسلامية . جامعة الجزائر . 2001-2002.

* **ساقي حين محمد على** : الوحدات الزخرفية في جوامع مدينة بغداد و امكانية استخدامها في الأشغال اليدوية ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1997 .

* **بلغيث محمد امين** : الربّط بالمغرب الاسلامي ، و دورها في عصر المرابطين و الموحدين ، رسالة ماجستير مخطوطة ، معهد التّاريخ ، جامعة الجزائر ، 1987.

2- الـمـراجـع الأجـنـبـيـة :

-**Abdel Malek (H)** : Influence du droit musulman sur l'organisation de l'espace urbain . Mémoire pour l'optent ion de magister en urbanisme . E.P.A.U . Alger . 1991 .

-**Adam.(A)** : La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti Atlas ; Hesperis ; 1950

Augeas (C) , : Le Sahara occidental , société géographique , edit Masson et CIE , Paris 1919.

A. Northed edge « SUR », Encyclopédie de l'islam , Nouvelle Edition, T 9, Leiden, Brill, 1998,

-**Brigol.(M)**. : L'habitat des nomades sédentaires à Ouargla .T.I.R.S. t 16.1957.

-**Bourouiba (R),** : Apports de L'Algérie Architecteur religieuses arabo islamique O.P.U. Alger, 1987.

-**Bisson (J)**. : Le Gourara. Etude de géographie humaine .Mémoire n°3 .I.R.S. Université d'Alger .

- **Bachminski (J)**, Quatre Djemâa des Ksours du sud ouest algérien, Universite de seance et de l'Archeologie d'Oran, Alger, 1985

-**Camps. (G)** : Origine du Romaune Massyle. Revue d'Histoire et de civilisation du Maghreb . Alger .1967 .

- **Capitaine Lehuraux** : Le Sahara et ses Oasis .AE125. Paris 1925.

- **A.KOMARA**, Matériaux et Eléments de Construction, Moscou, 1978.

- -**Arbaoui (A)**. L'Aménagement Urbain dans les régions arides du sud Algérien. Considération climatique .Les cahiers de L'EPAU. 7/8-10/98.

- **BAUSANNI ,A** « BAB », Encyclopédie de l'islam, Nouvelle Edition, T 1, Edition G-P , Maisonneuve et Larose , S.A. Paris, 1975,

- **CRESSIE P.**, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie» Archéologie Islamique ,n°5, 1995.

- **Chalet (L)** : Les palmiers du M'ZAB .Bulletin de Sociologie et de Géographie d'Alger .1905

-**Capot (Ray)** :

1- L’Afrique blanche française. Presse universitaire de France .Paris 1953.
2- Greniers domestiques et greniers fortifiers au Sahara . Le cas de Gourara . T.I.R.S. t14.1923.
- **Carton** . ; Climatologie et agriculture de l’Afrique ancienne dans bulletin de l’Académie d’hipopone XXII.1894.
-**Couvet** ; Les maraboutes petites monuments funéraires et votifs du nord de l’Afriques, paris, 1923.
- **-Col.Quenard** ;.Recherches historiques dans le Touat – Gourara. B.L.S.n° 2 .1950.

-**Couderc Raymond**. : Les hautes steppes sud-oranaises, université Paul Valery Montpellier ,s d.
-**Courtois (Ch)** : De Rome à l'islam . Revue africaine .t xxxvi.
Alger.1.2.tri.1942 .

- **C. Matriot** , « Les fortifications Nord Africaine » Les archives Berbers, publication Bibl du comité d’étude Berbers de Rabat, . n° 3, Année 1915 et 1916.

-**Daumas** : Le Sahara Algérien, études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie, Alger, 1845.
-**Desfontaines pierre** ; L’homme et sa maison, Géographie humaine collinaire, 1972.
- **Des pois (J)** :
1-La Bordure Saharienne de l'Algérie Orientale .R.A .Alger.1942. 3/.4tri.
- 2-, Le Djebel Neffoussa, étude géographique, Paris, 1935.
-Douvelle Roger ;
1- D’Alger à Tamanrasset, tome3, 1883,.

2- Villages d’Algérie et oasis du Sahara, tome 7, 1987,
- **Devise-j**- ; Routes de commerce et echanges en Afrique occidentale en relation avec la méditeranee.RHIS. .
–**Echallier .(J.C)**.
1- Essai sur l’habitat sédentaire traditionnel au Sahara algerien .Paris. .1968.
2-.Village désertes et structures agraires anciennes du touat .
- .**PAUTY**, ; Rapport sur la Défense des Villes et la Restauration des Monuments Historique, Actes du 3 ème Congrès de l’Institut des Hautes - Etudes Marocaines, 1922.
-**Fathy (H)** ; Construire avec le peuple, sindbad, paris, 1970.
- Gabriel (A). Les fouilles d’al –Foustat et les origine de la maison arabe en Egypte .Paris 1921.
- Gabriel (A) et Bahget (A) : Les fouilles d'al-Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte . Paris 1921 .

- **GOURDIN. PH**. ; Les Fortifications du Maghreb d’après les Sources écrites, La vision d’Ibn Khaldoun sites et Monuments disparus d’après les Témoignages des voyageurs , Textes Disparus d’apres les témoignages des Yvette , Edition Réunis Par Rika gyze Leu Bures ; sur Civilisation duMoyen Orient .1966 ,
-**Gal.A.Moinier**. El -goléa. Le ksar el harratin . Rev .afr . N° 50.1906.
- **Gsell.(S)**. Atlas archéologique de l'algerie.Alger.1997. t 1.2e édition. f n °38 .
-**Gide (A)** : Biskra. les ziban . Algérie . Archive de Constantine.1954.
-**Guesoy (F)**. : L'armée d'afrique .

- **Guyot** : Le tourmeau et paye ,l’industrie de la poterie à Fès, Bull, éco, du Maroc , vol ll , n 10, 1935
- **Guyon .(s.n)**. :Voyage d'alger au ziban . Paris1850.
- **Godard (M)**, l’Oasis moderne, essai d’urbanisme saharien, Paris, 1953.
- - **H . TERRASSE,** « HISN »
-1-, Encyclopédie de l’Islam , Nouvelle Edition, T 3, LeydeE.J. Brille, G-P, Maisonneuve et La Rose SA, Paris, 1975,
-2- Kasbas berberes de l’Atlas et des Oasis, les grandes architecture du sud marocain.france.1938. .
- **HERRO. J**, La ville au Moyen Age en occident. Paysages Pouvoir et Conflits, Paris, 1990,
-**L’hote Henri** : Les gravures rupestres du sud oranais, arts et métiers, paris, 1970.
-**Jean Leon l’africain** . Description de l' afrique . Paris 1981.
-Kassab (T). : Evolution du patio dans la maison d'habitation individuelle en Algérie . Les cahiers de l'.E. P. A. U.7/8 . 10/98 .

-**Commandant Guenin** ; Inventaire Ardeal du cercle de Tebessa . Archives des Missions. 1908.
- **Leschi (L)** : Rome et les Nomades du Sahara .Travaux de l'Institut de Recherche sahariennes. t1 .
- **Louis (A)**
1-, Tunisie de sud Ksars et villages de cretes, C.N.R.S, Paris, 1975.
2-Lesudon et L’Afrique du Nord au debut siecle . TIRS.TXI.Alger .1954
- **Lizine (A)** ; Ksours . H.T.M. N° 2 .Juin 1994.
-**Maunier.(R**). : La construction collective de la maison en cabylie . Institut d'ethnologie.Paris.1962 .

-**Marcais(G)** : Salles . anti salle . Recherches sur l'évolution d'un thème de l'architecture domestique en pays d'Islam ; Extrait des Annales de l'Institut d'Etudes orientale; T10 . 1952 .

Marçais.(G). : L'urbanisme musulman. Cinquième congres de la fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord . Tunis. 6-8 .Avril 1939 .Alger 1940.

Masqueray (E). Formation des cités chez les populations sédentaires de l'algérie . édi Sud. Aix en Provence .1983.pp38-56.

.**Martin.a.g.p** :. A la frontière du Maroc. Les oasis sahariennes . (Gourara .Touat. Tidikelt). ed . de l'Imprimerie .Alger. 1908 .

-- **Mangin (E).** Note sur l'histoire de Laghouat . 1894.

- **Michael.(R)** ; Les Oasis au Maghreb. Mise en Valeur et développement .Centre d'études et de -Recherches Economiques et Sociales .Tunis.1995.

- **Montagne (R)** : Villages et Kasbas Berberes, Paris 1930.
- **Meunier A** ; Technologie prfessionelle de construction , Les materiaux de construction , édition foucher , Paris , 1970 ,
- **Emerit (M**)' L' Algerie a l'epoque d'Abd el Kader. Edition La rose . Paris . 1951.
- **MANUEL ROCHE**. Le M'Zab Architecture Mozabite .Ibadite en Algérie . Paris. 1970.
- **Martin (R) :** L'Appareil (Architecture) in Encyclopédia universitaire Acropus**.** (Altman-Arnold) .PARIS. 1990.

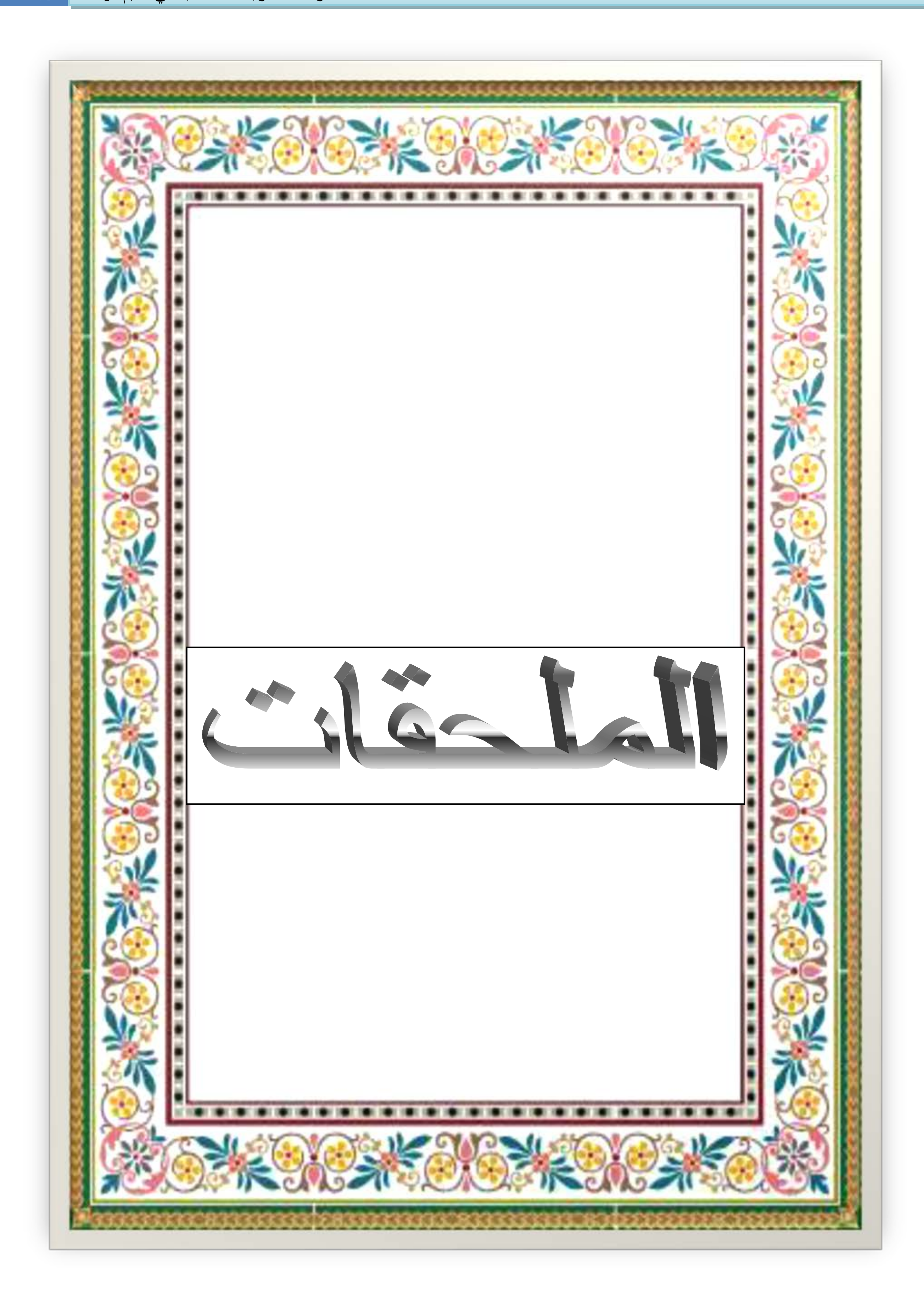
-**Noweir.(S).et de Paule.(J.CH**) : La maison et son usage . Architecture .mouvement continuité . v 48.

-**Renier.(s.n)** :Archives des missions. Paris .1854. .t 2.

- **Revault** (J). **Galvin** (L) et **Amhan** (A). Palais et demeures de Fès . T1. Epoque Mérinide et Sadienne (XIV-XVII) siècle . C.N.R.S . Paris.1985.
- Paris nd. P 392
Ricard(P). Pour comprendre l'Art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne . Hachette, Paris1824.
- **Salama (P)**: Quelques incursions dans la zone occidentale du Limes de numidie dans l'armée romaine . L'armée romaine d'Afrique et de la 3 légion d'Auguste .Actes de la table ronde organisée le 12 et 13/09/1989 à Lourmarin . Extrait d'Antiquités africaine .
-**Olivier (E)** ; Technologie des matériaux de construction, collection , techniciens de la construction, entreprise moderne . édition, Paris ,1978 .
-**Picard (G.CH)**.Civilisation de l'afrique romaine . Paris. 1960.
- **Piesse (L)**, l'Algérie et Tunisie , Paris ,1890,
- **Pottier (R**), Histoire du sahara,paris,1947,
- **P. CRESSIE**, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographie» Archéologie Islamique ,n°5, 1995,
- **Planat.(P) :** Ensyclopédie de l'Architecture et de la construction vol VI. Fascicule 2
- **Sourdel (d) et (g)** : La civilisation de l'islam classique .éd Arthaud . Paris 1983.
- **Stern.H** . Notes sur l'Architecture des chateaux des Omeyades .Arts Islamica.T3 .

- **H. TERRASSE**, « Une Porte Mérinide Fes Jdid », Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T VI, 1947
-Lettres du **Maréchal de St Arnaud** . t1 . Paris . Lévy 1855.

- **Ougouadfel (H)**. Le sacre comme concept pour la formation et la transformation des cités . Cas de Gardaia . H.T.M. n° 2 . Juin 1994.


الملحقات

I- ملحق الخرائط

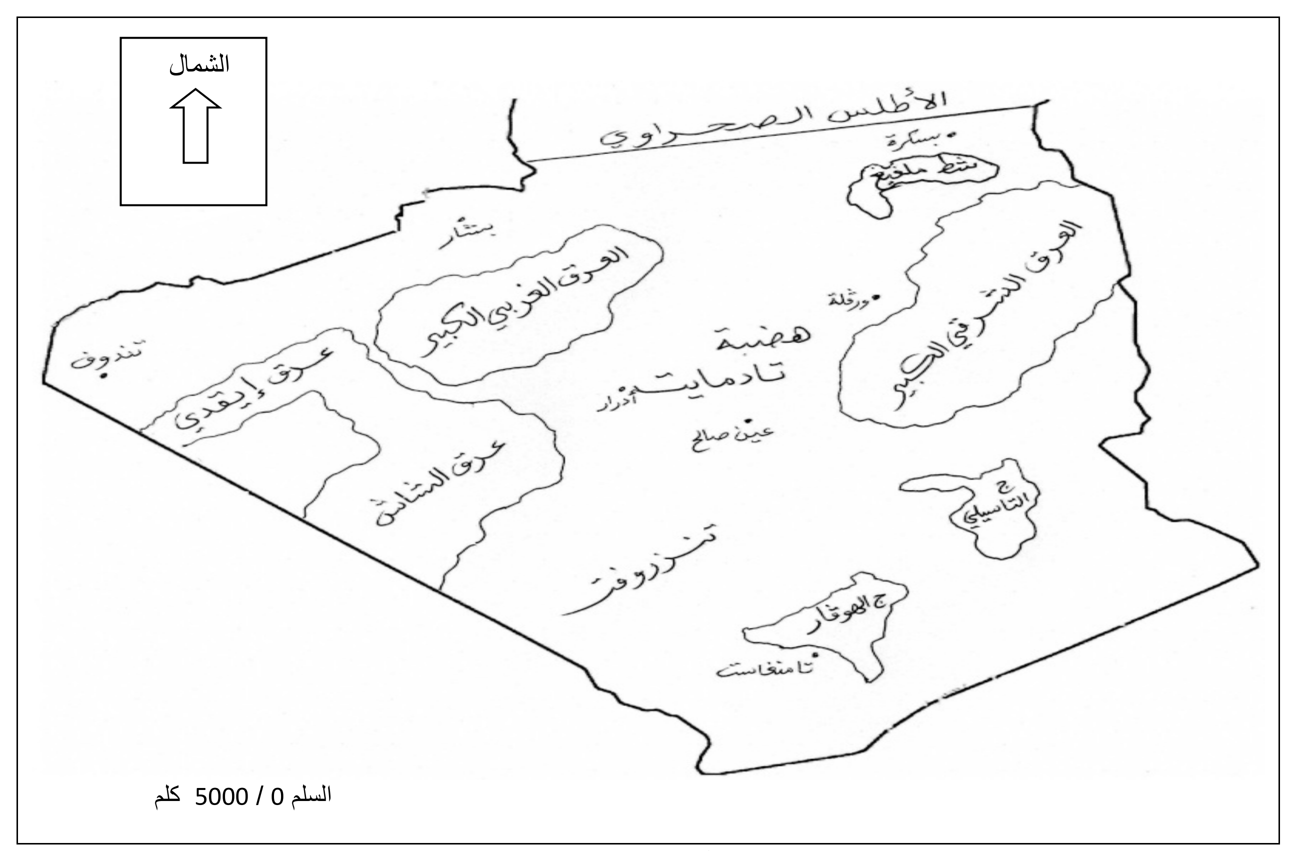
الشمال

⇧

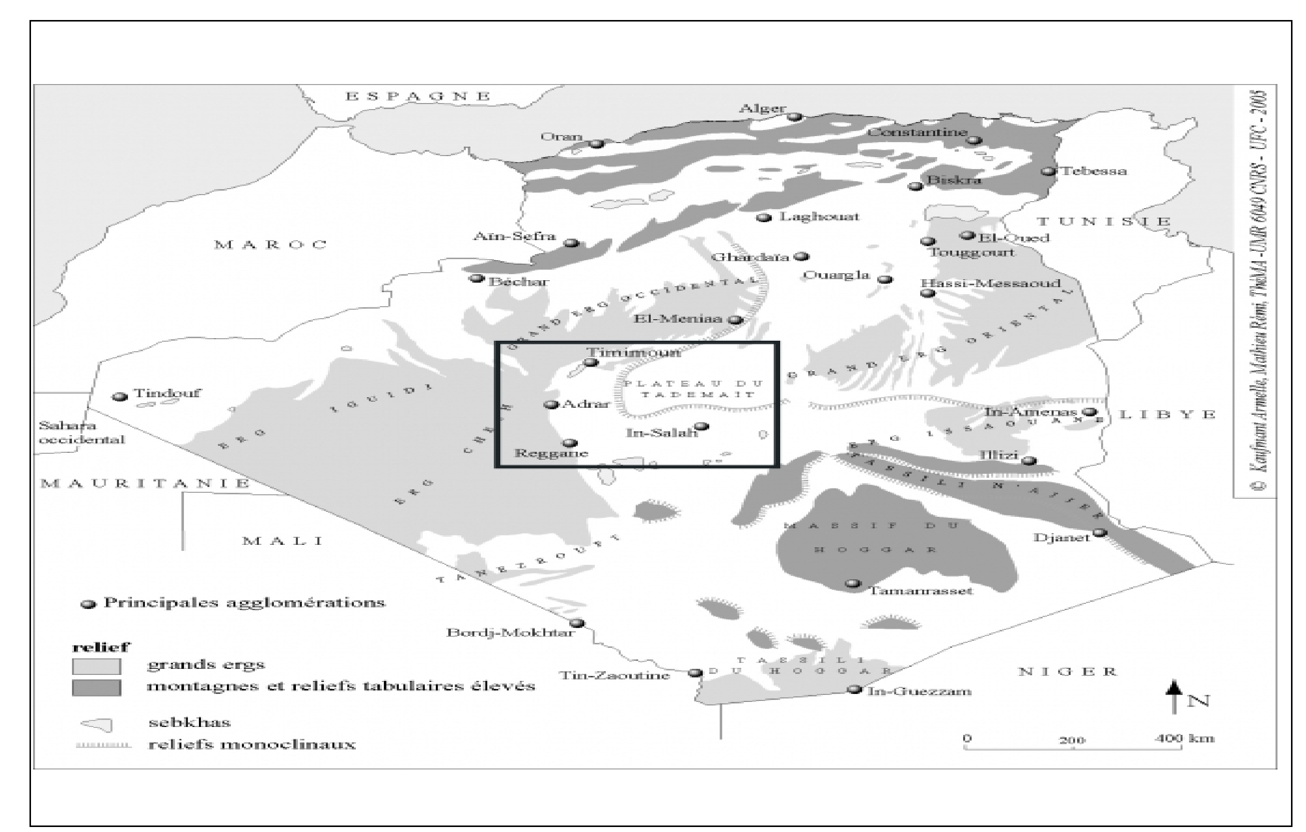
.



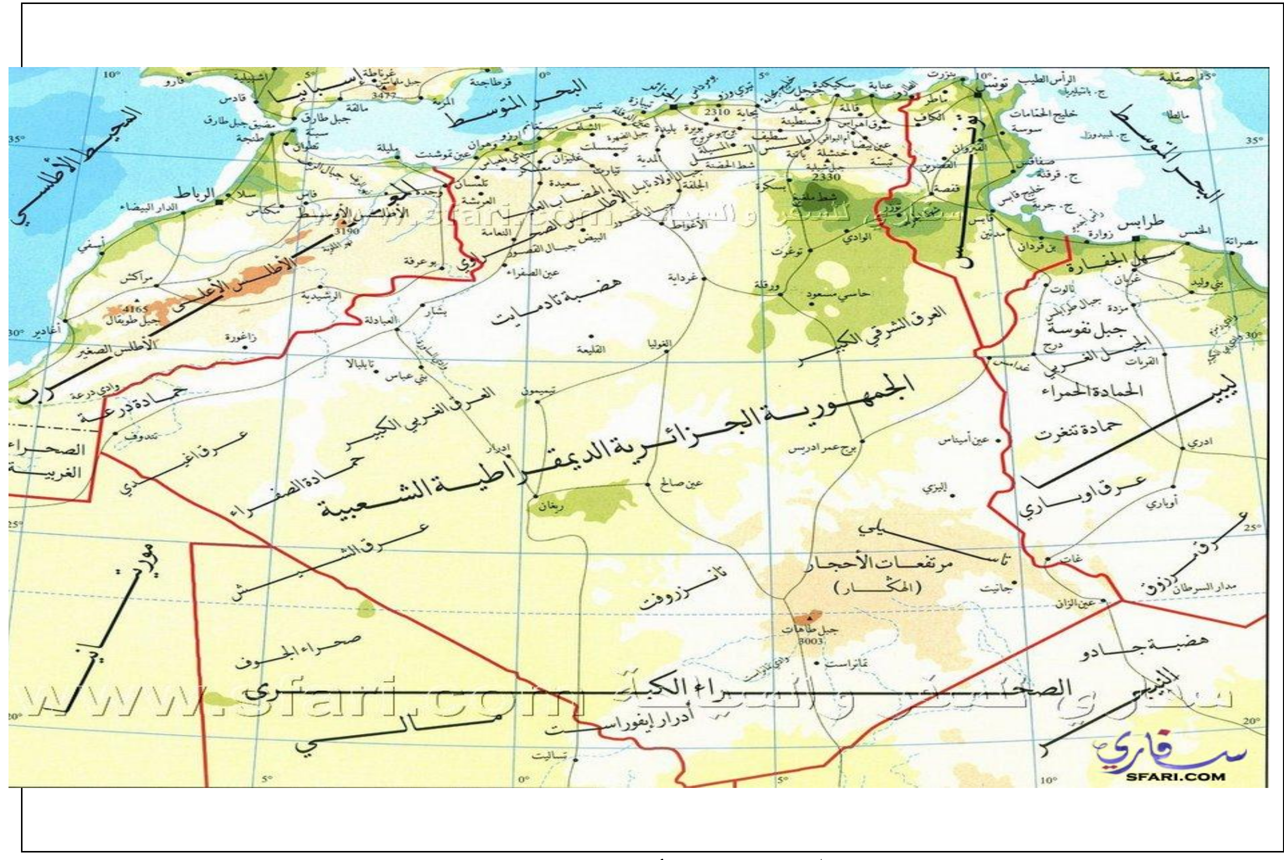
خريطة رقم 01: الصحراء الكبرى عن محمد الهادي لعروق.



خريطة رقم 02 : اهم السّلاسل الجبلية في صحراء الجزائر. عن فرج محمود فرج.



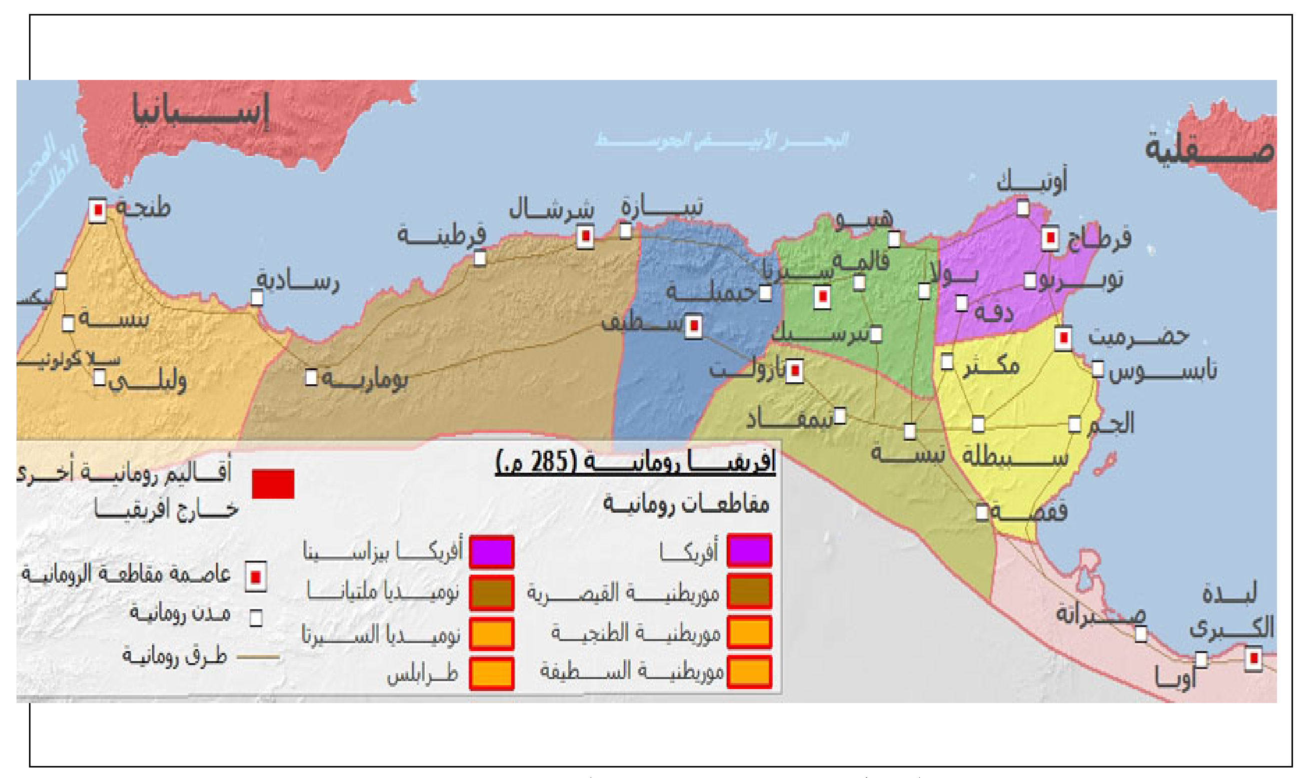
خريطة رقم 03 : اقليم توات .



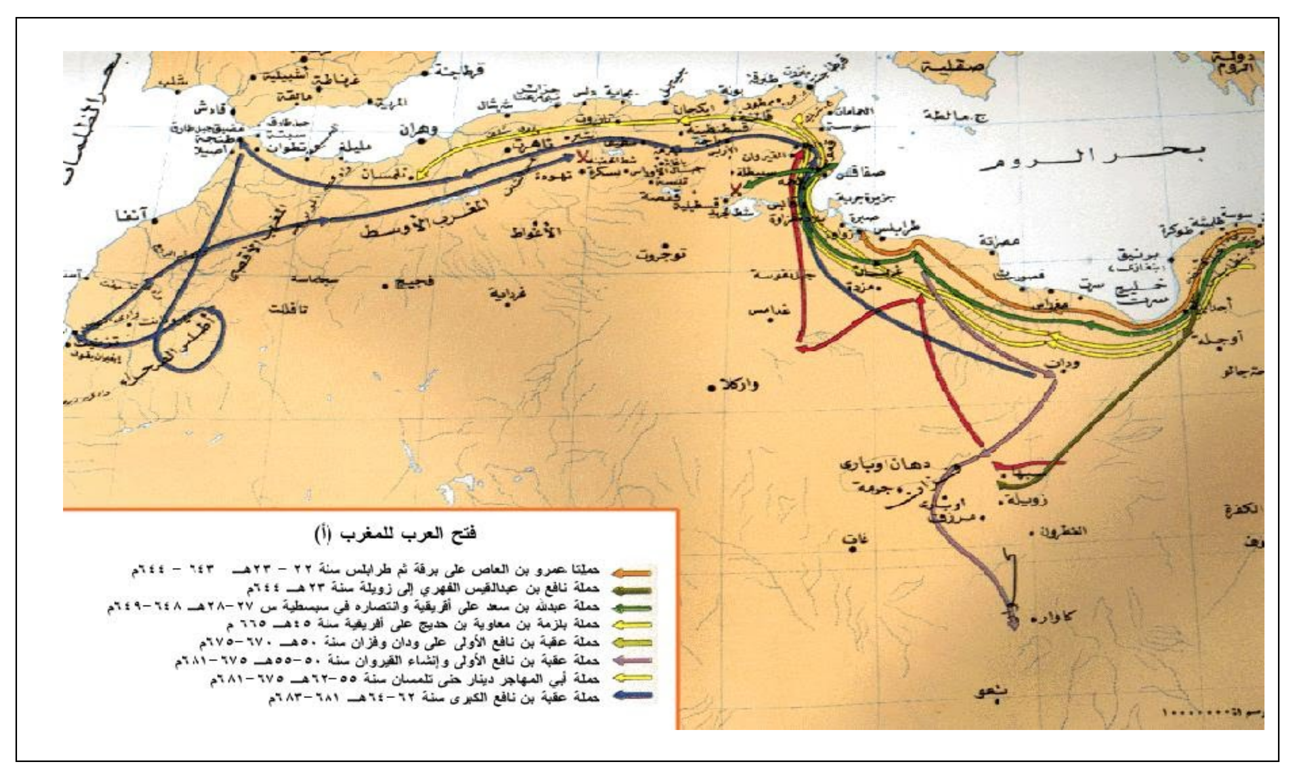
خريطة رقم 04 : خريطة طبيعية للجزائر (أقليم توات) عن محمد الهادي لعروق



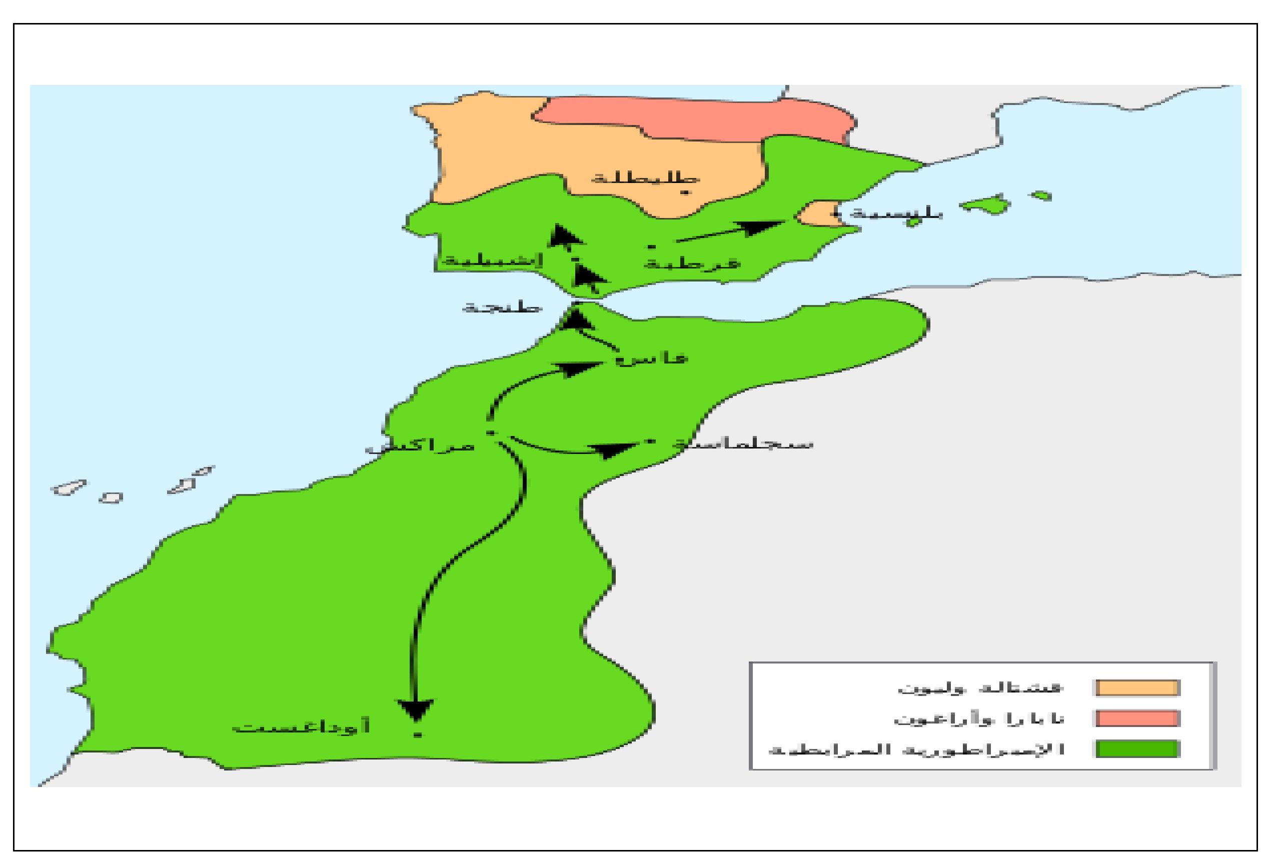
خريطة رقم 05: موقع توات أو تسوات عن محمود فرج.



خريطة رقم 06 : حدود الامبراطورية الرّومانية



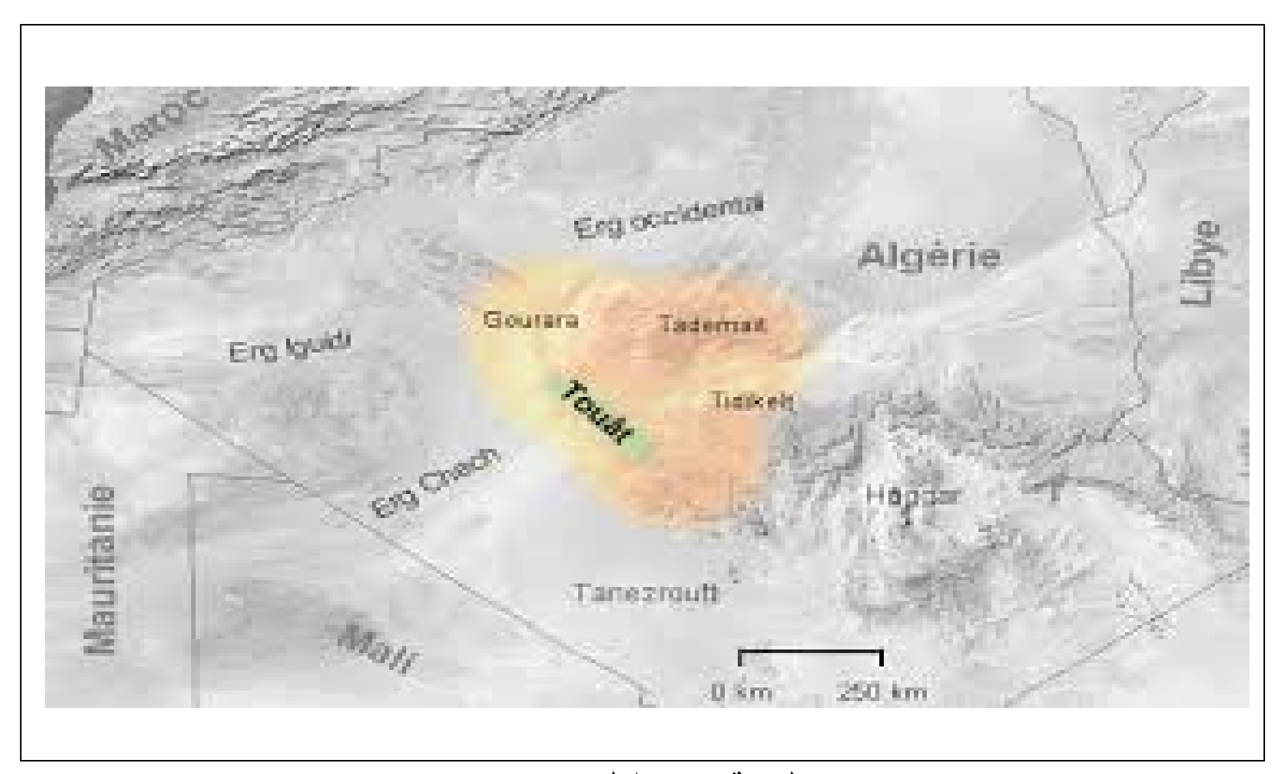
خريطة رقم 07 ، حملات العرب المسلمين لفتح المغرب عن حسن مؤنس



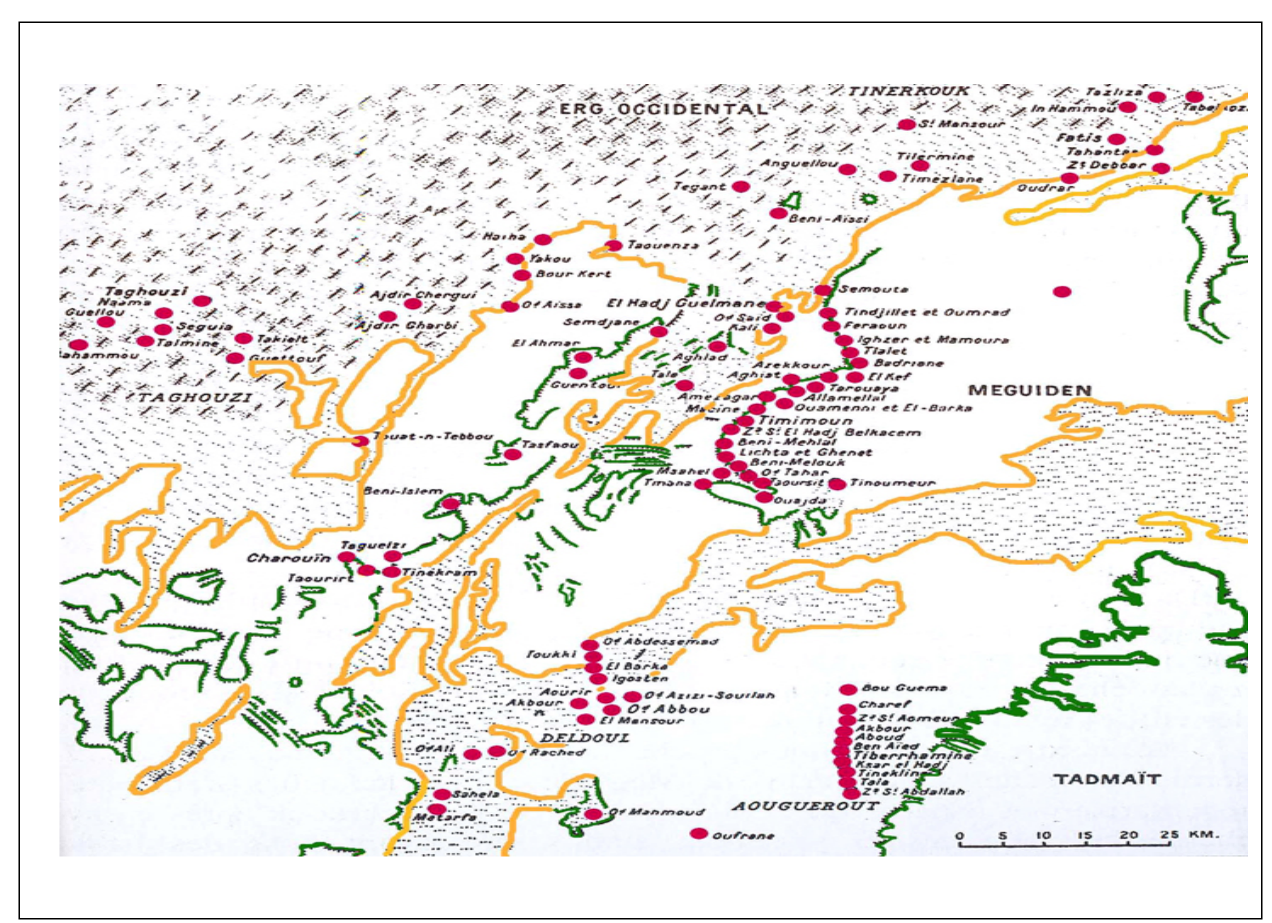
خريطة رقم 08 سجلماسة وحدود الدولة المرابطية . عن محمد الصلابي.



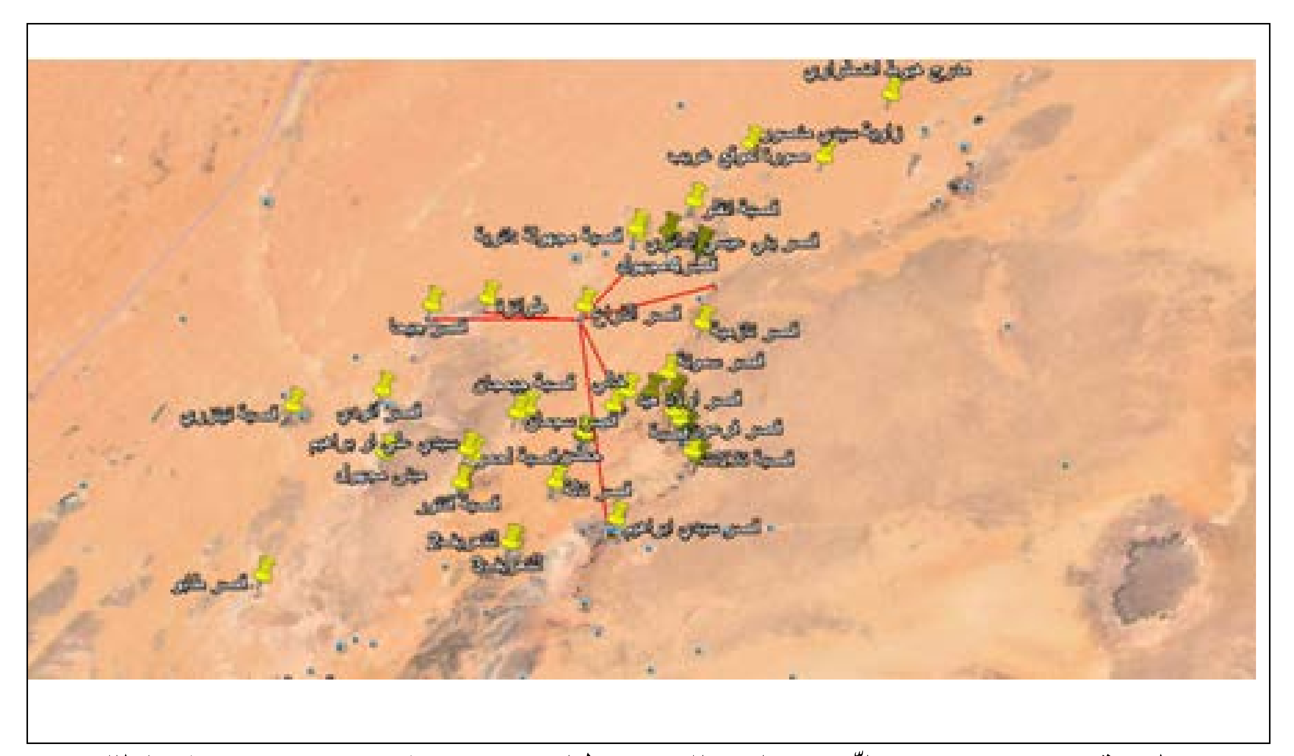
خريطة رقم 09 : امتداد الدّولة المرابطية والموحدين في الصّحراء. عن عبد العزيز بن عبد الله.



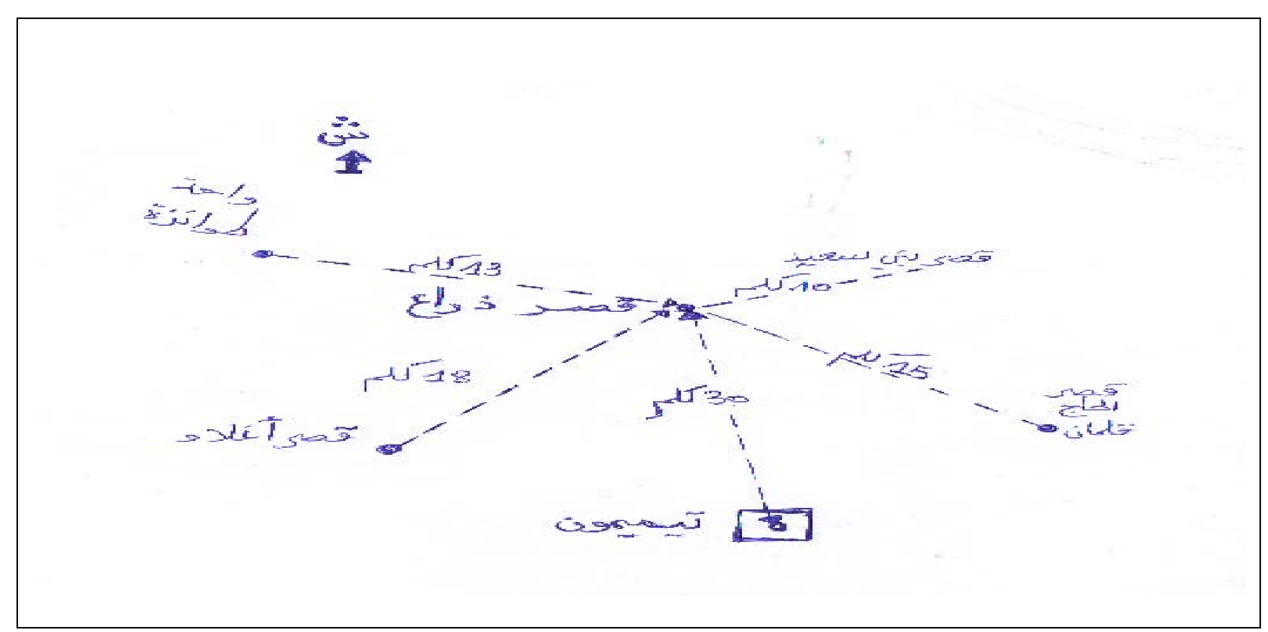
خريطة رقم 10 مناطق توات



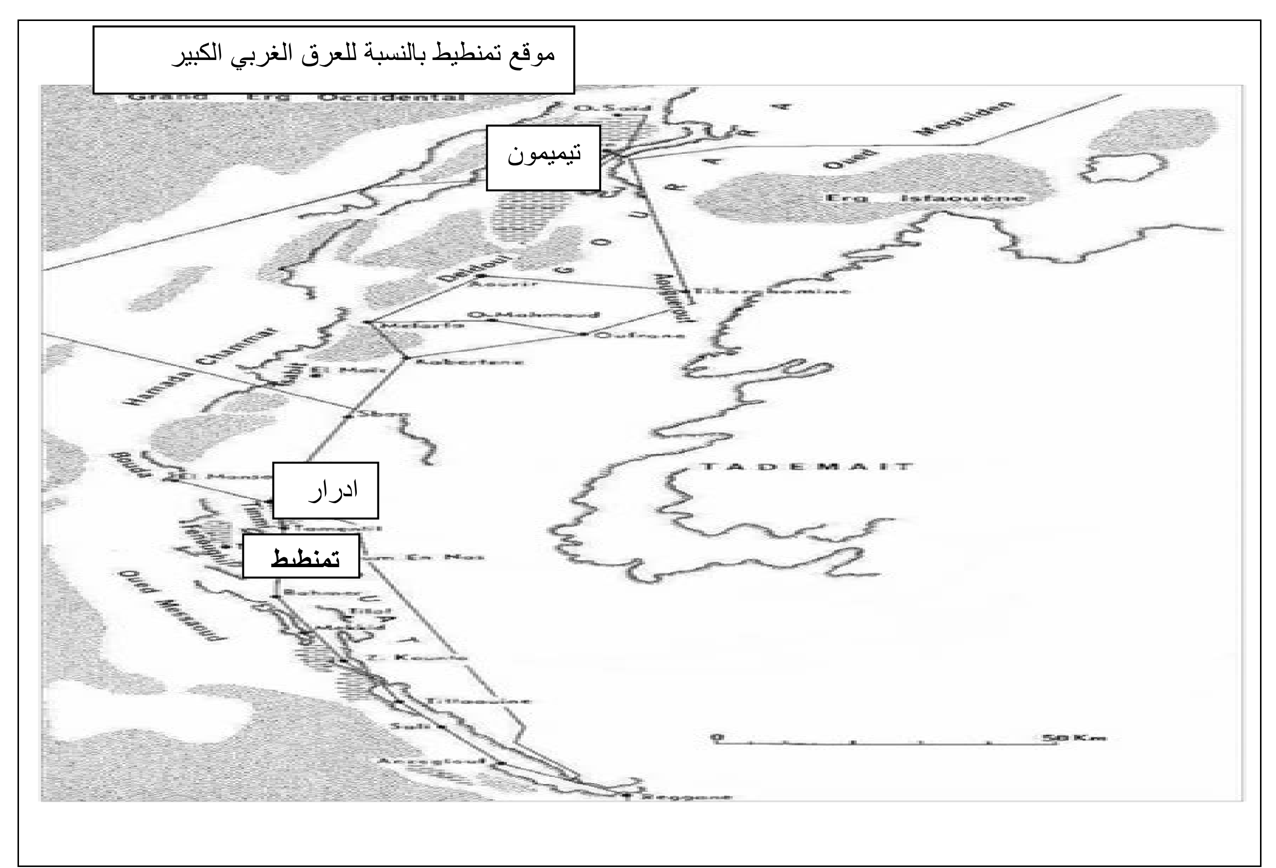
خريطة رقم 11 : قصور واحات تيميمون (القورارة). عن (Bisson. J)



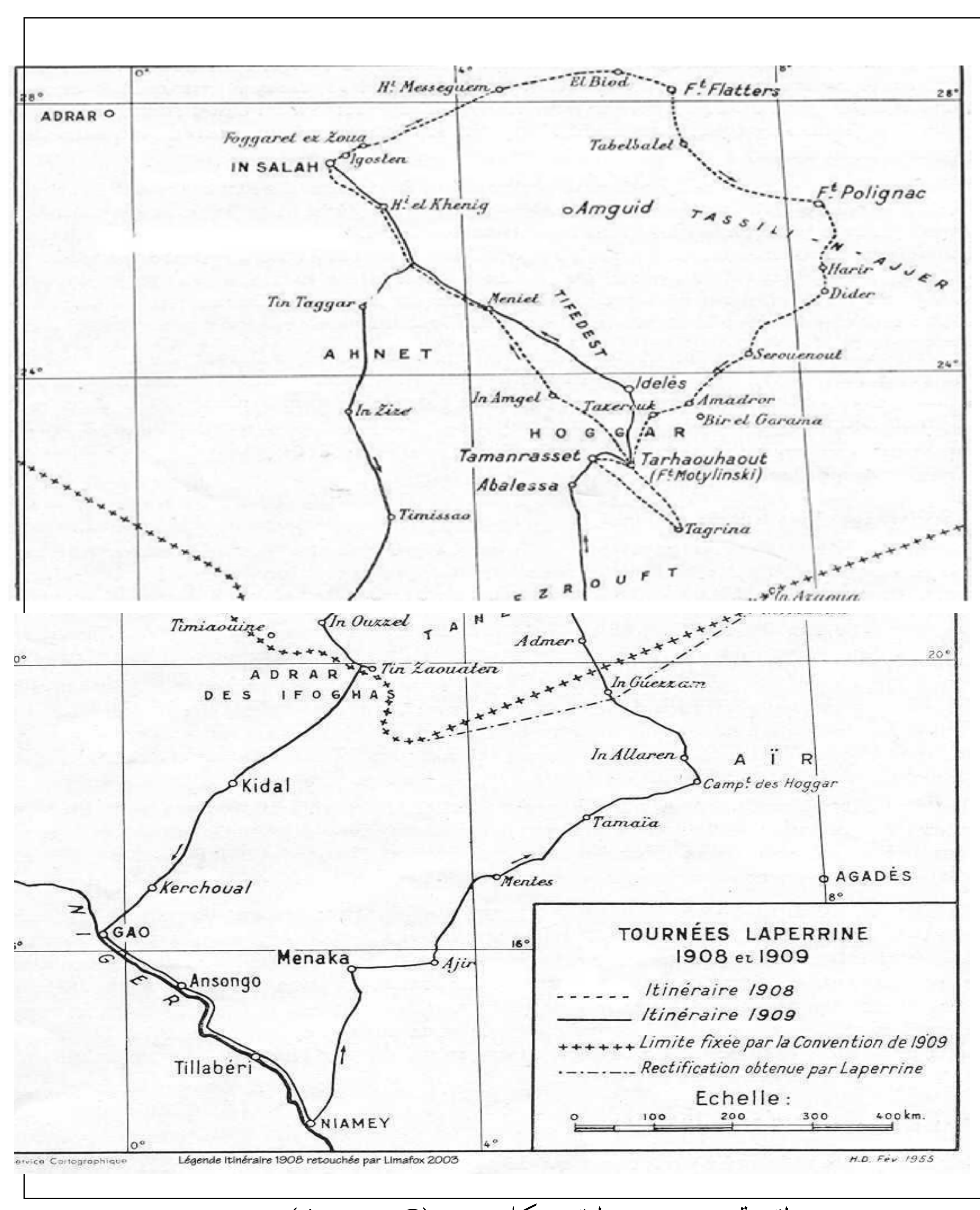
خريطة رقم 12 : موقع قصر الذّراع مقارنة بالقصور المجاورة-عن قوقل بتصرف-من عمل الطالب



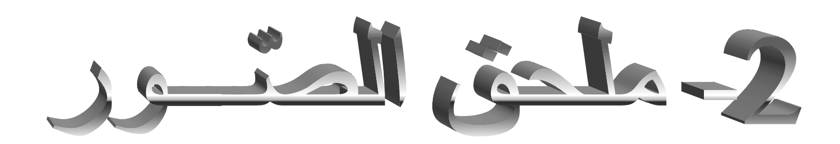
خريطة رقم 13 : المسافات بين قصر الذراع و بعض القصور المحيطة – من عمل الطالب-

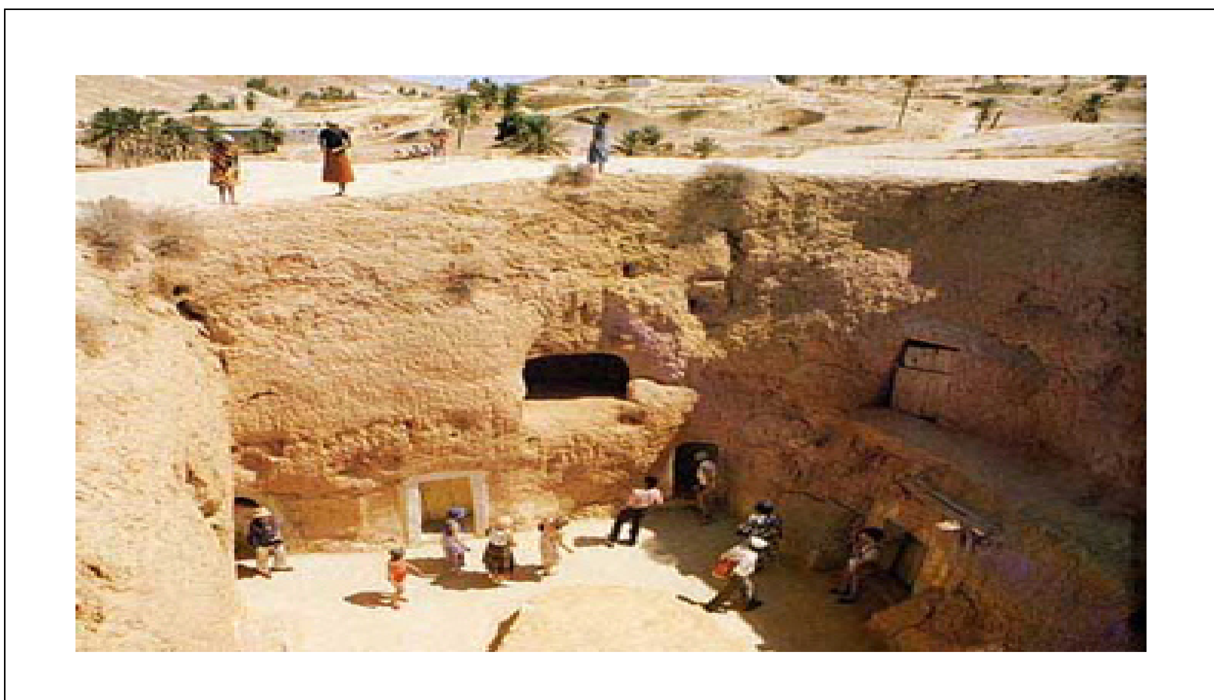


خريطة رقم 14 : موقع تمنطيط عن (Augeas.C.)

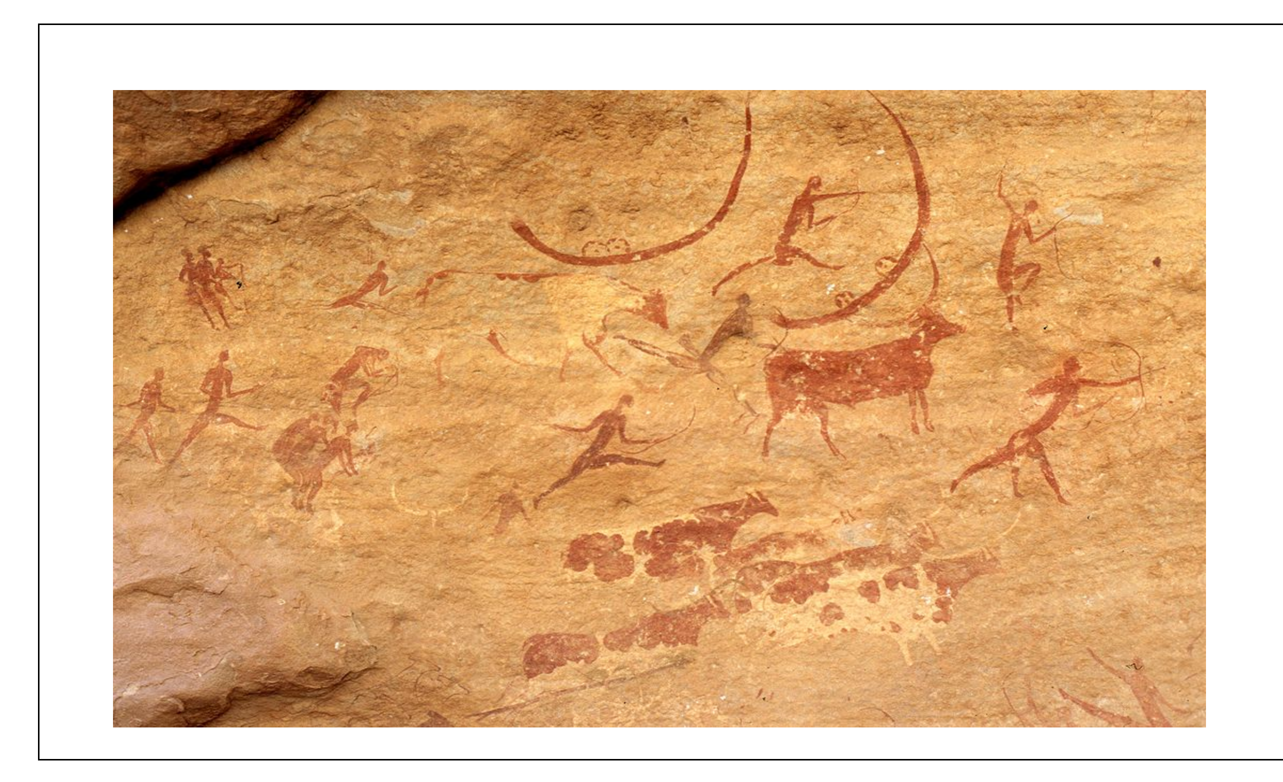


خريطة رقم 15ـ موقع منطقة تيديكلت عن (Augeas.C)


2- ملحق الصــور



صورة رقم 01 : مساكن بصحراء ليبيا تحت أرضية مهيأة



صورة رقم 02 : رسومات صخرية تبين حياة انسان ما قبل التاريخ في صحراء توات.



صورة رقم 03 : الفقارة وتوزيع المياه بين الجميع من واحات القورارة .



صورة رقم 04 : قصر عمرة الأموي في بادية الأردن



صورة رقم 05 : من القصور البدائية بالجنوب التّونسي



صورة رقم 06: قصر زاكورة المغربي الواقع على الحدود الجزائرية المغربية في منطقة سوس الماسة درعة



لوحة رقم 07 : البناء المتراص واستغلال الأسقف كفضاء خارجي . من قصور القورارة.



صورة رقم 08 : رباط سوس بتونس



لوحة رقم 09: ادوات حجرية تعود الى فترة العصر الحجري الحديث (متحف ادرار)



صورة رقم 10 : قلعة حلب بسوريا من القلاع المخندقة



صورة رقم 11 : رباط المنستير بتونس



صورة رقم 12 : شرفات تتخذ للحماية والتسديد (برج الباب الجنوبي لسور مدينة تلمسان)



صورة رقم 13 : ممشى بسور القاهرة

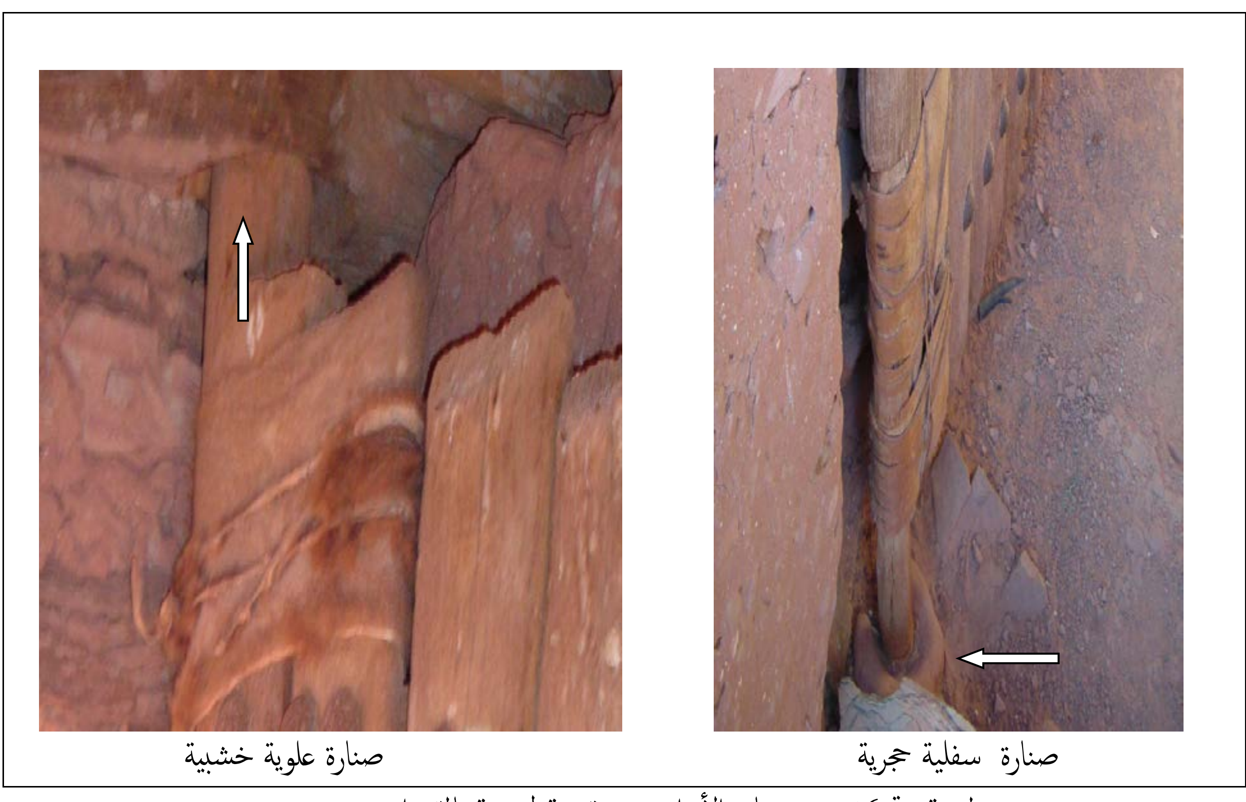


صورة رقم 14 : السّور الغربي من النّاحية الخارجية و أبراجه البارزة لمنصورة تلمسان



باب من القيروان — باب من صنعاء — باب من دمشق

لوحة رقم 15 : مجموعة من الأبواب الإسلامية



صنارة سفلية حجرية — صنارة علوية خشبية

لوحة رقم 16 : صنارة الأبواب من قصبة ليشتة بالقورارة



برج الصفرة بعمان



برج بالأمارات العربية



برج الذهب باشبيلية - الاندلس -

لوحة رقم 17 الأبراج المستقلة او المنفردة.



برج مخروطي من عمان

برج علوي من الأردن

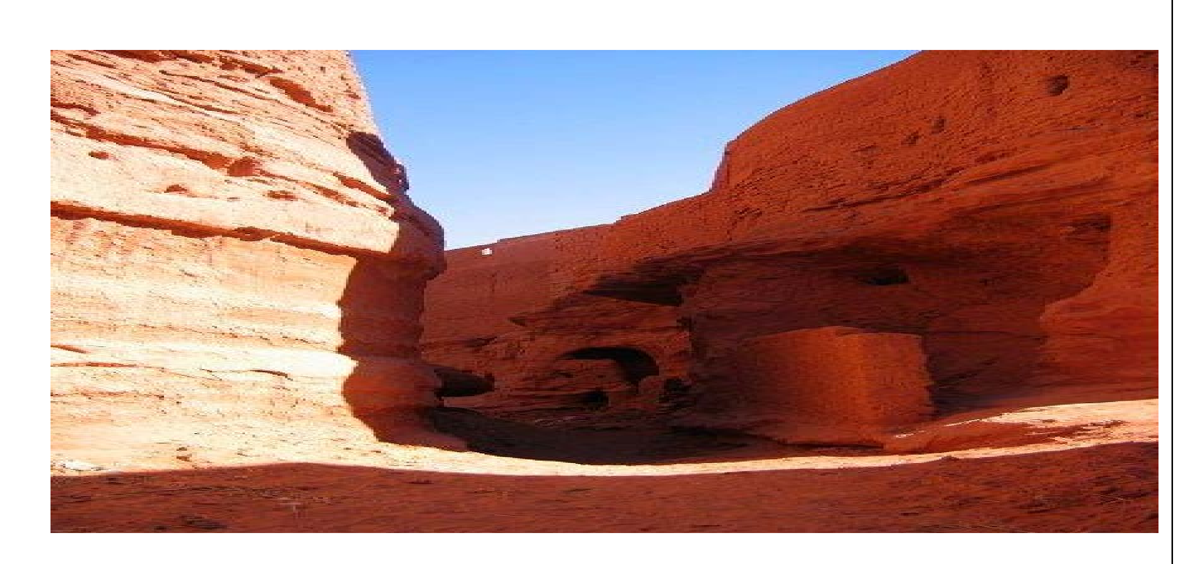
برج مضلع من المغرب

برج دائري من تونس

مرج مربع من منصورة تلمسان

برج هرمي من توات

لوحة رقم 18 : أشكال مختلفة من الأبراج الحربية الإسلامية .



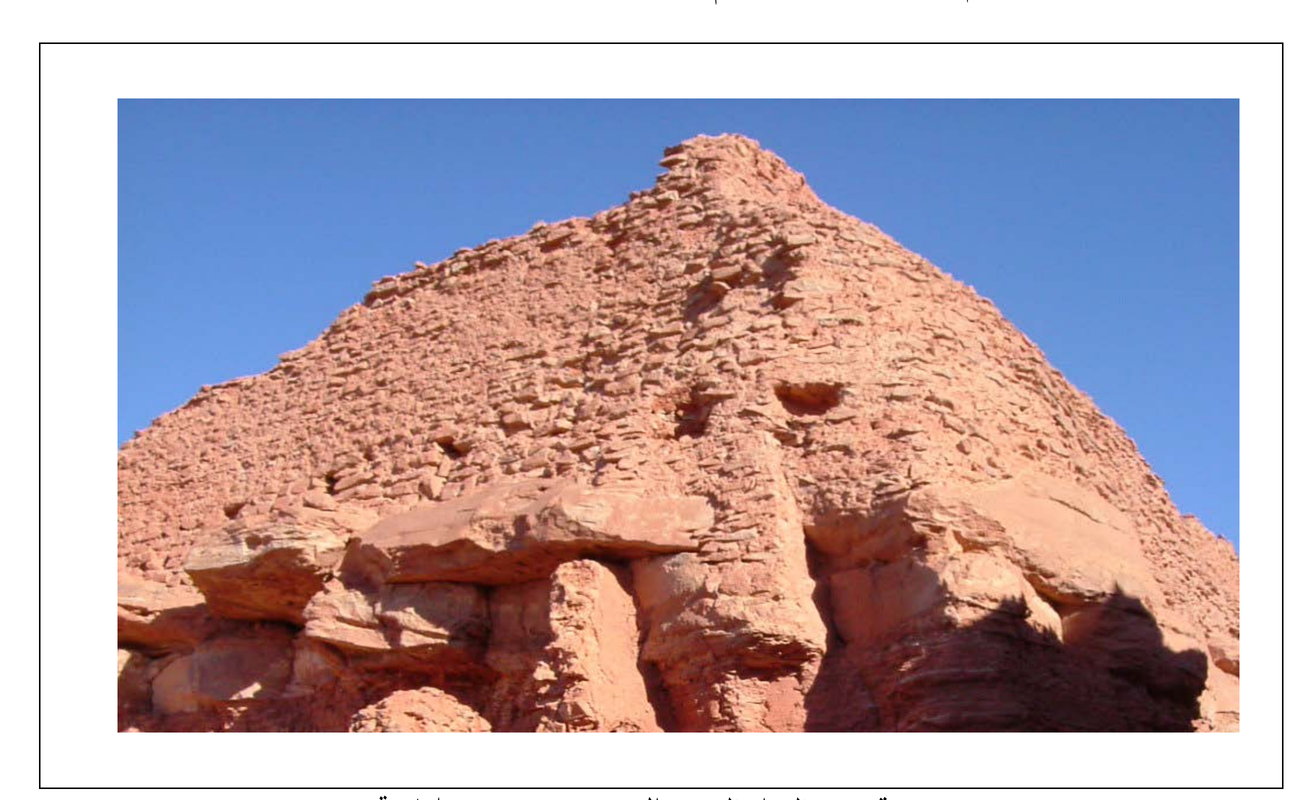




لوحة رقم 19: المغارات التّحت الأرضية المهيأة في قصور توات (قصور منطقة تيميمون)



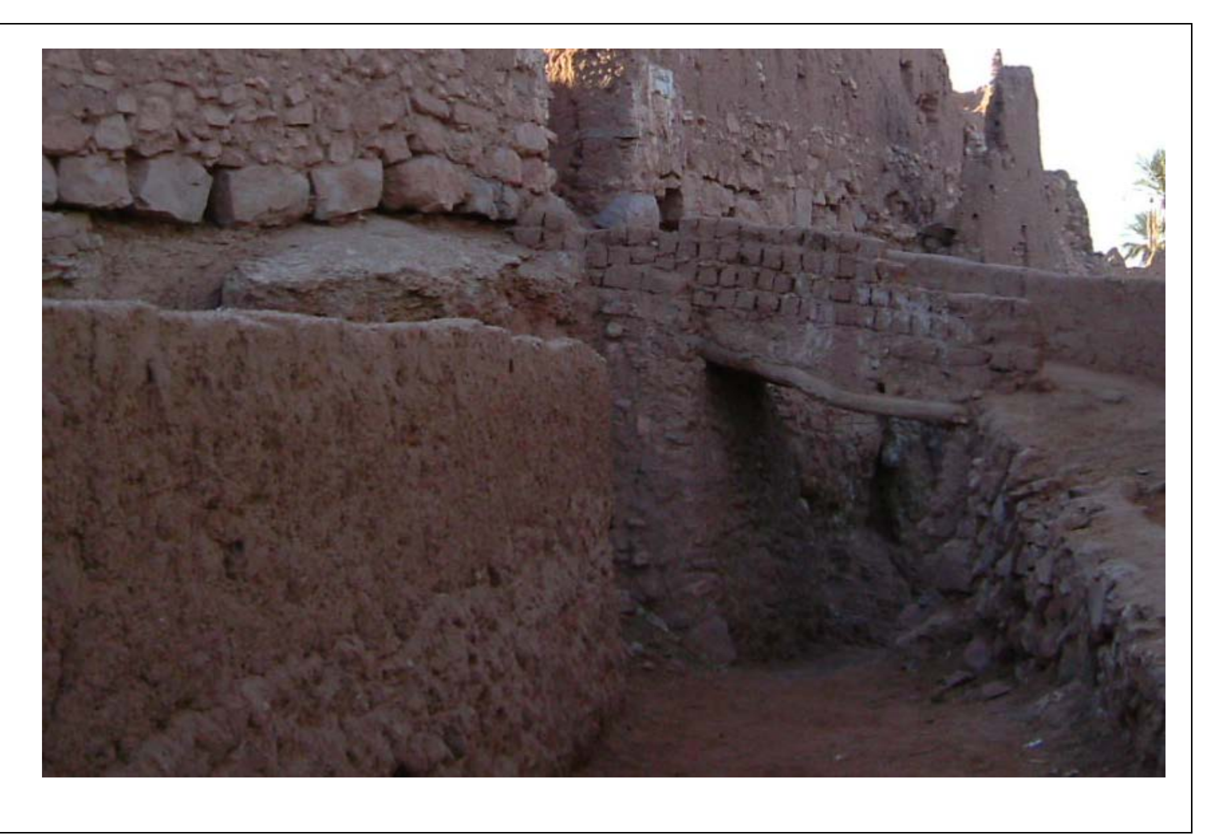
صورة رقم 20 قصر سيدي ابراهيم او ما تبقى منه - بتصرف عن قوقل -



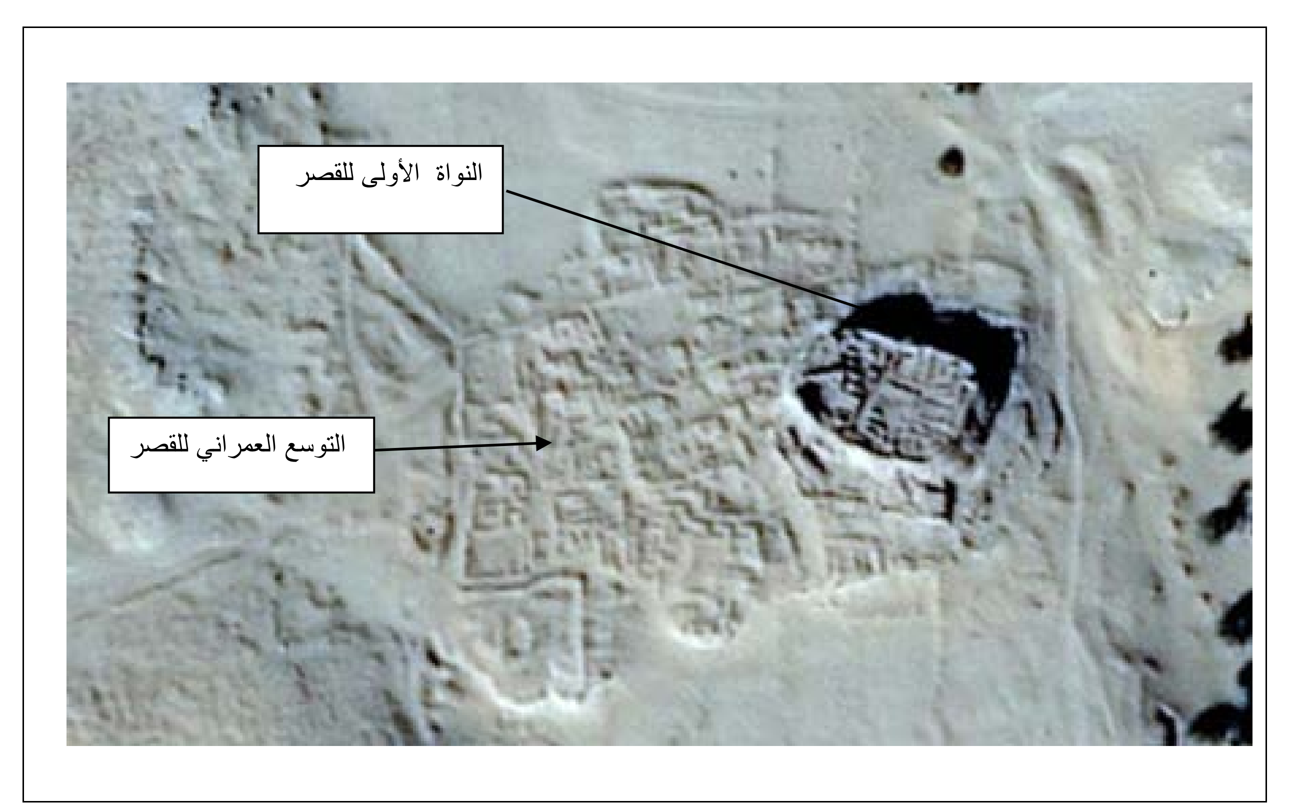
صورة رقم 21 : التحام السّور بالهضبة . قصبة بني مهلال بتميمون



صورة رقم 22 : الشّرفات بقصر تيميون.



صورة رقم 23 : الخندق الفاصل بين قصر و قصبة بني مهلال تيميون .



صورة رقم 24 : قصر شروين او ما تبقى منه - بتصرف عن قوقل -



صورة رقم 25 : صورة جوية لقصر الذراع – بتصرف عن قوقل -



صورة رقم 26 : استعمال الحجارة في بناء قصر الذّراع.



صورة رقم 27 : الشّرفات بقصر الذّراع .

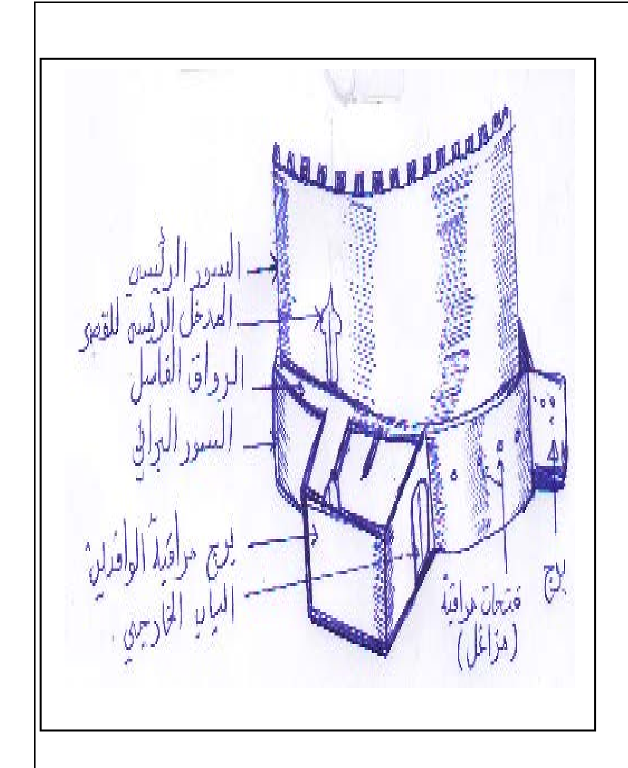


صورة رقم 28 : ازدواجية السور بقصر الذراع .



صورة رقم 29 : الابراج بقصر الذراع .





لوحة رقم 30 : البرج الثالث الافتراضي الخاص بمدخل قصر الذراع .



لوحة رقم 31 : خندق قصر الذراع.



لوحة رقم 32 : جدار الدعم المائل



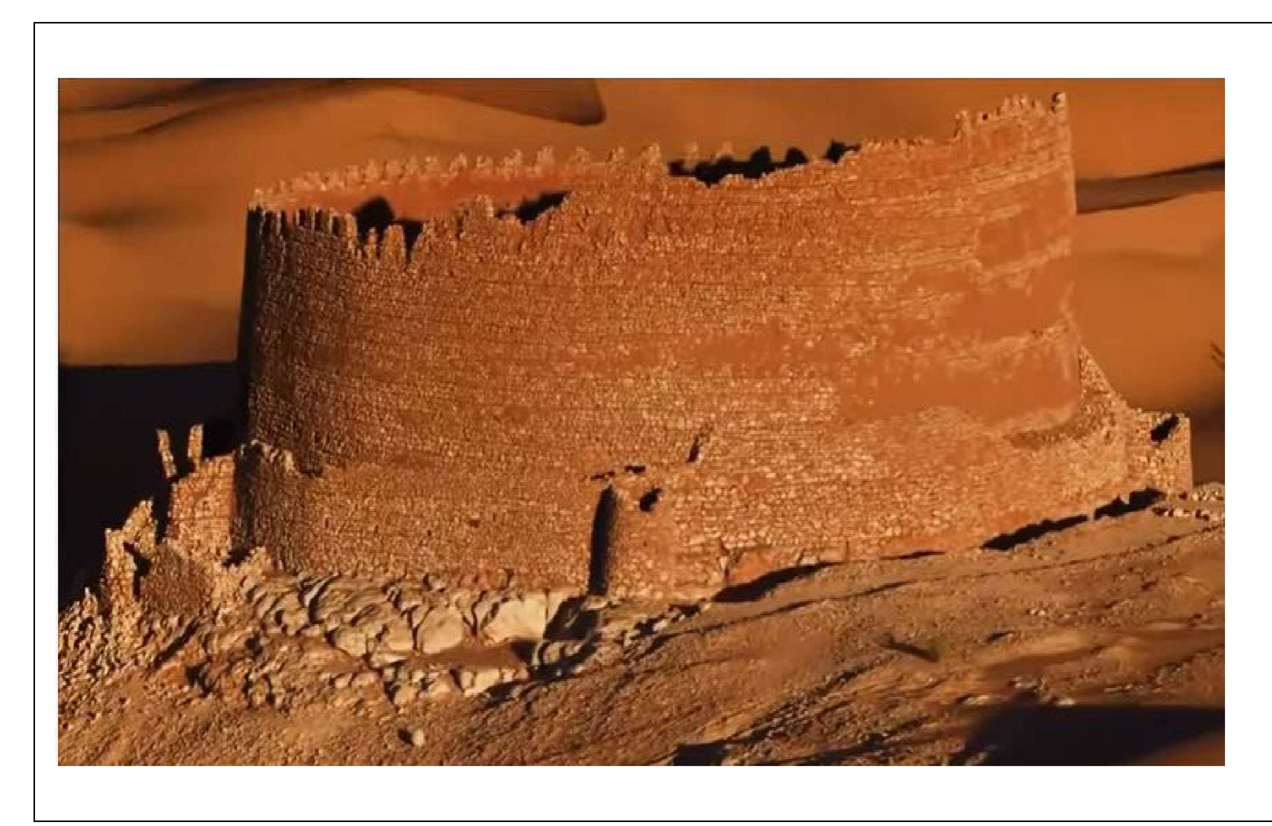
صورة رقم33 : الشرفات و ممشى السور قصر الذراع .



لوحة رقم 34 : الهضبة الصخرية المقام عليها قصر الذراع .

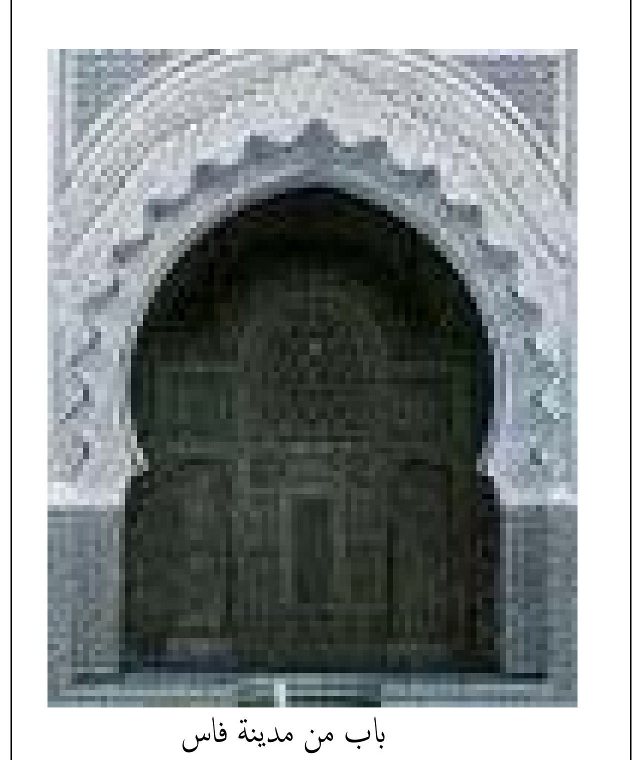


لوحة رقم 35 : خندق قصر الذراع .



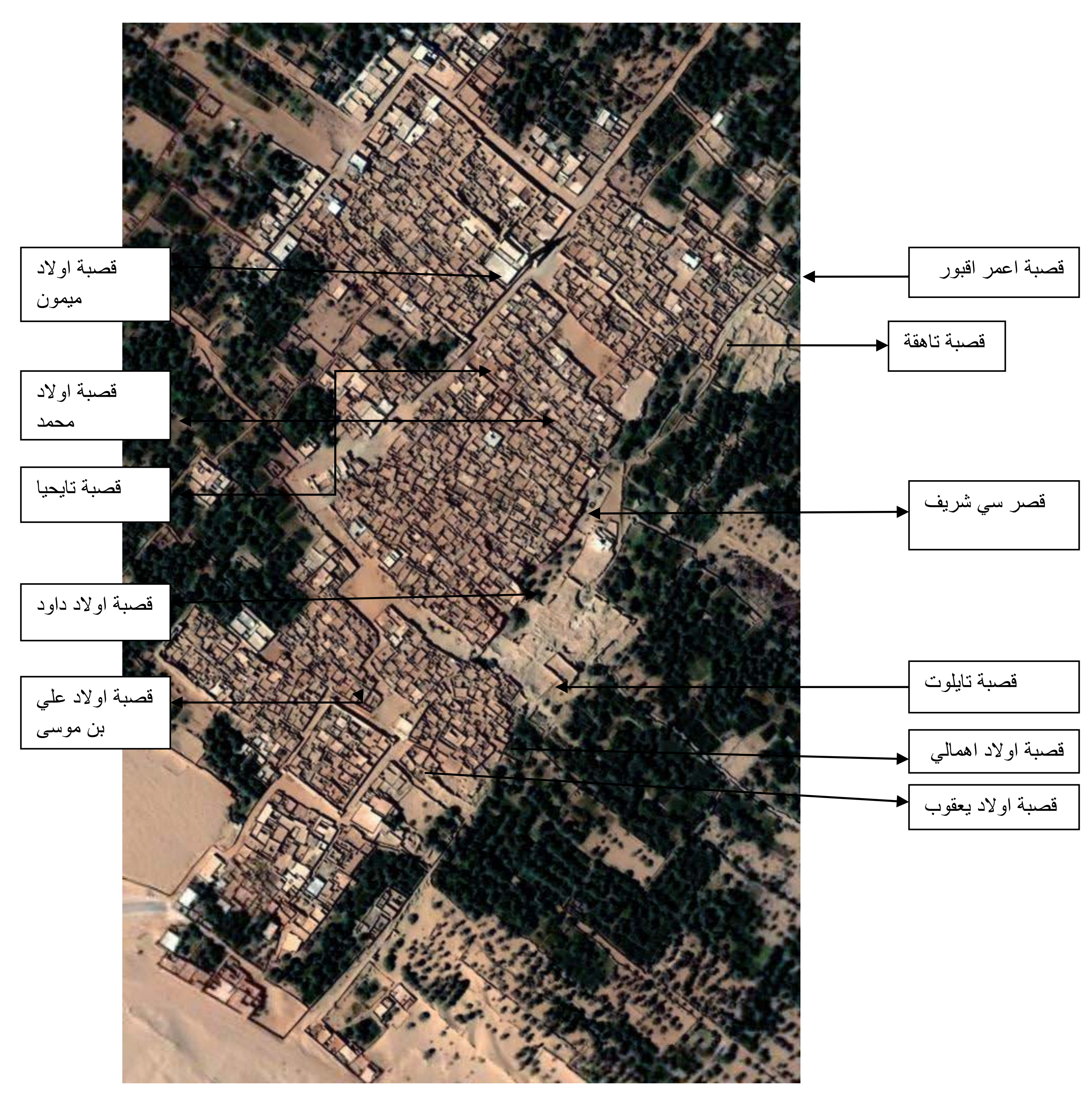
لوحة رقـــم 36 : تباين في ارتفاع سور القصر بين جهاته .

بوابة قصر الذراع

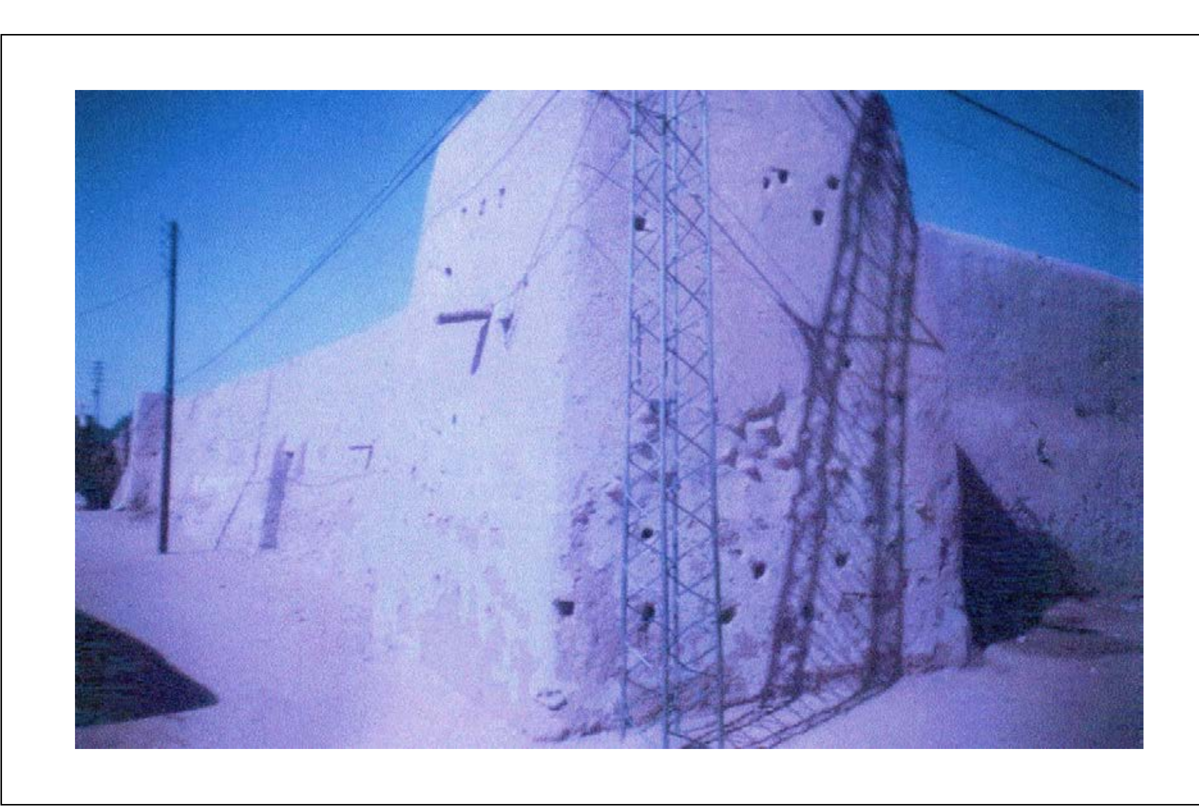


باب من مدينة فاس

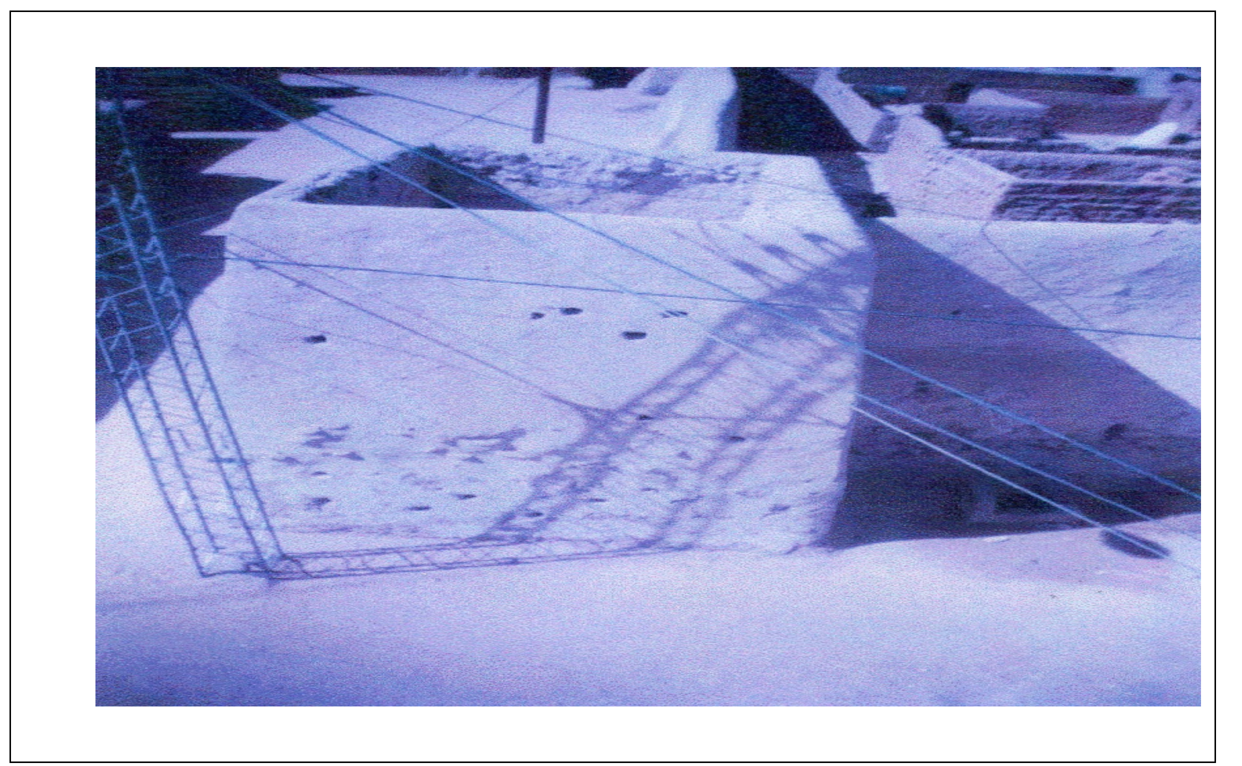
لوحة رقم 37 : تصور لفم قصر الذراع.



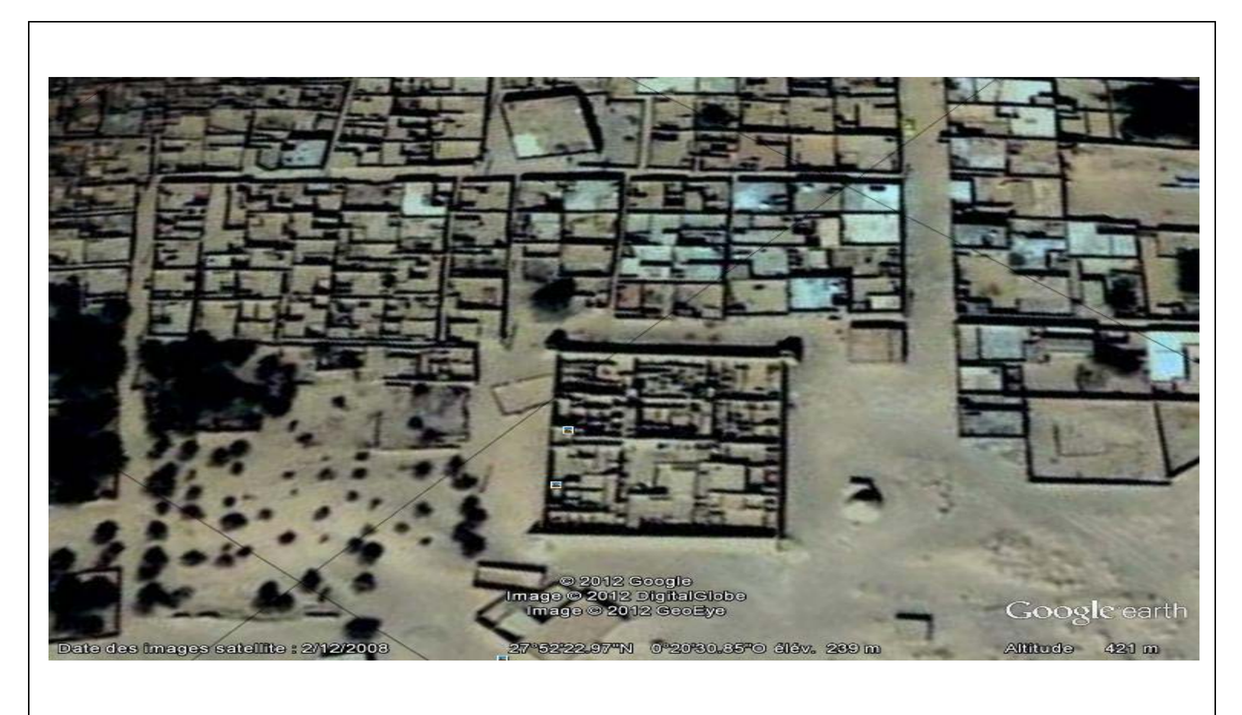
صورة رقم 38: من قصبات تمنطيط - بتصرف عن قوقل -



صورة رقم 39: سور قصر اولاد محمد



صورة رقم 40: البرج الشّمالي لقصر اولاد محمد



صوة رقم 41 : قصر ملوكة بتصرف عن قوقل



صورة رقم 42 : البرج الجنوبي الغربي لقصبة ملوكة .



صورة رقم 43 : فم قصبة ملوكة



لوحة 44 : محور دوران الباب الرئيسي لقصبة ملوكة .



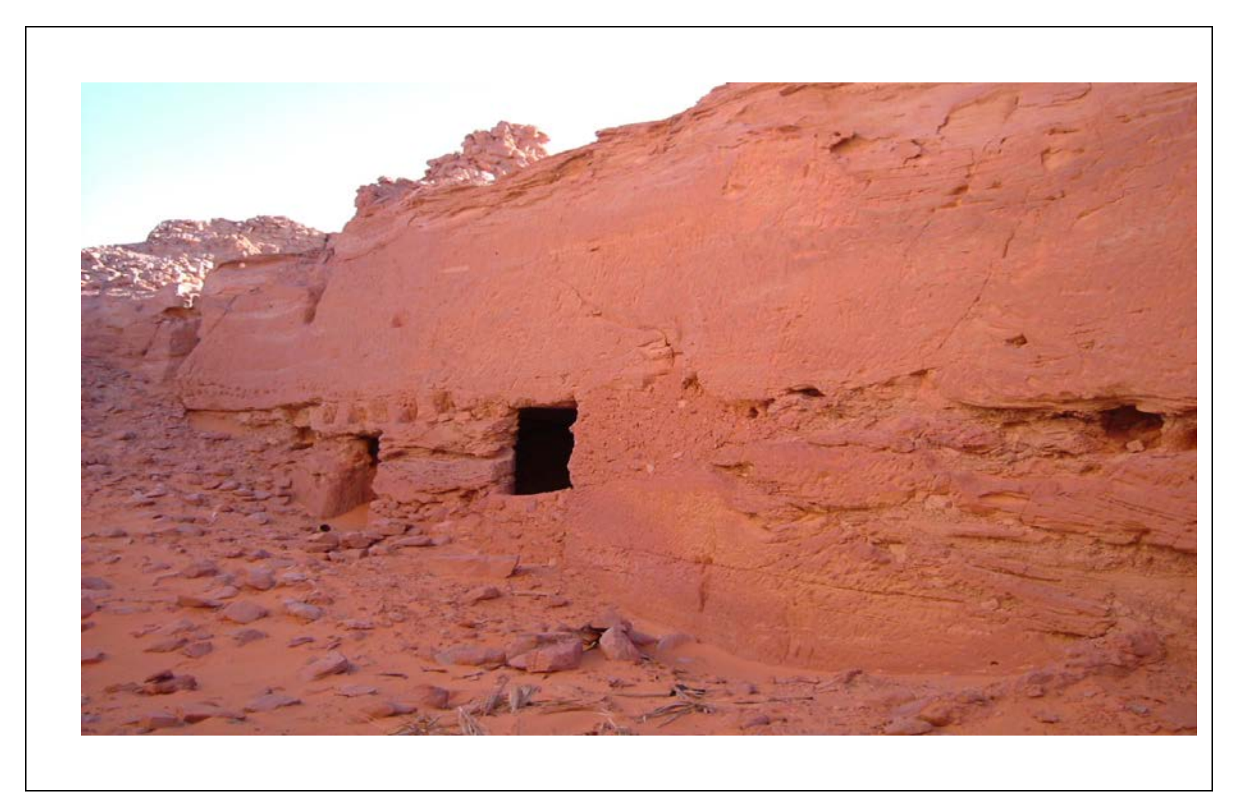
صورة رقم 45 : المصلى الخارجي لقصبة ملوكة



صورة رقم 46 : قصبة ابا جودة بتيديكيلت. بتصرف عن قوقل



صورة رقم 47: الواجهة الامامية لقصبة اباجودة (قصبة وسط البلاد).



صورة رقم 48 : مسجد تروكانت بالقورارة .



صورة رقم 49 : الهضبة الصخرية التي يتوضع عليها قصر تمنطيط



صورة رقم 50 : قصر بلحاج قلمان بتمنطيط

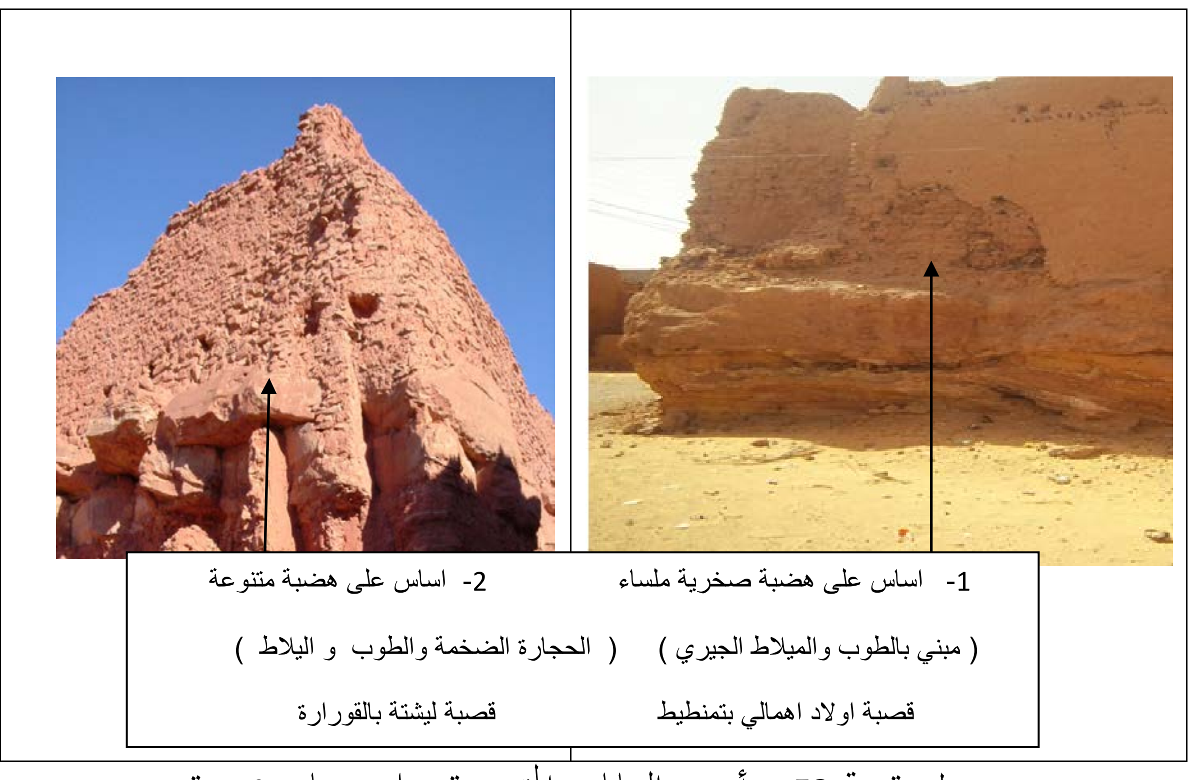


سقف مسجد زاوية المغيلي

مدخل قصبة سيد علي بن موسى

لوحة رقم 51 : التسقيف بالصفائح الحجرية .

صورة رقم 52 : قصر امغيد بتيمي او ما تبقى منه – بتصرف عن قوقل –



1- اساس على هضبة صخرية ملساء
(مبني بالطوب والميلاط الجيري)
قصبة اولاد اهمالي بتمنطيط

2- اساس على هضبة متنوعة
(الحجارة الضخمة والطوب و اليلاط)
قصبة ليشتة بالقورارة

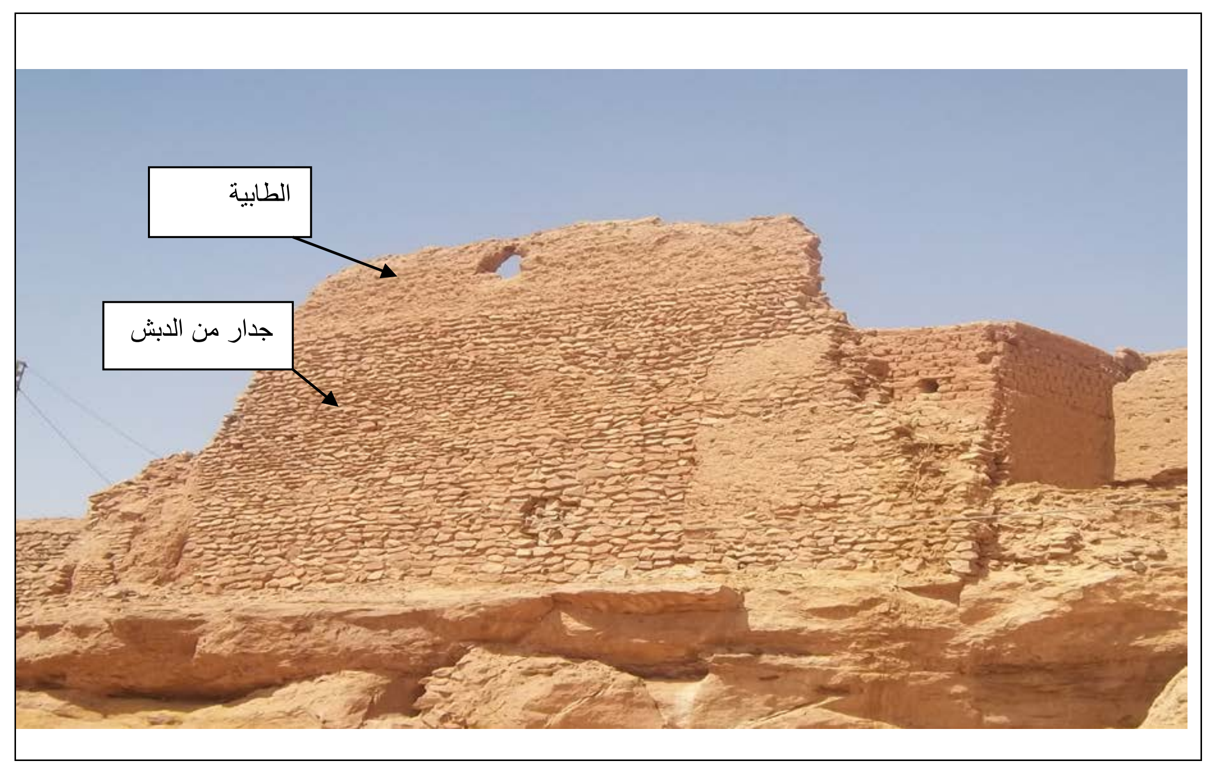
لوحة رقم 53 : أسس البنايات المتموضعة على هضاب صخرية.



صورة رقم 54 : تقنية بناء الاسوار بحجارة الدبش و اكماله بالطابية – قصر تمنطيط-



صورة رقم 55 : رفع الأسوار بالحجارة الكبيرة ثم الدبش ثم الطابية.- قصر تيميمون-



صورة رقم 56 : البناء المزدوج من الدبش والطابية ناحية تمنطيط.



صورة رقم 57 : الشّرفات بقصبات تمنطيط (اولاد علي بن مزسى).



صورة رقم 58 : برج براني ببابين .



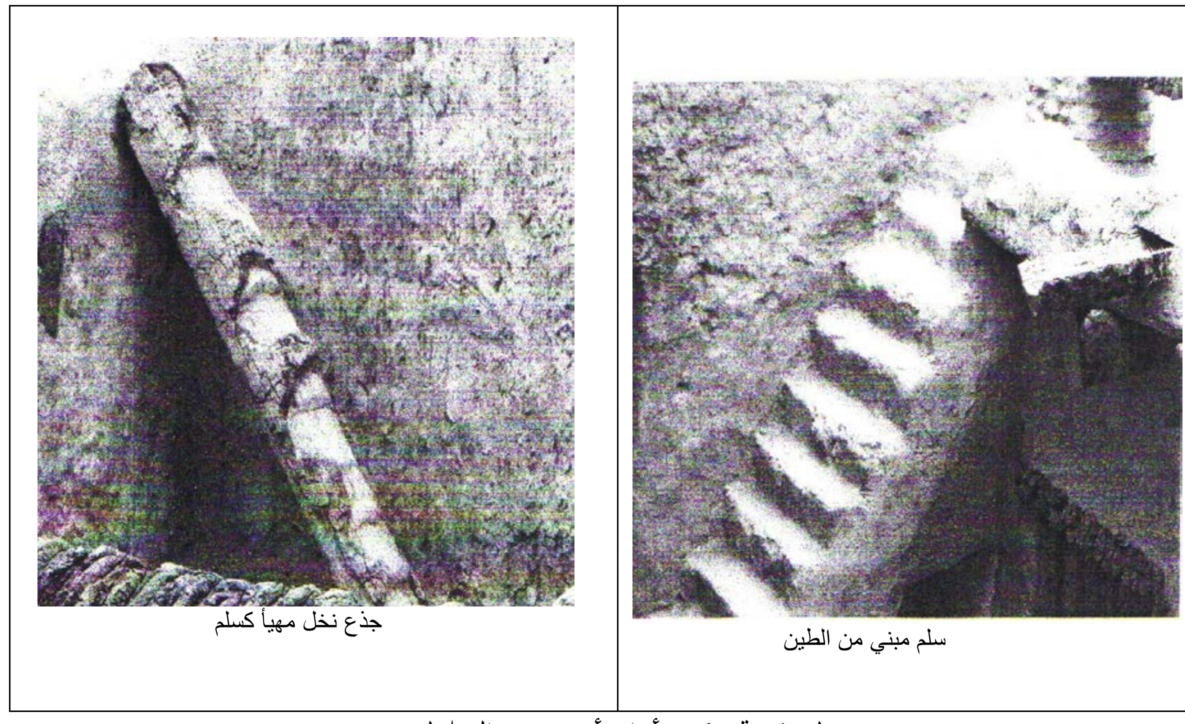
صورة رقم 59 : الأبراج المفتوحة على المساكن.



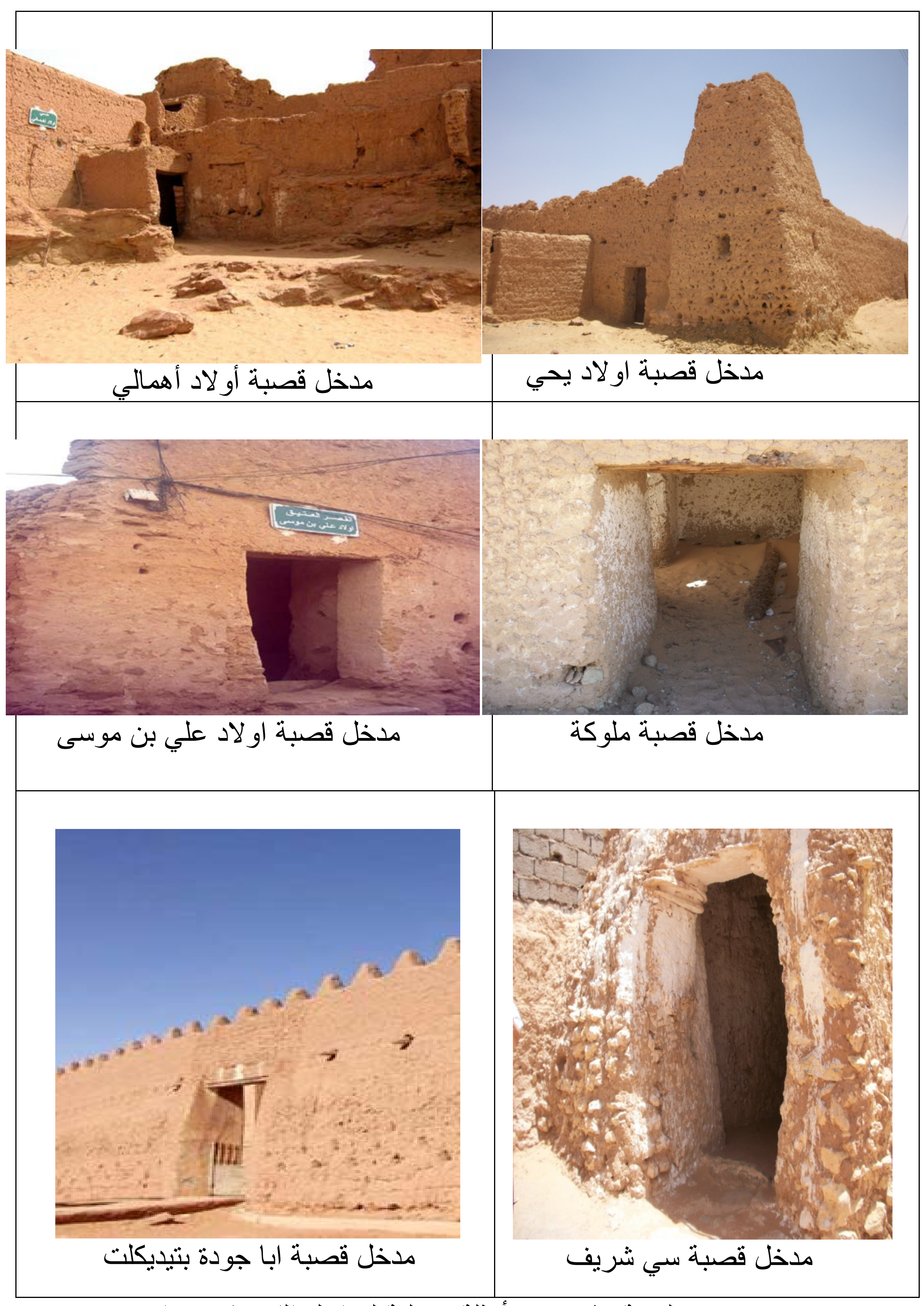
لوحة رقم 60 : مختلف الفتحات الموجودة في الأبراج الرّكنية التّواتية . قصر ملوكة .



لوحة رقم 61 : تدعيم الواجهة الرئيسة بطبقة إضافية (كريات من الطين).



لوحة رقم 62 : أنواع أخرى من السّلالم.



مدخل قصبة اولاد يحي

مدخل قصبة أولاد أهمالي

مدخل قصبة ملوكة

مدخل قصبة اولاد علي بن موسى

مدخل قصبة سي شريف

مدخل قصبة ابا جودة بتيديكلت

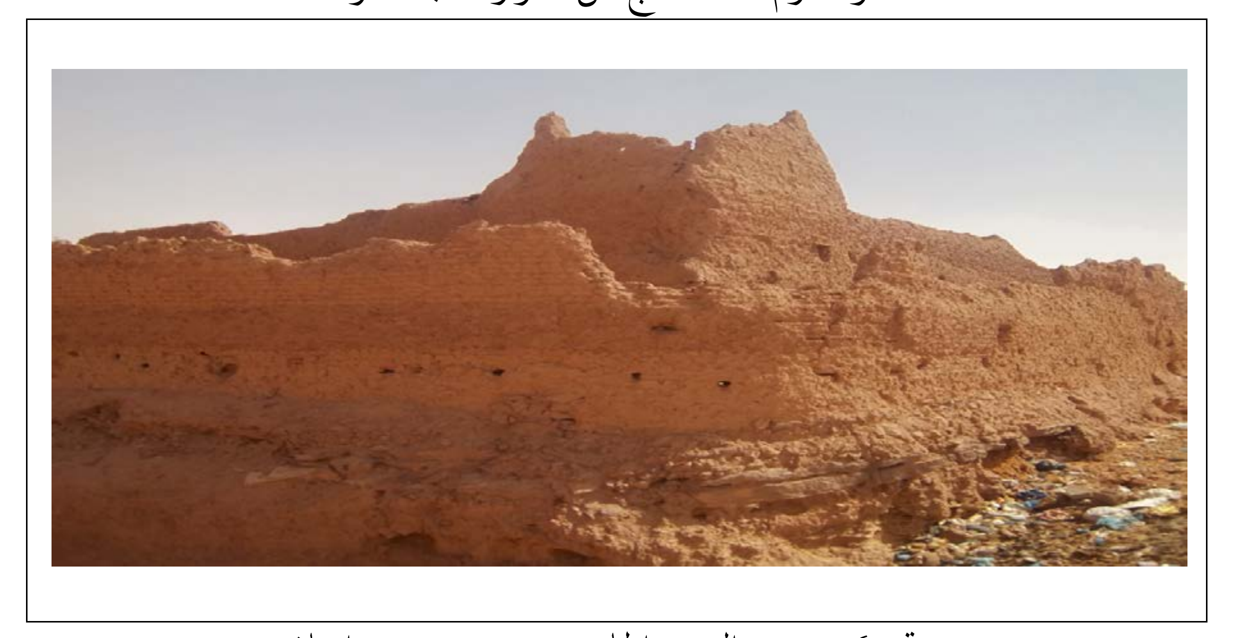
لوحة رقم 63 : أمثلة مختلفة لمداخل القصبات بتوات.



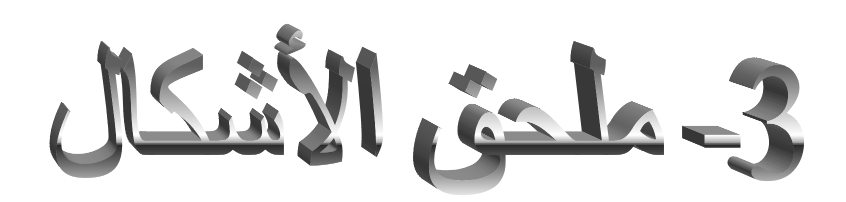
سور قصبة ملوكة — سور قصبة تاوريرت

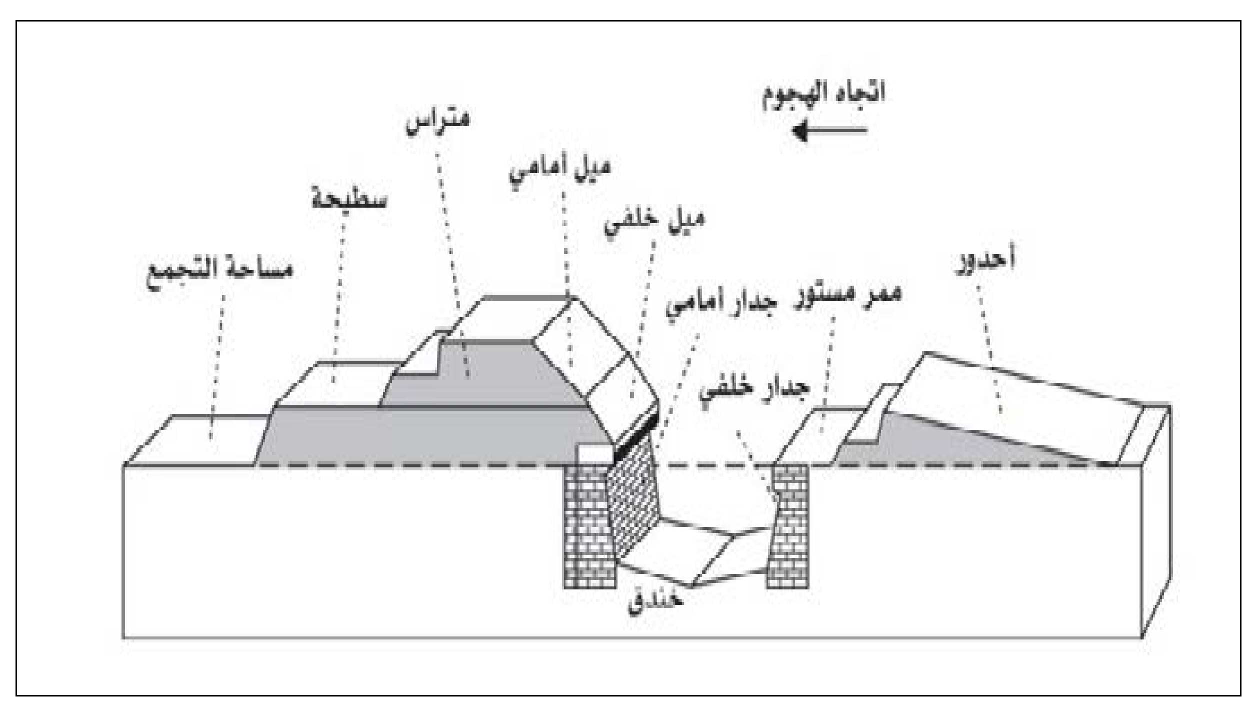
سورة قصبة أولاد محمد — سور قصبة الحاج قلمان

لوحة رقم 64 : نماذج من أسوار قصبات توات.

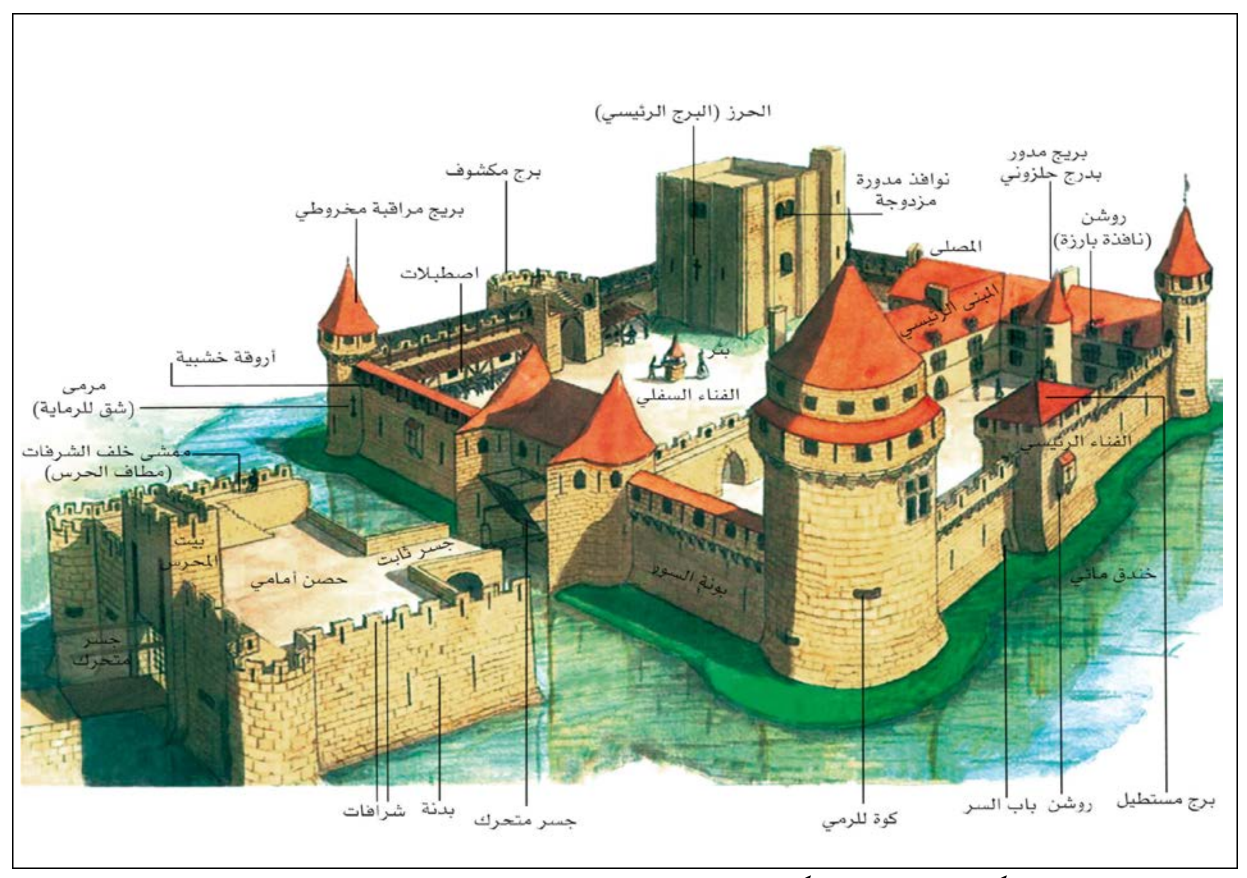


صورة رقم 65 : تدعيم السور الخارجي بسور وخندق اضافي .

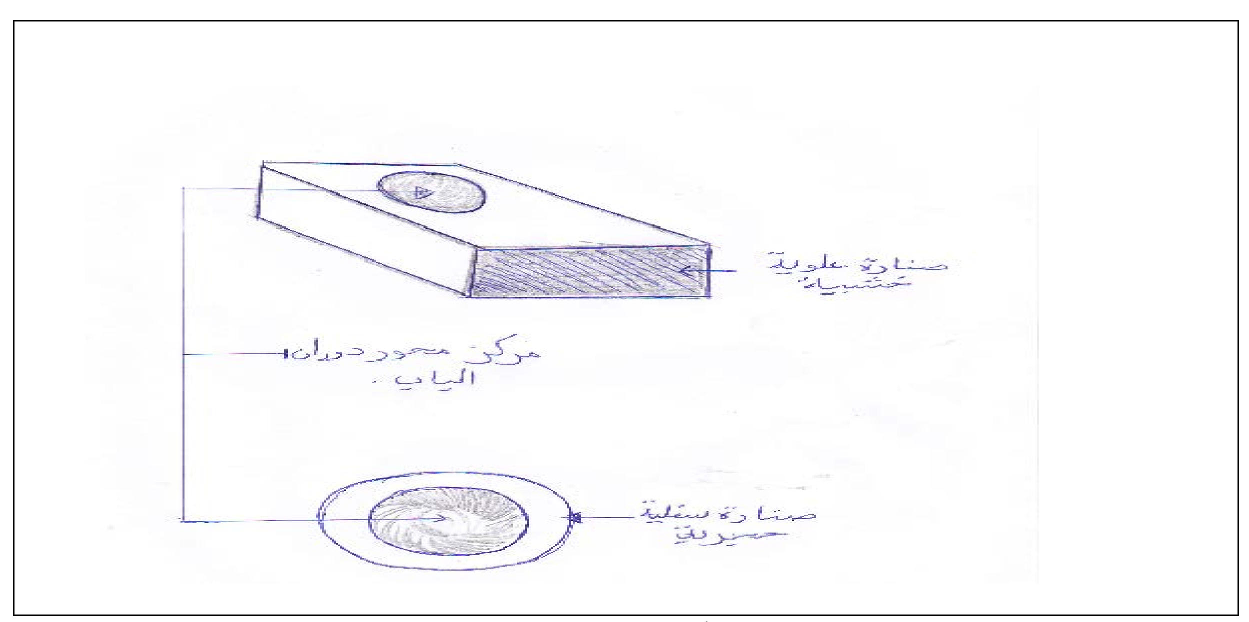

3-ملحق الأشكال



شكل رقم 01 : مقطع جانبي لسور رئيسي لقلعة



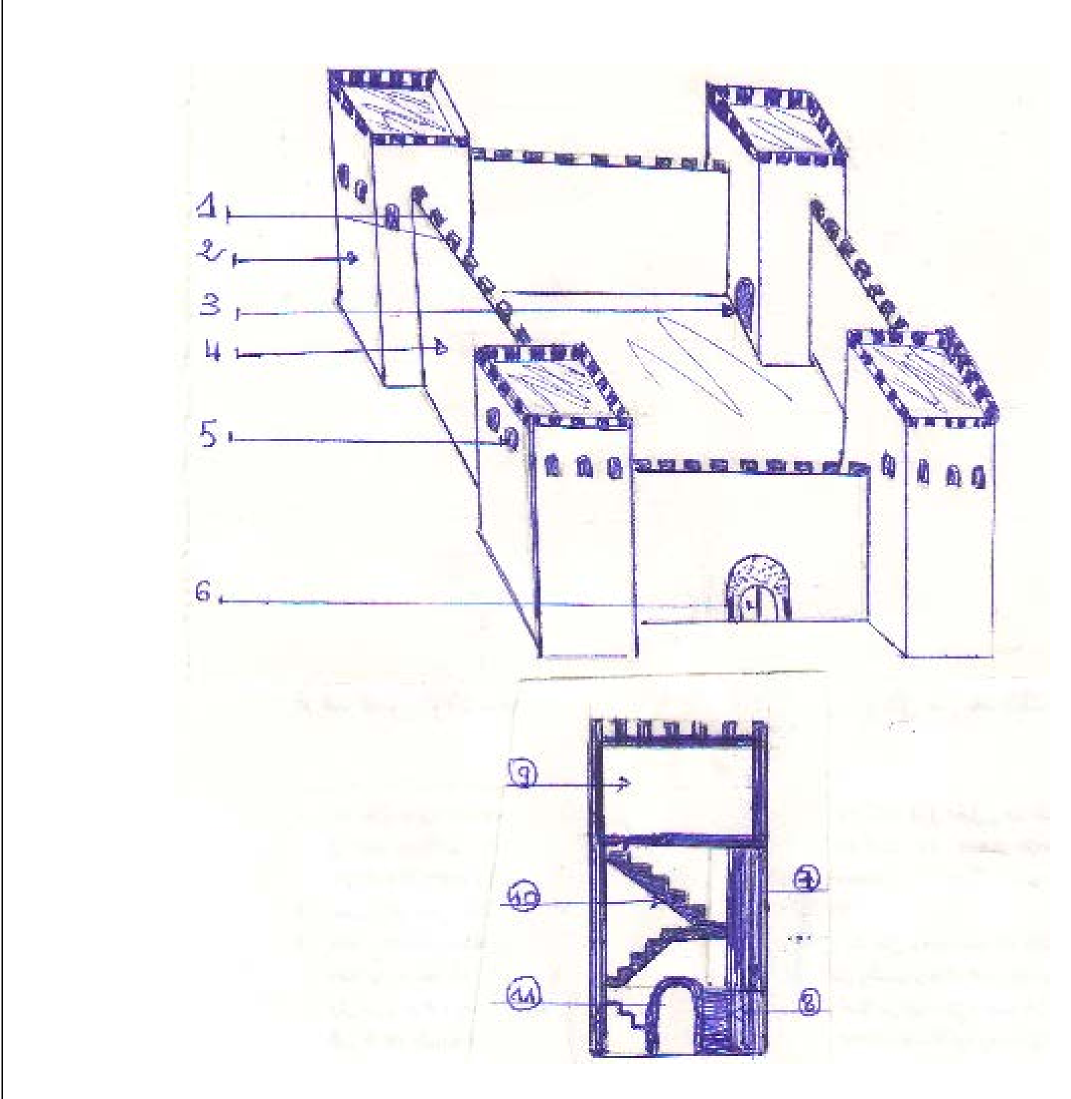
شكل رقم 02 : شكل تقريبي لقلعة محصنة في القرون الوسطى.



شكل رقم 03 : انواع صنارة الأبواب في بلاد توات - من عمل الطالب –

1- صنارة علوية خشبية .2- صنارة سفلية حجرية . 3- الأسكفة . 4- المغلاق او البلج .
5- عضادة .6-الواح خشبية.7- دعامة خشبية. 8- العتبة. 9- حبل تثبيت (رباط).

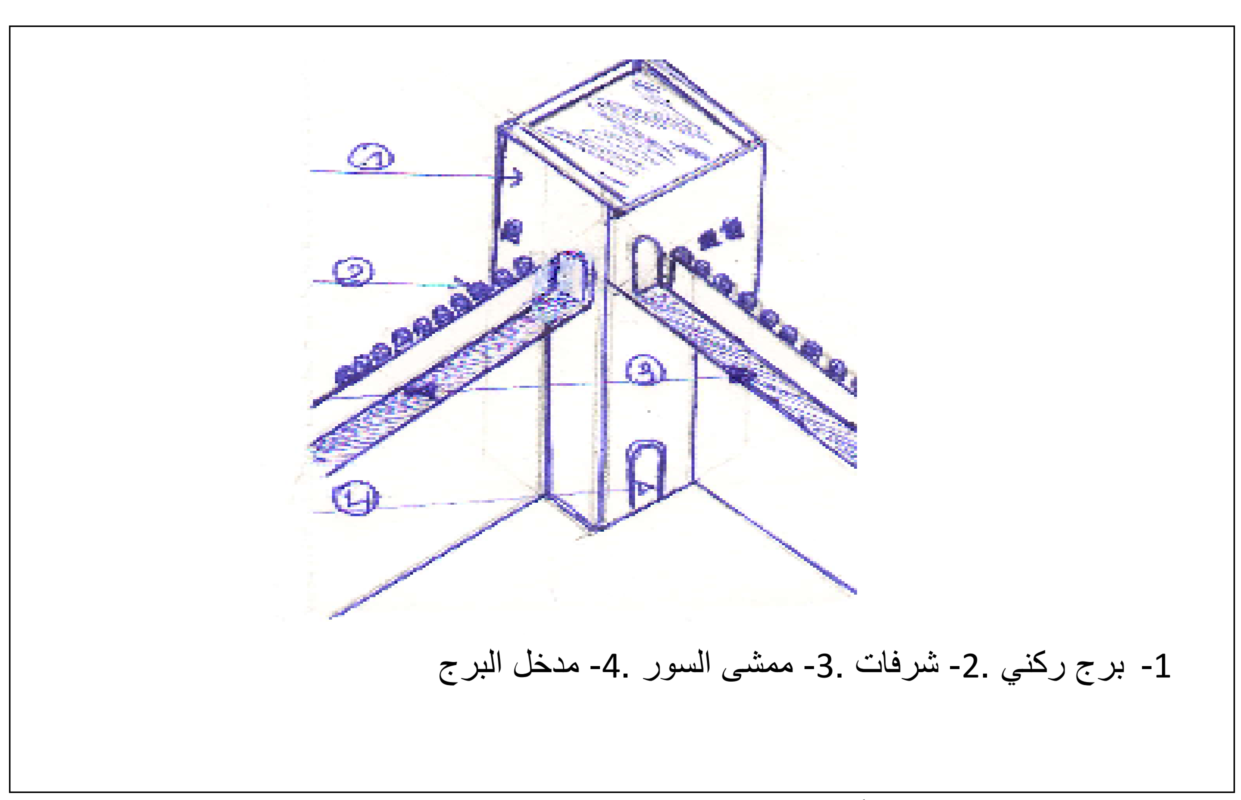
شكل رقم 04 : تفاصيل الباب التقليدي بتوات – من عمل الطالب -



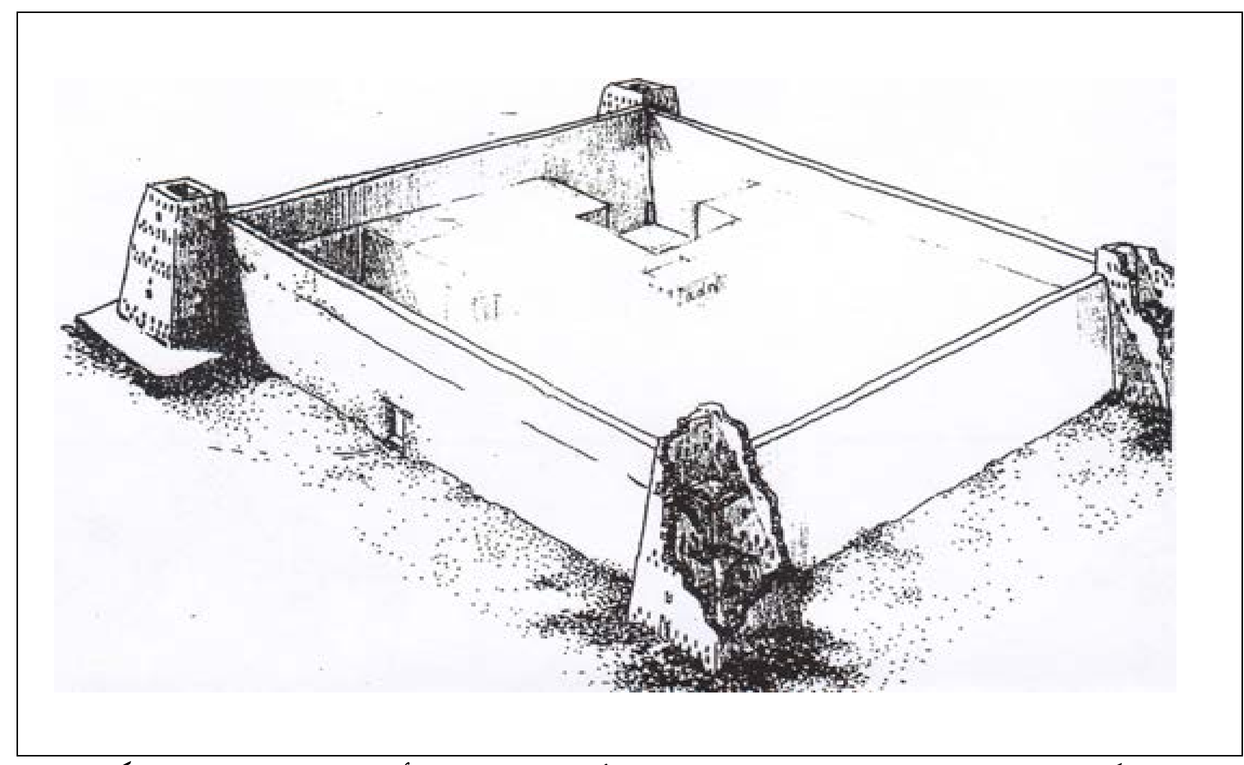
1- الشرفات 2- برج ركني 3- مدخل احد الابراج 4- سور جانبي 5- مزغل 6- المدخل الرئيسي
7- جدار خارجي لأحد الأبراج 8- الجزء الخارجي المصمت 9- غرفة المحاربين 10- درج . 11 مدخل البرج .

شكل رقم 05 : بيان تفصيلي لأبراج الركنية وتفاصيلها الداخلية - من عمل الطالب-

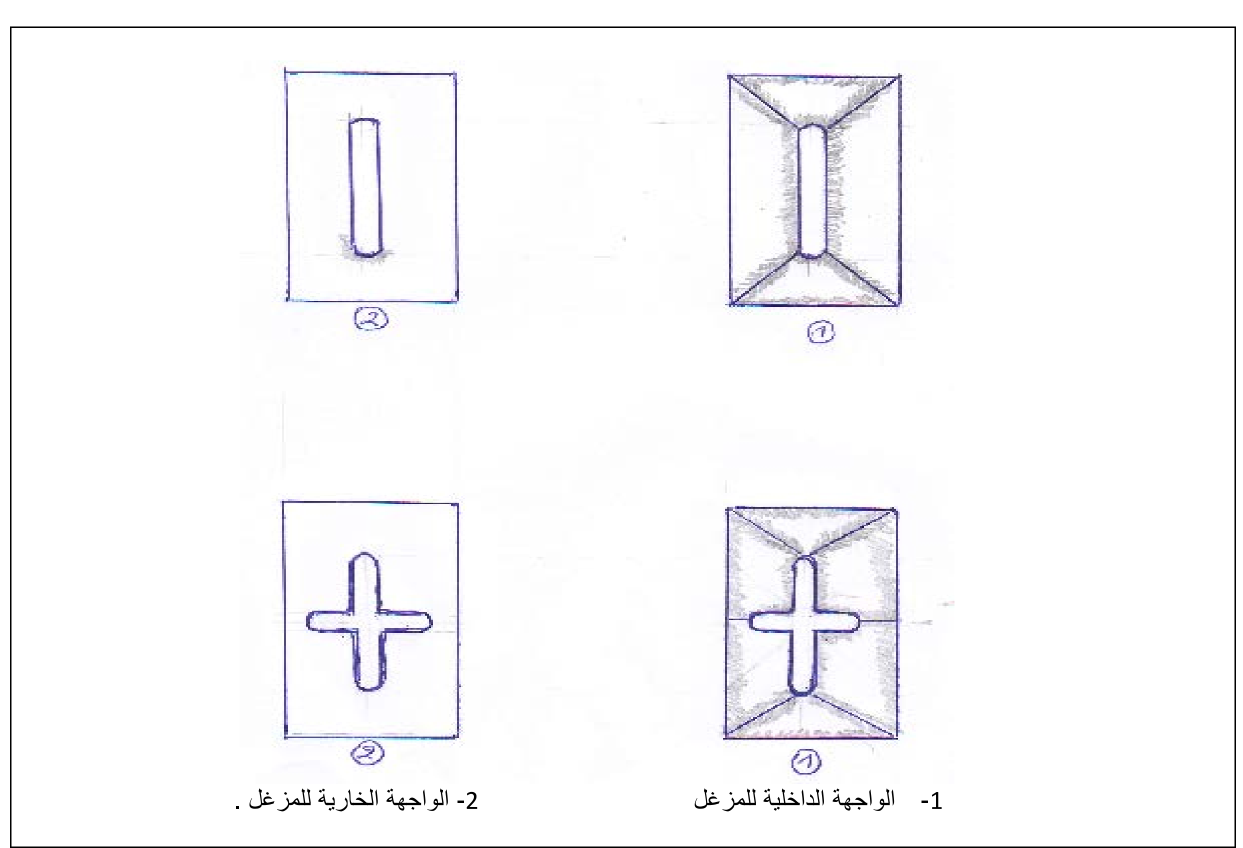
.



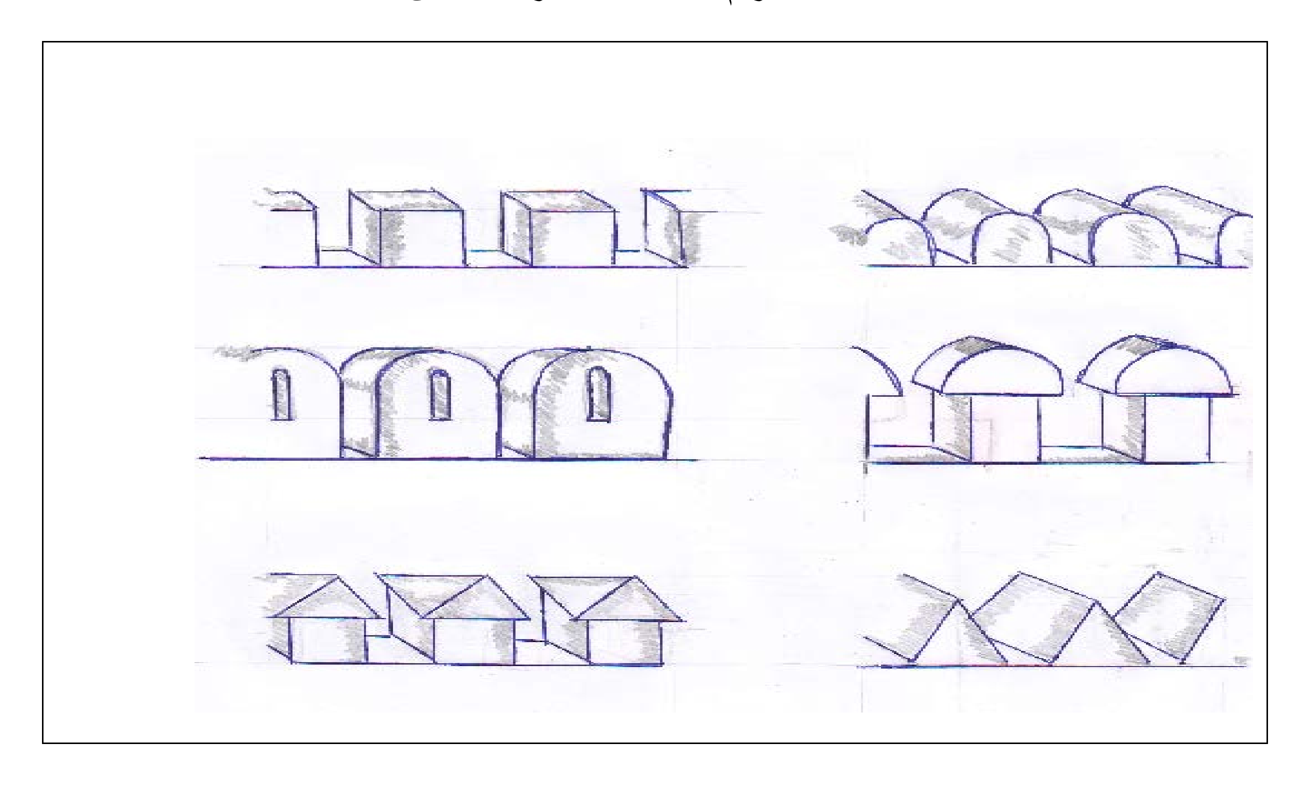
شكل رقم 06 : تفاصيل ممشى السور - من عمل الطالب -



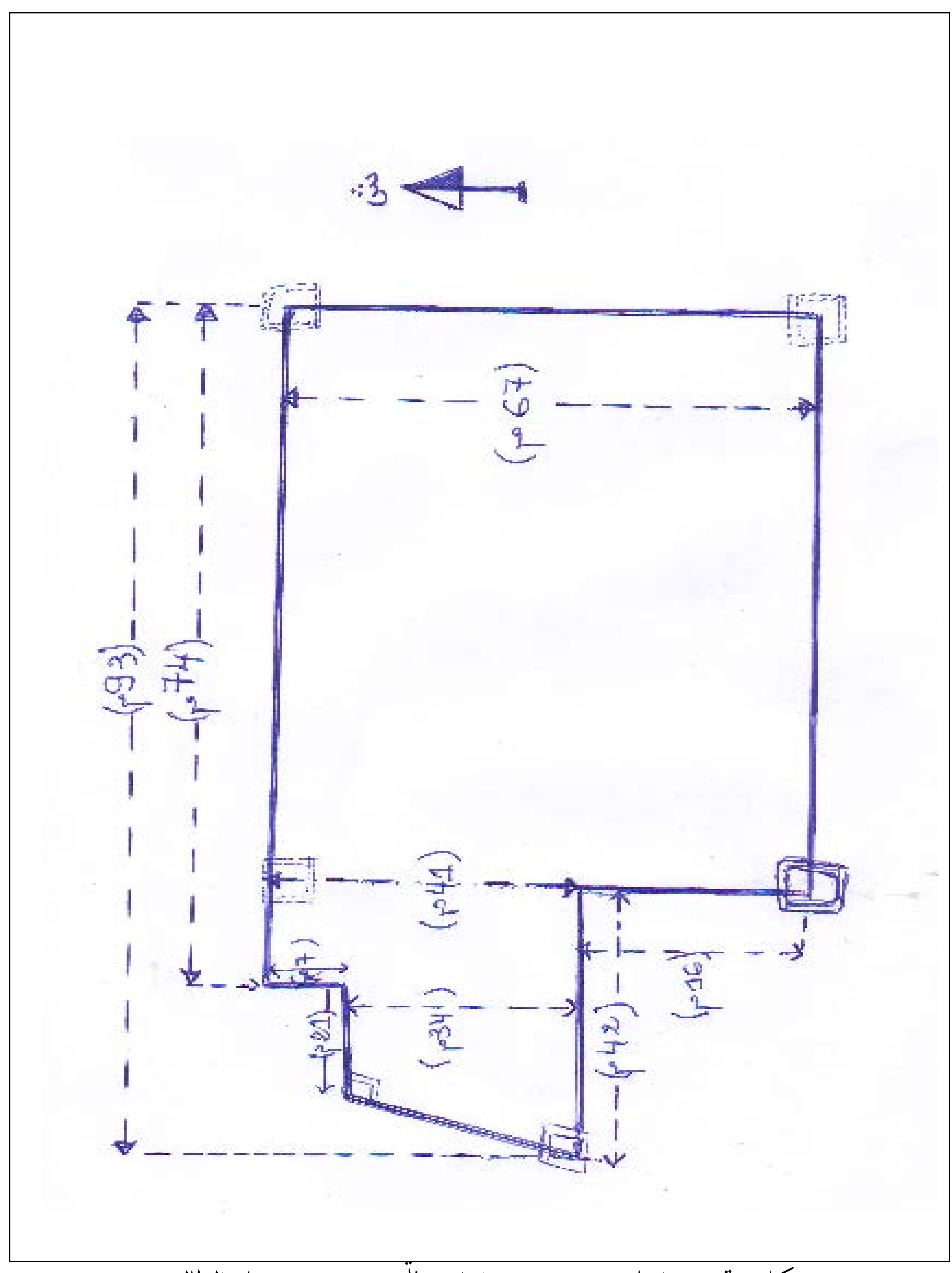
شكل رقم 07 : استغلال سطوح المنازل للأنتقال من برج لأخر . – حالة قصر ملوكة.



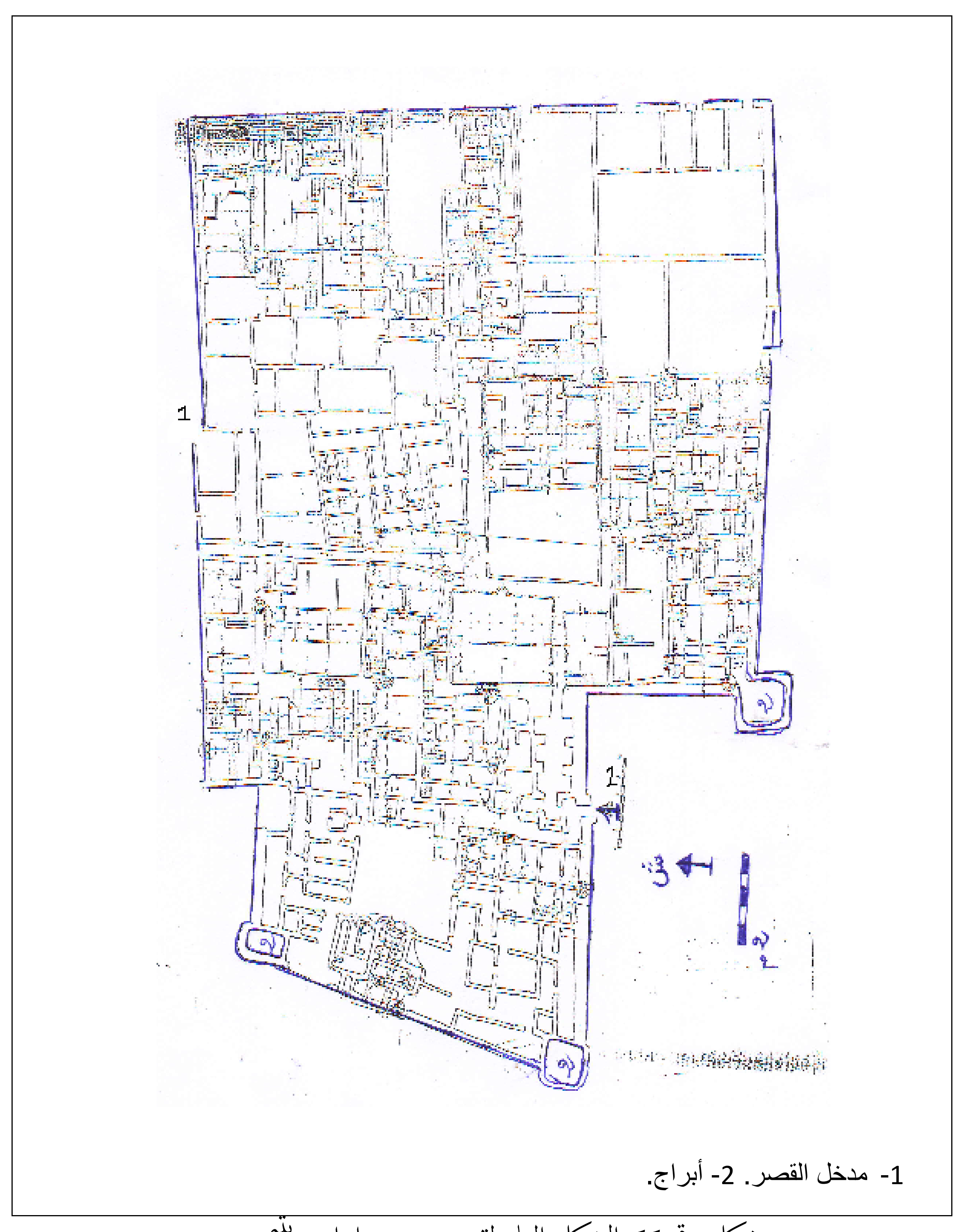
شكل رقم 08 اشكال المزاغل – من عمل الطالب-



شكل رقم 09 : اشكال مختلفة للشّرفات – من عمل الطالب.-

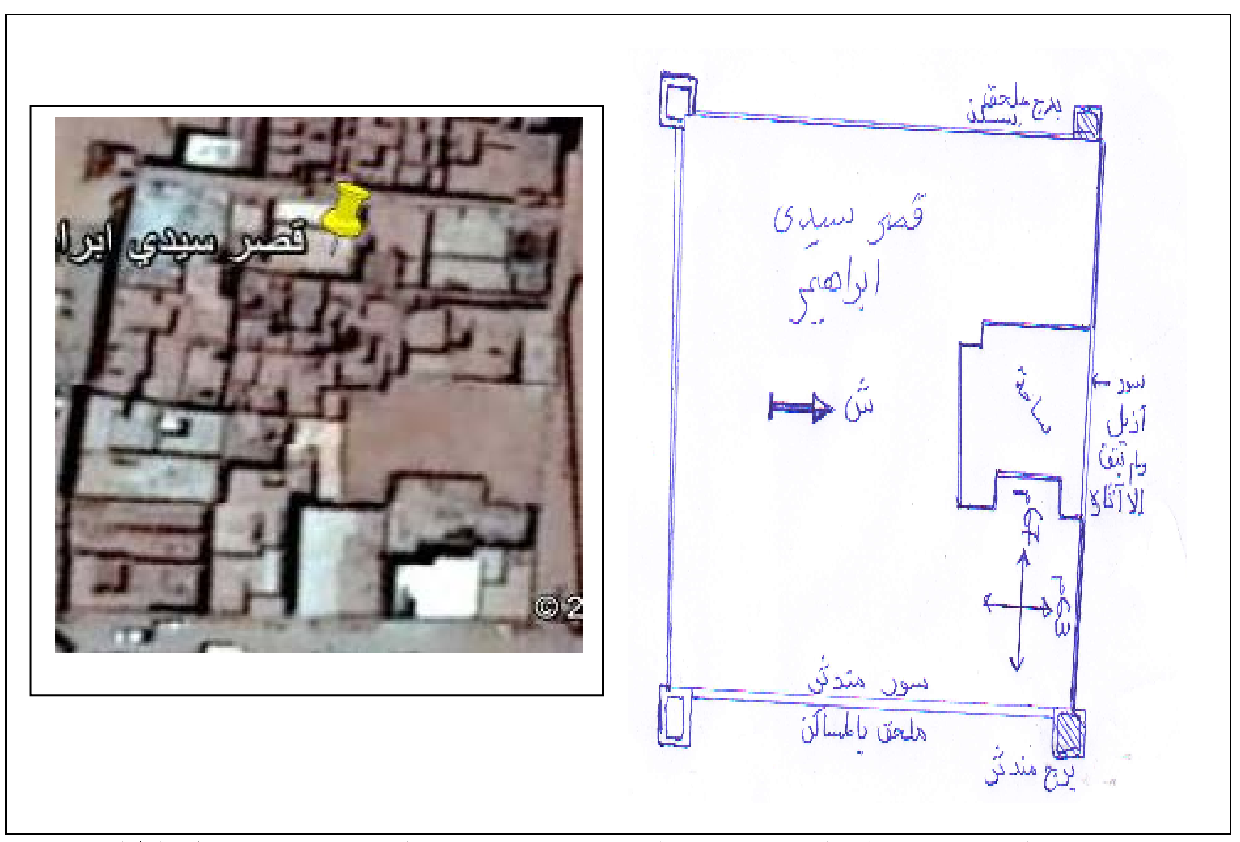


شكل رقم :10 ابعاد قصر سيدي ابراهيم بتيميمون – من عمل الطالب -

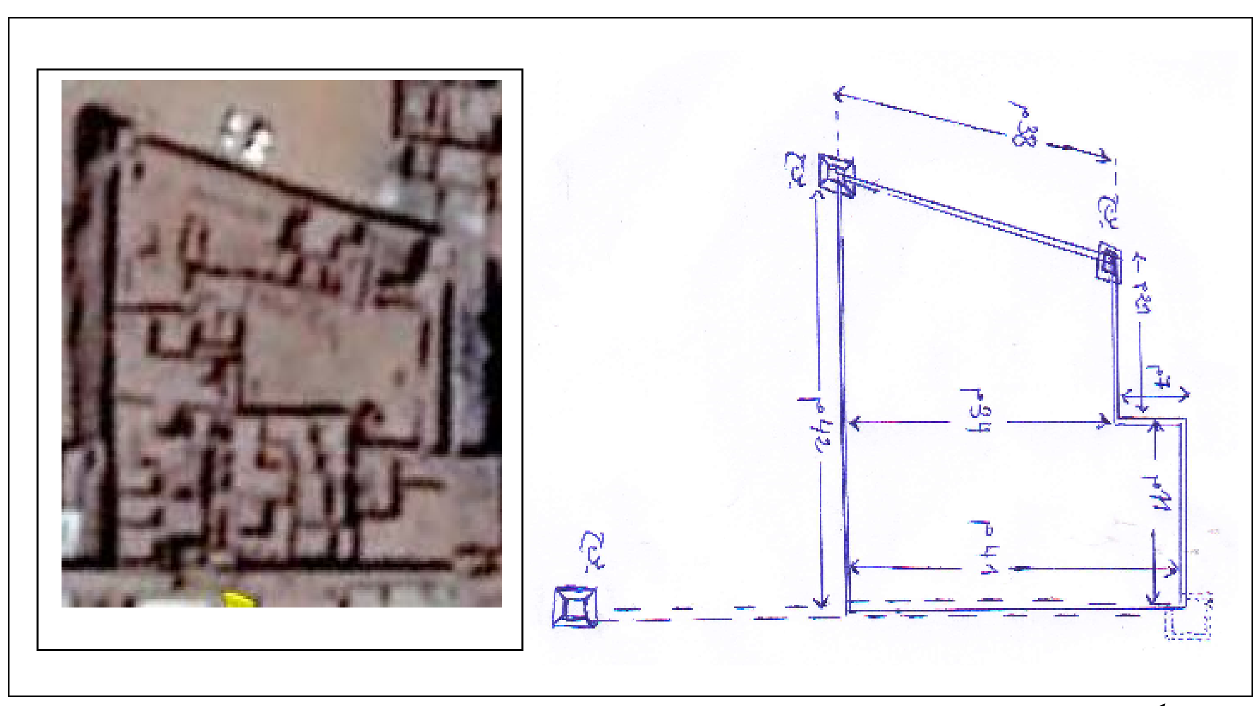


1- مدخل القصر. 2- أبراج.

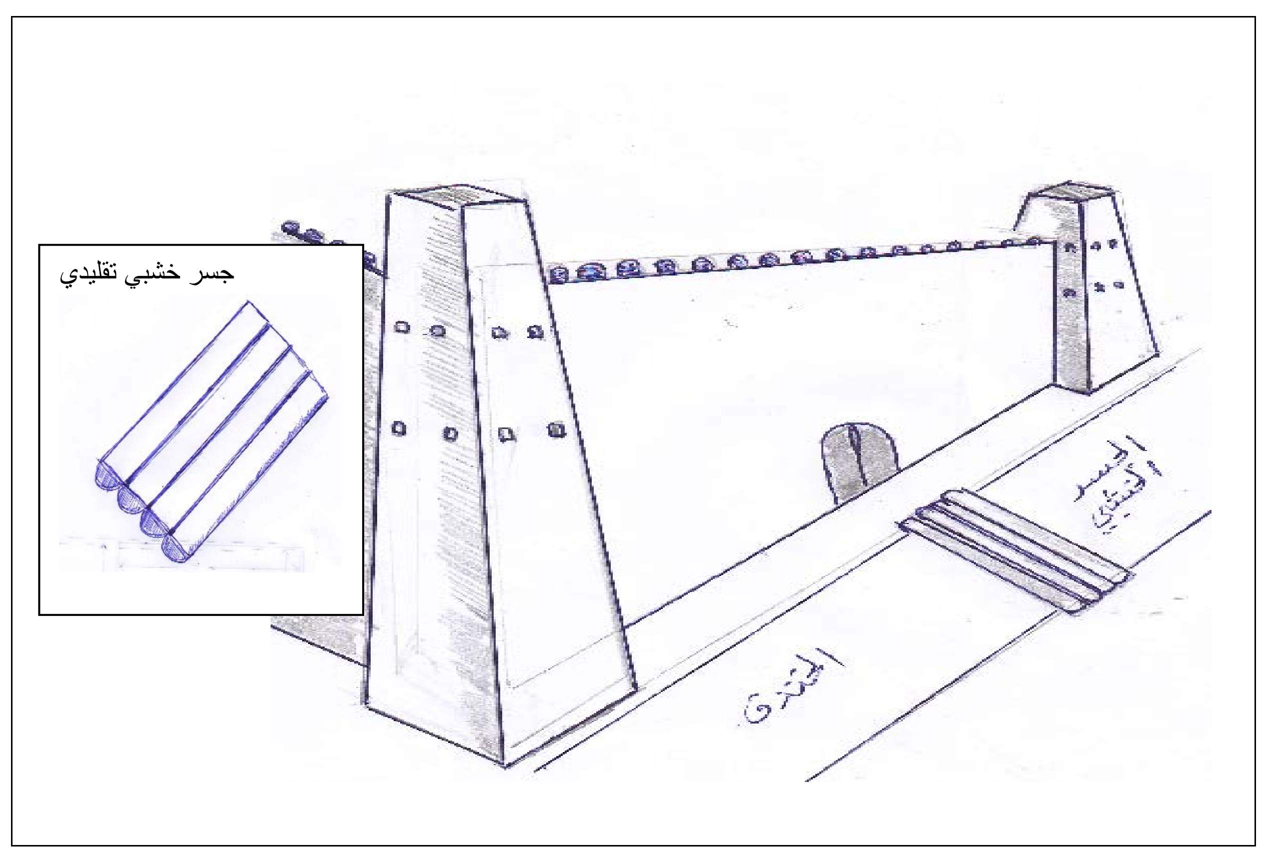
شكل رقم 11: الشكل العام لقصر سيدي ابراهيم بتيمون .



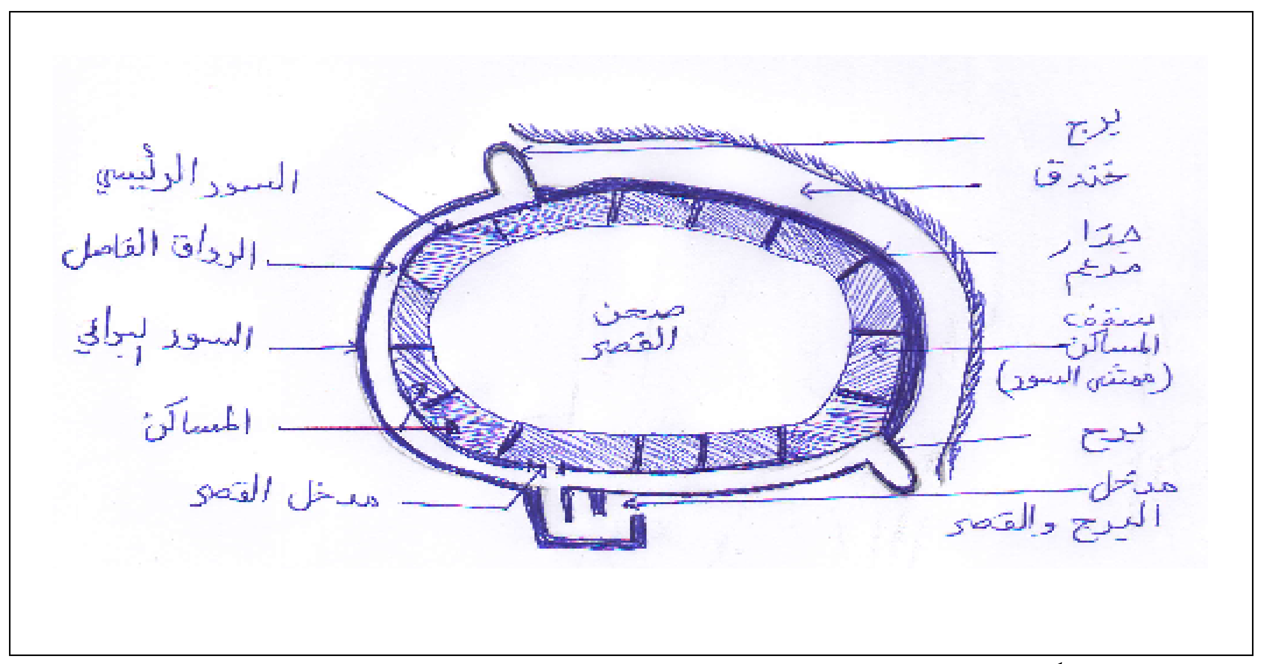
شكل رقم 12 : الشكل الافتراضي لقصر سيدي ابراهيم البدائي . – من عمل الطالب-



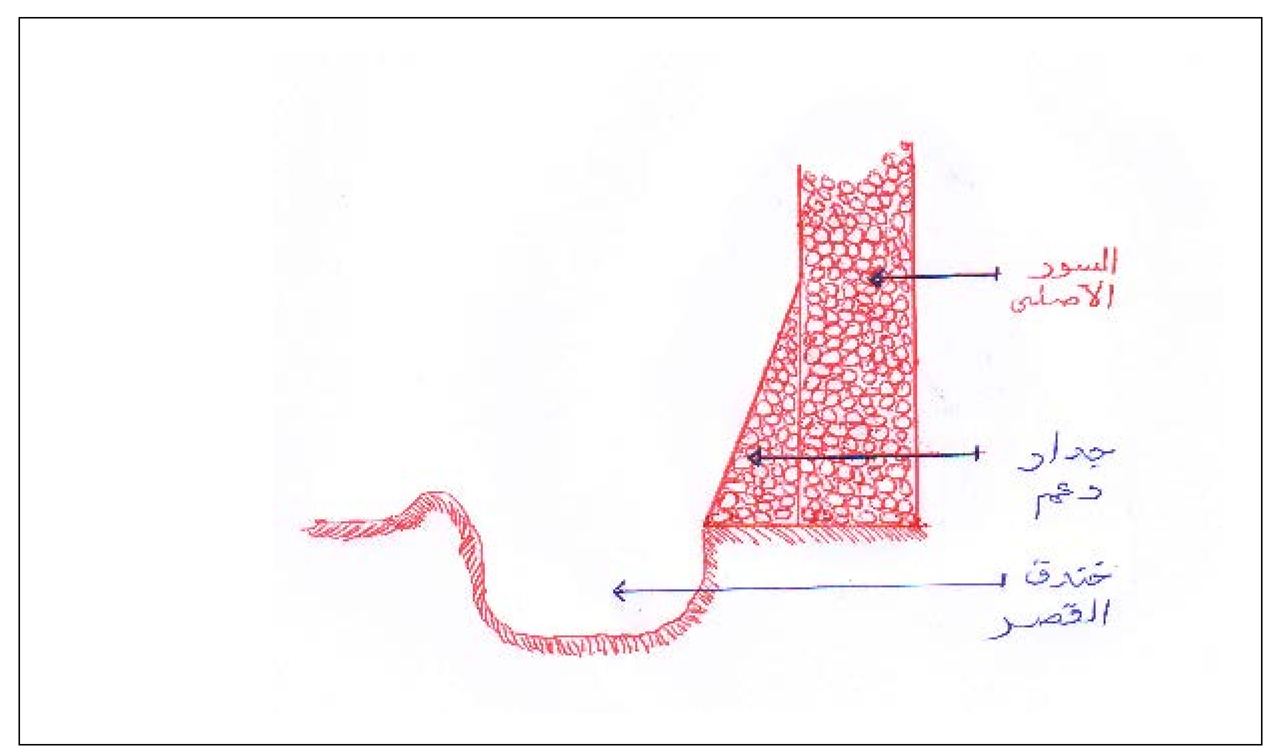
شكل 13 : التّوسِعة الافتراضية التي حدث بقصر سيدي ابراهيم – من عمل الطالب-



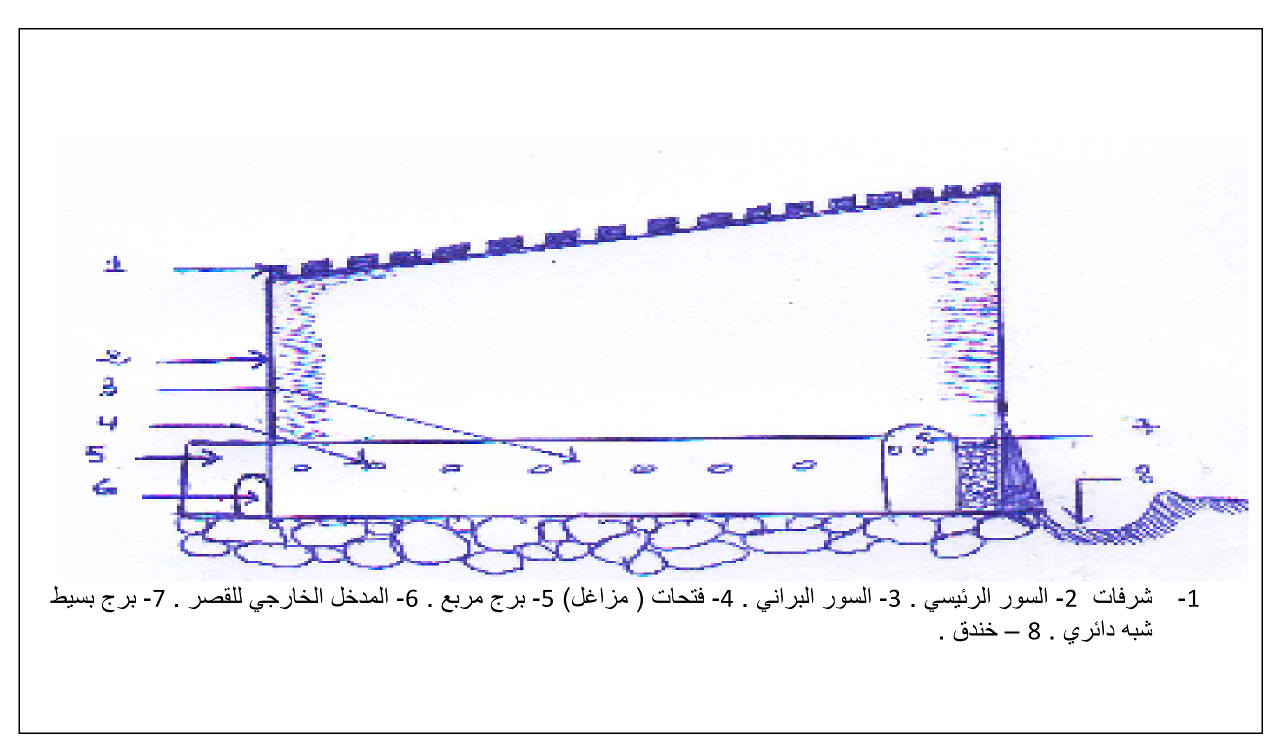
شكل رقم 14 : الجسور في بلاد توات – من عمل الطالب –



شكل رقم 15 : مقطع تقريبي مفترض لقصر الذراع . – من عمل الطالب-

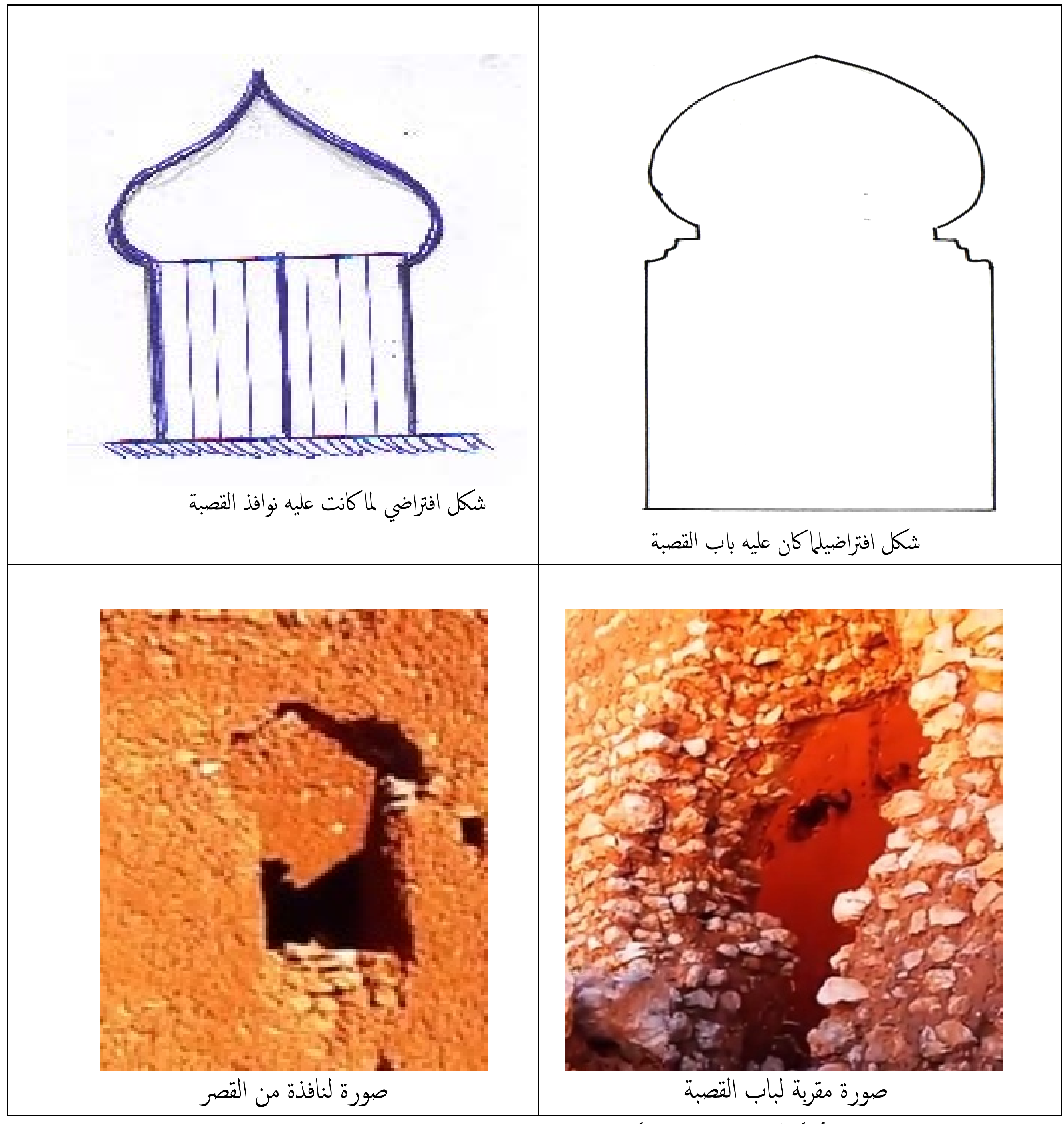


شكل رقم 16 : مقطع عرضي للسور الرئيسي و الخندق. – من عمل الطالب-



1- شرفات 2- السور الرئيسي . 3- السور البراني . 4- فتحات (مزاغل) 5- برج مربع . 6- المدخل الخارجي للقصر . 7- برج بسيط شبه دائري . 8 – خندق .

شكل 17 : شكل تصوري لقصر الذراع - من عمل الطالب.



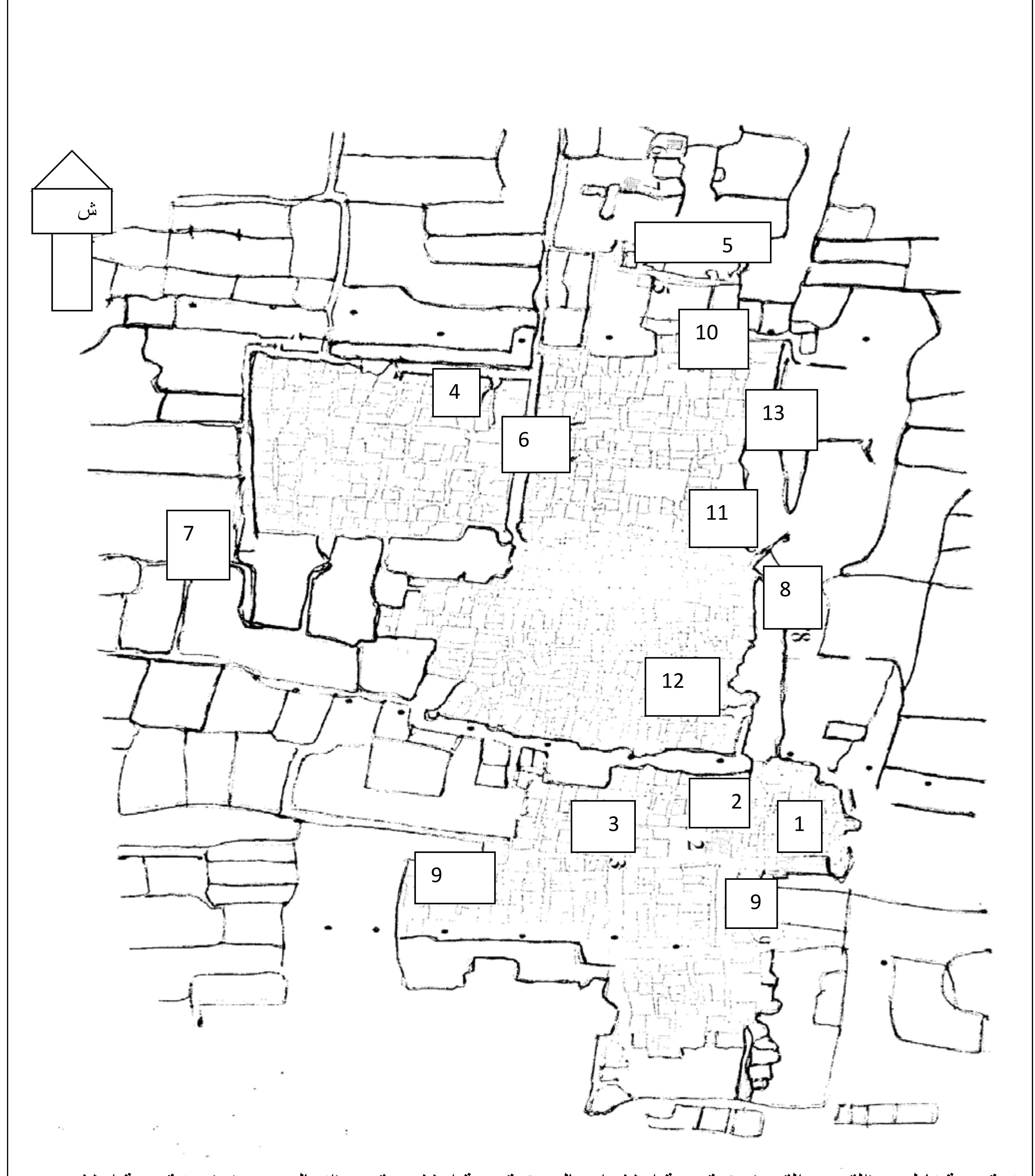
شكل افتراضي لما كانت عليه نوافذ القصبة

شكل افتراضيلما كان عليه باب القصبة

صورة لنافذة من القصر

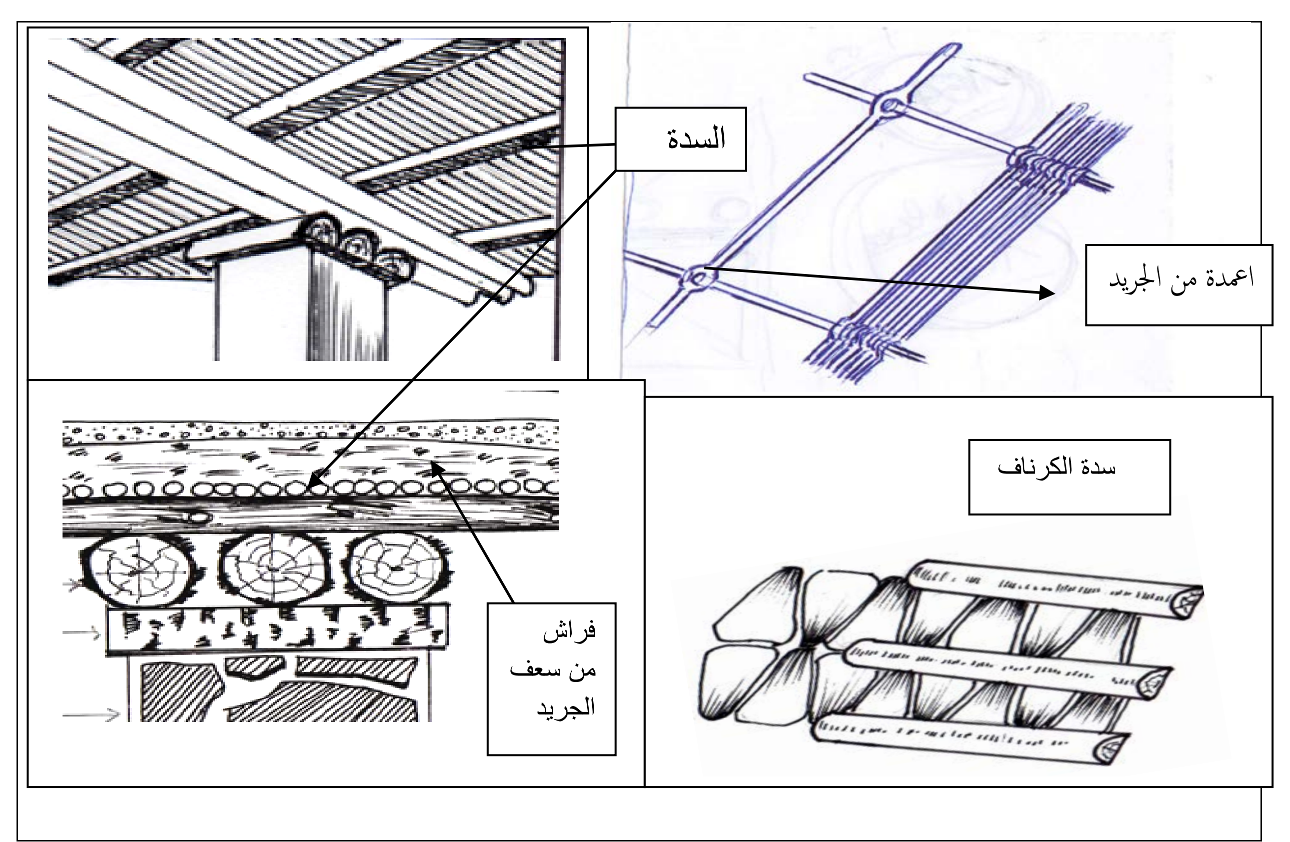
صورة مقربة لباب القصبة

لوحة رقم 18 : أشكال افتراضية لما كان عليه باب ونوافذ قصر الذراع.- من عمل الطالب-

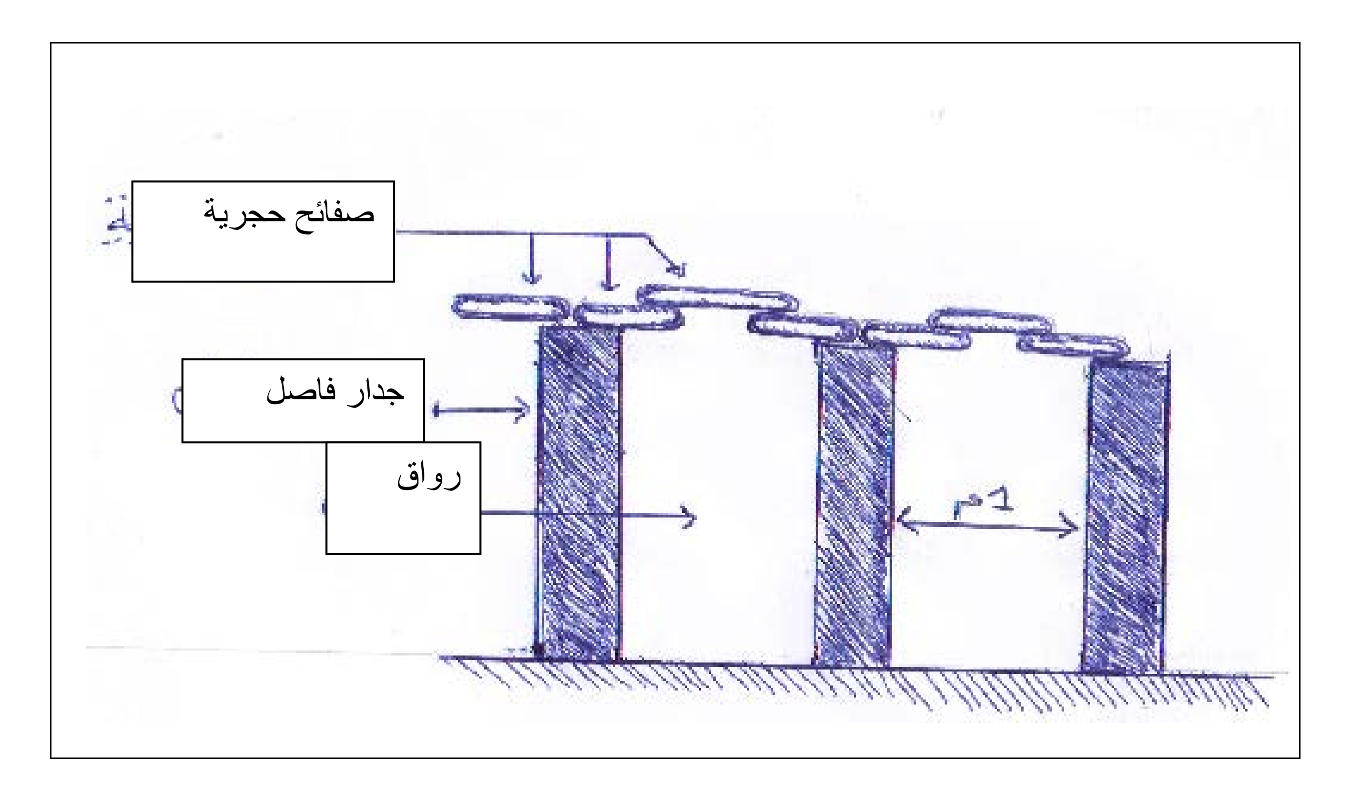


1-قصبة تايلوت(القصر القديم).2-قصبة اولاد اهمالي.3-قصبة اولاد يعقوب(اتعالى يوسف).-4قصبة اولاد ميمون.5-قصبة تاهقة.6-قصبة سي الشريف.7-قصبة تايحيا.8-قصبة اولاد داود.9- قصراولاد علي بن موسى..10-قصبة عمر أقبور.11-قصبة اولاد محمد.12- قصر اولاد داود.13- قصبة اغلاد

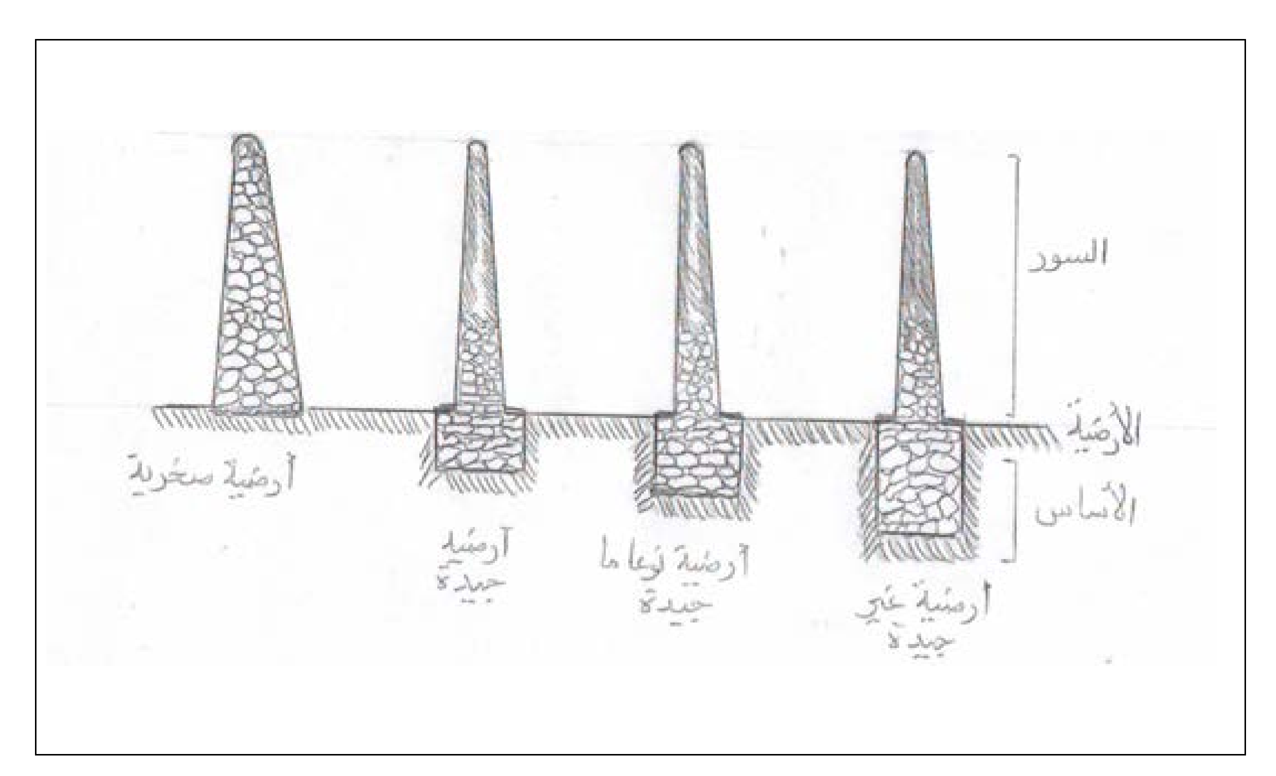
شكل رقم 19 : من قصبات قصر تمنطيط



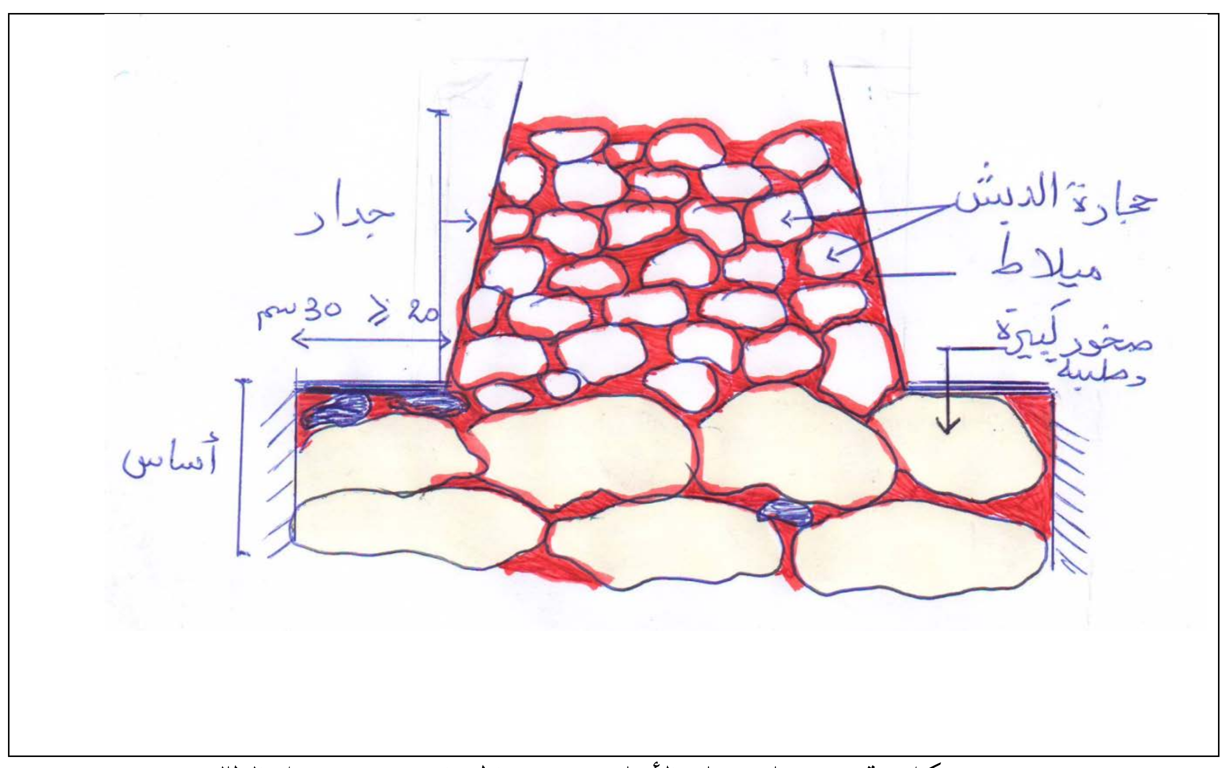
شكل 20 : السدة و كيفية التسقيف بها – من عمل الطالب-



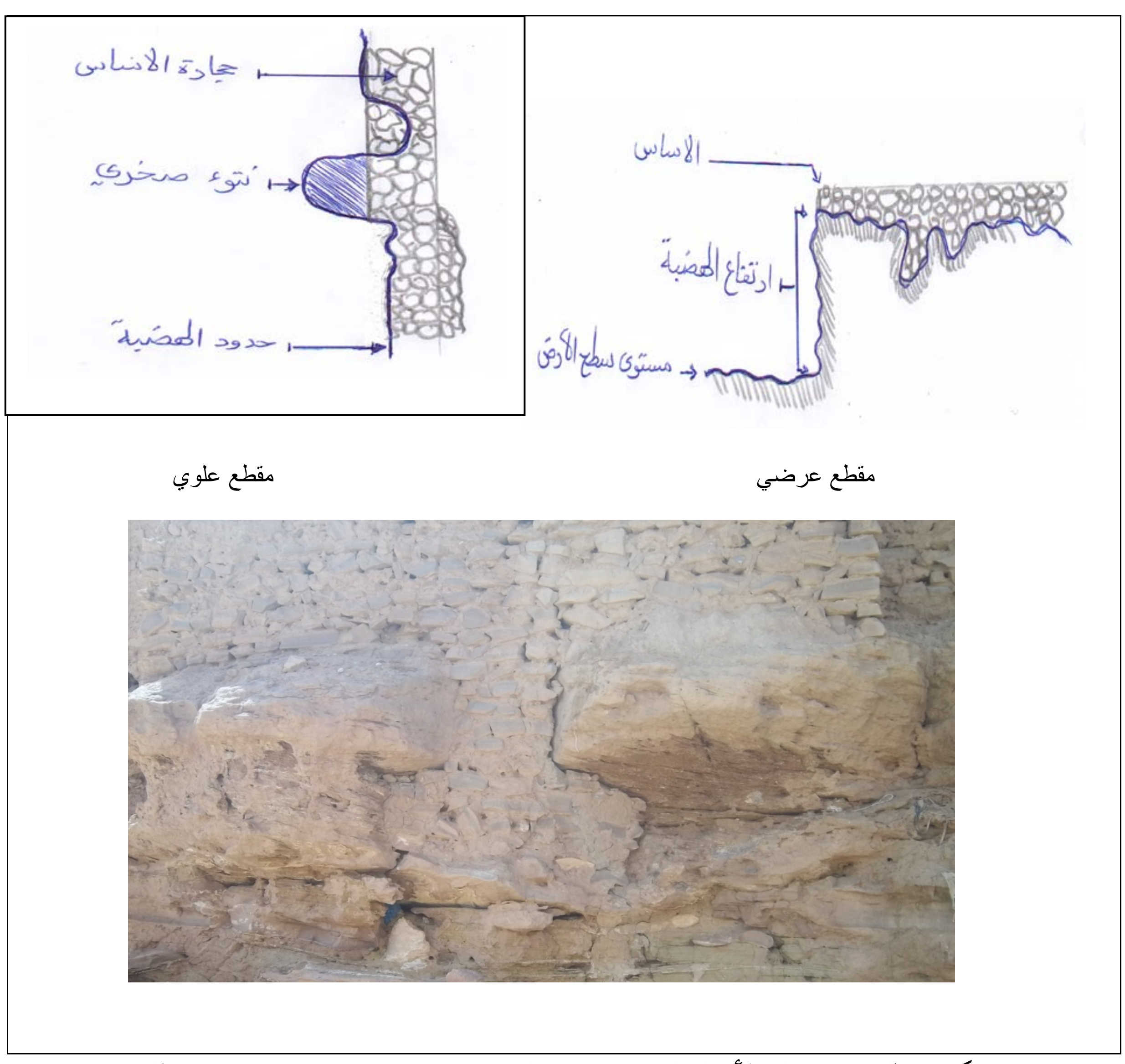
شكل رقم21 : طريقة التّسقيف بالصفّائح الحجرية. من عمل الطالب



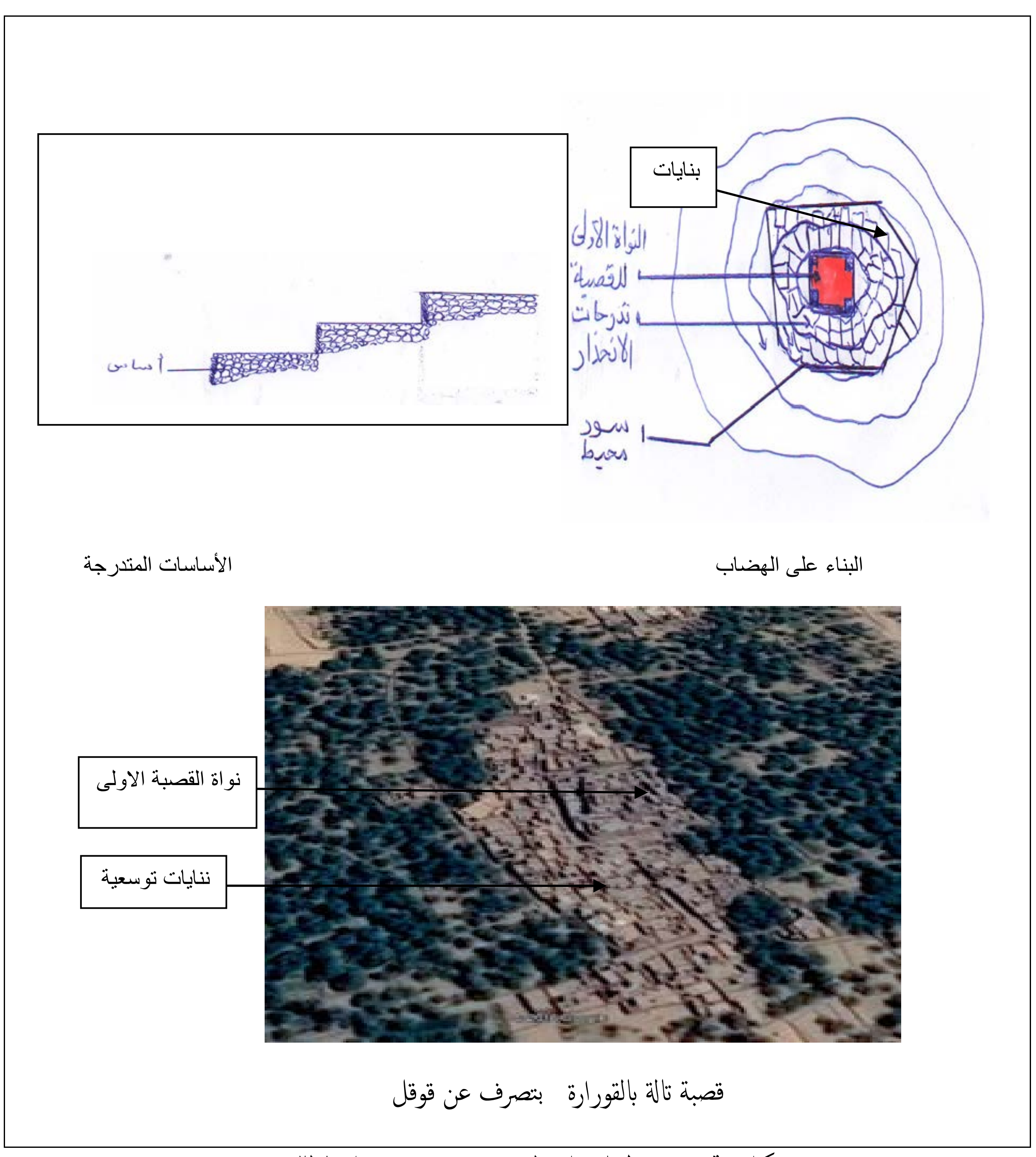
شكل رقم 22 : تباين اساس الجدران مع الارضية - من عمل الطالب –



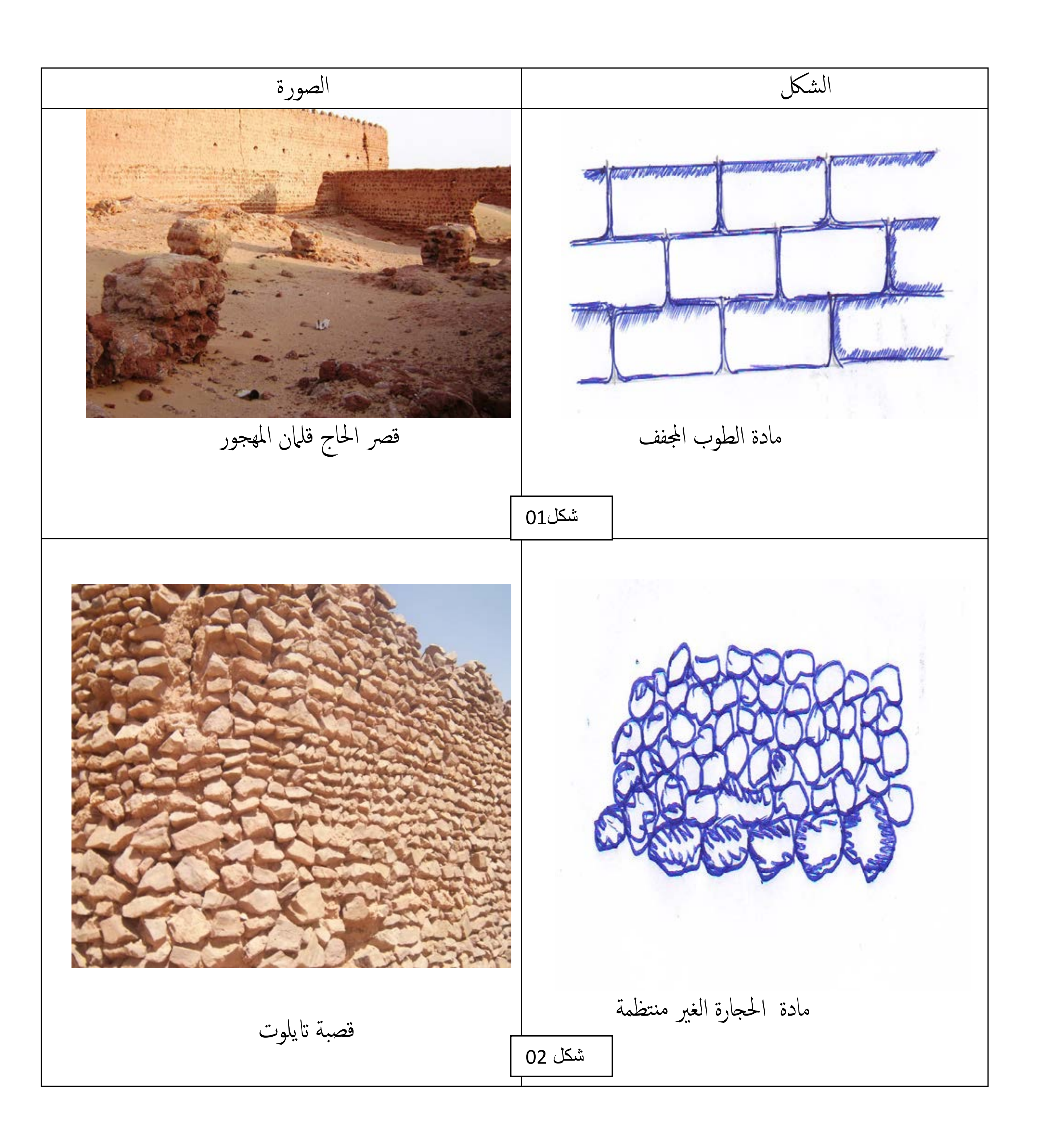
شكل رقم 23 : تباين حجارة الأساس و دبش الجدران . – من عمل الطالب-



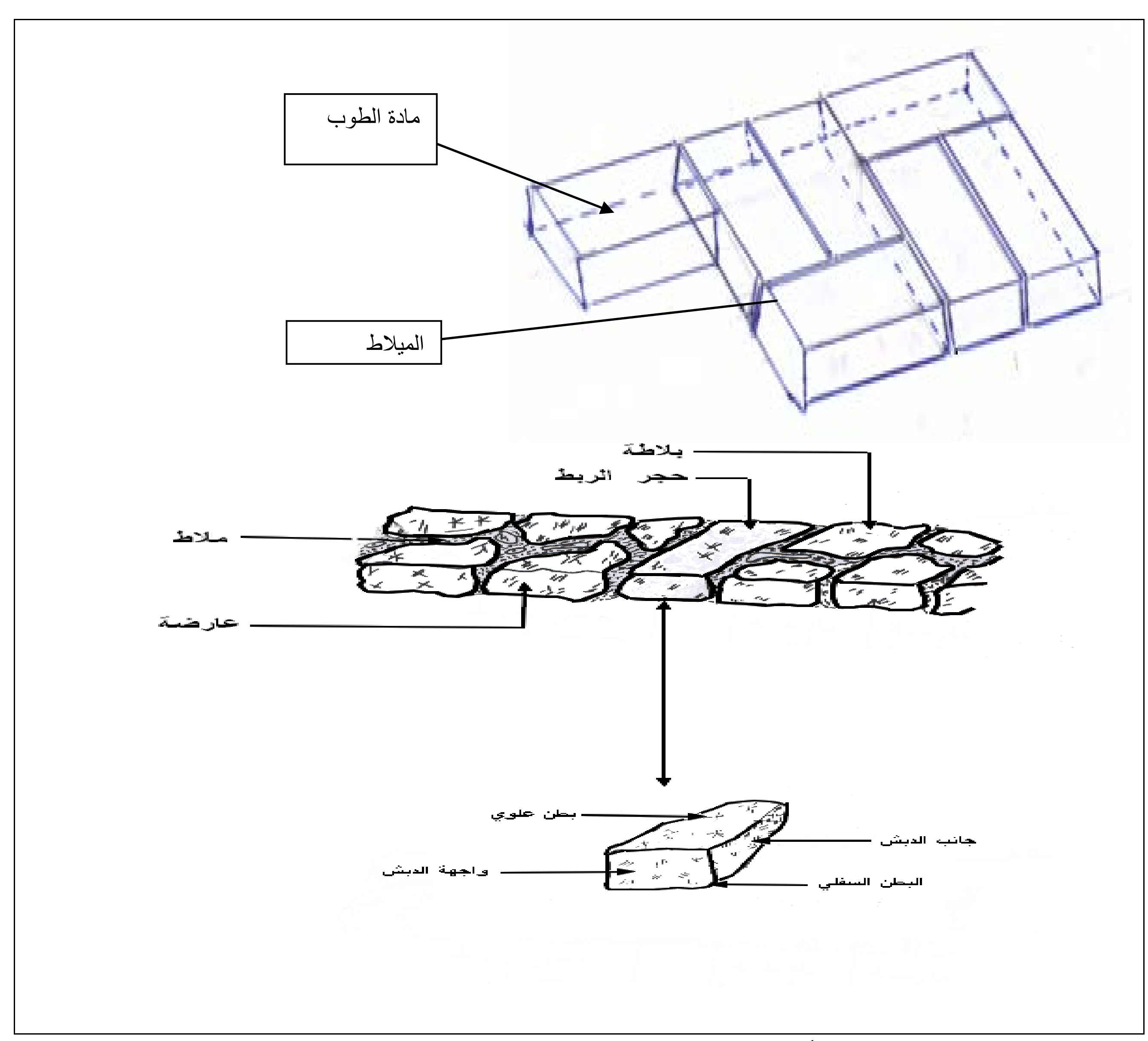
شكل رقم 24 : بناء الأساسات على هضاب صخرية - من عمل الطالب -



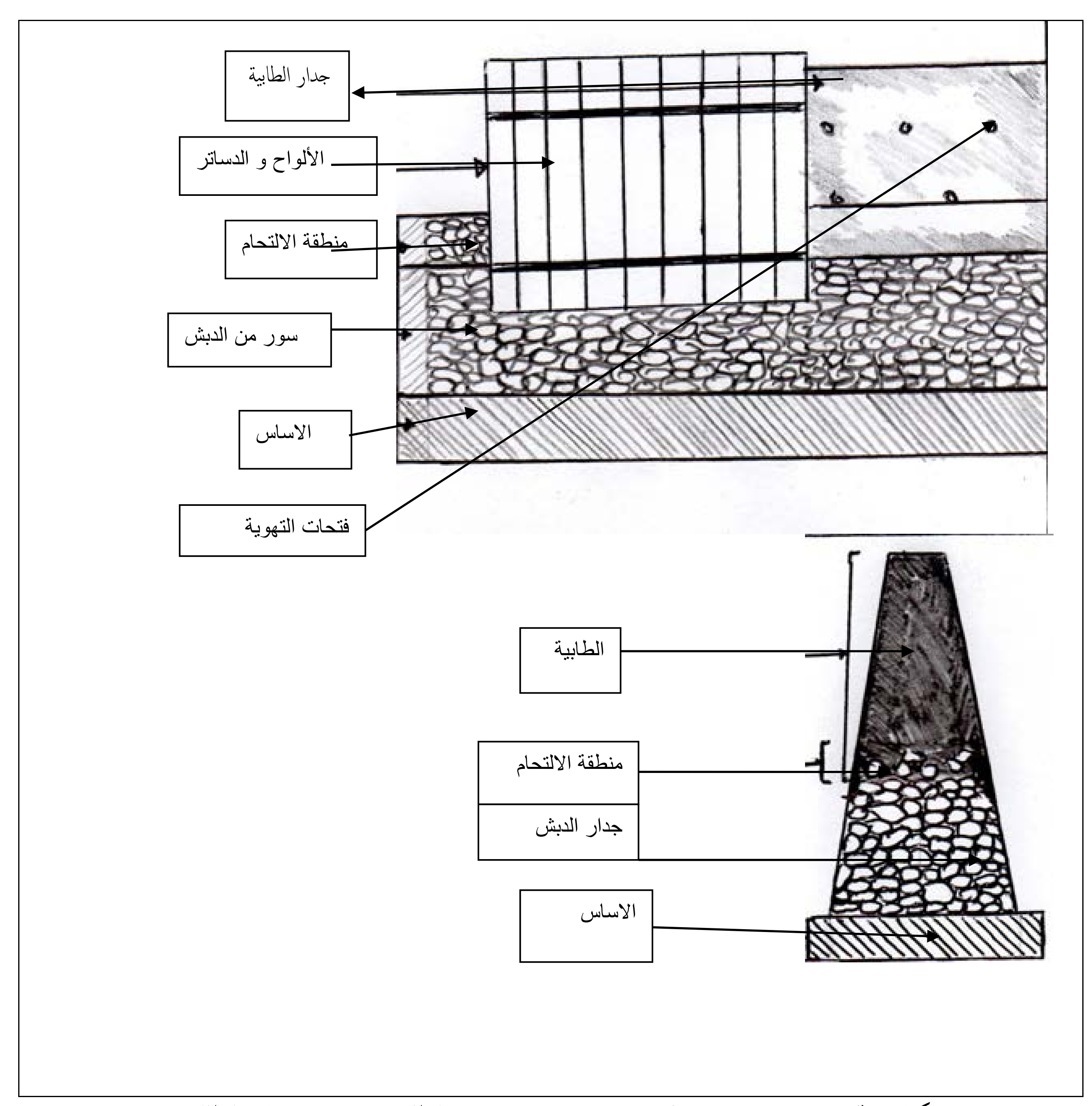
شكل رقم : 25 البناء على المنحدرات . – من عمل الطالب-



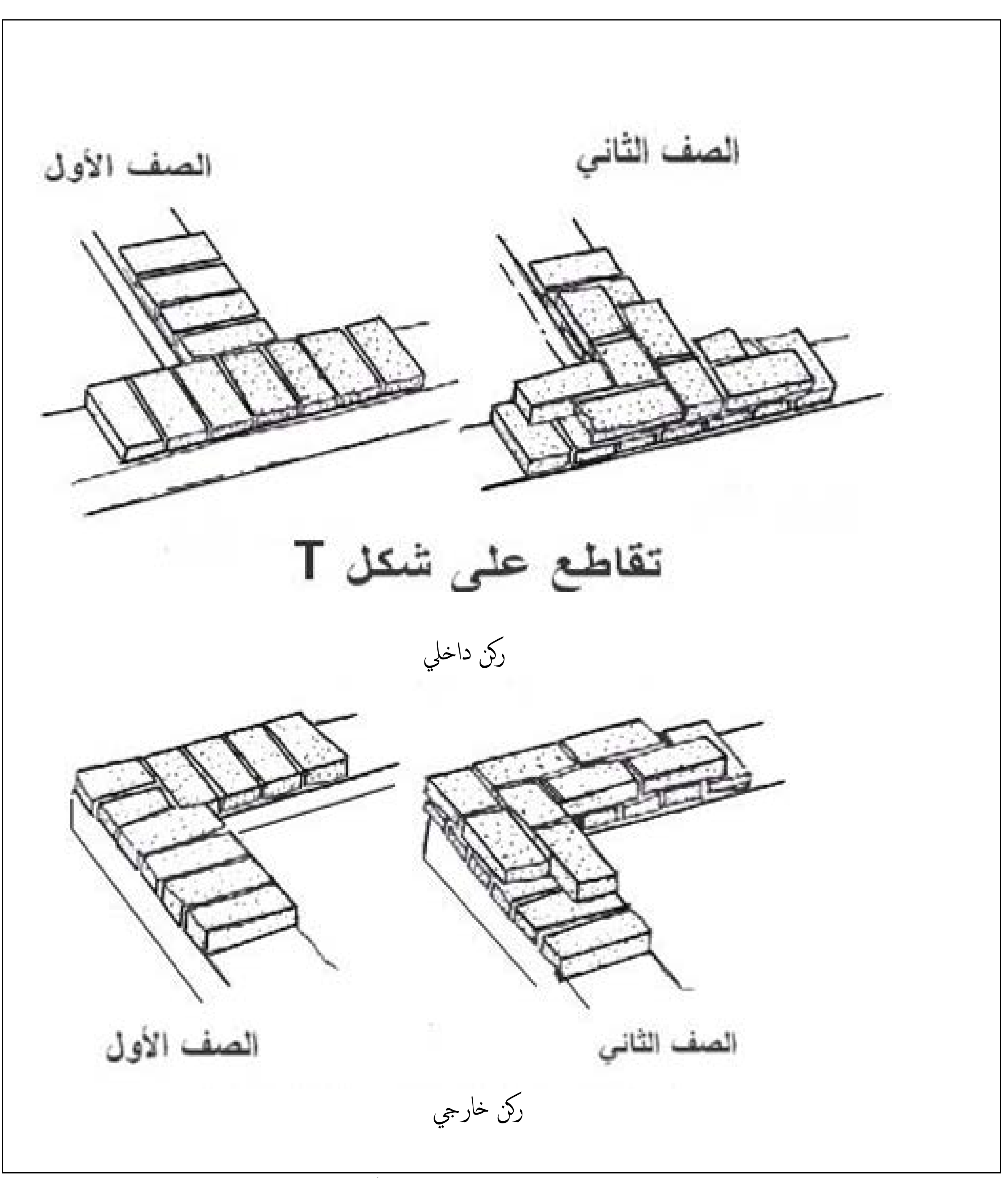
شكل رقم 26 : تقنيات و مواد بناء الاسوار – من عمل الطالب-



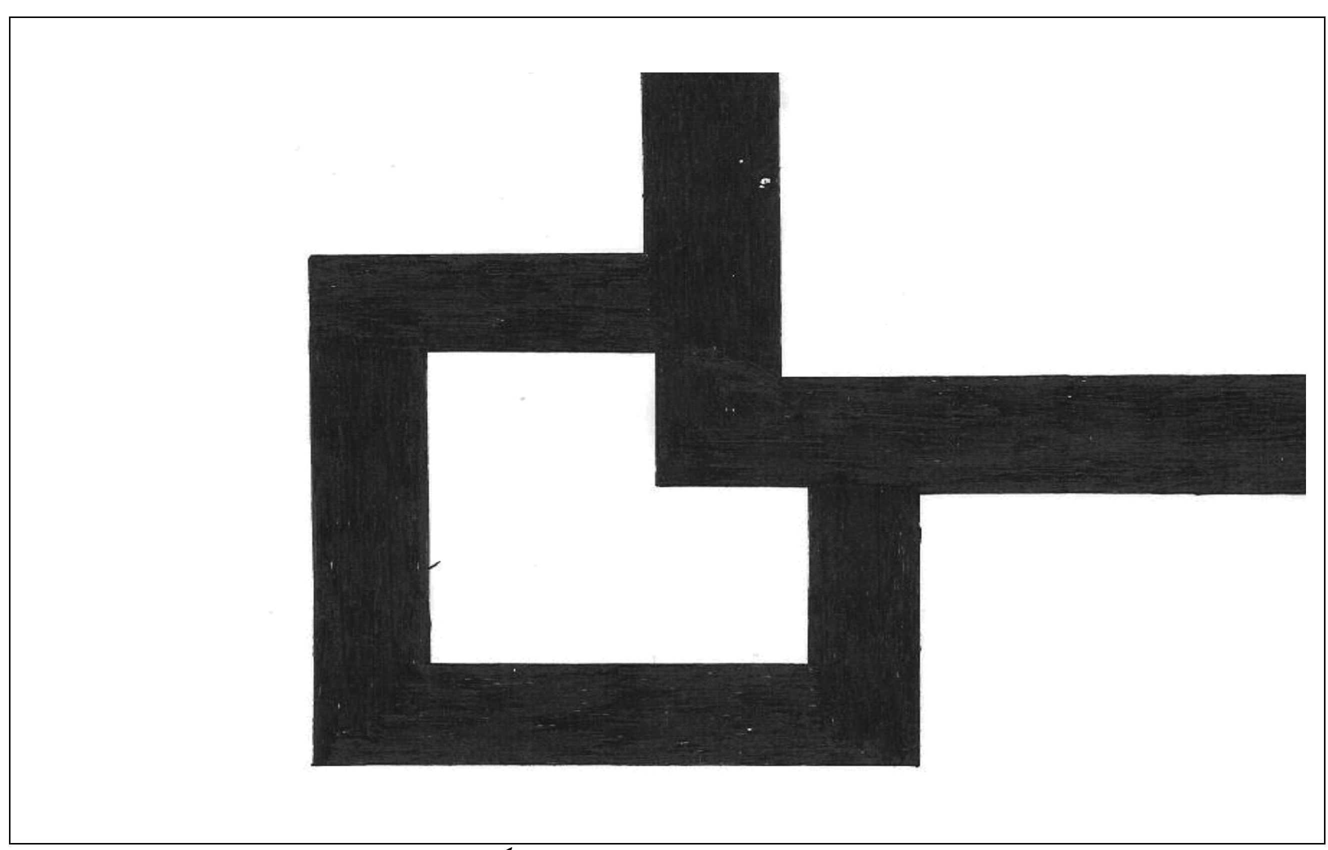
شكل رقم 27 مواد وطرق بناء الجدران – من عمل الطالب-



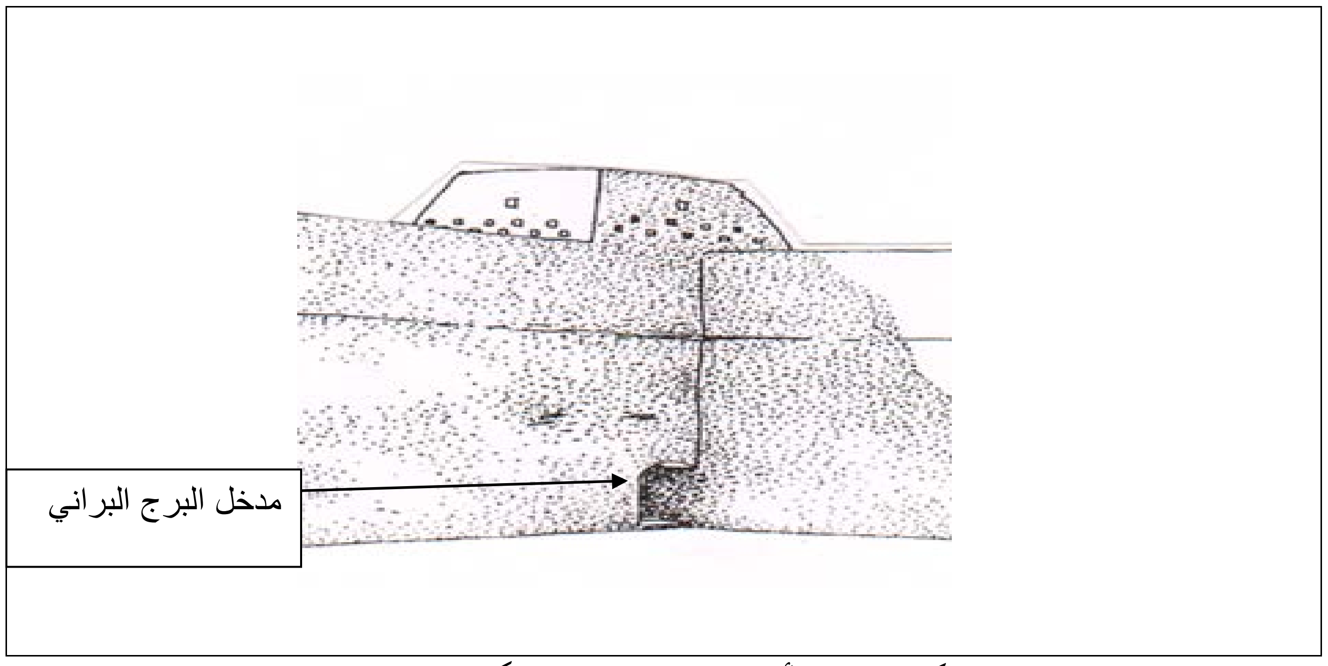
شكل رقم 28 : جدار من الدبش مدعم بجدار من الطابية - من عمل الطالب-



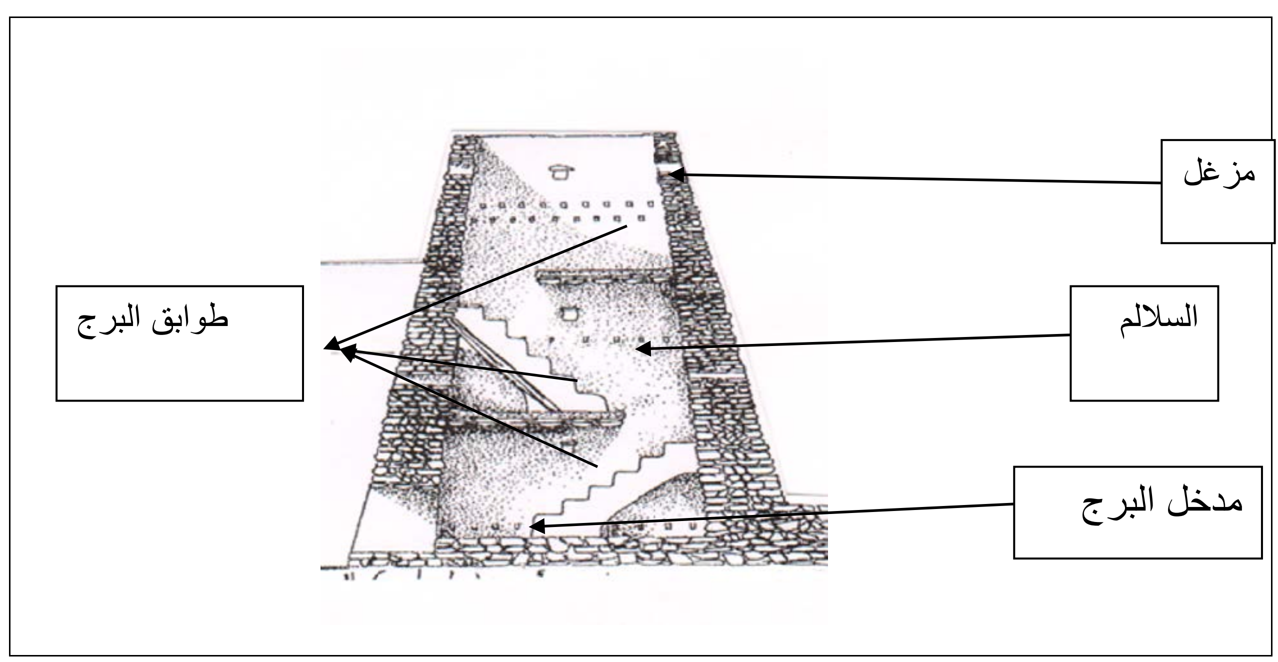
شكل رقم 29 : صناعة الأركان



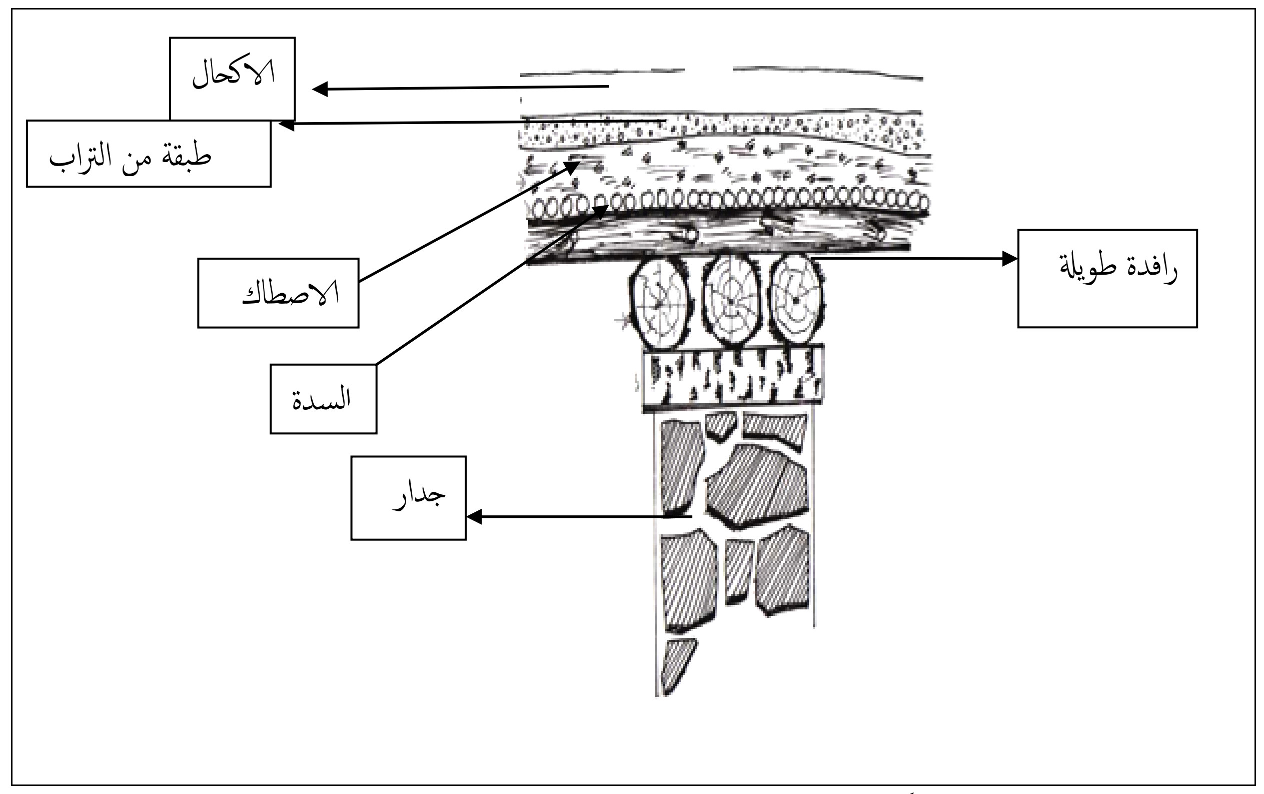
شكل رقم 30 مخطط اضافة الابراج الركنية للأسوار. – من عمل الطالب-



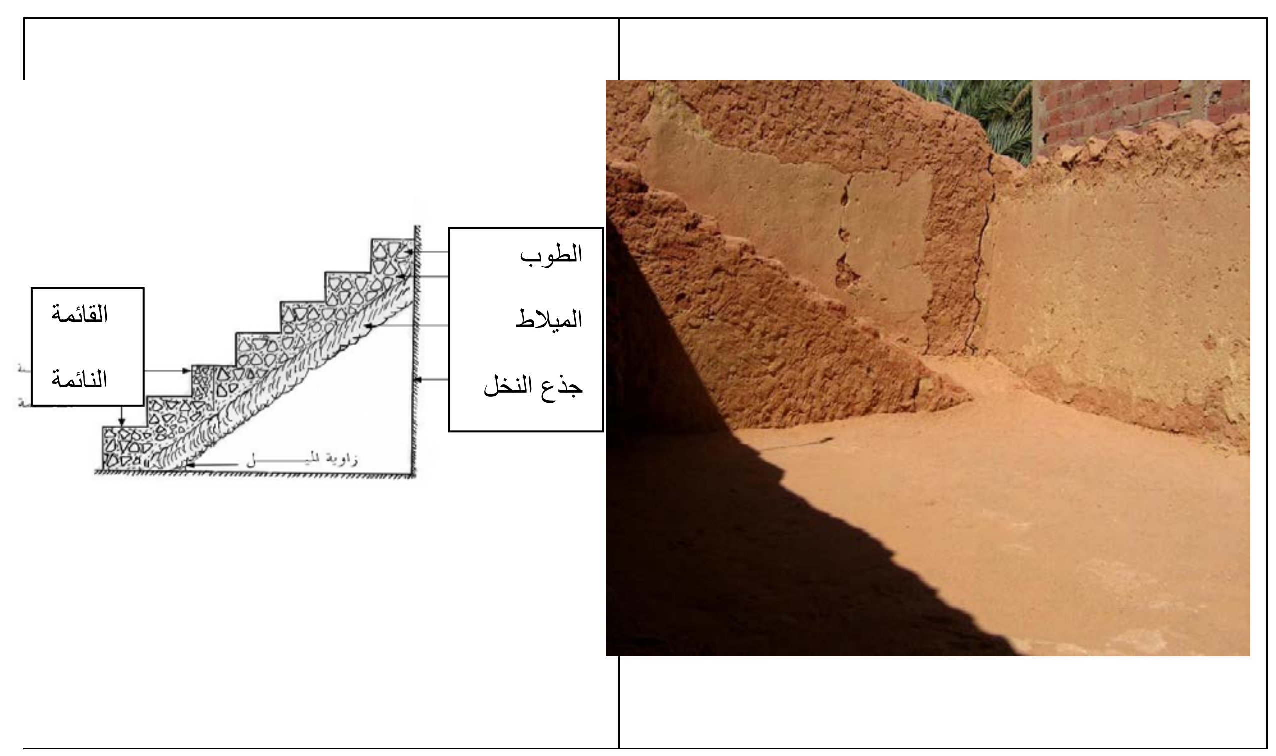
شكل 31 : الأبراج المنفصلة عن المساكن (البرانية) .



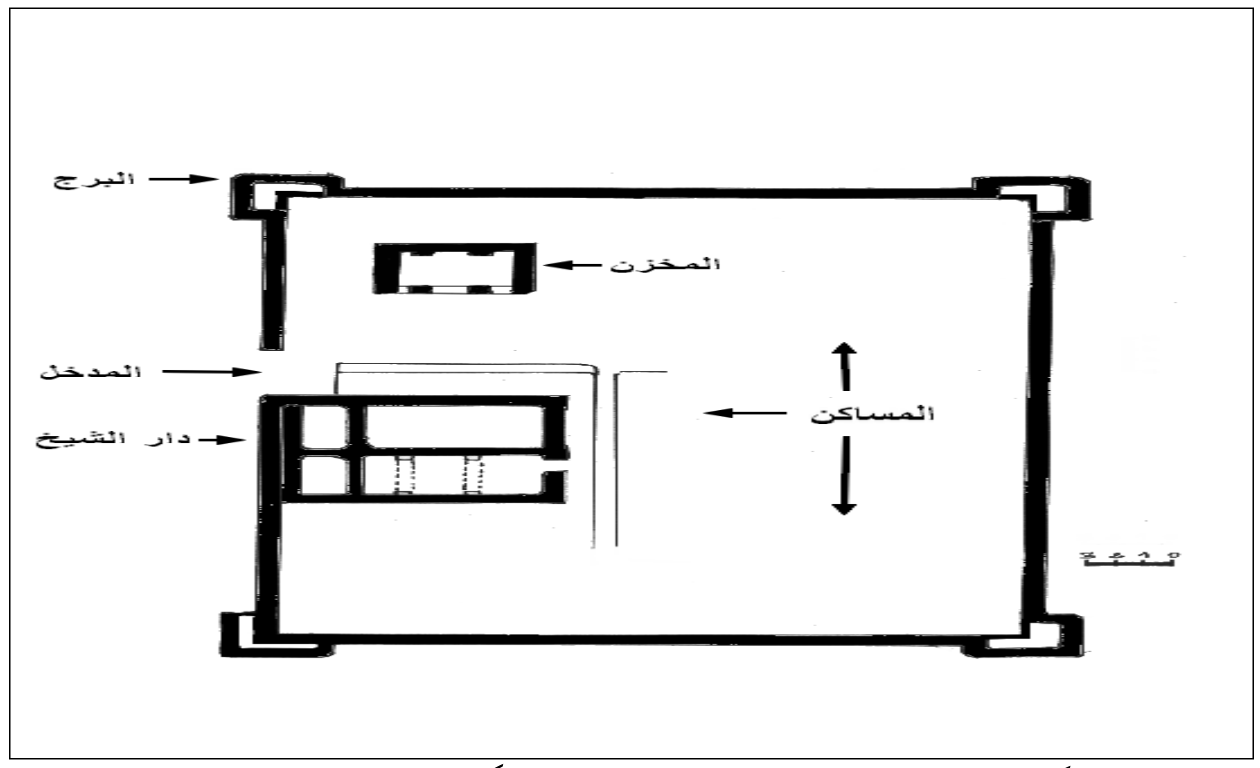
شكل رقم 32 : الأبراج البرانية وتفاصيلها - من عمل الطالب-



شكل رقم 33 : مختلف طبقات السّقف – من عمل الطالب-



لوحة رقم 34 : سلم بقصبة أولاد يعقوب. – من عمل الطالب



شكل رقم 35 : مخطط لقصبة (زاوية) الشيخ البكري بتمنطيط.

الفهــــــرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة...07
مدخل عام ....القصور الصحراوية..18
اولا- القصور الصحراوية 22
ثانيا- العمارة الدّفاعية و تنميط القصور الصّحراوية 27
ثالثا- العوامل المتحكمة في نشأة القصور الصحراوية 32
1- العامل التّاريخي..32
2- العامل الجغرافي...33
3- العامل الاقتصادي..35
4- العامل الاجتماعي والدّيني..36
الفصل الأول .... التّحصينات الدّفاعية..38
- تمهيد 39
اولا- التحصينات الميدانية...44
1- الثغور...44
2- الحصن والقلعة...48
3- الأربطة..50
- ثانيا – التّحصينات الثّابتة 53
1- الخنادق...53
2- الأسوار...55
3- الأبواب...60
4- الأبراج 65
5- المزاغل...72
6- الشّرفات...73

الفصل الثاني .... التعريف باقليم توات...82
- تمهيد...77
- اولا- تسمية الاقليم..82
- ثانيا- جغرافية توات...86
- ثالثا- تاريخ توات..91
- رابعا- عمارة الإقليم..103
الفصل الثالث.........الاستحكامات العسكرية في مناطق توات.........................114
- تمهيد 115
اولا- منطقة القورارة واستحكاماتها للدفاعية 115
ثانيا- تمنطيط واستحكاماتها الدفاعية 125
ثالثا- تيديكلت واستحاكاماتها الدفاعية 137
الفصل الرابع............. مواد وطرائق الإنشاء..154
- اولا - المواد الانشائية 155
- ثانيا - طرائق البناء...170
- الخلاصة..185
- **الخاتمة** ....نتائج البحث..185
- فهرس الأعلام والأماكن..192
- فهرس الأعلام 193
- فهرس القبائل..199
- فهرس الأماكن..200
- **المصادر والمراجع** : 216
- المصادر 217
- المراجع بالعربية............ 223
- المراجع الأجنبية..235
- **الملحقات**..240
- الخرائط..241
- الصور...250
- الأشكال...286

- فهرس المحتويات 310

***



طبع سنة 1440 هـ